

زَهْرُ الْأَدَابِ وَفَرْحَةُ الْأَلْبَابِ

لأبي إسحاق إبراهيم بن عليّ الحنبلّي الشيرازي
(المتوفى سنة ٥٤٣/١١٥١ م)

شَدِيدُ النَّقْطَةِ وَفَرِحَةُ رُؤُوسِ مَنَارِهِ
الدكتور صلاح الدين الحواري

المكتبة العصرية
طبعة ١٤٠٢

زَهْرُ الْأَحْبَابِ فِي مَثَرِ الْأَلْبَابِ

لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني
(المتوفى سنة ٤٥٣هـ / ١٠٦١م)

قَدَّمَ لَهُ وَصَّيْطَهُ وَشَرَحَهُ وَوَضَعَ فَهْرَسَهُ
الدكتور صلاح الدين الهواري

المجلد الثاني

المكتبة العصرية
مستيد - بيروت

جميع الحقوق محفوظة للناسر

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - 2001 م

للطباعة
والنشر
والتوزيع

المكتبة العصرية للطباعة والنشر

الدار النورية الحديثة
المطبعة العصرية

بيروت - ص ١١/٨٣٥٥ - تلفاكس ٠٠٩٦١١٦٥٥-١٥

صيدا - ص ٢٢١ - تلفاكس ٠٠٩٦١٧٧٢٣١٧



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ألفاظ لأهل العصر في صفات الطعام

ومقدماته، وموائده وآلاته

أَفْرِشْ طَعَامَكَ اسم الله، وَالْحِفَّةُ حمد الله. لا يَطِيبُ حضور الخوان، إلا مع الإخوان. البُخْلُ بالطَّعام، من أخلاق الطَّعام^(١). الكريم لا يَحْظُرُ، تقديم ما يَحْضُرُ. قد قامت خطباءُ القدور. قدورٌ أبكار، بخواتم النَّار. قَدَرٌ طار عَرْفُها، وطاب عَرْفُها. دَهْمَاءُ تَهْدِرُ كَالْفَنَيْقِ^(٢)، وَتَفُوحُ كَالْمِسْكِ الْفَتِيْقِ. مائدة كَدَّارَةُ الْبَدْرِ، تباعد بين أنفاس الجلاس. مائدة مثلُ عروس. مائدة لطيفة، محفوفة بكل طَريفة. مائدة تشتمل على بدائع المأكولات، وغرائب الطَّيِّبات. مائدة كأنما عملها صنَّاعُ صنَّاعٍ، تجمع بين أنوار الربيع، وثمر الخريف.

وقال الجُمَاز^(٣): جاءنا فلان بمائدة كأنها زَمَنُ البرامكة على العُقاة!

وَدَمَّ آخِرُ رَجُلًا فَقَالَ: لا يَحْضُرُ مَائِدَتَهُ إِلَّا أَكْرَمُ الْخَلْقِ وَالْأَمُثَلُ. يريد الملائكة والذُّبَابَ.

وقال ابن الحَجَّاج لرجل دعاه وأَخَّرَ الطعام:

قَدْ جُنَّ أَصْحَابُكَ مِنْ جُوعِهِمْ فَافْرَأْ عَلَيْهِمْ سُورَةَ الْمَائِدَةِ

ولبعض أهل العصر يذم رجلاً:

(١) الطَّعامُ: أرذال الناس وأوغادهم.

(٢) الفَنَيْقُ: الفحل المُكْرَمُ من الإبل لا يركب لكرامته على أهله، وفي حديث الحَجَّاج لما حاصر ابن الزبير بمكة، ونصب المنجنيق: «خَطَّارَةٌ كَالْجَمَلِ الْفَنَيْقِ». (ابن منظور، اللسان: فنق).

(٣) هو أبو عبد الله، محمد بن عمرو بن حماد، المعروف بالجماز البصري: شاعر، مفلح، مطبوع، من موالي قریش. قدم بغداد أيام الرشيد، واتصل بالمتوكل. وكان ماجناً خبيث اللسان. وقيل: إنه مات فرحاً بعشرة آلاف درهم وهب إياها المتوكل. (ابن المعتز، طبقات الشعراء: ص ٣٧٥؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ١٢٥/٣).

خِوَانٌ لَا يُلِمُّ بِهِ ضِيُوفٌ وَعَرِضٌ مِثْلُ مُنْدِيلِ الْخِوَانِ

رُغْفَانٌ كَالْبَدُورِ الْمُمنَطَقَةِ بِالنَّجُومِ. حَمَلٌ ذَهَبِي الدَّارِ، فَضِي الشُّعَارِ. أَطْيَبُ مَا يَكُونُ الْحَمَلُ، إِذَا حَلَّتِ الشَّمْسُ الْحَمَلَ^(١). جَذِيٌّ كَأَمَّا يُدْفَعُ عَلَى جَبِينِهِ الْقَرْ. زَيْرَبَاجَةٌ، هِيَ لِلْمَائِدَةِ دِيبَاجَةٌ، تَشْفِي السَّقَامَ، وَلَوْهَا لَوْنُ السَّقِيمِ. سِكْبَاجَةٌ^(٢) تَفْتَقُ الشَّهْوَةَ، وَاسْفِيزَبَاجَةٌ تُغْذِي الْقَرَمَ^(٣)، وَطَبَاهِجَةٌ يُتَفَكَّهُ بِهَا^(٤)، وَخَيْصٌ يَخْتَمُ بِخَيْرٍ. طَبَاهِجَةٌ مِنْ شَرَطِ الْمُلُوكِ، كَأَعْرَافِ الدِّيُوكِ، وَقَلِيَّةٌ كَالْعُودِ الْمُطَرَّى. مَغْمُومَةٌ تَفْرَجُ غَمَّ الْجَائِعِ. هَرِيسَةٌ نَفِيسَةٌ، كَأَنَّهَا خِيُوطُ قَرْ مُشْتَبِكَةٌ، كَأَنَّ الْمُرِّيَّ^(٥) عَلَيْهَا عُصَارَةُ الْمَسْكِ عَلَى سَبِيكَةِ الْفُضَّةِ. أَرْزَةٌ مَلْبُونَةٌ، فِي السُّكَّرِ مَدْفُونَةٌ. شَوَاءٌ رَشْرَاشٌ^(٦) وَفَالُودِجٌ رَجْرَاجٌ^(٧). طَبَاهِجَةٌ تَغْذِي، وَفَالُودِجَةٌ تَعْزِي، وَاسْفِيزَبَاجَةٌ تَصْفَعُ قَمًّا الْجُوعِ. لَا فِرَاشٌ لِلنَّبِيذِ، كَالْحَمَلِ الْحَنِيدِ^(٨). دِجَاجَةٌ سَمِيطَةٌ^(٩)، لَهَا مِنَ الْفُضَّةِ جِسْمٌ، وَمِنْ الذَّهَبِ قَشْرَةٌ. دِجَاجَةٌ دِينَارِيَّةٌ ثَمَنًا وَلَوْنًا.

لابن الرومي في وصف طعام

وهذا محلول من قول علي بن العباس الرومي يصف طعاماً أكله عند أبي بكر الباقطاني^(١٠):

وَسَمِيطَةٌ صَفْرَاءُ دِينَارِيَّةٍ ثَمَنًا وَلَوْنًا زَفْهَالُكَ حَزُورٌ^(١١)

- (١) الحمل الأول: الصغير من أولاد الضأن، والحمل الثاني: برج في السماء.
- (٢) السِّكْبَاجَةُ: واحدة، أو قطعة من السِّكْبَاجِ، وهو طعام يُعْمَلُ مِنَ اللَّحْمِ وَالْخَلِّ مَعَ تَوَابِلٍ وَأَفَاوِيهِ.
- (٣) القرم: شديد الشهوة إلى أكل اللحم.
- (٤) الطَّبَاهِجَةُ: ضرب من قَلِيٍّ اللَّحْمِ (فارسي معرب).
- (٥) المُرِّي: ضرب من الإدام.
- (٦) الشواء: اللحم المشوي. ورشراش: سمين يقطر ماؤه أو دسمه. والرشراش: الرِّخْوُ، يقال: خُبِرٌ رَشْرَاشٌ، وَعَظْمٌ رَشْرَاشٌ.
- (٧) الفالودج: حلواء تُعْمَلُ مِنَ الدَّقِيقِ وَالْمَاءِ وَالْعَسَلِ، وَتَصْنَعُ الْآنَ مِنَ النَّشَاءِ وَالْمَاءِ وَالسُّكَّرِ.
- (٨) الحنيد: المشوي، يقال: حَنَدَ الْعِجْلَ وَغَيْرَهُ حَنَدًا، وَتَحَنَدًا: شَوَاهُ بِأَن دَسَّهُ فِي النَّارِ، أَوْ فِي حِمَاةٍ مَحْمَاةٍ بِالنَّارِ، فَهُوَ مَحْنُودٌ، وَحَنِيدٌ، وَحَنَدٌ.
- (٩) سميطة: يقال: سَمَطَ الذَّيْبَةَ سَمَطًا: غَمَمَهَا فِي الْمَاءِ الْحَارِّ لِإِزَالَةِ مَا عَلَى جُلْدِهَا مِنْ شَعَرٍ أَوْ رِيشٍ قَبْلَ طَبْخِهَا.
- (١٠) ابن الرومي، الديوان: ٥٦/٣.
- (١١) الْحَزُورُ: السريع إلى إكرام الضيف.

عَظَمْتُ فَكَادَتْ أَنْ تَكُونَ أُورَةً	وَعَلْتُ فَكَادَ إِهَابُهَا يَنْفَطِرُ ^(١)
طَفِقْتُ تَجُودُ بِذَوْبِهَا جَوْدَابَةً	فَأَتَى لُبَابُ اللَّوْزِ فِيهَا الشُّكْرُ ^(٢)
ظَلْنَا نُقْشِرُ جِلْدَهَا عَنْ لَحْمِهَا	فَكَأَنَّ تَبْرَأَ عَنْ لُجَيْنٍ يُقْشَرُ
وَتَقَدَّمْتُهَا قَبْلَ ذَلِكَ ثَرَائِدُ	مِثْلُ الرِّيَاضِ بِمِثْلِ ذَلِكَ تَصَدَّرُ
وَمُزَقَّقَاتُ كُلُّهُنَّ مُزَخْرَفٌ	بِالْبَيْضِ مِنْهَا مُلْبَسٌ وَمُذْتَرٌّ
وَأَتَتْ قَطَائِفُ بَعْدَ ذَلِكَ لَطَائِفُ	تَرْضَى اللَّهَاءُ بِهَا وَيَرْضَى الْحَنْجَرُ
صَحِكَ الْوُجُوهُ مِنَ الطَّبْرُزْدِ فَوْقَهَا	دَمَعُ الْعِيَانِ مِنَ الدَّهَانِ يُعَصَّرُ ^(٣)

مقامة لبديع الزمان فيها وصف طعام

قال البديع: حدثني عيسى بن هشام قال: اسْتَهَيْتُ الْأَرَاذَ، وَأَنَا بِبَغْدَادَ^(٤)، وَلَيْسَ مَعِيَ عَقْدٌ، عَلَى نَقْدٍ^(٥)، فَخَرَجْتُ أَتَهَيَّزُ مُحَالَةً، حَتَّى أَحْلَنِي الْكَرْخُ^(٦)؛ فَإِذَا أَنَا بِسَوَادِيٍّ يَحْدُو بِالْجَهْدِ حِمَارَهُ، وَيُطَرِّفُ بِالْعَقْدِ إِزَارَهُ^(٧)؛ فَقُلْتُ: ظَفَرْنَا وَاللَّهِ بِصَيْدٍ، وَحَيَّاكَ اللَّهُ أَبَا زَيْدٍ! مَنْ أَيْنَ أَقْبَلْتُ؟ وَأَيْنَ نَزَلْتُ؟ وَمَتَى وَافَيْتَ، فَهَلُمَّ إِلَى الْبَيْتِ. فَقَالَ السَّوَادِي: لَسْتُ بِأَبِي زَيْدٍ، وَإِنَّمَا أَبُو عُيَيْدٍ! فَقُلْتُ: نَعَمْ لَعَنَّ اللَّهُ الشَّيْطَانَ، وَأَبْعَدَ النَّسِيَانَ، أَنْتَانِي طَوُلُ الْعَهْدِ بِكَ، كَيْفَ أَبُوكَ، أَشَابَ كَعَهْدِي، أَمْ شَابَ بَعْدِي^(٨)؟ قَالَ: قَدْ نَبَتْ الْمَرْعَى عَلَى دِمْنَتِهِ^(٩)، وَأَرْجُو أَنْ

(١) الإهاب: الجلد.

(٢) الجوداب: طعام يتخذ من اللحم والأرز والبندق والشُّكْر.

(٣) الطبرزد: الشُّكْر (فارسي معرب).

(٤) الأراذ: أجود أنواع التمر. وبغداد: هي بغداد.

(٥) ليس معي عقد على نقد: أي ليس معي نقود يُعَقَّدُ عليها الكيس والثوب.

(٦) المحال: جمع محل: المكان الذي يُحَلُّ فيه، وَحَلَّ المكان، وبه حُلُولًا: نزل. والكرخ: بلدة في الجانب الغربي من بغداد.

(٧) السوادي: الرجل من قرى العراق، نسبة إلى السواد، وسمي العراق سواداً لانتفاء أرضه بالخضرة. و «يطرف بالعقد إزاره»: يَرُدُّ أحد طرفيه إلى الآخر.

(٨) كعهدي: أي كمهدي به حين عرفته.

(٩) الدمنة: آثار الدار، ولا نبئت الربيع على الدمنة إلا حين يبعد عهدها بالخراب، يريد أن أباه مات منذ زمن طويل، وفي معناه قال زفر بن الحارث الكلبي:

وَقَدْ يَنْبُتُ الْمَرْعَى عَلَى دِمْنِ الثَّرَى وَتَبْقَى حَرَازَاتُ الصُّدُورِ كَمَا هِيََا

يُصَيِّرُهُ اللَّهُ إِلَى جَنَّتِهِ، فَقُلْتُ: إِنَّا لِلَّهِ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَمَدَدَتْ يَدَ الْبِدَارِ، إِلَى الصَّدَارِ^(١) أُرِيدَ تَمْزِيْقَهُ، وَأُحَاوَلُ تَخْرِيقَهُ^(٢) فَقَبِضَ السَّوَادِي عَلَى خَصْرِي بِجُمُعِهِ^(٣)؛ وَقَالَ: تَشَدُّتُكَ بِاللَّهِ لَا مَرْقَتَهُ، فَقُلْتُ: فَهَلُمَّ إِلَى الْبَيْتِ نُصِبْ غَدَاءً، أَوْ إِلَى السُّوقِ نَشْتَرِ شَوَاءً؛ وَالسُّوقُ أَقْرَبُ، وَطَعَامُهُ أَطْيَبُ، فَاسْتَفْزَنْتُهُ حُمَّةُ الْقَرَمِ^(٤)، وَعَظَفْتُهُ عَظْفَةُ النَّهْمِ، وَطَمَعُ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ وَقَعَ، ثُمَّ أَتَيْتُ شَوَاءً يَتَقَاطَرُ شِوَاؤُهُ عَرَقًا، وَيَتَسَايَلُ جُودَابُهُ مَرَقًا^(٥)؛ فَقُلْتُ: أَبْرَزْ لِأَبِي زَيْدٍ مِنْ هَذَا الشَّوَاءِ، ثُمَّ زِنْ لَهُ مِنْ تِلْكَ الْحُلُوءِ، وَاخْتَرِ مِنْ تِلْكَ الْأَطْبَاقِ، وَنَضِدْ عَلَيْهَا أَوْرَاقَ الرِّقَاقِ، وَشَيْئًا مِنْ مَاءِ السَّمَاقِ^(٦)؛ لِیَأْكُلَهُ أَبُو زَيْدٍ هَنِيئًا. فَأَنْحَى الشَّوَاءَ بِسَاطُورِهِ^(٧)، عَلَى زُبْدَةِ تَنْوَرِهِ، فَعَجَلَهَا كَالْكَحْلِ سَحْقًا، وَكَالطَّحِينِ دَقًّا، ثُمَّ جَلَسَ وَجَلَسْتُ وَلَا نَبَسَ وَلَا نَبَسْتُ، حَتَّى اسْتَوْفَيْنَاهُ، وَقُلْتُ لِمُصَاحِبِ الْحُلُوءِ: زِنْ لِأَبِي زَيْدٍ مِنَ اللَّوْزَيْنِجِ رَطْلَيْنِ^(٨)، فَإِنَّهُ أَجْرَى فِي الْحُلُوقِ، وَأَسْرَى فِي الْعُرُوقِ، وَلِيَكُنْ لَيْلِي الْعُمَرُ، وَيَوْمِي النَّشْرُ^(٩)، رَقِيقَ الْقَشْرِ، كَثِيفَ الْحَشْوِ، لَوْلُؤِي الدَّهْنِ، كَوَكْبِي اللَّوْنِ، يَذُوبُ كَالصَّمْغِ، قَبْلَ الْمَضْغِ، لِیَأْكُلَهُ أَبُو زَيْدٍ هَنِيئًا. فَوَزَنَهُ، ثُمَّ قَعَدَ وَقَعَدْتُ، وَجَرَّدَ وَجَرَّدْتُ^(١٠)، وَاسْتَوْفَيْنَاهُ، ثُمَّ قُلْتُ: يَا أَبَا زَيْدٍ، مَا أَحْجَانَا إِلَى مَاءِ يُشْتَبَعُ بِالثَّلْجِ، لِيَقْمَعَ هَذِهِ الصَّارَةُ^(١١)، وَيَقْتُلَ هَذِهِ اللَّقَمَ الْحَارَةَ^(١٢)؛ أَجْلِسْ أَبَا زَيْدٍ حَتَّى آتِيكَ بِسَقَاءٍ، يُحْيِيْنَا بِشَرْبِهِ مِنْ مَاءٍ، ثُمَّ خَرَجْتُ، وَجَلَسْتُ بِحَيْثُ أَرَاهُ وَلَا يَرَانِي، أَنْظُرَ مَا يُصْنَعُ بِهِ. فَلَمَّا أَبْطَأْتُ عَلَيْهِ قَامَ السَّوَادِي إِلَى حِمَارِهِ، فَاعْتَلَقَ الشَّوَاءَ بِإِزَارِهِ. وَقَالَ: أَيْنَ

(١) البدار: المسارعة. والصدار: قميص صغير يلي البدن.

(٢) يريد أنه همّ بتمزيق ثوبه من الحزن.

(٣) جُمُعُ الكَفِّ: قبضته.

(٤) الحُمَّةُ: يقال: حَمَّ التنور ونحوه حَمًّا: أَوْقَدَهُ، وَحَمَّ الْمَاءُ وَنَحْوَهُ: سَخَّنَهُ، وَمِنْهُ: أَحَمَّ حَمَّةً: قَصَدَ قَصْدَهُ. وَالْحُمَّةُ: الْحُمَّى (علة يستح بها الجسم). وَالْحُمَّةُ أَيْضًا: كُلُّ عَيْنٍ مَاءٍ حَارَةٍ تَنْبَعُ مِنَ الْأَرْضِ يَسْتَنْفَى بِالْإِغْتِسَالِ مِنْ مَائِهَا. وَالْقَرَمُ: شِدَّةُ الشَّهْوَةِ إِلَى اللَّحْمِ.

(٥) الجوداب: طعام يتخذ من اللحم والأرز والبنق والسكر.

(٦) السماق: حَبٌّ أَحْمَرُ شَدِيدُ الْحَمُوضَةِ، شَجَرُهُ يَشْبَهُ شَجَرِ الرُّمَّانِ.

(٧) الساطور: آلة يقطع بها الجزار اللحم.

(٨) اللَّوْزَيْنِجُ: مِنَ الْحُلُوى: شَبُّ الْقَطَائِفِ، يُحْشَى بِالْجُوزِ، وَيُدْهَنُ بِدُهْنِ اللَّوْزِ.

(٩) لَيْلِي الْعُمَرُ: صُنْعٌ مِنْ لَيْلَتِهِ. وَيَوْمِي النَّشْرُ: نَشْرٌ فِي يَوْمِهِ.

(١٠) جَرَّدَ وَجَرَّدْتُ: يَرِيدُ أَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا جَرَّدَ يَدَهُ مِنْ ثِيَابِهِ اسْتِعْلَادًا لِلْمَائِدَةِ.

(١١) الصَّارَةُ: الْعَطَشُ، وَفِي غَيْرِ هَذَا: الْحَاجَةُ.

(١٢) يَفْتَأُ: يُسَكِّنُ.

ثُمَّ مَا أَكَلْتُ؟ قَالَ: مَا أَكَلْتُهُ إِلَّا ضَيْفًا! قَالَ الشَّوَاءُ: هَاكَ وَأَكْ مَتَى دَعَوْنَاكَ؟ زِنْ يَا أَخَا الْقَحْبَةِ عَشْرِينَ، وَإِلَّا أَكَلْتُ ثَلَاثًا وَتَسْعِينَ! فَجَعَلَ السَّوَادِيُّ يِكِي وَيَمْسَحُ دُمُوعَهُ بِأُورْدَانِهِ، وَيَحُلُّ عُقْدَهُ بِأَسْنَانِهِ، وَيَقُولُ: كَمْ قَلْتُ لَذَلِكَ الْقُرَيْدُ، أَنَا أَبُو عَيْدٍ، وَهُوَ يَقُولُ: أَنْتَ أَبُو زَيْدٍ؟ فَأَنْشَدْتُ:

إِعْمَلْ لِرِزْقِكَ كُلَّ آلَةٍ لَا تَقْعُدَنَّ بِذَلِكَ حَالَهُ
وَأَنْهَضْ بِكُلِّ عَزِيمَةٍ فَالْمَرْءُ يَعْجُزُ لَا الْمَحَالَةَ^(١)

لعلي بن يحيى المنجم

وَمِنْ مَلِيحٍ مَا قِيلَ فِي الْقَطَائِفِ قَوْلُ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى بْنِ أَبِي مَنْصُورٍ الْمُنَجِّمِ:

قَطَائِفٌ قَدْ حُشِيَتْ بِاللُّوزِ وَالسَّكَّرِ الْمَازِي حَشَوَ الْمَوْزِ^(٢)
يَسْبُحُ فِي آذِي^(٣) دُهْنِ الْجَوْزِ سُرِرْتُ لَمَّا وَقَعْتُ فِي حَوْزِي
سُرُورِ عَبَّاسٍ يَقْسِرُ فَوْزِ^(٤)

وَمِنْ أَلْفَافِ أَهْلِ الْعَصْرِ فِي الْحُلُوءِ: فَالْوُجْجُ يَلْبَابُ الْبَرِّ، وَلُعَابُ النَّحْلِ، كَأَنَّ اللَّوْزَ فِيهِ كَوَاكِبُ دُرٍّ، فِي سَمَاءِ عَقِيْقٍ.

لابن الرومي يصف اللوزينج

وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ فِي صِفَةِ اللَّوْزِيْنَجِ أَحْسَنَ مِنْ قَوْلِ ابْنِ الرُّومِيِّ^(٥):

لَا يُخْطِئُنِي مِنْكَ لَوْزِيْنَجٌ إِذَا بَدَأَ أَعْجَبَ أَوْ عَجَّبَا^(٦)
لَوْ شَاءَ أَنْ يَنْهَبَ فِي صَخْرَةٍ لَسَهَّلَ الطَّيْبُ لَهُ مَذْهَبَا^(٧)

(١) المحالة: اسم من مَحَلَّ بِالْأَمْرِ مَحَلًّا: رَامَهُ بِالْحِيلَةِ.

(٢) المازي: العمل.

(٣) الآذي: الموج.

(٤) عباس: هو العباس بن الأحنف الشاعر المشهور، وفوز: هي معشوقته.

(٥) ابن الرومي، الديوان: ٢٥٤/١.

(٦) اللوزينج: هو بلغة اليوم البقلاوة أو القطائف. وأعجب: أَرْضَى. وَعَجَّبَ جَعَلَ النَّاسَ يَعْجَبُونَ مِنْهُ.

(٧) يقول: لِعِظَمِ طَيْبِ اللَّوْزِيْنَجِ فَإِنَّهُ يَسْتَطِيعُ التَّفَاذِيحَ فِي الصَّخْرِ.

- لَمْ تُغْلِقِ الشَّهْوَةَ أَبْوَابَهَا إِلَّا أَبَتَ زُلْفَاهُ أَنْ يُحْجَبَا^(١)
يَدُورُ بِالثَّقَةِ فِي جَامِهِ دَوْرًا تَسْرَى الدُّهْنُ لَهُ لَوْلَا^(٢)
عَاوَنَ فِيهِ مَنْظَرٌ مَخْبَرًا مُسْتَحْسَنٌ سَاعَدَ مُسْتَعْذِبَا^(٣)
مُسْتَكْتَسِفُ الْحُشْوِ وَلَكِنَّهُ أَرْقُ جِلْدًا مِنْ نَسِيمِ الصَّبَا^(٤)
كَأَنَّمَا قُدَّتْ جَلَالِيَّةُ مِنْ نَقْطَةِ الْقَطْرِ إِذَا حَيَّيَا^(٥)
يُخَالُ مِنْ رِقَّةٍ خِرْشَائِهِ شَارَكَ فِي الْأَجْنَحَةِ الْجُنْدُبَا^(٦)
لَوْ أَنَّهُ صُوِّرَ مِنْ خُبْرِهِ ثَغَرَ لَكَانَ الْوَاضِحَ الْأَشْنَبَا^(٧)
مِنْ كُلِّ بِيضَاءٍ يَوْدُ الْفَتَى أَنْ يَجْعَلَ الْكَفَّ لَهَا مَرْكَبَا^(٨)
مَذْهُونَةٌ زَرْقَاءَ مَذْقُوقَةٍ صَهْبَاءَ تَحْكِي الْأَزْرَقَ الْأَشْهَبَا^(٩)
قُرَّةَ عَيْنٍ وَفَمٍ حُسْنَتْ وَطُيِّتَ حَتَّى صَبَا مَنْ صَبَا^(١٠)
دَيْفَ لَهُ اللَّوْزُ؟ فَمَا مُرَّةُ مَرَّتْ عَلَى الذَّائِقِ إِلَّا أَبَى^(١١)
وَانْتَقَدَ السُّكَّرَ نَقَّادُهُ وَشَاوَرُوا فِي تَقْدِيرِ الْمَذْهَبَا^(١٢)
فَلَا إِذَا الْعَيْنُ رَأَتْهُ نَبَتْ وَلَا إِذَا الضَّرْسُ عَلاَهُ نَبَا^(١٣)
لَا تَنْكِرُوا الْإِدْلَالَ مِنْ وَامِقٍ وَجَّهَ تَلْقَاءَ كُمْ الْمَطْلَبَا^(١٤)

هذه الأبيات يقولها في قصيدة طويلة يمدح فيها أبا العباس أحمد بن محمد بن عبد الله بن بشر المَرْتَدِي، ويهنيه بابن ولده، وأولها:

- (١) يقول: اللوزينج علاج لمن انقطعت شهوته عن الحلوى.
- (٢) الجام: إناء من فضة. والدَّهْن: كناية عن الحشوة من لوز وجوز وفسق.
- (٣) المَخْبَرُ: خلاف المنظر، يقال: طابق مَخْبَرُهُ مَنْظَرَهُ، والجمع: مخابر.
- (٤) حَبَّبَ: صار ذا حبيب.
- (٥) الخرشاء: الجلدة الرقيقة. والجندب: الجراد.
- (٦) واضح: أبيض. والأشنب: من الشَّنب، وهو رقة وبرودة وعذوبة في الأسنان.
- (٧) داف الدواء دَوْفًا: خلطه، ودافه في الماء وبه: بلَّه، وسحقه. يريد أن صانع اللوزينج كان يختبر اللوز ليطرح منه ما وجده مرًا.
- (٨) في الديوان: «رأها» و«علاها».
- (٩) الإدلال: التدلل والجرأة في الطلب. والوامق: العاشق. وقوله: وجه تلقاءكم المطلب: طلب منكم.

شَمْسٌ وَبَدْرٌ وَلَدَا كَوَكَبَا أَفْسَمْتُ بِاللَّهِ لَقَدْ أَنْجَبَا^(١)

قال أبو عثمان سعيد بن محمد النَّاجِم: دخلت على أبي الحسن وهو يعمل هذه القصيدة، فقلت: لو تَفَاءَلَّتْ فيها لأبي العباس سبعة من الولد؛ لأن أبا العباس منكوساً سابغ، لجاء المعنى ظريفاً، فقال:

وَقَدْ تَفَاءَلْتُ لَهُ زَاجِراً كُنَيْتُهُ، لَا زَاجِراً ثَعْلَبَا
إِنِّي تَأَمَّلْتُ لَهُ كُنَيْتَةً إِذَا بَدَا مَقْلُوبُهَا أَعْجَبَا
بِصُوغِهَا الْعَكْسُ أَبَا سَابِعٍ لَا كَذَبَ اللَّهُ وَلَا خَيَّابَا
بَلْ ذَاكَ فَالْضَامِنُ سَبْعَةٌ مِثْلَ الصَّقُورِ اسْتَشْرِفَتْ مَرْقَبَا
يَأْتُونَ مِنْ صُلْبِ فَتَى مَاجِدٍ وَذَلِكَ فَالْ لَمْ يَعْذُ مَعْطَبَا
وَقَدْ أَتَانَا مِنْهُمْ وَاحِدٌ فَلَنَنْتَظِرُهُمْ سِتَّةَ غِيَابَا
فِي مُدَّةِ تَعْمُرُهَا نِعْمَةٌ يَجْعَلُهَا اللَّهُ لَهُ تَرْتَبَا^(٢)
حَتَّى نَرَاهُ جَالِساً بَيْنَهُمْ أَجَلَ مَنْ رَضَوَى وَمِنْ كَبْكَبَا^(٣)
كَالْبَدْرِ وَافَى الْأَرْضَ مِنْ نُورِهِ يَبْنِ نُجُومَ سَبْعَةٍ فَاحْتَبَى^(٤)
وَلْيُشْكِرِ النَّاجِمُ عَنْ هَذِهِ فَإِنَّهَا مِنْ بَعْضِ مَا بَوَّابَا
سَلْدَى وَالْحَمْتُ أَحْ لَمْ أَرَلْ أَشْكُرُ مَا أَسْلَدَى وَمَا سَبَّابَا

نهم ابن الرومي وحب السمك

وكان ابن الرومي منهوماً في المأكَل، وهي التي قَتَلَتْهُ، وكان مُعْجَباً بالسمك، فوعده أبو العباس المَرثَدِي أن يبعث إليه كل يوم بوظيفة لا تَنْقَطِعُ، فبعث إليه يوم سَبْتٍ، ثم قطعه، فقال:

- (١) الشمس: كناية عن أم الولد. والبدر: كناية عن أبي العباس المَرثَدِي. والكوكب: صفة للولد، أي هو كالكوكب في الحن والجمال. وأنجبا: رُزقا ولداً نجيباً.
- (٢) التَّرتُّبُ: الشيء المقيم الثابت.
- (٣) رضوى وككب: جبلان.
- (٤) احتبى: جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها، وهي جلسة معروفة عند أشرف العرب. ولعله أراد: «فاجبى» أي: فاختر.

مَا لِحَيْثَانِنَا جَفَّتْنَا وَأَنْتَى
جَاءَ فِي السَّبْتِ زُورُهُمْ فَأَتَيْنَا
وَجَعَلْنَاهُ يَوْمَ عِيدٍ عَظِيمٍ
وَأَرَاهِمُ مُصَمِّمِينَ عَلَى الْهَجْرِ
قَدْ سَبَّتْنَا وَمَا أَتْنَا وَكَانُوا
أَخْلَفَ الزَّائِرُونَ مُنْتَظِرِيهِمْ
مِنْ حِفَاطٍ عَلَيْهِ مَا يَكْفِيهِمْ^(١)
فَكَأَنَّكَ الْيَهُودُ أَوْ نَحْكِيهِمْ
سِرِّ فَلَمْ يُسْخِطُوا مَنْ يُرْضِيهِمْ
يَوْمَ لَا يَسْبُتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ

من الناجم إلى ابن الرومي

فاتصل ذلك بالناجم، فكتب إلى ابن الرومي:

أَبَا حَسَنِ أَنْتَ مَنْ لَا تَزَا
فَكَمْ تُحْسِنُ الظَّنَّ بِالْمَرْثَدِيِّ
أَلَمْ تَذِرْ أَنَّ الْفَتَى كَالسَّرَابِ
فَبَحَرُ السَّرَابِ يَقُوتُ الطَّلُوبَ
لُ تَحْمَدُ فِي الْفَضْلِ رُجْحَانَهُ^(٢)
وَقَدْ قَلَّلَ اللَّهُ إِحْسَانَهُ
إِذَا وَعَدَ الْوَعْدَ إِخْوَانَهُ
فَقُلْ فِي طِلَابِكَ حَيْثَانَهُ

لابن الرومي يصف العنب الرازقي

وخرج ابن الرومي إلى بعض المتزهات وقصدوا كرمًا ورازقيًا، فشربوا عامَّةً يومهم، وكانوا يهتمونه في شعره، فقالوا: إن كان ما تُشِدُّنا لك فَقُلْ في هذا شيئًا، فقال: لا تَريَمُوا حتى أقول فيه، وأنشدهم لوقته^(٣):

وَرَاذِقِي مُخْطَفِ الْخُصُورِ
قَدْ ضُمْنَتْ مِنْكَ إِلَى الشُّطُورِ
بِلَا فَرِيدٍ وَبِلَا شُذُورِ
وَبَرْدٌ مَسَّ الْخَصِرَ الْمَقْرُورِ
كَأَنَّهُ مَخَازِنُ الْبُلُورِ
وَفِي الْأَعَالِي مَاءٌ وَرَدَ جُورِي^(٤)
لَهُ مَذَاقُ الْعَسَلِ الْمَشُورِ^(٥)
وَنَكْهَةٌ الْمِسْكِ مَعَ الْكَافُورِ^(٦)

(١) الزُّورُ: الضيف.

(٢) رَجَحَ الشَّيْءُ رُجُوحًا وَرُجْحَانًا وَرَجَاحَةً: ثَقُلَ، وَرَجَحَ عَقْلُهُ أَوْ رَأْيُهُ: اكتمل.

(٣) ابن الرومي، الديوان: ٨٦/٣.

(٤) جوري: نسبة إلى مدينة جور، وهي مدينة فيروزاباد.

(٥) المشور: من شار العسل إذا جناه.

(٦) الْخَصِرُ: من الْخَصِرِ، وهو البرد. المقرور: البارد، أو الذي أصابه البرد.

وَرِقَّةُ الْمَاءِ عَلَى الصُّدُورِ
بِفَتْحَةٍ مِنْ وَلَدِ الْمَنْصُورِ
حَتَّى أَتَيْنَا خِيَمَةَ النَّسَاطُورِ
فَانْحَطَّ كَالطَّائِرِ مِنَ الصُّقُورِ
وَالْحَرُّ عَبْدُ الْحَلَبِ الْمَشْطُورِ
مَمْلُوءٌ مِنْ عَسَلٍ مَخْصُورِ
ثُمَّ جَلَسْنَا جِلْسَةَ الْمَجْبُورِ
أَبْيَضٌ مِثْلُ الْمُهْرَقِ الْمَنْشُورِ
يَنْسَابُ مِثْلُ الْحَيَّةِ الْمَذْعُورِ
نَاهِيكَ لِلْعَقُودِ مِنْ ظُهُورِ
وَكُلُّ مَا يُقْضَى مِنَ الْأُمُورِ
وَمُتَمَعَةٌ مِنْ مَتَاعِ الْغُرُورِ

ألفاظ تناسب هذا النحو لأهل العصر في صفات الفواكه والثمار

كَرْمٌ تُسَلِّفُهُ الْمَاءُ الْقَرَّاحُ، وَيَقْضِيْنَا أَمَّهَاتِ الرَّاحِ. عَنْقُودٌ كَالثَرِيَّا، وَعِنَبٌ كَمَخَازِنِ
الْبَلُورِ، وَضُرُوبُ الثُّورِ، وَأَوْعِيَةُ السُّرُورِ. أَمَّهَاتُ الرَّحِيقِ، فِي مَخَازِنِ الْعَقِيقِ. نَخْلٌ تُسَلِّفُهُ
الْمَاءُ، وَيَقْضِيْنَا الْعَسَلِ. رُطَبٌ كَأَنَّهَا شُهْدَةٌ بِالْعَقِيقِ مُقْنَعَةٌ، وَبِالْعَقِيَانِ مُقْمَعَةٌ. رُْمَانٌ كَأَنَّهُ صُرَّرَ
الْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ. سَفَرَجَلٌ يَجْمَعُ طَيِّبًا، وَمَنْظَرًا حَسَنًا عَجِيبًا، كَأَنَّهُ زَيْتُونٌ^(٩) الْخَزْرُ الْأَغْبَرُ، عَلَى

- (١) النَّاطُورُ: حَافِظُ الْكَرْمِ وَالنَّخْلِ. الذُّرُورُ: الطَّلُوعُ.
- (٢) الطَّائِرُ الْجَائِعُ. وَفِي الدِّيَوَانِ: «فَانْقَضَ».
- (٣) الْحُورُ: جَمْعُ أَحُورٍ: أَيْضٌ. وَفِي الدِّيَوَانِ: «بِضُرُوعِ خُورٍ».
- (٤) الطَّلُّ: الْحَسَنُ الْمَعْجَبُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْمَطَرُ الْخَفِيفُ يَكُونُ لَهُ أَثَرٌ خَفِيفٌ، وَالنَّدَى الَّذِي تَرْسُلُهُ
عُرُوقُ الشَّجَرِ إِلَى غُصُونِهَا، وَاللَّبَنُ. وَالْعَسَلُ الْمَخْصُورُ: الْبَارِدُ.
- (٥) الْمَجْبُورُ: الْمَسْرُورُ. وَالْمَسْجُورُ: الْمَمْلُوءُ. وَفِي الدِّيَوَانِ: «مَجْلِسُ الْمَجْبُورِ».
- (٦) الْمُهْرَقُ: الصَّحِيفَةُ، وَقِيلَ، ثَوْبُ الْحَرِيرِ الْأَبْيَضِ. وَالْمَنْصَلُ: السِّيفُ.
- (٧) السَّمَّاطُ: الصَّفْقُ، وَمَا يَسِطُ لِيُوضَعَ الطَّعَامُ عَلَيْهِ.
- (٨) التَّلْعَلَةُ: مَا يُتَعَلَّلُ بِهِ، وَقَدْ تَعَلَّلَ بِالْأَمْرِ: تَلَهَّى بِهِ وَاكْتَفَى. وَفِي الدِّيَوَانِ: «مَا نَقَضِي» وَ«عَنْ يَوْمِنَا».
- (٩) الزَّيْتُونُ: مَا يَظْهَرُ مِنْ دَرَزِ الثَّوْبِ.

الديباج الأصفر. تَفَاحٌ نَفَّاحٌ^(١)، يجمع وَصَفَ العاشقِ الْوَجِلَ، والمعشوقِ الْخَجِلَ، له نسيْمُ العبير، وطَعْمُ السكر، رسولُ المحبِّ، وشبيه الحبيب. وتين كأنه سُفْر مضمومة على عَسَل. مشمش كأنه الشَّهْد في بَيَّادِق الذهب.

[بعض ما جاء في وصف الليل]

قال بعضُ الرواة: أنشدت أعرابياً قولَ جرير بن عطية بن الخطَّفي^(٢):

أَبْدَلَ اللَّيْلُ لَا تَسْرِي كَوَاكِبُهُ أَمْ طَالَ حَتَّى حَبِثُ النَّجْمَ حَيْرَانَا

لأعرابي في وصف ليل لقاء

فقال: هذا حَسَنٌ في معناه، وأعوذ بالله من مثله؛ ولكني أنشدك في ضده من قولِي، وأنشدني:

وَأَيْلٍ لَمْ يُقْصِرْهُ رُقَادٌ	وَقَصَّرَ طَوْلَهُ وَضَلَّ الْحَبِيبَ
نَعِيمُ الْحَبِّ أَوْرَقَ فِيهِ حَتَّى	تَنَاوَلْنَا جَنَاهُ مِنْ قَرِيبِ
بِمَجْلِسٍ لَذَّةٍ لَمْ نَقْوَ فِيهِ	عَلَى شَكْوَى وَلَا عَدَّ الذُّنُوبِ
بِخَانِنَا أَنْ نُقْطِعَهُ بِلَقْظٍ	فَرَجَمَتِ الْعَيُونُ عَنِ الْقُلُوبِ

لأعرابي يصف وفاءه لصاحبه

فقلت له: زدني، فما رأيت أظرفَ منك شعراً؛ فقال: أمَّا هذا الباب فحسبك، ولكن أنشدك من غيره:

وَكُنْتُ إِذَا عَلِقْتُ جِبَالَ قَوْمٍ	صَحْبَتُهُمْ وَشِيمَتِي الْوَفَاءُ
فَأَحْسِنُ حِينَ يُحْسِنُ مُحْسِنُوهُمْ	وَأَجْتَنِبُ الْإِسَاءَةَ إِنْ أَسَاءُوا
أَشَاءُ سِوَى مَشِيتِهِمْ فَآتِي	مَشِيتَهُمْ وَأَتْرُكُ مَا أَشَاءُ

(١) تَفَاحٌ نَفَّاحٌ: ينفخ بالرائحة العطرة، وقد نفع الطيب: انتشرت رائحته.

(٢) جرير، الدبوان: ص ٤٩٢. والبيت من قصيدة طويلة، بدأها بالغزل فأطال، ثم أتى على هجاء الأخطل.

لجبرير يصف يوم صيد

قال الأصمعي: قرأت على أبي مُحذَر خلف بن حَيَّان الأحمر شِعْرَ جبرير، فلما بلغت إلى قوله^(١):

وَيَوْمٍ كَابِهَامِ الْقَطَاةِ مُحَجَّبٍ إِلَيَّ صِبَاهُ غَالِبٍ لِي بِأَطْلُهُ^(٢)
رُزِقْنَا بِهِ الصَّيْدَ الْغَزِيرَ وَلَمْ نَكُنْ كَمَنْ نَبُلُهُ مُحْرُومَةً وَحَبَائِلُهُ
فِيَا لَكَ يَوْمٌ خَيْرُهُ قَبْلَ شَرِّهِ تَغَيَّبَ وَاشِيهِ وَأَقْصَرَ عَاذِلُهُ^(٣)

فقال خَلَف: وَيَحَهُ! فما ينفعه خيرٌ يؤول إلى شرٍّ؟ فقلت له: كذا قرأته على أبي عمرو بن العلاء، فقال لي: وكذا قال جبرير، وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا ما سمع، قلت: فكيف كان يجب أن يكون؟ قال: الأجود أن يقول: خَيْرُهُ دُونَ شَرِّهِ، فَارَوْهُ كَذَلِكَ، فقد كانت الرواة قديماً تُصْلِحُ أشعارَ الأوائل، فقلت: والله لا أرويه بعدها إلا كذا.

لإبراهيم بن العباس يصف قصر الليل

ومن أجود ما قيل في قِصْرِ الليل قول إبراهيم بن العباس^(٤):

وَلَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي الْغُرِّ قَابِلَتْ فِيهَا بَدْرَهَا بِبَدْرِي^(٥)
لَمْ تَكُ غَيْرَ شَفَقٍ وَفَجَرٍ حَتَّى تَقَضَّتْ وَهِيَ بِكُرِّ الدَّهْرِ

للأصبهاني يصف يوم لهو

وقال محمد بن أحمد الأصبهاني فيما يتعلق بهذا المعنى وإن كان في ذكر النهار:

كَيْفَ يُرْجَى لِمُقَلَّتِي هُدًى وَرُقَادِي لِعَطْرِ عَيْشِي عُدًى
بِأَبِي مَنْ نَعِمْتُ مِنْهُ يَوْمٍ لَمْ يَزَلْ لِلْسُرُورِ فِيهِ نُمُؤْ

(١) نفسه: ص ٣٨٤ - ٣٨٥. والآيات من قصيدة طويلة يجيب بها الفرزدق.

(٢) يشبه اليوم بإبهام القطاة في قصره.

(٣) في الديوان: «وَذَلِكَ يَوْمٌ خَيْرُهُ دُونَ شَرِّهِ».

(٤) هو أبو إسحاق، إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول، مولى يزيد بن المهلب، وأصله من

خراسان: كاتب من أشعر الكتاب، وأرقهم لساناً، وأسيرهم قولاً، وله ديوان شعر مشهور. توفي

بـ «سُرٍّ من رأى» سنة ٢٤٣ هـ/ ٨٥٧ م. (البغدادي، تاريخ بغداد: ١٧/٦).

(٥) ليالٍ غُرٍّ: بيض.

يَوْمَ لَهُوَ قَدِ التَّقَى طَرَفَاهُ فَكَأَنَّ الْعَشَى فِيهِ غُدُّو
إِذْ لِيَشْخَصِ الرَّقِيبَ فِيهِ ثَنَاءٌ وَلِيَذِرَ السَّمَاءَ مِنِّي دُثُو

لابن المعتز يصف ليل سرور

وقال ابن المعتز:

يَا رَبِّ لَيْلٍ سَحَرُ كُلُّهُ مُفْتَضِّحِ الْبَدْرِ عَلِيلِ النَّسِيمِ
تَلْقِطُ الْأَنْفَاسَ بَرْدَ النَّدَى فِيهِ فَتْهُدِيهِ لِحَرِّ الْهُمُومِ
لَا أَعْرِفُ الْإِصْبَاحَ لَمَّا بَدَا فِي ضَوْؤِهِ إِلَّا سُكْرَ النَّدِيمِ
لَيْسْتُ فِيهِ بِالتَّذَاذِ الْهَوَى وَلَسَنَةُ الرِّاحِ ثِيَابَ النَّعِيمِ

وصف منبج^(١)

بين الرشيد وعبد الملك بن صالح

أخذ قوله: «سَحَرُ كُلُّهُ» من قول عبد الملك بن صالح بن علي، وقد قال له الرشيد لما دخل منبج: أهذا منزلك؟ قال: هو لك، ولي بك يا أمير المؤمنين، قال: كيف بناؤه؟ قال: دون منازل أهلي، وفوق منازل الناس، قال: وكيف ذلك وقدرك فوق أقدارهم؟ قال: ذلك خُلِقَ أمير المؤمنين أناسى به، وأَقْفُو أثره، وأَحْذُو حَدْوَهُ، قال: فكيف طيب منبج؟ قال: عَذْبَةُ الْمَاءِ، قَلِيلَةُ الْأَدْوَاءِ، قال: فكيف ليلها؟ قال: سحر كله؟

لأبي تمام

وأخذ هذا الطائي فقال^(٢):

أَيَّامُنَا مَصْفُورَةٌ أَطْرَافُهَا بِكَ، وَاللَّيَالِي كُلُّهَا أَشْحَارُ

* * *

(١) منبج: مدينة بالشام، يقال: إن كسرى هو أول من بناها لما غلب على الشام، وهي مدينة كبيرة واسعة الأرجاء، كثيرة الخيرات، كان عليها سورٌ مَبْنِيٌّ بالحجارة، وبينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ، وبينها وبين حلب عشرة فراسخ. وفيها ولد الشاعر البحري، وإياها عنى المتنبي بقوله: قِيلَ بِمَنْبَجٍ مَثْوَاهُ وَنَائِلُهُ فِي الْأَفْقِ يَسْأَلُ عَمَّنْ غَيْرُهُ سَأَلَا (ياقوت الحموي، معجم البلدان: ٢٠٥/٥).

(٢) أبو تمام، الديوان: ٣٢٨/١. والبيت من قصيدة طويلة يمدح بها أبا سعيد الثَّغْرِي.

للحاتمي

ولأهل العصر، قال أبو علي محمد بن الحسين بن المُظَفَّر الحاتمي:

يَا رَبَّ لَيْلٍ سُرُورٍ خِلْتُهُ قِصْرًا كَعَارِضِ الْبَرْقِ فِي أَفْقِ الدُّجَا بَرَقَا
قَدْ كَادَ يَغْثُرُ أَوْلَاهُ بِآخِرِهِ وَكَادَ يَسْبِقُ مِنْهُ فَجْرُهُ الشَّفَقَا
كَأَنَّمَا طَرَفَاهُ طَرَفٌ اتَّفَقَا حَجَفْنَا مِنْهُ عَلَى الْإِطْبَاقِ وَافْتَرَقَا

ألفاظ في هذا المعنى لأهل العصر

ليلةٌ من حسنات الدهر، هواؤها صحيح، ونسيمها عليل. ليلة كَبُرْدِ الشباب، وبرْدِ الشراب. ليلة من ليالي الشباب، فِضِيَّةُ الأديم، مِسْكِيَّةُ النسيم. ليلة هي لُمَعَةُ العمر، وَغَرَّةُ الدهر. ليلة مِسْكِيَّةُ الأديم، كافورية النجوم. ليلة رَقَدَ الدهر عنها، وطلعت سعوذها، وغابت عَذْلُهَا. ليلة كالْمِسْكِ مَنْظَرُهَا وَمَخْبَرُهَا. ليلة هي باكورة العُمُر، وبِكْرُ الدهر. ليلة ظلماتها أنوار، وطِوال أوقاتها قِصار.

[سعيد بن هريم، وصلته بالفضل بن سهل]

سبب صلته به

كان سبب اتصال سعيد بن هريم بذي الرياستين الفضل^(١) - وسمي ذا الرياستين لأنه جمع بين رياسة القلم ورياسة التدبير للمأمون - أنه دخل عليه يوماً، فقال: «الْأَجَلَ أَفَّةُ الأَمَلِ، والمعروف ذُخْرُ الأَبَدِ، والبرُّ غَنِيمةُ الحَازِمِ، والتفريط مصيبةُ أَخِي القَدْرَةِ، وإِنَّا لَمْ نَصْنُ وَجْهَنَا عَنْ سَوَالِكَ، فَصُنْ وَجْهَكَ عَنْ رَدَّنَا، وَضَعْنَا مِنْ إِحْسَانِكَ بَحِيثَ وَضَعْنَا أَنْفُسَنَا مِنْ تَأْمِيلِكَ».

فأمر أن يُكْتَبَ كلامه، وسمَّاه سعيداً الناطق، ووصله المأمون^(٢) فخصَّ به.

(١) هو أبو العباس، الفضل بن سهل السرخسي: وزير، لُقِّبَ بذي الرياستين لأنه تقلد الوزارة والسيف. أسلم على يد المأمون، ووزر له، وكان من أخبر الناس بعلم التَّجَامَةِ، وأكثرهم إصابةً في أحكامه. مات قتيلاً بالحمام وهو في سرخس سنة ٢٠٢ هـ/٨١٨ م. (ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٤١/٤).

(٢) كذا، ولعله أراد: «ووصله بالمأمون».

فلحقته في بعض الأوقات جَفْوَةٌ من الفضل، فكتب إليه: «يا حافظ مَنْ يَضَع نفسه عنده، ويا ذَاكَرَ مَنْ نَسِيَ نصيبه منه، ليس كتابي إذا كتبت استبطاءً، وما إمساكي إذا أمسكت استغناء؛ فكتبت مذكراً لا مستقصراً فَعَلَّكَ» فَوَصَلَهُ وَأَحْسَنَ إليه.

وقد رُوِيَ بعضُ هذا الكلام المنسوب إلى سعيد بن هريم لأبي حفص الكرمانى مع ذي الرِّياستين.

للتميمي يمدح الفضل بن سهل

ويقول أبو محمد بن عبد الله بن أيوب التميمي^(١):

لَعَمْرُكَ مَا الْأَشْرَافُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ وَإِنْ عَظُمُوا لِلْفَضْلِ إِلَّا صَنَائِعُ
تَرَى عَظَمَاءَ النَّاسِ لِلْفَضْلِ خُشْعًا إِذَا مَا بَدَأَ، وَالْفَضْلُ لِلَّهِ خَاشِعُ
تَوَاضَعَ لَمَّا زَادَهُ اللَّهُ رِفْعَةً وَكُلُّ جَلِيلٍ عِنْدَهُ مَتَوَاضِعُ

لإبراهيم بن العباس يمدح الفضل

وقال إبراهيم بن العباس^(٢):

لِفَضْلٍ بِنِ سَهْلٍ يَدُ تَقَاصَرَ عَنْهَا الْمَثَلُ
فَبَاطِنُهَا لِلنَّاسِ وَظَاهِرُهَا لِلْقَبْلِ
وَبَسْطُهَا لِلْغَنَى وَسَطْوَتُهَا لِلْأَجَلِ

لابن الرومي يمدح إبراهيم بن المدبر

أخذه ابنُ الرومي فقال لإبراهيم بن المدبر^(٣):

أَصْبَحْتُ بَيْنَ ضَرَاعَةٍ وَتَجَمُّلٍ وَالْمَرْءُ بَيْنَهُمَا يَمُوتُ هَزِيلًا
فَأَمْدُدْ إِلَيَّ يَدَا تَعَوَّدَ بَطْنُهَا بَذَلِ النِّوَالِ وَظَهَرُهَا التَّقِيلَا

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٤٣/٤.

(٢) نفسه: ٤٣/٤. وفيه: «ونائلها للغنى».

(٣) ابن الرومي، الديوان: ٨٨/٥. وفيه «بَيْنَ خَصَاصَةٍ وَتَجَمُّلٍ». والخصاصة: الفقر والجوع.

لابن الرومي يمدح ابن طاهر

وقال يمدح عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، وزاد في هذا المعنى تشبيهاً ظريفاً^(١):

مُقْبَلُ ظَهْرِ الْكَفِّ وَهَابُ بَطْنِهَا لَهَا رَاحَةٌ فِيهَا الْحَطِيبُ وَزَمْزَمُ
فَظَاهِرُهَا لِلنَّاسِ رُكْنٌ مُقْبَلُ وَبَاطِنُهَا عَيْنٌ مِنَ الْعُرْفِ عَيْلَمُ^(٢)

* * *

من ترجمة الفضل بن سهل

وكان ذو الرياستين يُقْبَلُ صَوَابَ الْقَائِلِينَ بما في قُوَّتِهِ من صَفَاءِ الْغَرِيزَةِ، وَجَوْدَةِ التَّحِيْزَةِ^(٣) فهو كما قال أبو الطيب^(٤):

مَلِكٌ مُنْشِدُ الْقَرِيبِ لَدَيْهِ يَصْعُ الثُّوبَ فِي يَدَيِ بَزَازٍ^(٥)

وكانت مَخَابِلُ فَضْلِهِ، ودلائلُ عَقْلِهِ، ظهرت ليحيى بن خالد وهو على دين المجوسية، فقال له: أَسْلِمَ أَحَدُ السَّيْلِ إِلَى اضْطِنَاعِكَ، قال: فَأَسْلَمَ عَلَى يَدِ الْمَأْمُونِ، ولم يزل في جَنْبِهِ^(٦)، إلى أن رَفِيَ إِلَى رُتْبَتِهِ.

وذكره يحيى عند الرشيد فأجمل الشاء، فأمر بإحضاره، فلما رآه أَفْحَمَ؛ فَتَطَرَّ الرشيد إلى يحيى كالمستفهم؛ فقال: يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ مِنْ أَدَلِّ دَلِيلٍ عَلَى فَرَاهَةِ الْمَمْلُوكِ أَنْ تَمْلِكَ هَيْبَةَ مَوْلَاهُ لِسَانَهُ وَقَلْبَهُ، فقال الرشيد: لئن كنت سَكَتَ لَكِي تَقُولُ هَذَا فَقَدْ أَحْسَنْتَ، ولئن كان هذا شيئاً اعتراك عند الْحَصَرِ لَقَدْ أَجَدْتَ؛ وزاد في إكرامه وتقريبه، وجعل لا يَسْأَلُهُ بعد ذلك عن شيء إلا أجابه بأفصح لسان، وأجود بيان.

(١) ابن الرومي، الديوان: ٢٨٠/٥. والبيتان من قصيدة طويلة جداً بلغت ثلاثمائة وثلاثة أبيات.

(٢) عَيْلَمٌ: كثيرة الماء، والعيلم أيضاً: البحر. وفي الديوان: «غيلم»، وهو الشاب العظيم المفرق، الكثير الشعر.

(٣) التحيزة: الطبيعة.

(٤) المتنبي، الديوان: ٣٦٥/١. والبيت من قصيدة يمدح بها أبا بكر علي بن صالح الروزباري الكاتب.

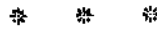
(٥) القريرض: الشعر. البزاز: تاجر الثياب. أي: أنه عارف بالشعر معرفة البزاز بالثوب.

(٦) جنبته: جانبه.

مختارات من كلام الفضل بن سهل

قال سهل بن هارون: ومما حُفِظَ من كلام ذي الرياستين مما رأينا تَخْلِيدهُ في الكتب؛ لِيُؤْتَمَ بِهِ، وَيُتَّقَعَ بِمَقُولِ حِكْمَتِهِ، قَوْلُهُ: مَنْ تَرَكَ حَقًّا فَقَدْ غَبِنَ حِطًّا، وَمَنْ قَضَى حَقًّا فَقَدْ أُحْزَرَ غُفْمًا، وَمَنْ أَتَى فَضْلًا فَقَدْ أُوجِبَ شُكْرًا، وَمَنْ أَحْسَنَ تَوَكُّلاً لَمْ يَعدْ مِنْ اللَّهِ صُنْعًا، وَمَنْ تَرَكَ اللَّهَ شَيْئًا لَمْ يَجِدْ لِمَا تَرَكَ فَقْدًا، وَمَنْ التَمَسَ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ حَمْدًا عَادَ ذَلِكَ عَلَى مُلْتَمِسِهِ ذَمًّا، وَمَنْ طَلَبَ بِخِلَافِ الْحَقِّ لَهُ دَرَكًا عَادَ مَا أَدْرَكَ مِنْ ذَلِكَ لَهُ مُوَيْقًا^(١)؛ وَذَلِكَ أَوْجَبَ الْفَلَاحَ لِلْمُحْسِنِينَ، وَجَعَلَ سُوءَ الْعَاقِبَةِ لِلْمُسِيئِينَ الْمُقْصِرِينَ.

وَوَقَّعَ فِي رُقْعَةٍ سَاعٍ: نَحْنُ نَرَى قَبُولَ السَّعَايَةِ شَرًّا مِنْهَا؛ لِأَنَّ السَّعَايَةَ دَلَالَةٌ، وَالْقَبُولَ إِجَازَةٌ، وَلَيْسَ مَنْ دَلَّ عَلَى شَيْءٍ وَأَخْبَرَ بِهِ كَمَنْ قَبَلَهُ وَأَجَازَهُ؛ فَاتَّقُوا السَّاعِيَ؛ فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ فِي سَعَايَتِهِ صَادِقًا لَكَانَ فِي صِدْقِهِ أَثْمًا؛ إِذْ لَمْ يَحْفَظِ الْحُرْمَةَ، وَلَمْ يَسْتِرِ الْعَوْرَةَ.



من محمد بن علي إلى محمد بن يحيى بن خالد

والشيء يُقَرَّنُ مع جَنَسِهِ: كَتَبَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ، وَكَانَ وَالِيًا عَلَى أَرْمِينِيَةِ لِلرَّشِيدِ: إِنَّ قَوْمًا صَارُوا إِلَى سَبِيلِ التُّصَحِّحِ فَذَكُرُوا ضِيَاعًا بِأَرْمِينِيَةِ قَدْ عَفَتْ وَدَرَسَتْ^(٢)، يَرْجِعُ مِنْهَا إِلَى السُّلْطَانِ مَالٌ عَظِيمٌ، وَإِنِّي وَقَفْتُ عَنِ الْمَطَالِبَةِ حَتَّى أَعْرِفَ رَأْيَكَ.

جواب يحيى بن خالد

فَكُتِبَ إِلَيْهِ: قَرَأْتُ هَذِهِ الرُّقْعَةَ الْمَذْمُومَةَ، وَفَهَّمْتُهَا، وَسَوَّقُ السَّعَايَةَ بِحَمْدِ اللَّهِ فِي أَيَّامِنَا كَاسِدَةً، وَالنَّسْتُ السَّعَايَةِ فِي أَيَّامِنَا كَلِيلَةٌ خَاسِتَةٌ؛ فَإِذَا قَرَأْتَ كِتَابِي هَذَا فَاحْجِلِ النَّاسَ عَلَى قَانُونِكَ، وَخُذْهُمْ بِمَا فِي دِيُونِكَ؛ فَإِنَّا لَمْ نُؤَلِّكَ النَّاحِيَةَ، لِتَتَّبَعَ الرُّسُومَ الْعَافِيَةَ، وَلَا لِإِحْيَاءِ الْأَعْلَامِ الدَّائِرَةِ، وَجَبَّنِي وَتَجَبَّنْ بَيْتَ جَرِيرٍ يَخَاطِبُ الْفَرَزْدَقَ^(٣):

وَكُنْتَ إِذَا حَلَلْتَ بِدَارِ قَوْمٍ رَحَلْتَ بِخَزِيَةٍ وَتَرَكْتَ عَارًا

(١) الدَّرَكُ: اللَّحَاقُ. وَالْمُوَيْقُ: الْمُهْلِكُ.

(٢) عَفَتْ وَدَرَسَتْ: كِلَاهُمَا بِمَعْنَى امْتَحَتْ وَذَهَبَتْ مَعَالِمُهَا.

(٣) جَرِير، الدِّيَّان: ص ٢١٦.

وأَجْرُ أَمْرِكَ عَلَى مَا يَكْسِبُ الدُّعَاءُ لَنَا لَا عَلَيْنَا، وَاعْلَمْ أَنَّهَا مَدَّةٌ تَنْقَضِي، وَأَيَّامٌ تَنْقَضِي، فَإِنَّمَا ذَكَرَ جَمِيلٌ، وَإِنَّمَا خَزَيُّ طَوِيلٌ.

رجل يريد أن ينصح المهدي

وقال رجلٌ للمهدي: عندي نصيحةٌ يا أمير المؤمنين، فقال: لِمَنْ نَصِيحَتِكَ هَذِهِ؟ لَنَا، أَمْ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ، أَمْ لِنَفْسِكَ؟ قال: لك يا أمير المؤمنين، قال: ليس الساعي بأعظم عورةً ولا أَفْبَحَ حَالاً مِنْ قَبْلِ سَعَايَتِهِ، وَلَا تَخْلُو مِنْ أَنْ تَكُونَ حَاسِدَ نِعْمَةٍ، فَلَا تُشْفِي غَيْظَكَ، أَوْ عَذُّوا فَلَا نَعَاقِبُ لَكَ عَذُّوكَ! ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: لَا يَنْصَحُ لَنَا نَاصِحٌ إِلَّا بِمَا فِيهِ اللَّهُ رِضًا، وَلِلْمُسْلِمِينَ صَلَاحٌ؛ فَإِنَّمَا لَنَا الْأَبْدَانُ وَلَيْسَ لَنَا الْقُلُوبُ؛ وَمَنْ اسْتَرَعَ عَنَّا لَمْ نَكْشِفْهُ، وَمَنْ بَادَانَا طَلَبْنَا تَوْبَتَهُ، وَمَنْ أَخْطَأَ أَقْلُنَا عَثَرْتُهُ؛ فَإِنِّي أَرَى التَّادِيْبَ بِالصَّفْحِ أَبْلَغَ مِنْهُ بِالْعُقُوبَةِ، وَالسَّلَامَةَ مَعَ الْعَفْوِ أَكْثَرَ مِنْهَا مَعَ الْمُعَاجَلَةِ، وَالْقُلُوبُ لَا تَبْقَى لِوَالٍ لَا يَنْعُطِفُ إِذَا اسْتَعْطِفَ، وَلَا يَعْفُو إِذَا قَدَّرَ، وَلَا يَغْفِرُ إِذَا ظَفَرَ، وَلَا يَرْحَمُ إِذَا اسْتَرْحِمَ.

بعض توقيعات الفضل بن سهل

وَوَقَّعَ ذُو الرِّيَاسَتَيْنِ إِلَى تَمِيمِ بْنِ خَزِيمَةَ: الْأُمُورُ بِتَمَامِهَا، وَالْأَعْمَالُ بِخَوَاتِمِهَا، وَالصَّنَائِعُ بِاسْتِدَامَتِهَا، وَإِلَى الْغَايَةِ يَجْرِي الْجَوَادُ؛ فَهَنَّاكَ كَشَفَتِ الْخَبْرَةُ قِنَاعَ الشَّكِّ؛ فَحَمْدُ السَّابِقِ، وَذَمُّ السَّاقِطِ.

وذو الرياستين هو القائل:

أَنْضَيْتِ أَحْرَفَ «لَا» مِمَّا لَفَظْتَ بِهَا فَحَوَّلِي رَحْلَهَا عَنَّا إِلَى نَعَمٍ^(١)
أَوْ صَيَّرَهَا إِلَيْهَا مِنْكَ مَنَعَةً إِنْ كُنْتَ حَاوَلْتَ فِيهَا خِفَةَ الْكَلِمِ
قَسَّمْتُ عَلَيْنَا فَعَارِضَنَا قِيَاسَكُمْ يَا أَحْسَنَ النَّاسِ مِنْ قَرْنٍ إِلَى قَدَمٍ^(٢)

ولما قتل ذو الرياستين دخل المأمون على أمته فقال: لَا تَجْزَعِي فَإِنِّي ابْنُكَ بَعْدَ ابْنِكَ. فقالت: أَفَلَا أَبْكِي عَلَى ابْنِ أَكْسَبَنِي ابْنًا مِثْلَكَ؟

(١) أَنْضَى الشَّيْءَ: أَبْلَاهُ، وَمَنَّهُ: أَنْضَى الدَّابَّةَ: هَزَلَهَا وَأَتَعَبَهَا.

(٢) الْقَرْنُ: جَانِبُ الرَّأْسِ، وَمِنْ الْجَبَلِ: رَأْسُهُ وَأَعْلَاهُ.

[بعض أوصاف الخيل]

لابن القرية

ووصف ابن القرية^(١) فرساً أهذه الحجاجُ إلى عبد الملك بن مروان فقال: حَسَنُ
الْقَدِّ، أَسِيلُ الْعَدَدِّ، يَسْبِقُ الطَّرْفَ، وَيَسْتَعْرِقُ الْوَصْفَ.

لعبد الله بن طاهر

وأهدى عبد الله بن طاهر إلى المأمون فرساً وكتب إليه: قد بعثتُ إلى أمير المؤمنين
بفرسٍ يلحق الأرانب في الصَّعْدَاءِ، ويجاوزُ الطُّبَاءَ في الاستواء، ويسبق في الحُدُورِ جَرِيَّ
الماء، فهو كما قال تأبَّطُ شراً^(٢):

وَيَسْبِقُ وَفَدَ الرِّيحِ مِنْ حَيْثُ يَنْتَحِي بِمُنْخَرِقٍ مِنْ شَدَّةِ الْمُنْدَارِكِ

رجل يريد شراء فرس

وقال رجل لبعض النخاسين: اشتر لي فرساً جيِّدَ الْقَمِيصِ، حَسَنَ الْفُصُوصِ،
ووثيقَ الْقَصَبِ، نقيَّ الْعَصَبِ، يُشِيرُ بِأُذُنَيْهِ، وَيُنْدِسُ بِرِجْلَيْهِ^(٣)، كأنه موجٌ في لُجَّةٍ، أو سَيْلٌ
في حُدُور.

لمحمد بن الحسن بن الحرون

جمع محمد بن الحسين^(٤) هَذَيْنِ الْكَلَامَيْنِ وزاد فقال يصف فرساً: هو حَسَنُ
الْقَمِيصِ، جيِّدُ الْفُصُوصِ، ووثيقُ الْقَصَبِ، نقيَّ الْعَصَبِ، يُصِرُّ بِأُذُنَيْهِ، وَيَتَبَوَّعُ بِيَدَيْهِ^(٥)؛

(١) هو أبو سليمان، أيوب بن زيد بن قيس... المعروف بابن القرية الهلالي، والقرية: جدته: خطيبٌ فصيحٌ لَسِن. قتله الحجاج سنة ٨٤ هـ / ٧٠٤ م. (ابن خلكان، وفیات الأعيان: ١ / ٢٥٠).

(٢) هو ثابت بن جابر بن سفيان بن عميل، وقيل: ابن عميل، وأمه امرأة يقال لها: أميمة. لُقِّبَ بـ«تأبَّطُ شراً» لأنه تأبَّط الغول وهو يظنه كبشاً، وقيل: سَمِيَ بذلك لأنه تأبَّط سيفاً وخرج. توفي نحو ٨٠ ق. هـ / ٥٤٠ م. (الأصفهاني، الأغاني: ٢١ / ١٤٤؛ ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٢٢٩ / ١). (٣) يندس: يضرب.

(٤) هو محمد بن الحسن بن الحرون.

(٥) التَّبَوَّعُ: إبعاد خطو الفرس في جريه.

وَيُدَاخِلُ بِرِجْلَيْهِ، كَأَنَّهُ مَوْجٌ فِي لَجَّةٍ، أَوْ سَيْلٌ فِي حَدُورٍ، يَناهِبُ المَشْيَ قَبْلَ أَنْ يُثْبِتَ، وَيَلْحَقُ الأَرَانِبَ فِي الصَّعْدَاءِ، وَيَجَاوِزُ جَوَارِي الظَّبَاءِ فِي الاسْتَوَاءِ، وَيَسْبِقُ فِي الحَدُورِ جَرِي المَاءِ، إِنْ عُطِفَ جَارًا، وَإِنْ أُرْسِلَ طَارًا، وَإِنْ كَلَّفَ السَّيْرَ أَمْعَنَ وَسَارَ، وَإِنْ حُبِسَ صَفَنَ^(١)، وَإِنْ اسْتَوْقَفَ فَطَنَ، وَإِنْ رَعَى أَبَنَ^(٢)؛ فَهُوَ كَمَا قَالَ تَابُطٌ شَرًّا، وَذَكَرَ البَيْتَ.

أبيات لتأبط شرًّا

وأول هذه الأبيات:

وَإِنِّي لَمُهْدٍ مِنْ ثَنَائِي فَقَاصِدٌ بِهِ لَابِنٌ عَمَّ الصَّدَقِ شَمْسِ بْنِ مَالِكٍ
أَهْرُ بِهِ فِي نَدْوَةِ الْحَيِّ عِطْفُهُ كَمَا هَزَّ عِطْفِي بِالْهَجَانِ الْأَوَارِكِ^(٣)
قَلِيلُ الشَّكْكِ لِلْمُلِمِّ يُصِيئُهُ كَثِيرُ الْهَوَى شَتَّ النَّوَى وَالْمَسَالِكِ
يَظَلُّ بِمَوْمَاةٍ وَيُمْسِي بِغَيْرِهَا جَحِيشًا وَيَعْرُورِي ظُهُورَ الْمَهَالِكِ^(٤)
وَيَسْبِقُ وَفَدَ الرِّيحِ مِنْ حَيْثُ يَنْتَحِي بِمُنْخَرِقٍ مِنْ شَدَّةِ الْمُتَدَارِكِ
إِذَا خَاطَ عَيْنِيهِ كَرَى النُّومِ لَمْ يَزَلْ لَهُ كَالِيٌّ مِنْ قَلْبِ شَيْحَانَ فَاتِكِ^(٥)
إِذَا طَلَعَتْ أُولَى الْعَدُوِّ فَفَرُّهُ إِلَى سَلَةِ مِنْ صَارِمِ الْغُرَبِ بَاتِكِ^(٦)
وَيَجْعَلُ عَيْنِيهِ رَبِيشَةً قَلْبِهِ إِلَى ضَرْبَةٍ مِنْ حَدِّ أَخْلَقِ صَائِكِ^(٧)
إِذَا هَرَّةٌ فِي عَظَمِ قِرْنٍ تَهَلَّلَتْ نَوَاجِذُ أَقْوَاهِ الْمَنَايَا الضَّرَاحِكِ^(٨)
يَرَى الْوَحْشَةَ الْأُنْسَ الْأُنَيْسَ وَيَهْتَدِي بِحَيْثُ اهْتَدَتْ أُمُّ النُّجُومِ الشَّوَابِكِ^(٩)

(١) صَفَنَ الْفَرَسَ: قَامَ عَلَى ثَلَاثِ قَوَائِمَ وَطَرَفَ حَافِرَ الرَّابِعَةِ.

(٢) أَبَنَ: تَرَقَّبَ.

(٣) النَّدْوَةُ: الْمَجْتَمَعُ. الْهَجَانُ مِنَ الْإِبِلِ: الْكَرِيمَةُ. الْأَوَارِكُ: الَّتِي تَرَعَى الْأَرَكَ.

(٤) الْمَوْمَاةُ: الْمَفَازَةُ يَنْعَدِمُ فِيهَا الْمَاءُ. وَالْجَحِيشُ: الْمُنْفَرِدُ. وَيَعْرُورِي: يَرْكَبُ عَلَى الْعَرِيِّ، يَرِيدُ أَنَّهُ يَرْكَبُ ظُهُورَ الْمَهَالِكِ بِلَا سَرَجٍ.

(٥) الْكَالِيُّ: الْحَافِظُ. الشَّيْحَانُ: الْحَازِمُ. يَرِيدُ أَنْ قَلْبُهُ يَقْظُ وَإِنْ نَامَتْ عَيْنُهُ.

(٦) الْبَاتِكُ مِنَ السُّيُوفِ: الْقَاطِعُ، وَالْجَمْعُ: بَوَاتِكُ.

(٧) الرِّبِيشَةُ: الرَّقِيبُ. وَالصَّائِكُ: الْقَاطِعُ.

(٨) الْقِرْنُ: الْمِثْلُ فِي الشَّجَاعَةِ وَالشَّدَّةِ وَالْعِلْمِ وَالْقِتَالِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

(٩) أُمُّ النُّجُومِ الشَّوَابِكُ: الشَّمْسُ.

عُقْبَةُ بْنُ سِنَانٍ يَصِفُ خَيْلًا أَهْدَاهَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ لِمَعَاوِيَةَ

وأهدى عمرو بن العاص إلى معاوية ثلاثين فرساً من سوابق خَيْلِ مِصر، فعُرِضَتْ عليه، وعنده عقبة بن سنان بن يزيد الحارثي، فقال له معاوية: كيف تَرَى هدايانا يا أبا سَعِيد؟ فَإِنْ أَخَاكَ عَمْرُؤُا قَدْ أَطْنَبَ فِي وَصْفِهَا، فقال: أَرَاهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا وَصَفَ، وَإِنِهَا لَمُخَيَّلَةٌ^(١) بَكْلٌ خَيْرٌ؛ إِنِهَا لَسَاسِيَّةُ الْعُيُونِ، لَاحِقَةُ الْبَطُونِ، مَصْغِيَةُ الْأَذَانِ، قَبَاءُ الْأَسْنَانِ^(٢)، ضِيخَامُ الرُّكَبَاتِ، مَشْرِفَاتُ الْحُجَبَاتِ^(٣)، رِحَابُ الْمَنَآخِرِ، صِلَابُ الْحَوَافِرِ، وَقَعُهَا تَحْلِيلٌ، وَرَفْعُهَا تَعْلِيلٌ^(٤)، فَهَذِهِ إِنْ طُلِبَتْ سَبَقَتْ، وَإِنْ طُلِبَتْ لَحِقَتْ. قَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ: أَصْرَفَهَا إِلَى رَحْلِكَ؟ فَإِنْ بَنَّا عَنْهَا غِنًى، وَبِفَتْيَانِكَ إِلَيْهَا حَاجَةٌ.

لِلنَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ

وَقَالَ النَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ^(٥):

وَإِنَّا أَنْعَاسٌ لَا نَعُودُ خَيْلَنَا إِذَا مَا التَّقِيَا أَنْ تَحِيدَ وَتَنْفَرَا^(٦)
وَتُنَكِّرُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَلْوَانَ خَيْلِنَا مِنْ الطَّعْنِ حَتَّى نَحْسِبَ الْجَوْنَ أَشْقَرَا^(٧)
فَلَيْسَ بِمَعْرُوفٍ لَنَا أَنْ نَرُدَّهَا صَحَاحًا، وَلَا مُسْتَكْرٍ أَنْ نُعْقَرَا^(٨)

(١) مُخَيَّلَةٌ: مبشرة.

(٢) قَبَاءُ الْأَسْنَانِ: لها صرير.

(٣) الْحُجَبَاتِ: جمع حَجَبَةٍ، وهي من الفرس ما أشرف على صفاق البطن من وركيه.

(٤) التَّحْلِيلُ والتَّعْلِيلُ: من حركات الخيل.

(٥) هو أَبُو لَيْلَى، قَيْسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَقِيلَ: حَسَّانُ بْنُ قَيْسِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، مِنْ جَعْدَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالنَّابِغَةُ لَقِبُ اشْتَهَرَ بِهِ: شَاعِرٌ مَخْضَرُمٌ أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ. وَلَدَ بِالْفُلْجِ جَنْوِيَّ نَجْدٍ،

وَزَارَ اللَّخْمِيِّينَ بِالْحِيرَةِ. وَفَدَّ مَعَ قَوْمِهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَنْشَدَهُ شِعْرًا، فَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ. شَهِدَ فَتْحَ

فَارِسَ، وَكَانَ مُغْلِبًا فِي الشُّعْرَاءِ، إِذَا هُوَ جِيَّ غُلِبَ. تُوْفِيَ نَحْوَ ٥٠ هـ/ نَحْوَ ٦٧٠ م. (المرزباني،

معجم شعراء: ١٩٥؛ الآمدي، المؤلف والمختلف: ٢٩٣). وَالْأَبْيَاتُ مِنْ قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ يَذْكُرُ

فِيهَا وَفُودَهُ مَعَ قَوْمِهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ لِلْهَجْرَةِ، وَيَفْتَخِرُ بِقَوْمِهِ (ديوانه: ٦٠ - ٦٩؛

القرشي، الجمهرة: ٢٥٩/٢ - ٢٧٢).

(٦) حَادٍ عَنِ الشَّيْءِ، يَحِيدُ حَيْدًا وَحَيْدَانًا وَمَحِيدًا وَحَيْدُودَةً: مَالٌ عَنْهُ وَعَدَلٌ. وَالنَّفَرُ: التَّفَرُّقُ. وَنَفَرَ

الظَّيْبُ وَغَيْرُهُ نَفَرًا وَنَفَرَانًا: شَرَدَ.

(٧) الْجَوْنُ: الْأَسْوَدُ. وَنَتَكَّرُ أَلْوَانَ خَيْلِنَا: لَا نَعْرِفُهَا لِاخْتِلَاطِ الدَّمَاءِ وَالْغَبَارِ بِأَلْوَانِهَا الْحَقِيقَةِ.

(٨) عَقَرَ الْفَرَسَ وَالْبَعِيرَ بِالسَّيْفِ عَقْرًا: قَطَعَ قَوَائِمَهُ، يُقَالُ: فَرَسٌ عَقِيرٌ وَمَعْقُورٌ، وَخَيْلٌ عَقْرَى، وَعَقَرُ

النَّاقَةُ: نَحَرَهَا، وَالْعَقْرُ: الْحَزُّ. وَفِي الدِّيَّانِ: «وَمَا كَانَ مَعْرُوفًا لَنَا أَنْ نَرُدَّهَا».

لبعض العرب

وقال بعض العرب:

وَلَقَدْ شَهِدْتُ الْخَيْلَ يَوْمَ طِرَادِهَا بِسَلِيمٍ أَوْظَفَةِ الْقَوَائِمِ هَيْكَلِ^(١)
فَدَعَوْا: نَزَالٍ! فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ وَعَلَامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزَلِ

لأعرابي

ووصف أعرابي فرساً فقال: لما أرسلت الخيل جَاءُوا بِشَيْطَانٍ فِي أَشْطَانِ^(٢)،
فَأَرْسَلُوهُ، فَلَمَعَ لَمْعُ الْبَرْقِ، وَاسْتَهْلَّ اسْتَهْلَالُ الْوَدْقِ^(٣)، فَكَانَ أَقْرَبَهُمْ إِلَيْهِ الَّذِي يَقَعُ عَلَيْهِ مِنْ
بُعْدٍ عَلَيْهِ.

لأعرابي

وذكر أعرابي رجلاً فقال: عنده فرسٌ طويل العِذَارِ، أَمِينُ الْعِثَارِ؛ فَكُنْتُ إِذَا رَأَيْتُهُ عَلَيْهِ
ظَنَنْتُهُ بَازِيًا عَلَى مَرَبَأٍ، عَلَيْهِ رُمُحٌ طَوِيلٌ يَقْصُرُ بِهِ الْآجَالُ.

وقال بعض المُحَدِّثِينَ فِي هَذَا التَّطَابُقِ:

لَقَيْنَاهُمْ بِأَرْمَاحِ طَوَالٍ تُبَشِّرُهُمْ بِأَعْمَارٍ قِصَارِ

أعرابي يصف خيل بني يَرْبُوع

ووصف أعرابي خيلاً لبني يربوع فقال: خَرَجْتُ عَلَيْنَا خَيْلٌ مِنْ مُسْتَطِيرِ نَقْعٍ^(٤)، كَانَ
هَوَادِيهَا أَغْلَامٌ، وَأَذَانُهَا أَقْلَامٌ، وَفَرَسَانُهَا أَسُودَ آجَامٍ^(٥).

(١) الأوظفة: جمع وظيف، وهو مُسْتَدَقُّ الذراع والساق من الخيل والإبل وغيرها، والهيكل: الفرس الضخم، أو الطويل، قال امرؤ القيس:

وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا بِمُنْجَرِدِ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ

(الهواري، شرح المعلقة العشر: ص ٤٧).

(٢) الأشطان: الحبال، الواحد: شطن.

(٣) الودق: المطر.

(٤) النقع: غبار الحرب، قال بشار:

كَأَنَّ ثُبَارَ النَّقْعِ فَسُوقُ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ

(بشار بن برد، الديوان: ١/١٦٧).

(٥) الآجام: جمع أجمّة، وهي مسكن الأسود.

ولما أنشد العماني^(١) الرشيد يصف فرساً:

كَأَنَّ أَذْنِيهِ إِذَا تَشَوَّفَا قَادِمَةً أَوْ قَلَمَساً مُحَرَّفَا

ولحن، ففهم ذلك أكثر من حضر؛ فقال الرشيد: اجعل مكان «كَأَنَّ» يَخَال، فَعَجِبُوا لِسُرْعَةِ تَهْدِيهِ.

لأبي تمام يصف فرساً

وللطائيين في هذا النوع أشعار كثيرة منعتني من اختيارها كثرة اشتهاها، وسأشيد بعض ذلك، قال أبو تمام^(٢):

مَا مُقَرَّبٌ يَخْتَالُ فِي أَشْطَانِهِ مَلَانٍ مِنْ صَلَفٍ بِهِ وَتَلَهُوُقٍ^(٣)
بَحَوَافِرِ حُفَرٍ وَصُلْبٍ أَصْلَتِ وَأَشَاعِرِ شُعَيْرٍ، وَخَلَقَ أَخْلَقَ^(٤)
ذُو أَوْلَقٍ تَحْتَ الْعِجَاجِ، وَإِنَّمَا مِنْ صِحَّةٍ إِفْرَاطُ ذَاكَ الْأَوَّلَقِ^(٥)
صَافِي الْأَدِيمِ كَأَنَّمَا أَلْبَسَتْهُ مِنْ سُنْدُسٍ بُرْدًا وَمِنْ إِسْتَبْرِقٍ^(٦)

(١) هو أبو العباس، وقيل: أبو عبد الله، محمد بن ذؤيب، من بني نهشل بن دارم، من بني فقيم، ولقب بـ«العماني» لأنه أقام في عمان طويلاً فَنُسِبَ إليها. وهو شاعر راجز، كان يُوزن بالعجاج ورؤية. توفي نحو ٢٢٨ هـ / ٨٤٣ م. (ابن المعتز، طبقات الشعراء: ١٠٩؛ الأصفهاني، الأغاني: ٢٣١/١٨).

(٢) أبو تمام، الديوان: ٤٣٩/١. والأبيات من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب، ويصف فرساً حمله عليه.

(٣) المقرب: الفرس الذي يقرب معلقه ومربطه لكرامته. يختال: يتبختر. الأشطان: الحبال، المفرد: شطن، وأراد الرسن. الصلف: التيه والكبر. المتلهوق: من تلهوق الرجل: تَزَيَّنَ بما ليس عنده. وَفَرَّ التبريزي الصلف والتلهوق بمرح ونشاط كالجنون.

(٤) حُفَرٍ: أي تحفر الأرض لشدة وطئها، وقيل: حافر أحفر: إذا كان مستديراً كالقعب. والصلت: العجين الواضح. وفي الديوان: «وَصُلْبٌ صُلْبٌ»، والصلب: عظم في الظهر ذو فقار يمتد من الكاهل إلى أسفل الظهر. صُلْبٌ: شديد. الأشاعر: جمع أشعر: ما نبئت عليه الشعر مما يقارب الحافر. وَشَعْرٌ: نبت عليها الشعر، وقلة الشعر في هذه المواضع مذمومة. وَخَلَقَ أَخْلَقَ: أي أَمْلَسَ ليس فيه عيب.

(٥) الولق والأولق: الجنون. يقول: إنه ذو نشاط كالجنون، وذاك من صحته لا من جنونه.

(٦) الأديم: ظاهر الجلد. السندس: نوع من رقيق الديباج أو الحرير. والاستبرق: الديباج الغليظ. وأراد الشاعر هنا صفاء لون الفرس ونصوعه كنصوع الديباج، ولم يُرد لونه.

إِمْلِيسَةٌ إِمْلِيدَةٌ لَوْ عُلِّقَتْ فِي صَهَوْتَيْهِ الْعَيْنُ لَمْ تَعْلَقْ^(١)
مُسَوْدٌ شَطْرٍ مِثْلُ مَا اسْوَدَّ الدُّجَى مَبِيضٌ شَطْرٍ كَأَبْيَضِ الْمُهْرَقِ^(٢)

للبحثري يصف فرساً

وقال أبو عباد^(٣):

وَأَغَرَّ فِي الزَّمَنِ الْبَهِيمَ مُحَجَّلٍ وَأَفِي الضُّلُوعِ يَشُدُّ عَقْدَ حِزَامِهِ
يَهْوِي كَمَا هَوِيَ الْعِقَابُ إِذَا رَأَتْ مُتَوَحِّشٌ بِدَقِيقَتَيْنِ كَأَنَّمَا
كَالرَّائِحِ الشُّشُوانِ أَكْثَرُ مَثْنِيهِ وَيَظُنُّ رَيْعَانَ الشَّبَابِ يَرُوعُهُ
هَزَجَ الصَّهِيلِ كَأَنَّ فِي بُرَاتِهِ تُتَوَهَّمُ الْجُوزَاءُ فِي أَرْسَاغِهِ
صَافِي الْأَدِيمِ كَأَنَّمَا عُنِيتَ لَهُ قَدْ رُحْتُ مِنْهُ عَلَى أَغَرِّ مُحَجَّلٍ^(٤)
يَوْمَ اللَّقَاءِ عَلَى مُعَمِّ مُخَوِّلٍ صَيْدًا وَيَتَصَيَّبُ انْتِصَابَ الْأَجْدَلِ^(٥)
تُرَيَانٍ مِنْ وَرْقٍ عَلَيْهِ مُوَصَّلٍ^(٦) عَرَضَ عَلَى السَّنَنِ الْبَعِيدِ الْأَطْوَلِ
مَنْ نَشَوَةٌ أَوْ جِنَّةٌ أَوْ أَفْكَلٍ^(٧) نَعْمَاتٍ مَعْبَدَةٍ فِي الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ
وَالْبَدْرِ غُرَّةٌ وَجْهُهُ الْمُتَهَلِّلِ بِصَفَاءِ نُقْبَتِهِ مَدَاوِكُ صَبَقِلٍ^(٨)

(١) في الديوان: «إِمْلِيسُهُ إِمْلِيدُهُ»، أي: أملس، ناعم، برّاق. والصهوة: موضع السرج من الفرس. يقول: إنه لملاسته ونعمته لا تعلق الأشياء به، وربما عني بالعين: العين الشريفة لقوله في البيت الذي يليه:

يُرْقَى وَمَا هُوَ بِالسَّلِيمِ وَيَعْتَدِي دُونَ السَّلَاحِ سِلَاحَ أَرْوَعٍ مُمْلِسٍ

(٢) المهرق: الضحيفة، وقيل: الحريرة البيضاء.

(٣) البحثري، الديوان: ٣٦٦/٢. والآيات من قصيدة يمدح بها محمد بن علي بن عيسى القمي الكاتب.

(٤) البهيم: المظلم. والغُرَّةُ والتَّحْجِيلُ: بياض في الجبهة والقوائم. والأغَرُّ الْمُحَجَّلُ: الفرس، والرجل الكريم على المجاز.

(٥) الأجدل: الصقر.

(٦) الدقيقتان: صفة للساقين. وفي الديوان «مُتَوَحِّشٌ بِرَقِيقَتَيْنِ كَأَنَّمَا... تَرَيَانٌ».

(٧) الأفكل: الرعدة. والجنة: الجنون. وفي الديوان: «وَتَظُنُّ».

(٨) المداوك: جمع مدوك، وهو المصقلة، يقال: داك الصيقل السيف وسنّه بالمدوك. وفي الديوان: «مداوس صيقل». ونقبتة: لونه.

وَكَأَنَّمَا كُسِّيَ الْخُدُودَ نَوَاعِمَاءَ مَهْمَا تَلَا حِظَهَا بِلَحْظٍ يَخْجَلُ
وَكَأَنَّمَا نَفَضَتْ عَلَيْهِ صَبْنَهَا صَهْبَاءُ لِلْبَرْدَانِ أَوْ قُطِرَ بُلٌ^(١)
مَلَكَ الْعِيُونَ؛ فَإِنْ بَدَأَ أُعْطِيَنَّهُ نَظَرَ الْمُحِبِّ إِلَى الْحَبِيبِ الْمُقْبِلِ

إِسْحَاقُ بْنُ خَلْفٍ يَصِفُ فَرَسَ أَبِي دُلْفٍ

وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ خَلْفٍ النَّهْرَوَانِي لِأَبِي دُلْفٍ، وَكَانَ لَهُ فَرَسٌ أَدْهَمُ يَسْمِيهِ غَرَابَا:

كَمْ كَمْ تُجَرِّعُهُ الْمَنُونُ وَيَسْلَمُ لَوْ يَسْتَطِيعُ شَكَا إِلَيْكَ لَهُ الْفَمُ
مِنْ كُلِّ مَنِيَتِ شَعْرَةٍ مِنْ جِلْدِهِ خَطٌّ يُمِثُّهُ الْحُسَامُ الْمِخْدَمُ^(٢)
مَا تُذَرِّكُ الْأَرْوَاحُ أذْنَى جَرِيهِ حَتَّى يَقُوتَ الرِّيحَ وَهُوَ مُقَدَّمُ^(٣)
رَجَعَتْهُ أَطْرَافُ الْأَسِنَّةِ أَشْقَرًا وَاللَّوْنُ أَدْهَمُ حِينَ صَرَجَهُ الدَّمُ
وَكَأَنَّمَا عَقَدَ النُّجُومَ بِطَرْفِهِ وَكَأَنَّهُ بِعَرَى الْمَجَرَّةِ مُلْجَمُ^(٤)
وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ^(٥):

جَفَّتْنِي كَأَنِّي لَسْتُ أَنْطَقَ قَوْمَهَا وَأَطْعَمَهُمُ وَالشُّهْبُ فِي صُورِ الدُّهْمِ^(٦)

لَا بِي الْفَتْحُ كُشَاجِمُ

وَقَالَ أَبُو الْفَتْحِ كُشَاجِمُ:

قَدْ رَاحَ تَحْتِ الصُّبْحِ لَيْلٌ مُظْلِمٌ إِذْ لَاحَ فِي السَّرَجِ الْمُحَلَّى الْأَدْهَمُ
دِيَسَاجُ أَلْوَانِ الْجِيَادِ، وَلَمْ يَكُنْ لِيُخَصَّ بِسَالِدِيَّاجٍ إِلَّا الْأَكْرَمُ
ضَحِكَ اللَّجَيْنُ عَلَى سَوَادٍ أَدِيمِ وَكَذَا الظَّلَامُ تُنِيرُ فِيهِ الْأَنْجَمُ

(١) البردان: اسم لعدة أماكن، والمراد هنا: الموضع الذي كان بهذا الاسم قرب بغداد، وكان مشهوراً بالخمير. وقطريل: اسم قرية.

(٢) المِخْدَمُ: القاطع.

(٣) الْأَرْوَاحُ: جمع الريح.

(٤) مُلْجَمٌ: من ألجم الدابة إذا ألبسها اللجام، وهو حديدة توضع في فمها.

(٥) المتنبّي، الديوان: ٢٠٢/١. والبيت من قصيدة يمدح بها الحسين بن إسحاق التنوخي.

(٦) أَنْطَقَ: تفضل من النطق، أي أفصح. والشهب: من صفات الخيل، وهي التي في لونها بياض قد غلب على السواد. والدهم: السوداء محضاً.

فَكَأَنَّهُ يَبْأَتِ نَعِشٍ مُلَبَّبٌ وَكَأَنَّمَا هُوَ بِالشَّرِيَا مُلْجَمٌ

لابن المعتز

قلت: هذا من قول ابن المعتز:

أَلَا فَاسْقِيَانِي وَالظَّلَامُ مَقْوُضٌ وَنَجْمُ الدُّجَى تَحْتَ الْمَغَارِبِ يَرْكُضُ^(١)
كَأَنَّ الثَّرِيَّا فِي أَوَاخِرِ لَيْلِهَا تَفْتَحُ نَوْرٍ أَوْ لَجَامٌ مَقْضُضٌ

لابي الفتح أيضا

وقال أبو الفتح:

مَنْ شَكَ فِي فَضْلِ الْكَمِيتِ فَبَيْنَهُ
فِي مَنْظَرٍ مُسْتَحْسِنٍ مَحْمُودَةٍ
مَاءٌ تَدْفُقُ طَاعَةَ وَسَلَاسَةً
وَإِذَا عَطَفْتَ بِهِ عَلَى نَاوِرِهِ
وَصَفَّ الْخُلُوقَ أَدِيمُهُ فَكَأَنَّمَا
قَصُرَتْ قِلَادَةُ نَحْرِهِ وَعِذَارِهِ
وَكَأَنَّمَا هَادِيهِ جَذَعٌ مُشْرِفٌ
يَرِدُ الضَّحَاضِحَ غَيْرَ ثَانِي سُنْبِكٍ
لَوْ لَمْ تَكُنْ لِلْخَيْلِ نِسْبَةُ خَلْقِهِ
فِيهِ وَيِّنَ يَقِينِهِ الْمِضْمَارُ
أَخْبَارُهُ إِذْ تُبْتَلَى الْأَخْبَارُ
فَإِذَا اسْتَدِيرَ الْخُضْرُ فِيهِ فَكَأَرُ
لِتُسْدِيرِهِ فَكَأَنَّهُ بِرُكَّاسٍ
أَهْدَى الْخُلُوقَ لِجَلِيدِهِ عَطَارُ^(٢)
وَالرَّسْغُ، وَهِيَ مِنَ الْعِتَاقِ قِصَارُ
وَكَأَنَّمَا لِلضَّبِيعِ فِيهِ وَجَارُ^(٣)
وَيَرُودُ طَرْفُكَ خَلْفَهُ فَتَحَارُ^(٤)
حَاكِنُهُ مِنْ أَشْكَالِهَا الْأَطْيَارُ

لابن المعتز

وقال ابن المعتز:

وَخَيْلٍ طَوَاهَا الْقَوْدُ حَتَّى كَانَتْهَا
أَنَابِيْبُ سُمْرٍ مِنْ قَنَا الْخَطِ ذُبُلُ^(٥)

(١) مَقْوُضٌ: مَنْ قَوَّضَ الْبِنَاءَ إِذَا هَدَمَهُ، وَقَوَّضَ الْمَجْلِسُ: فَرَّقَهُ.

(٢) الْخُلُوقُ: نَوْعٌ مِنَ الطَّيْبِ.

(٣) هَادِيهِ: صَدْرُهُ. وَالْوَجَارُ: حُجْرُ الضَّبِيعِ وَالْأَمْدُ وَالذُّبُّ وَالثَّلْبُ وَنَحْوُ ذَلِكَ.

(٤) الضَّحَاضِحُ: جَمْعُ الضَّحَضَاحِ، وَهُوَ الْمَاءُ الْقَلِيلُ لَا عُمُقَ فِيهِ. وَالسُنْبِكُ: طَرَفُ الْحَافِرِ.

(٥) الْقَنَا: الرِّمَاحُ، الْوَاحِدَةُ: قَنَاةٌ. وَالْخَطُ: مَوْضِعٌ بِالْبَحْرَيْنِ تُسَبُّ إِلَيْهِ الرِّمَاحُ. وَذُبُلٌ: جَمْعُ ذَابِلٍ، وَرِمَحٌ ذَابِلٌ: دَقِيقٌ.

صَبَّيْنَا عَلَيْهَا - ظَالِمِينَ - سَيَاطِنَا فَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ سِرَاعٍ وَأَرْجُلُ

لأعرابي مولد

قَوْلُهُ: «ظالمين» من أَبْدَعَ حَشَوِ جرى في بيت، وكأن ابن المعتز أشار إلى قول أعرابي مولد:

وَعَوْدٌ قَلِيلُ الذَنْبِ عَاوَدْتُ ضَرْبَهُ إِذَا هَاجَ شَوْقِي مِنْ مَعَاهِدِهَا ذِكْرُ^(١)
فَقُلْتُ لَهُ: ذَلْفَاءُ - وَنَحْكُ! - سَبَبَتْ لَكَ الضَّرْبَ، فَاصْبِرْ إِنَّ عَادَتَكَ الصَّبْرُ^(٢)

لابن المعتز أيضاً

وقال ابن المعتز:

أَرَا جَعْتِي فِي ذَاكَ بِأَعْوَجِيَّ كَقِنَحِ النَّبْعِ فِي الرِّيشِ اللَّوَامِ^(٣)
بِأَذْهَمِ كَالظَّلَامِ أَغْرَى يَجْلُو بِغُرَّتِهِ دِيَاجِيرَ الظَّلَامِ
تَرَى أَحْجَالَهُ يَضْعُدْنَ فِيهِ صُعُودَ الْبَرْقِ فِي جَوِّ الْغَمَامِ

وقال أيضاً:

قَدْ أَغْتَدِي وَالصُّبْحُ كَالْمَثِيبِ فِي أَفْقٍ مِثْلِ مَذَاكِ الطَّيِّبِ
بِقَارِحِ مُسَوِّمٍ يَعْجُوبِ ذِي أُذُنٍ كَخُوصَةِ الْعَسِيبِ^(٤)
أَوْ آسَةٍ أَوْفَتْ عَلَى قَضِيبِ يَسْبِقُ شَاوَ النَّظَرِ الرَّحِيبِ
أَسْرَعَ مِنْ مَاءٍ إِلَى تَصْوِيبِ وَمِنْ رُجُوعٍ لَحْظَةِ الْمُرِيبِ^(٥)

وقال:

رُبَّ رَكْبٍ عَبَّرَسُوا ثُمَّ هَبُّوا نَحْوَ إِسْرَاجٍ وَشَدَّ رِحَالِ

(١) العود: البعير.

(٢) ذلفاء: اسم امرأة. يقول: إن حُبَّ السرعة إلى لقاءها هو السبب في ضرب راحلته.

(٣) الأعوجي: الفرس الكريم، منسوب إلى أعوج. واللوام: المحكم.

(٤) القارح: الفرس القوي. مُسَوِّمٌ: مُعَلَّمٌ، وُضِعَتْ عَلَيْهِ السُومَةُ: العلامة. واليعوب: الفرس السريع.

الطويل. والعسيب: جريدة من النخل مستقيمة دقيقة، والذي لم يثبت عليه الخوص من السعف.

(٥) تصويب: انحدار.

وَعَدُونَا بِأَعْيَةِ خَيْلٍ تَأْكُلُ الْأَرْضَ بِأَيْدٍ عِجَالٍ
زَيَّنَتْهَا غُرُرٌ ضَاحِكَاتٌ كُبُورٍ فِي وُجُوهِ لِيَالٍ

لعلي الإيادي

وقال علي بن محمد الإيادي:

مَسَحَ الظَّلَامُ بِعُزْفِهِ يَدَهُ وَمَشَى فَقَبَّلَ وَجْهَهُ الْبَنَرُ

لأبي العباس الناشيء

وقال الناشيء أبو العباس عبد الله بن محمد:

أَحْوَى عَلَيْهِ مَسَانِحٌ مِنْ لَيْطَةٍ شُهْبٌ تَسِيلُ عَلَى نَوَاشِرِ سَاقِهِ^(١)
فَكَأَنَّهُ مُتْلَفٌ قُبْطِيَّةً أَتْنَاوَهَا مَشْدُودَةٌ بِنَطَاقِهِ
فَسَوَادُهُ كَاللَّيْلِ فِي إِظْلَامِهِ وَيَبَاضُهُ كَالصُّبْحِ فِي إِشْرَاقِهِ
صَافِي الْأَدِيمِ كَرِيمَةٍ أَتْنَابُهُ أَخْلَاقُهُ عَيْنٌ عَلَى أَغْرَاقِهِ

لأبي منصور الثعالبي

كتب أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي إلى الأمير أبي الفضل عبد الله بن أحمد بن ميكال، وقد زاره الأمير في داره:

لَا زَالَ مَجْدُكَ لِلْسَّمَائِكَ رَسِيلاً وَعُلُوُّ جَدِّكَ بِالْخُلُودِ كَفِيلاً^(٢)
يَا غُرَّةَ الزَّمَنِ الْبَهِيمِ إِذَا غَسَدَا أَهْلُ الْعُلَا لِيَزْمَانَهُمْ تَحْجِيلاً
يَا زَائِراً مَدَّتْ سَحَابٌ طَوْلَهُ ظِلًّا عَلَيَّ مِنَ الْجَمَالِ ظَلِيلاً^(٣)
وَأَتَتْ بِصَوْبٍ جَوَاهِرٍ مِنْ لَفْظِهِ حَتَّى انْتَضَمْنَ لِمَفْرِقِي إِكْلِيلاً
بِأَبِي وَغَيْرِ أَبِي هِلَالٍ نُورُهُ يَسْتَعِجِلُ التَّسْيِيحَ وَالتَّهْلِيلاً

(١) الليطة: قشرة القصبه والقوس والقناة، وكل شيء له متانة، الجمع: لَيْطٌ وَلِيَّاطٌ. والنواشر: جمع ناشرة: أحد الأوردة تحت الجلد في باطن الذراع أو الساق.

(٢) السَّمَاءُ: هما سَمَاكَان: نجمان تَبْرَان، أحدهما في الشمال، وهو السماك الرامح، والآخر في الجنوب، وهو السماك الأعزل. والرسيل: القرين.

(٣) الطَّوْلُ: الفضل والغنى واليسر.

نَقَشْتُ حَوَافِرُ طَرْفِهِ فِي عَرَصَتِي نَقَشَا مَحَنُوتُ رُسُومَهُ تَقْيِيلًا^(١)
 وَلَوْ اسْتَطَعْتُ فَرَشْتُ مَسْقِطَ خَطْوِهِ بِعُيُونٍ عَيْنٍ لَا تَرَى التَّكْحِيلَا
 وَنَثَرْتُ رُوحِي بَعْدَمَا مَلَكَتْ يَدِي وَخَرَرْتُ بَيْنَ يَدَيِ هَوَاهُ قَتِيلَا

لابن هانئ يصف خيل المعز

وقال أبو القاسم بن هانئ يصف خيل المعز:

لَهُ الْمُقَرَّبَاتُ الْجُرْدُ يُنْعِلُهَا دَمًا إِذَا فَرَعَتْ هَامَ الْكُمَاةِ السَّنَابِكُ^(٢)
 يُرِيقُ عَلَيْهَا اللَّوْلُؤُ الرُّطْبُ مَاءً وَيَسِبُ فِيهَا ذَائِبُ الثَّيْرِ سَابِكُ
 صَقِيلَاتُ أَجْسَامِ الْبُرُوقِ كَأَنَّمَا أَمَرَتْ عَلَيْهَا بِالشَّمُوسِ الْمَدَاوِكُ^(٣)

ولابن هانئ أيضاً

وقال يصف فرساً لجعفر بن علي بن حمدون:

تَهَلَّلَ مَضْفُولَ النُّوَاحِي كَأَنَّهُ إِذَا جَالَ مَاءُ الْحُسْنِ فِيهِ غَرِيقُ
 مِنْ الْبُهِمِ وَرَدُّ اللَّوْنِ شَيْبَ بِكُمْنَةٍ كَمَا شَيْبَ بِالْمَسكِ الْفَتِيقُ خُلُوقُ^(٤)
 فَلَوْ مِيزَ مِنْهُ كُلُّ لَوْنٍ بِذَاتِهِ جَرَى سَبَجٍ مِنْهُ وَذَابَ عَقِيقُ^(٥)

وقال في قصيدة يمدح بها أبا الفرج الشَّيْبَانِي:

فَتَقَشْتُ لَكُمْ رِيحَ الْجِلَادِ بِعَثْبَرٍ وَأَمَدَكُمُ فَلَقُ الصَّبَاحِ الْمُسْفِرِ
 وَجَنَيْتُمُ ثَمَرَ الْوَقَائِعِ يَانِعًا بِالنَّصْرِ مِنْ وَرَقِ الْحَدِيدِ الْأَخْضَرِ
 أَبْنِي الْعَوَالِي السَّمْهَرِيَّةَ وَالسَّيَو فِي الْمَشْرِفَةِ وَالْعَدِيدِ الْأَكْثَرِ^(٦)

(١) العرصة: ساحة الدار.

(٢) الْمُقَرَّبَاتُ: جمع الْمُقَرَّبَةِ: الفرس أو الناقة ونحوهما القريبة المُعَدَّة للركوب، أو الفرس تُكْرَمُ فَيَقْرَبُ مَرْبُطُهَا وَمَعْلَقُهَا. وَجُرْدُ: جمع أجرد: الذي خلا جسمه من الشعر، وقد جرد شعر الفرس: كان قصيراً رقيقاً. والهَامُ: الرؤوس، الواحدة: هامة. السَّنَابِكُ: الحوافر، الواحد: سنبك.

(٣) الْمَدَاوِكُ: جمع مَذْوَك: ما يُسْحَقُ بِهِ الطَّيْبُ، أَوْ يُصْقَلُ بِهِ السِّيفُ وَالْحُلْيُ.

(٤) الْبُهِمُ: جمع بهيم، وهو الأسود. وَشَيْبَ: خُلِطَ. وَالْخُلُوقُ: نوع من الطيب.

(٥) السَّبَجُ: السواد. والعقيق: أراد أحمر بلون العقيق.

(٦) الْعَوَالِي: جمع العالية، وهي صدر الرمح، والمراد الرماح نفسها. وَالسَّمْهَرِيَّةُ: الصليبية العود، =

مَنْ مِنْكُمْ الْمَلِكُ الْمَطَاعُ كَأَنَّهُ
تَحْتَ السَّوَابِغِ تُبْعُ فِي حِمِيرِ
القَائِدُ الْخَيْلِ الْعِتَاقِ شَوَازِبًا
خُزْرًا إِلَى لَحْظِ السَّنَانِ الْأَخْزَرِ^(١)
شُعْثَ النَّوَاصِي حَسْرَةً أَذَانُهَا
قُبَّ الْأَيَاطِلِ دَامِيَاتِ الْأَنْسَرِ^(٢)
تَبُو سَنَابِكُهُنَّ عَنْ عَقْرِ الثَّرَى
فِطْآنَ فِي خَدِّ الْعَزِيزِ الْأَصْعَرِ^(٣)
فِي فِتْيَةٍ صَدَأُ الْحَدِيدِ عَيْرُهُمْ
وَحَلَوْفُهُمْ عَلَقُ النَّجِيعِ الْأَحْمَرِ^(٤)
لَا يَأْكُلُ السَّرْحَانُ شَلْوَ عَقِيرِهِمْ
مِمَّا عَلَيْهِ مِنَ الْقَنَّا الْمُتَكَسِّرِ^(٥)

وقال في قصيدة يمدح بها إبراهيم بن جعفر بن علي:

فَخَرُّ لِطْرِفٍ أَعْوَجِي أَنْتَ فِي
صَهْوَاتِهِ وَالْحُسْنُ وَالتَّطْهِيمُ^(٦)
يُيَدِي لِعَزْكَ نَخْوَةً، فَكَأَنَّهُ
مَلِكٌ تَدِينُ لَهُ الْمُلُوكُ عَظِيمُ
هَادٍ عَلَى الْخَيْلِ الْعِتَاقِ، كَأَنَّهُ
بَيْنَ الدُّجَّةِ وَالصَّبَاحِ صَرِيمُ^(٧)
سَامِي الْقَذَالِ بِمِسْمَعِيهِ عَيَافَةٌ
تَحْتَ الدُّجَى وَلِطْرِفِهِ تَنْجِيمُ^(٨)

= وقيل: هي منوبة إلى «سَمَهَر»، وهو رجل كان يُقَوِّمُ الرماح، وامرأته، رُدَيْنَةُ التي تُنْسَبُ إليها الرماح أيضاً، فيقال: رديني، أو رمح رديني. والمشرقية: السيوف المجلوبة من «المشارف». قال أبو الطيب:

نُبِذَ الْمَشْرِقِيَّةَ وَالْعَوَالِي
وَتَقَتُّلْنَا الْمُؤُونُ بِلَا قَتَالِ
(ديوانه: ١٤/٢).

- (١) شواذب: جمع شاذب، وهو الفرس الضامر. والخزرة: جمع أخزر، وهو الذي ينظر بمؤخر عينه.
- (٢) قب: جمع أقب، من القَبَب، وهو دقة الخصر وضمور البطن. والأياطل: جمع أياطل وهو الخصر. والأنسر: جمع نسر، وهو ما ارتفع في باطن حافر الفرس من أعلاه.
- (٣) العَقَرُ: وجه الأرض، والتراب. الأصعر: الذي يصعر خده: يميله تيبهاً وكبراً، قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾. (سورة لقمان، آية ١٨).
- (٤) الخَلُوقُ: نوع من الطيب. العلق: الدم الغليظ. والتنجيع: دم الجوف.
- (٥) السرحان: الذئب. والشلْوُ: العضو، والبقية من كل شيء، وأشلاء الإنسان وغيره: أعضاؤه بعد التفريق والبلوى.
- (٦) التطهيم: الحسن، يقال: جواد مطهم، ورجل مطهم، وامرأة في خلقها تطهيم.
- (٧) العتاق: الخيل الكريمة الجيدة. والدجنة: الظلمة. والصريم: المنقطع. والمراد أن لونه وسط بين السواد والبياض، فهو كميث.
- (٨) القذال: معقد العذار من الفرس خلف الناصية. والعيافة: زجر الطير. والعائف: المتكهن بالطير. والتنجيم: النظر في النجوم بحسب مواقيتها وسيرها، والمراد أن أذني هذا الجواد تدلانه =

أُذُنٌ مُؤَلَّلَةٌ، وَقَلْبٌ أَصْمَعٌ وَحَشًا أَقْبَبٌ، وَكَلْكَلٌ مَلْمُومٌ^(١)
 فَالطَّلُودُ مِنْ صَهَوَاتِهِ مُتَزَلِّزٌ وَالجَيْشُ مِنْ أَنْفَاسِهِ مَهْزُومٌ
 حَرَقَ الْعَيُونَ فَضَلَّ عَنْهَا لَوْنُهُ وَصَفَا قُلُوبَنَا مَا عَلَيْهِ أُدِيمٌ
 فَكَأَنَّمَا جَمَدَتْ عَلَيْهِ مُرْزَنَةٌ وَانْجَابَ عَنْهُ عَارِضٌ مَرْكُومٌ^(٢)
 وَكَأَنَّمَا نُحِرَتْ عَلَيْهِ بَوَارِقٌ وَكَأَنَّمَا كُفِيتَ عَلَيْهِ نُجُومٌ
 وَكَأَنَّكَ ابْنُ الْمُنْدِرِ النِّعْمَانُ فَوْ قَ سَرَاتِهِ، وَكَأَنَّهُ الْيَحْمُومُ^(٣)

لعلي بن محمد الإيادي

وقال علي بن محمد الإيادي يصف فرس أبي عبد الله جعفر بن أبي القاسم القائم:

وَأَقْبَبَ مِنْ لَحَقِ الْجِيَادِ، كَأَنَّهُ قَصَرَ تَبَاعَدَ رُكْنُهُ مِنْ رُكْنِهِ^(٤)
 لَيْسَتْ قَوَائِمُهُ عَصَائِبَ فِضَّةٍ وَغَدَتِ بِسُمرِ صَفَا الْمَسِيلِ وَدُكْنِهِ
 وَكَأَنَّمَا انْفَجَرَ الصَّبَاحُ بِوَجْهِهِ حُسْنًا، أَوْ احْتَبَسَ الظَّلَامُ بِمُثْنِهِ^(٥)
 قَيْدُ الْعَيُونَ إِذَا بَصُرْنَ بِشَخْصِهِ وَرِضَا الْقُلُوبِ إِذَا اضْطَلَيْنَ بِضِغْنِهِ
 مُسَيِّطَرٌ بِالرَّاكِبِينَ، كَأَنَّهُ بَارِزٌ تَرُوحُ بِهِ الْجَنُوبُ لِوُكْنِهِ^(٦)
 يَسْتَوْقِفُ اللَّحَظَاتِ فِي خَطَرَاتِهِ بِكَمَالِ خَلْقَتِهِ وَدَقَّةِ حُسْنِهِ
 حُلُوُ الصَّهِيلِ تَخَالُ فِي لَهَوَاتِهِ حَادٍ يَصُوغُ بِدَائِعًا مِنْ لَحْنِهِ^(٧)

= علي مواقع الخير والشر في الظلام.

(١) مُؤَلَّلَةٌ: منصوبة، مُحددة، من ألّ الفرس إذا نصب أذنيه وحددهما. والقلب الأصمع: الذكي المتيقظ. والأقْبَب: الضامر. والكلكل: الصدر، ومن الفرس: ما بين محزمه إلى ما مَسَّ الأرض منه إذا رُبض.

(٢) العارض: السحاب المعترض في الأفق. والمركوم: المتراكم الذي جمع بعضه فوق بعض.

(٣) اليحموم: علم على فرس النعمان بن المنذر. واليحموم في غير هذا: الشديد الحرارة.

(٤) أقْبَب: ضامر، دقيق. واللحق: الضمر.

(٥) المتن: الظهر.

(٦) الوكن: العش، ومثله الوكنة. قال امرؤ القيس:

وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا بِمُتَجَرِّدٍ قَيْدِ الْأَوَائِدِ هَيْكَلِ

(ديوانه: ص ٥١).

(٧) اللهوات: مجاري الحلق، الواحدة: لهأة.

مُتَجَبِّرٌ يُبَيِّ بَعْنَقِ نِجَارِهِ إِشْرَافُ كَاهِلِهِ وَدَقَّةُ أُذُنِهِ^(١)
 ذُو نَخْوَةٍ شَمَخَتْ بِهِ عَنْ نِدِّهِ وَشَهَامَةٍ طَمَحَتْ بِهِ عَنْ قِرْنِهِ^(٢)
 وَكَأَنَّهُ فَلَكٌ إِذَا حَرَكْتَهُ جَارٍ عَلَى سَهْلِ الْبِلَادِ وَحَزْنِهِ
 قَدْ رَاحَ يَحْمِلُ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَمْلَ النَّسِيمِ لَوَابِلٍ مِنْ مُزْنِهِ

لأبي الطيب المتنبي

وما أحسن ما قال أبو الطيب المتنبي^(٣):

وَيَوْمَ كُلُّونِ الْعَاشِقِينَ كَمَثُّهُ أُرَاقِبُ فِيهِ الشَّمْسَ أَبَانَ تَغْرُبُ^(٤)
 وَعَيْنِي إِلَى أُذُنِي أَغَرَكَ أَنَّهُ مِنْ اللَّيْلِ بَاقٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَوَكْبُ^(٥)
 لَهُ فَضْلَةٌ عَنْ جِسْمِهِ فِي إِهَابِهِ تَجِيءُ عَلَى صَدْرٍ رَحِيْبٍ وَتَذْهَبُ^(٦)
 شَقَقْتُ بِهِ الظُّلُمَاءَ، أُذُنِي عِنَانَهُ فَيَطْفَأُ، وَأَرْخِيهِ مِرَاراً فَيَلْعَبُ^(٧)
 وَأَصْرَعُ أَيَّ الْوَحْشِ قَفَيْتُهُ بِهِ وَأَنْزِلُ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ أُرْكَبُ^(٨)

(١) عتق النجار: كرم العنصر.

(٢) النَّدُّ: القرن، النظر.

(٣) المتنبي، الديوان: ٢/ ٢٧٦. والأبيات من قصيدة طويلة يمدح بها كافور الإخشيدي.

(٤) كمنته: أي كمنت فيه واستترت. يقول: رُبَّ يوم طال عليّ كليل العاشقين استترت فيه خوفاً من الأعداء، مراقباً غروب الشمس لآمن على نفسي.

(٥) الأغر: ذو الغرة، وهي البياض في جبهة الفرس. يقول: إنه كان في مسيره يراقب أذني فرسه يتحرز لنفسه بهما، لأن الفرس إذا أَحَسَّ بشيء من بعيد نصب أذنيه فيعلم فارسه أنه قد رأى شيئاً. ويصف هذا الفرس، فيقول: إنه أدهم كقطعة من ليل، والغرة في وجهه كأنها كوكب قد بقي بين عينيه.

(٦) الإهاب: الجلد. والرحيب: الواسع. يصف فرسه بعرض الصدر، وسعة الجلد، ليقول: إنه واسع الخطو سريع.

(٧) العنان: اللجام. وأذني: أقرب. وأراد بطغيانه: شدة النشاط والمرح. يقول: شقت ظلام الليل بهذا الفرس أجذب عنانه إليّ فيمرح ويشب، وأرخيه له فيلعب كما يشاء.

(٨) أصرع: أقتل. قَفَيْتُهُ: أتبعته، ومثله: حال من الضمير في «عنه»، وحين أركب: حال من الضمير في مثله. يقول: إذا طردت به وحشاً أدركه فصرعته، وأنزل عته بعد الطرد والصيد وهو باق على نشاطه وقوة جريه مثلما كان حين الركوب.

وَمَا الْخَيْلُ إِلَّا كَالصَّادِقِ قَلِيلَةٌ وَإِنْ كَثُرَتْ فِي عَيْنٍ مَنْ لَا يُجَرَّبُ^(١)
إِذَا لَمْ تُشَاهِدْ غَيْرَ حُسْنِ شِبَابِهَا وَأَعْضَائِهَا فَالْحُسْنُ عَنْكَ مُعَيَّبٌ^(٢)

مقامة لبديع الزمان في وصف فرس

وينخرط في سِلْكِ هذا المعنى مقامة^(٣) من مقامات الإسكندري في الكُذْبة^(٤) مما أنشأه بديع الزمان وأملأه في شهور سنة خمس وثمانين وثلثمائة، قال البديع:

حدَّثنا عيسى بن هشام قال: حضرنا مجلس سيف الدولة يوماً وقد عُرضَ عليه فرسٌ: متى ما تَرَقَّ العين فيه تَسَهَّلَ^(٥)

فَلَحَظْتُهُ الْجَمَاعَةُ؛ فقال سيف الدولة: أيكم أَحْسَنَ صَفْتَهُ، جعلته صِلَتَهُ؛ فكلُّ جَهْدٍ جَهْدُهُ، وبذل ما عنده؛ فقال أحد خَدَمِهِ: أَصْلَحَ اللهُ الأَمِيرُ! رَأَيْتُ بِالْأَمْسِ رَجُلًا بَطْأَ الفَصَاحَةَ يَنْعَلُهُ^(٦)، وَتَقَفُ الأَبْصَارُ عَلَيْهِ، يُسَلِّي النَّاسَ، وَيُشْفِي الْيَاسَ، وَلَوْ أَمَرَ الأَمِيرُ بِإِحْضَارِهِ، لَفَضَّلَهُمْ بِحِضَارِهِ^(٧).

فقال سيف الدولة: عَلَيَّ بِهِ فِي هَيْئَتِهِ، فَصَارَ الخَدْمُ فِي طَلْبِهِ، فَجَاؤُوا لِلْوَقْتِ بِهِ، وَلَمْ يُعْلِمُوهُ لِأَيِّ حَالٍ دُعِيَ بِهِ، ثُمَّ قُرُبَ وَاسْتَدْنِي، وَهُوَ فِي طِمْرَيْنِ^(٨) قَدْ أَكَلَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمَا وَشَرِبَ، وَحِينَ حَضَرَ السَّمَاطُ لَثَمَ البَسَاطَ، وَوَقَفَ. فقال سيف الدولة: بَلَعْتُنَا عَنْكَ عَارِضَةً^(٩)، فَأَعْرِضْهَا فِي هَذَا الْفَرَسِ وَصِفْهُ. فقال: أَصْلَحَ اللهُ الأَمِيرُ! كَيْفَ بِهِ قَبْلَ رُكُوبِهِ وَوُثُوبِهِ، وَكَشَفَ عَيْبِهِ [وَعُيُوبِهِ]؟ فقال: أَرَكْبُهُ، فَرَكْبِهِ وَأَجْرَاهُ، ثُمَّ قَالَ: أَصْلَحَ اللهُ الأَمِيرُ!

(١) يقول: الخيل كالصديق تكثر قبل التجربة، وتقل بعدها.

(٢) الشيات: الألوان. يقول: إذا لم تر من الخيل إلا حسن ألوانها وأعضائها، فقد غابت معرفة حسناتها عنك، يريد: أن حسناتها فيما وراء ذلك من جريها وطباعها.

(٣) قام المؤلف بشرح هذه المقامة بعد نصّها مباشرة، فليعد القارئ إلى ذلك على سبيل التزيّد والتزود.

(٤) الكذبة: قسوة الدهر، والمراد هنا: الاستجداء.

(٥) يريد أن أعلاه وأذناه مستويان في الحسن.

(٦) كناية عن انقيادها له.

(٧) الحِضَارُ: أصله جودة السير وسرعته.

(٨) الطمران: ثوبان باليان.

(٩) العارضة: سرعة البديهة.

هو طويلُ الأذنين، قليلُ الاثنيين، واسعُ المَراثِ^(١)، لَيِّنُ الثَّلاثِ، غَلِيظُ الأَكْرُعِ^(٢)، غامضُ الأربعِ، شَدِيدُ النَّفْسِ، لَطِيفُ الْخَمْسِ، ضَيِّقُ الْقَلْتِ^(٣)، رَقِيقُ السَّتِّ، حديدُ السَّمْعِ، غَلِيظُ السَّيْعِ، رَقِيقُ اللِّسَانِ، عَرِيضُ الثَّمَانِ، شَدِيدُ الضَّلْعِ، قَصِيرُ السَّيْعِ، واسعُ السَّخَرِ، بعيدُ العَشْرِ، يأخذُ بالسَّابِجِ، وَيُطْلِقُ بِالرَّامِحِ، وَيَطْلُعُ بِلَانِحِ، وَيَضْحَكُ عَنْ قَارِحِ، يَحْزَ وَجْهَ الكَدِيدِ^(٤)، بمَدَاقِ الحديدِ، يُخْضِرُ كَالْبَحْرِ إِذَا مَاجَ، والسَّيْلُ إِذَا هَاجَ.

فقال سيفُ الدولة: لك الفرس مُباركاً فيه. فقال: لا زِلْتُ تأخذُ الأنفاسَ، وَتَمْنَحُ الأفراسَ، ثم انصرف، وتبعته، وقلت: لك عليّ ما يليقُ بهذا الفرس من خِلعةٍ إِنْ فَتَرْتَ ما وَصَفْتَ، فقال: سَلْ عما أَحْبَبْتَ.

فقلت: ما معنى قولك: بعيدُ العَشْرِ؟ فقال: بَعِيدُ النَظَرِ، وَالْخَطْوِ، وَأَعَالِي الْجَنَيْنِ^(٥)، وما بين الوَفِيِّينَ وَالْجَاعِرَتَيْنِ، وما بين الغُرَابَيْنِ، والمنخرين، وما بين الرِّجْلَيْنِ، وما بين النِّقْبَةِ وَالصَّفَاقِ، وبعيدُ القَامَةِ في السَّابِقِ.

فقلت: لا فَضَّ فُوكُ! فما معنى قولك: قَصِيرُ السَّيْعِ؟ قال: هَاك: قَصِيرُ الشَّعْرَةِ، قَصِيرُ الأُطْرَةِ، قَصِيرُ العَسِيبِ، قَصِيرُ القَضِيبِ، قَصِيرُ العَضْدَيْنِ، قَصِيرُ الرُّسْعَيْنِ، قَصِيرُ النِّسَا، قَصِيرُ الظَّهْرِ، قَصِيرُ الوَظِيفِ.

فقلت: لله أنت! فما معنى قولك: عَرِيضُ الثَّمَانِ؟ قال: عَرِيضُ الْجَبْهَةِ، عَرِيضُ الصَّهْوَةِ، عَرِيضُ الكَفِّ، عَرِيضُ الْجَنْبِ، عَرِيضُ الْوَرَكِ، عَرِيضُ الْعَصَبِ، عَرِيضُ الْبَلْدَةِ، عَرِيضُ صَفْحَةِ الْعُنُقِ.

فقلت: أَحْسَنْتَ، فما معنى قولك: غَلِيظُ السَّيْعِ؟ قال: غَلِيظُ الذَّرَاعِ، غَلِيظُ الْمَحْزَمِ، غَلِيظُ الْعُكُوتِ، غَلِيظُ الشَّوَى، غَلِيظُ الرُّسْعِ، غَلِيظُ الْفَخْدَيْنِ، غَلِيظُ الْجِبَالِ^(٦).

(١) المراث: خوران الفرس، وهو المبر.

(٢) الأكراع: جمع كراع، وهو ما دون الكعب.

(٣) القلت: النقرة في رأس الورك.

(٤) الكديد: الأرض الغليظة.

(٥) بعد أعالي الجنين: كناية عن متانة الخلق.

(٦) الجبال: جمع جبل، والمراد بها هنا العروق. وفي رواية: «غليظ الحاذ»، والحاذ: الظهر، أو موضع اللبد من الفرس.

فقلت: لله درك! فما معنى قولك: رقيق الست؟ فقال: رقيق الجفن، رقيق السالفه، رقيق الجحفلة، رقيق الأديم، رقيق أعلى الأذنين، رقيق الغرضين.

فقلت: أجدت، فما معنى قولك: لطيف الخمس؟ قال: لطيف الزور، لطيف النسر، لطيف الحبة، لطيف العجاية، لطيف الركبة.

فقلت: حياك الله! فما معنى قولك: غامض الأربع؟ قال: غامض أعالي الكتفين، غامض المرفقين، غامض الحجاجين، غامض الشطى.

قلت: فما معنى قولك: لئن الثلاث؟ قال: لئن المردغتين، لئن العرف، لئن العنان.

قلت: فما معنى قولك: قليل الاثنتين؟ قال: قليل لحم الوجه، قليل لحم المثنتين.

قلت: فمن أين نبت هذا العلم؟ قال: من الثغور الأموية، وبلاد الإسكندرية.

فقلت له: أنت مع هذا الفضل، تعرض وجهك لهذا البذل؟ فأنشأ يقول:

سَاخِيفَ زَمَانِكَ جِدًّا	فَالذُّهْرُ جِدُّ سَخِيفِ
دَعِ الْحَمِيَّةَ نِسِيًّا	وَعِشْ بِخَيْرِ وَرِيفِ
وَقُلْ لِعَبْدِكَ هَذَا	يَجِيءُ لَنَا بِرَغِيفِ

سقط عنا تفسيره في «لئن الثلاث»^(١)، وأكثر هذا التفسير يحتاج إلى تفسير، ولم يرد بما أورد إفهام العوام، والبلاغة لمحة دالة، وبلاغة الشر أخت بلاغة الشعر؛ وقد قال البحرى^(٢):

وَالشَّعْرُ لَمْحٌ تَكْفِي إِشَارَتُهُ وَلَيْسَ بِالْهَنْزِ طَوْلَتْ خُطْبُهُ

وسأقول في شرحه بكلام وجيز زيادة في الإفادة: الوقبان: نقرتان فوق العينين. والجاعرتان من الفرس: موضع الرقمتين من الحمار، وهما مستهى ضربه بذنبه إذا حرّكه. والغرابان: النائتان من أعلى الوركين، وذكر النقية هنا، وهو الذي يُعرف بالمتقب، وهو من

(١) تلك الثلاث هي: لين المردغتين، والمردغة: ما بين العنق إلى الترقوة، ولين العرف، وهو الشعر الغزير النابت على عنق الفرس، ثم لين العنان، وهو سير اللجام، ولين العنان: كناية عن طاعة الجواد.

(٢) البحرى، اللديوان: ٢٣٤/١.

السُّرَّة حيث ينقب البيطار. والصَّفَاق: الخاصرة، وقد قيل: جلد البطن كله صفاق، والذي أَراده الخاصرة. وأَراد بِبُعْدِ القامة في السباق امتداده إذا جَرَى مع الأرض. والأُطَرَّة هنا: طرف الأَبْهَر، وهي طَفِطْطَةٌ غليظة. والأَبْهَر: عِرْقٌ يَسْتَبْطِن الظَّهْر، فيتَّصِل بالقلب، وقيل: هو الأكحل. والعسيب: عظم الذنب. والرُّسْغ من الفرس: موضع القيد. والنَّسَا: عرق مستبطن الفخذين، وقَصْرُه محمود في جَرِي الفرس، ولكنه لا يسمَح بالمشي. والوظيف لكل ذي أربع: ما فوق الرُّسْغ إلى الساق. والصَّهْوَة: الظهر. والبَلْدَة: ما بين عينيه. والعُكُوءَة: مغرز الذَّنْب. والشَّوَى: الأطراف. والحبال: حبلا العاتق والظَّهْر. والجَحْفَلَة من ذوات الحافر: كالشفة من الإنسان. والغُرْضَان من الفرس: ما انحدر من قَصْبَة الأنف من جانبيها، والزور: الصدر. والنَّسْر في الحافر: لحمَة يابسة أسْفَله يشبهها الشعراء بالنَّوَى. والجُبَّة: التي فيها الحوشب. والحَوْشَب: حشو الحافر. والعُجَاية: عَصَب في قوائم الفرس والبعير مركَّب فيه فصوص من عظام كأمثال الكِعَاب تكون عند الرُّسْغ. والحِجَّاجان: العظمان المُطِيفان بالعين. والشَّطَى: عظم لاصقٌ بالذراع. والمتنان: جانبا الظهر؛ وسقط عنا تفسير الثلاث من نفس المقامة.

[قولهم في الوعد ومنزلة إنجازه]

بين أبي القاسم المسعودي وعيسى بن موسى

قال الجاحظ: قال أبو القاسم بن مَعْن المسعودي لعيسى بن موسى: أَيُّهَا الأمير؛ ما انتفعتُ بك مُنْذُ عرفتُكَ، ولا إلى خيرٍ وصلتُ منك منذ صَحِبْتُكَ، فقال: ولم؟ أَلَمْ أَكَلِّمْ لَكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي كَذَا وَكَذَا؟ قال: بلى! فهل استنجرتُ ما وُعِدْتُ، وعادوت ما ابتدأتُ؟ فقال: حَالَتْ دُونِ ذَلِكَ أُمُورٌ قاطعة، وأحوالٌ عاذرة. قال: أَيُّهَا الأمير، فما زِدْتَنِي عَلَى أَنْ نَبْهَتْ الهمُّ من رَقْدَتِهِ، وأثَّرتُ الحُزْنَ من رُبُضَتِهِ، إِنَّ الوعدَ إِذَا لَمْ يَصْحَبْهُ إِنْجَازٌ يُحَقِّقْهُ كَانَ كَلْفِظٍ لَا مَعْنَى لَهُ، وجسمٍ لَا رُوحَ فِيهِ.

بين منصور بن زياد ويحيى بن خالد

وَكَلِّمْ مَنْصُورُ بْنُ زِيَادٍ يَحْيَى بْنَ خَالِدٍ فِي حَاجَةٍ لِرَجُلٍ، فَقَالَ: عِدُّهُ قَضَاءَهَا. قَالَ: فَقُلْتُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ! وَمَا يَدْعُوكَ إِلَى الْعِدَّةِ مَعَ وَجُودِ الْقُدْرَةِ؟ فَقَالَ: هَذَا قَوْلٌ مِنْ لَا يَعْرِفُ مَوْضِعَ الصَّنَاعِ مِنَ الْقُلُوبِ، إِنَّ الْحَاجَةَ إِذَا لَمْ يَتَقَدَّمْهَا مَوْعِدٌ يُنْتَظَرُ بِهِ نُجْحُهَا لَمْ تَتَجَاذَبِ الْأَنْفُسُ سُرُورَهَا؛ إِنَّ الْوَعْدَ تَطْعُمُ وَالْإِنْجَازَ طَعَامٌ؛ وَلَيْسَ مِنْ فَاجَأَةٍ طَعَامٌ كَمَنْ وَجَدَ رَائِحَتَهُ،

وتمطَّقَ به، وتطعمه ثم طعمه؛ فدفع الحاجة تُخْتَم بالوعد؛ ليكون بها عند المصطنع حُسْنُ مَوْقِع، ولُطْفُ مَحَل.

بين المهدي وابن دأب

ووعد المهدي عيسى بن دأب جارية، ثم وهبها له، فأنشده عبد الله بن مُصعب الزبيري معرضاً بقول مضرس الأسدي:

فَلَا تَيَاسَّنْ مِنْ صَالِحٍ أَنْ تَنَالَهُ وَإِنْ كَانَ قِدْمًا يَنْ أَيْدٍ تَبَادِرُهُ

فضحك المهدي، وقال: ادفعوا إلى عبد الله فلانة، لجارية أخرى؛ فقال عبد الله بن مصعب:

أَنْجَزَ خَيْرُ النَّاسِ قَبْلَ وَعْدِهِ أَرَأَى مِنْ مَطْلٍ وَطُولٍ كَدَّهُ

فقال ابن دأب: ما قلت شيئاً، هلاً قلت:

حَلَاوَةُ الْفَضْلِ بِوَعْدٍ يُنْجَزُ لَا خَيْرَ فِي الْعُرْفِ كَنَهَبٍ يُنْهَزُ

فقال المهدي:

الْوَعْدُ أَحْسَنُ مَا يَكُونُ نَ إِذَا تَقَدَّمَ ضَمَانُ

لأبي قابوس يمدح يحيى بن خالد

وقد قال أبو قابوس النصراني^(١) يمدح يحيى بن خالد:

رَأَيْتُ يَحْيَى، أَتَمَّ اللَّهُ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ، يَأْتِي الَّذِي لَمْ يَأْتِهِ أَحَدُ

يَنْسَى الَّذِي كَانَ مِنْ مَعْرُوفِهِ أَبَدًا إِلَى الرِّجَالِ، وَلَا يَنْسَى الَّذِي يَعُدُّ

لأبي الطيب المتنبي

وقال أبو الطيب المتنبي^(٢):

(١) هو أبو قابوس، عمرو بن سليمان: شاعر نصراني من أهل الحيرة. عاش في زمن هارون الرشيد، ولم يرد لمولده ووفاته تاريخ. كان منقطعاً إلى البرامكة الذين تقرب بهم إلى الخليفة الرشيد. (المرزباتي، الشعر والشعراء: ٣١؛ لويس شيخو، شعراء النصرانية: ٢/ ٢٤١).

(٢) المتنبي، الديوان: ١/ ٢٢٠. والأبيات من قصيدة طويلة يمدح بها علي بن إبراهيم التنوخي.

قَوْمٌ بُلُوعُ الْغَلَامِ عِنْدَهُمْ طَعْنٌ نُحُورِ الْكُمَاةِ لَا الْحُلُمُ^(١)
 كَأَنَّمَا يُوَلَّدُ النَّدَى مَعَهُمْ لَا صَغَرُ عَاذِرٍ وَلَا هَرَمُ^(٢)
 إِذَا تَوَلَّوْا عَدَاوَةً كَشَفُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا صَنِيعَةً كَتَمُوا^(٣)
 تَظُنُّ مِنْ فَقْدِكَ اعْتِدَادَهُمْ أَنَّهُمْ أَنْعَمُوا وَمَا عَلِمُوا^(٤)

لأبي علي البصير في الفضل بن يحيى

ودخل أبو علي البصير^(٥) على الفضل بن يحيى، فأنشده:

وَصِفَ الصَّدُّ لِمَنْ أَهْوَى فَصَدُّ وَبَدَأَ يَمْزِجُ بِالْهَجْرِ. فَجَدُّ
 مَالَهُ يُعْدِلُ عَنِّي وَجْهَهُ وَهُوَ لَا يَعْدِلُهُ عِنْدِي أَحَدُ
 لَا تُرِيدُوا غِرَّةَ الْفَضْلِ، وَمَنْ يَطْلُبُ الْغِرَّةَ فِي خَيْسِ الْأَسَدِ^(٦)
 مَلِكٌ نَذْفَعُ مَا نَخْشَى بِهِ وَبِهِ نُضْلِحُ مَثَا مَا فَتَدُ
 يُنْجِزُ النَّاسُ إِذَا مَا وَعَدُوا وَإِذَا مَا أَنْجَزَ الْفَضْلُ وَعَدُ

لابن الرومي

وقال ابن الرومي في هذا المعنى^(٧):

- (١) النحور: جمع نحر، وهو موضع القلادة من الصدر. والكُمَاة: جمع كمي، وهو البطل التام السلاح. والحلم: بمعنى البلوغ. يقول: إنهم يعرفون بلوغ الغلام بحمل السلاح والطعن في نحور الأبطال، لا ببلوغ سن الحلم.
- (٢) الندى: الجود. والهرم: الكبر والعجز عن التصرف. يقول: إن الجود مقارن لفظهم، لا يتوقف على القدرة، ولا يمنع منه العجز.
- (٢) الصنعة: المعروف. يقول: إنهم إذا عادوا أحداً جاهرُوا بعداوتَهُ، لأنهم لا يخافون عدواً، وإذا اصطنعوا إلى أحد معروفاً كتموا معروفهم تक्रماً وحياءً.
- (٤) الاعتداد: الاهتمام. يقول: إنهم لا يعتدون بما صنعوا من المعروف لتناسيهم إياه، حتى كأنهم لم يعلموا به.
- (٥) هو أبو علي، الفضل بن جعفر بن الفضل بن يونس النخعي، ويعرف بالبصير: شاعر، كاتب، مترسل، ضريب. فارسي الأصل. انتقل أسلافه من الأنبار إلى الكوفة، وجاوروا بني النخع، فسبوا إليهم. مدح أبو علي المعتصم والمتوكل والفتح بن خاقان، وتوفي بـ «سُرَّ من رأى» سنة ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م. (ابن المعتز، طبقات الشعراء: ٣٩٧).
- (٦) خيس الأسد: عرينه.
- (٧) ابن الرومي، الديوان: ٢ / ٢٨٠.

لَهُ مَوَاعِدُ بِالْخَيْرَاتِ بَادِرَةٌ لَكِنِهَا تَسْبِقُ الْمِعَادَ بِالصَّفَدِ^(١)
يُعْطِيكَ فِي الْيَوْمِ حَقَّ الْيَوْمِ مُبْتَدَأً وَلَا يُضَيِّعُ بَعْدَ الْيَوْمِ حَقَّ غَدٍ^(٢)

[من عرف قدر النعمة استدامها]

بين سليمان بن عبد الملك وأبي وائلة حاجبه

خطب سليمان بن عبد الملك فقال: أيها الناس، مَنْ لَمْ يَعْلَمْ أَبْوَابَ مَدْخَلِهِ فِي الْكِرَامَةِ، وَجَهْلَ طَرِيقَتِهِ الَّتِي وَقَعَتْ بِهِ عَلَى النِّعْمَةِ كَانَ يَعْزِضُ رُجُوعَ إِلَى دَارِ هَوَانٍ، وَانْقِلَابَ بِفَادِحِ خُسْرَانٍ.

فَقَامَ إِلَيْهِ أَبُو وَائِلَةَ السَّدُوسِيُّ، وَهُوَ حَاجِبُهُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كُنَّا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾^(٣)، ثُمَّ صَرَّنَا كَمَا قَالَ زُهَيْرٌ:

يَدُ الْمَلِكِ الْجَلِيلِ تَنَاوَلَتْهُمْ بِإِحْسَانٍ فَلَيْسَ لَهَا مُزِيلٌ
لِأَنَّ الْخَيْرَ أَجْمَعَ فِي يَدَيْهِ وَرَبِّي بِالْجَزَاءِ لَهُ كَفِيلٌ

فَقَالَ سُلَيْمَانُ: هَذِهِ وَاللَّهِ الْمَعْرِفَةُ بِقَدْرِ النِّعْمَةِ، وَالْعِلْمُ بِمَا يَجِبُ لِلنِّعَمِ.

يونس بن المختار وحاجب المأمون

وَرَوَى يُونُسُ بْنُ الْمُخْتَارِ فِي دَارِ الْمَأْمُونِ، وَمُرَّتَبَتُهُ فِي أَعْلَى مَرَاتِبِ بَنِي الْعَبَّاسِ، قَاعِدًا عَلَى الْأَرْضِ، فَقَالَ الْحَاجِبُ: ارْتَفِعْ يَا أَبَا الْمَعْلَى إِلَى مَرْتَبَتِكَ، قَالَ: قَدْ رَفَعَنِي اللَّهُ إِلَيْهَا بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَيْسَ لِي عَمَلٌ يَبْقَى بِهَا، فَلَمْ لَا أُكْرِمُهَا عَنِ الْقَعُودِ عَنْهَا إِلَى أَنْ يَتَهَيَّأَ لِي الشُّكْرُ عَلَيْهَا؟ فَبَلَغَ الْكَلَامُ الْمَأْمُونُ؛ فَقَالَ: هَذَا وَاللَّهِ غَايَةُ الشُّكْرِ، وَبِمِثْلِهِ تَدْرُ النِّعَمَ.

بين رجل والمعلّى بن أيوب

وَقَالَ رَجُلٌ لِلْمُعَلَّى بْنِ أَيُّوبَ، وَقَدْ رَفَعَهُ الْمَعْتَصِمُ إِلَى مَرْتَبَةِ أَهْلِ بَيْتِهِ: مَا يَزِيدُكَ التَّقَرُّبُ إِلَّا تَبَاعُدًا. فَقَالَ: يَا هَذَا؛ إِنِّي أَصُونُ تَقَرُّبِي إِيَّايَ بِتَبَاعُدِي مِنْهُ؛ لِئَلَّا تَفْسِدَ حُرْمَتِي عِنْدَهُ بِقِلَّةِ الشُّكْرِ عَلَى نِعْمَتِهِ.

(١) الصَّفَدُ: العطاء. وفي الديوان: «له مواعيد بالخيرات ناجزة».

(٢) رواية الديوان:

يُعْطِيكَ حَقَّ غَدٍ فِي الْيَوْمِ مُبْتَدَأً وَلَيْسَ يَجْهَلُ بَعْدَ الْيَوْمِ حَقَّ غَدٍ

(٣) سورة الإنسان، آية (١).

بين المنصور والحارث بن حسان

ولما استعان المنصور بالحارث بن حسان قال له: يا حارث؛ إني قد مكثتُك من حُسن رأيي فيك، فاحفظهُ بتركِ إغفال ما يجبُ عليك! قال: يا أمير المؤمنين، مَنْ أَغْفَلَ سَبَبَ حُلُولِ النعمة، وَلَهَا عَنِ الحال التي أَصَارَتْهُ إليها، استصحبَ اليأسَ من نَيْلِ مِثْلِهَا، وانقطعَ رجاؤُهُ من الزيادة فيها، فقال أبو جعفر: مَنْ كانت عنده هذه المعرفةُ دَامَتْ النعمةُ له، وبقي الإحسانُ إليه.

بين المأمون وعبد الله بن طاهر

ولما قال المأمون لعبد الله بن طاهر^(١) عند قدومه من مصر: ما سرّني الله منذ وليتُ الخلافةَ بشيءٍ عَظُمَ موقعُهُ عندي، بعد جميل عافيةِ الله، هو أكثر من سروري بقدومك، فقال عبدُ الله: إيذن لي يا أمير المؤمنين في تفريق أموالِي من طَارِفٍ وتالد. قال: ولم؟ قال: شكرًا على هذه الكلمة؛ وإلا قَصَّرَ بي الحياءُ عن النظرِ إلى أمير المؤمنين، فقال المأمون لِمَنْ حضر من أهل بيته وقَوَّاده: ما شيءٌ من الخلافةِ يَمَيُّ لعبد الله ببعض شكره.

أبي نواس في المعنى

وقال أبو نواس^(٢):

قَدْ قُلْتُ لِلْعَبَّاسِ مُعْتَذِرًا	عَنْ ضَعْفِ شُكْرِيهِ وَمُعْتَرِفًا
أَنْتَ امْرُؤٌ جَلَلْتَنِي نِعْمًا	أَوْهَتْ قُوَى شُكْرِي فَقَدْ ضَعُفًا ^(٣)
فَإِلَيْكَ مِنِّي الْيَوْمَ تَقْدِيمَةٌ	تَلَقَّاكَ بِالتَّضَرِّيحِ مُكْشِفًا ^(٤)
لَا تُسَدِّدَنَّ إِلَيَّ عَارِفَةٌ	حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفًا

(١) هو أبو العباس، عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي: أمير، شجاع، جواد، رفيع المنزلة. كان المأمون كثير الاعتماد عليه، حسن الالتفات إليه، فولاه على الشام خرجاً وحرماً. (الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٤٨٣/٩؛ ابن العماد، شذرات الذهب: ٦٨/٢).

(٢) أبو نواس، الديوان: ٤٣٣.

(٣) جللتني: كوتني، وجللتني نعماً: غمرتني بها. وأوهت: أضعفت.

(٤) في الديوان:

فَإِلَيْكَ قَبْلَ الْيَوْمِ تَقْدِيمَةٌ لَا تَقْكَ بِالتَّضَرِّيحِ مُكْشِفًا

للناشيء يعارض أبا نواس

عارضه الناشيء واعترض معناه، فقال:

إِنْ أَنْتَ لَمْ تُحْدِثْ إِلَيَّ يَدًا حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفَا
لَسَمَ أَحْظَ مِنْكَ بَنَائِلِ أَبَدًا وَرَجَعْتُ بِالْحِرْمَانِ مُنْصَرِفَا

لابن الرومي

وقال ابن الرومي^(١):

عَاقَبْنَا أَنْ نَعُودَ أَنَّكَ أَوْلَى سَتَ أُمُورًا يَضِيقُ عَنْهَا الْجَزَاءُ^(٢)
غَمَرْتَنَا مِنْكَ الْإِيَادِي اللَّوَاتِي مَا لِمِغْشَاهَا لَدَيْنَا كِفَاءُ^(٣)
فَنَهَانَا عَنْكَ الْحِيَاءَ طَوِيلًا ثُمَّ قَدْ رَدَدْنَا إِلَيْكَ الْحِيَاءَ
وَلَمَّا حَقَّ إِنَّ قَرُوتَ الشَّائِي وَلَمَّا حَقَّ إِنَّ بَرَزْتَ الْجَفَاءَ
غَيْرَ أَنَّا أَنْضَاءَ شُكْرِ أُرِيحَتْ وَقَدِيمَا أُرِيحَتْ الْأَنْضَاءُ^(٤)

ألفاظ لأهل العصر

في العجز عن الشكر لتكاثر الإنعام والبر

عندي من برّه ما ملك الاعتذار بأزمته، وقبض ألسنة أمراء الكلام وأثمته. عندي له مبار^(٥) أعجزني شكرها، كما أعوزني حضرها. شكره شأؤ بعيد لا تبلغه أشواطِي، ولا أتلافِي التفريط في حقه بإفراطي. إحسانه يُعيد العرب عجمًا، والفصحاء بُكْمًا. قد ازحمني من مكارمه ما يُحصَرُ عنه المبين، ويصحبه العيُّ ويشس القرين.

وقال أعرابي:

رَهَنْتُ يَدِي بِالْعَجْزِ عَنْ شُكْرِ بَرِّهِ وَمَا فَوْقَ شُكْرِي لِلشُّكُورِ مَزِيدُ

(١) ابن الرومي، الديوان: ٥٤/١.

(٢) أوليت: أعطيت. والجزاء: المكافأة.

(٣) يقول: أكثر من عطايك فأصبحنا عاجزين عن ردّ بعض جميلك.

(٤) الأنضاء: جمع نضو: المهزول.

(٥) المبار: جمع مبرة: موضع البرّ.

وَلَوْ كَانَ شَيْئًا يُسْتَطَاعُ اسْتِطَاعَتُهُ وَلَكِنَّ مَا لَا يُسْتَطَاعُ شَدِيدٌ

وقال يحيى بن أكرم: كنتُ عند المأمون، فأُتي برجل تُرَعِدُ فرائضه^(١)؛ فلما مثل بين يديه قال المأمون: كَفَرْتَ نعمتي، ولم تشكر معروفِي، فقال: يا أمير المؤمنين؛ وأين يقعُ شكري في جنبِ ما أنعم الله بك عليّ، فنظر إليّ المأمون وقال متمثلاً:

وَلَوْ كَانَ يَسْتَعْنِي عَنِ الشُّكْرِ مَا جِدْتُ لِرَفْعَةِ قَدْرٍ أَوْ عُلُوِّ مَكَانٍ^(٢)
لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ الْعِبَادَ بِشُكْرِهِ فَقَالَ: اشْكُرُوا لِي أَيُّهَا الثَّقَلَانِ^(٣)

ثم التفت إلى الرجل فقال: هَلَّا قلتَ كما قال أصرم بن حميد:

مَلَكَتْ حَمْدِي حَتَّى إِنَّنِي رَجُلٌ كُلِّي بِكُلِّ نَسَاءٍ فِيكَ مُشْتَغِلٌ
خَوَّلْتَ شُكْرِي لِمَا خَوَّلْتَ مِنْ نِعَمٍ فَحُرُّ شُكْرِي لِمَا خَوَّلْتَنِي خَوْلٌ^(٤)

لأبي الفتح البُستِي

وقال أبو الفتح البُستِي:

لَئِنْ عَجَزْتَ عَنْ شُكْرِ بَرِّكَ قَوَّتِي وَأَقْوَى الْوَرَى عَنْ شُكْرِ بَرِّكَ عَاجِزُ
فَإِنْ ثَنَائِي وَاعْتِقَادِي وَطَاقَتِي لِأَفْلَاكِ مَا أَوْلَيْتَ بِهَا مَرَكَزُ

وقال أبو القاسم الزعفراني:

لِي لِسَانٌ كَأَنَّهُ لِسِي مُعَادِي لَيْسَ يُبَيِّنُ عَنْ كُنْهِ مَا فِي فَوَادِي
حَكَمَ اللَّهُ لِي عَلَيْهِ فَلَوْ أَنَّ صَفَّ قَلْبِي عَرَفْتُ قَدْرَ وَدَادِي

بين أبي العتاهية وعمر بن العلاء

وقال إسماعيل بن القاسم، أبو العتاهية، يمدحُ عمر بن العلاء:

- (١) الفرائض: جمع فريضة: لحمة بين الكتف والصدر، ترتعد عند الفزع، وهما فريستان، ويقال: فلان ضخَم الفريضة: جريء شديد.
- (٢) الماجد: الشريف الخَيْرُ.
- (٣) الثقلان: الإنس والجان.
- (٤) خَوَّلْتَنِي: أعطيتني وملكتني. والخول: حاشية من العبيد والإماء، للواحد والجمع والمذكر والمؤنث.

إِنِّي أَمِنْتُ مِنَ الزَّمَانِ وَرَيْيِهِ لَمَّا عَلِفْتُ مِنَ الْأَمِيرِ جَبَالاً^(١)
 لَوْ يَسْتَطِيعُ النَّاسُ مِنْ إِجْلَالِهِ لَحَذَوْا لَهُ حُرَّ الْوُجُوهِ نَعَالاً^(٢)
 مَا كَانَ هَذَا الْجُودُ حَتَّى كُنْتُ يَا عَمْرُ، وَلَوْ يَوْمًا تَزُولُ لَزَالاً
 إِنَّ الْمَطَايَا تَشْتَكِيكَ لِأَنَّهَا قَطَعَتْ إِلَيْكَ سَبَاسِيًا وَرِمَالاً^(٣)
 فَإِذَا وَرَدَنَّا بِنَا وَرَدَنَ مُخَفَّةً وَإِذَا صَدَرْنَا بِنَا صَدَرْنَا ثِقَالاً

وهي قصيدة سهلة الطبع، سلسلة النظام، قريبة المتناول.

وروي أن عمر بن العلاء وصله عليها بسبعين ألف درهم، فحسدته الشعراء، وقالوا:
 لنا بباب الأمير أعوامٌ نخدُم الآمالَ، ما وصلنا إلى بعض هذا! فاتصل ذلك به؛ فأمر
 بإحضارهم، فقال: بلغني الذي قُلْتُمْ؛ وإنَّ أحدكم يأتي فيمدحني بالقصيدة يشبِّب فيها فلا
 يصلُ إلى المدح حتى تذهب لذَّةُ حلاوته، ورائقُ طلاوته؛ وإنَّ أبا العتاهية أتى فشبب بأبيات
 يسيرة، ثم قال: إنَّ المطايا تشتكك لأنَّها... وأنشد الأبيات. وكان أبو العتاهية لما مدحه
 بهذا الشعر تأخَّر عنه برُّه قليلاً، فكتب إليه يَسْتَبْطِئُهُ:

أَصَابَتْ عَلَيْنَا جَوْدَكَ الْعَيْنُ يَا عَمْرُ فَتَحَنُّ لَهَا نَبْغِي التَّمَائِمَ وَالنُّشْرَ^(٤)
 أَصَابُكَ عَيْنٌ فِي سَخَائِكَ صُلْبَةً وَيَا رَبَّ عَيْنٍ صُلْبَةً تَفْلُقُ الْحَجَرَ
 سَنَرْقِيكَ بِالْأَشْعَارِ حَتَّى تَمْلُهَا فَإِنْ لَمْ تَفْقَ مِنْهَا رَقِينَاكَ بِالشُّورِ
 وقال:

يَابْنَ الْعَلَاءِ وَيَابْنَ الْقَرْمَ مِرْدَاسٍ إِنِّي مَدَحْتُكَ فِي صَحْبِي وَحُلَاسِي^(٥)
 أَتُنْسِي عَلَيَّ وَلِيَّ حَالٍ تَكْذِبُنِي فِيمَا أَقُولُ فَأَسْتَحْيِي مِنَ النَّاسِ
 حَتَّى إِذَا قِيلَ: مَا أَوْلَاكَ مِنْ صَفْدٍ طَاطَأْتُ مِنْ سُوءِ حَالِي عِنْدَهَا رَاسِي^(٦)

- (١) ريب الزمان: صرفه، حواثه.
- (٢) حذا النعل: قدَّرها وقطعها على مثال.
- (٣) السباسب: جمع السبب: المفازة.
- (٤) النُّشْرُ: جمع نُشْرَةٍ، وهي الرقية يداوى بها المريض والمجنون.
- (٥) القرم: الفحل.
- (٦) الصفد: المعطاء.

فأمر حاجبه أن يدفع إليه المال، وقال: لا تُدْخِلْهُ عَلَيَّ، فَإِنِّي أَسْتَحْيِي مِنْهُ.

وذكر بعضُ الرواة أَنَّ المهدي خرج متصيِّداً، فسمع رجلاً يتغنَّى من القصيدة التي مرَّت منها الأبيات في عمر بن العلاء آنفاً:

يَا مَنْ تَفَرَّدَ بِالْجَمَالِ فَمَا تَرَى	عَيْنِي عَلَى أَحَدٍ سِوَاهُ جَمَالَا
أَكْثَرْتُ فِي قَوْلِي عَلَيْكَ مِنَ الرُّقَى	وَضَرَبْتُ فِي شِعْرِي لَكَ الْأَمْثَالَا
فَأَيُّتَ إِلَّا جَفْوَةً وَقَطِيعَةً	وَأَيُّتَ إِلَّا نَحْوَوةً وَدَلَالَا
بِاللَّهِ قَوْلِي إِنَّ سَأَلْتُكَ وَاصْدُفِي	أَوْجَدْتُ قَتْلِي فِي الْكِتَابِ حَلَالَا
أَمْ لَا، فَفَيْمَ جَفَوْتَنِي وَظَلَمْتَنِي	وَجَعَلْتَنِي لِلْعَالَمِينَ نَكَالَا ^(١)
كَمْ لَأَنِّمَ لَوْ كُنْتُ أَسْمَعُ قَوْلَهُ	قَدْ لَأَمْسَى وَنَهَى وَعَدُّ وَقَالَا

فقال المهدي: عَلَيَّ بِهِ، فجاءه، فقال: لِمَنْ هَذَا الشَّعْرُ؟ قال: لِإِسْمَاعِيلَ بْنِ الْقَاسِمِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ، قال: لِمَنْ يَقُولُهُ؟ قال: لِعُتْبَةَ جَارِيَةِ الْمَهْدِيِّ، قال: كَذَبْتَ، لَوْ كَانَتْ جَارِيَتِي لَوْهَبْتُهَا لَهُ، وَكَانَتْ عُتْبَةُ لِرَبِطَةِ بِنْتِ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ، وَكَانَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِهَا كُلِّ مَبْلَغٍ، وَكُلُّ ذَلِكَ فِيمَا زَعَمَ الرُّوَاةُ نَصْبُ، وَتَخَلَّقَ؛ لِيُذَكَّرَ بِذَلِكَ.

[من أخبار أبي العتاهية]

ولوعه بعتبة

قال يزيد [بن] حَوْرَاءَ الْمَغْنِي^(٢): كَلَّمَنِي أَبُو الْعَتَاهِيَةِ أَنَّ أَكْلَمَ الْمَهْدِيِّ فِي عُتْبَةٍ؛ فَقُلْتُ: إِنَّ الْكَلَامَ لَا يُمْكِنُنِي، وَلَكِنْ قُلْ شِعْراً أُغْنِيهِ إِيَّاهُ، فَقَالَ:

نَفْسِي بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا مُعَلَّقَةٌ	اللَّهُ وَالْقَائِمُ الْمَهْدِيُّ يَكْفِيهَا
إِنِّي لِأَبَاسٌ مِنْهَا ثُمَّ يُطْمَعُنِي	فِيهَا احْتِقَارُكَ لِلدُّنْيَا وَمَا فِيهَا

(١) النكال: العقاب، أو النازلة، قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾. (سورة البقرة، آية ٦٦).

(٢) هو أبو خالد، يزيد بن حوراء، من موالى بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة: مُغْنٍ مُحَسِّنٌ، كثير الصناعة، من طبقة إبراهيم الموصلي، وكان مِمَّنْ قَدِمَ عَلَى الْمَهْدِيِّ فِي خِلَافَتِهِ وَغَنَّاهُ، وَكَانَ حَسَنَ الصَّوْتِ، حَلَوَ الثَّمَائِلِ. (الاصفهاني، الأغاني: ٢٤٦/٣).

فعملت فيه لَحْنًا وَغَنِيَّةً المهدي؛ فقال: لِمَنْ هذا؟ فأخبرته خَبَرَ أَبِي العتاهية، فقال: ننظرُ في أمره، فأخبرت بذلك أبا العتاهية؛ فمكث أشهرًا، ثم أتاني فقال: هل حَدَثَ خبر؟ فقلت: لا، فقال: غَنَّ بهذا الشعر:

لَيْتَ شِعْرِي مَا عِنْدَكُمْ لَيْتَ شِعْرِي إِنَّمَا أُخَّرَ الْجَوَابُ لِأَمْرِ
مَا جَوَابٌ أَوْلَى بِكُلِّ جَمِيلٍ مِنْ جَوَابٍ يُرَدُّ مِنْ بَعْدِ شَهْرٍ

قال يزيد: فَغَنَيْتُ به المهدي، فقال: عَلَيَّ بِعُتْبَةَ، فأحضرت، فقال: إِنَّ أبا العتاهية كَلَّمَنِي فَيْك، وعندي لَكَ وَلِه ما تَحْبَانِ؛ فقالت له: قد علم مولاي أمير المؤمنين ما أَوْجَبَهُ من حق مولاتي، فأريد أن أَذْكَرَ لها ذلك؛ قال: فافعلي؛ فَأَعْلَمْتُ أبا العتاهية بما جرى، ومضت الأيام؛ فسألني معاودة المهدي، فقلتُ له: قد عَرَفْتُ الطريقَ فقل ما شئت حتى أَغْنِيه، فقال:

أَشْرَبْتَ قَلْبِي مِنْ رَجَائِكَ مَالَهُ عَنَقُ إِلَيْكَ يَخْبُ بِي وَرَسِيمٌ^(١)
وَأَمَلْتُ نَحْوَ سَمَاءِ صَوْبِكَ نَاطِرِي أَرَعَى مَخَايِلَ بَرْقِهَا وَأَشِيمٌ^(٢)
وَلَقَدْ تَسَنَّمْتُ الرِّيحَ لِحَاجَتِي وَإِذَا لَهَا مِنْ رَاحَتِكَ نَسِيمٌ
وَلَرُبَّمَا اسْتَيَأَمْتُ ثُمَّ أَقُولُ: لَا إِنَّ الَّذِي ضَمِنَ التَّجَاحَ كَرِيمٌ

فغنيته بالشعر، فقال: عَلَيَّ بِعُتْبَةَ، فَأَتَتْ؛ فقال: ما صنعت؟ قالت: ذكرت ذلك لمولاتي فَأَبَتْهُ وَكَرِهَتْهُ، فَلِفَعْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ما يريد، فقال: ما كنتُ لأفعل شيئاً تكرهه، فأعلمت أبا العتاهية بذلك، فقال:

قَطَعْتُ مِنْكَ حَبَائِلَ الْأَمَالِ وَأَرَحْتُ مِنْ حِلٍّ وَمِنْ تَرْحَالٍ
مَا كَانَ أَشْأَمَ إِذْ رَجَاؤُكَ قَادِنِي وَبَسَاتُ وَعْدِكَ يَعْتَلِجُنَ بِيَالِي^(٣)
وَلَكِنْ طَمِعْتُ لَرُبِّ بَرْقٍ خُلْبٍ مَالَتْ بِذِي طَمَعٍ وَلُئِمَّةِ آلٍ^(٤)

(١) العنق والرسيم: ضربان من السَّيْرِ.

(٢) أشيم: أنظر. وفي الأغاني: «وَرَمَيْتُ نَحْوَ سَمَاءِ جُودِكَ نَاطِرِي».

(٣) في الأغاني: «إِذْ رَجَاؤُكَ قَانِلِي». ويعتلجن ببالي: يقعن ويخطرن، على المجاز من قولهم: اعتلج الموج إذا التطم.

(٤) البرق الخُلْب: ما لا مطر فيه. والآل: السراب.

وقد نُقلت هذه الحكاية على غير هذا الوجه، والله أعلم بالحق في ذلك^(١).

المهدي يضرب أبا العتاهية مائة سوط

وضرب المهدي أبا العتاهية مائة سوط لقوله:

أَلَا إِنَّ ظَبِيًّا لِلْخَلِيفَةِ صَادَنِي وَمَالِي عَلَى ظَبِيِّ الْخَلِيفَةِ مِنْ عَدَوِي

وقال: أَبِي يَتَمَرَّسُ^(٢)، وَلِحَرَمِي يَتَعَرَّضُ، وَبِنِسَائِي يَعْثُ؟ وَنَفَاهُ إِلَى الْكَوْفَةِ.

وفي ضربه يقول أبو دُهْمَان^(٣):

لَوْلَا الَّذِي أَحَدَثَ الْخَلِيفَةُ لِلْعُدِّ شَأَقٍ مِنْ ضَرْبِهِمْ إِذَا عَشِقُوا

لَبُحْتُ بِاسْمِ الَّذِي أُحِبُّ، وَلَكَنِّي امْرُؤٌ قَدْ ثَنَانِي الْفَرْقُ^(٤)

من شعره في عتبة

وكان أبو العتاهية بالكوفة لما نُفي يَذْكُرُ عُتْبَةَ، وَيَكْنِي بِاسْمِهَا، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ:

قُلْ لِمَنْ لَسْتُ أَسْمِي بِأَبِي أَنْتِ وَأُمِّي

بِأَبِي أَنْتِ لَقَدْ أَصْدَقْتُ مَنْ أَكْبَرِ هَمِّي

وَلَقَدْ قُلْتُ لَأَهْلِي إِذَا ذَابَ الْحَبُّ لَحْمِي

وَأَرَادُوا لِي طَبِيًّا فَاكْتُمُوا مِنِّي بَعْلَمِي:

مَنْ يَكُنْ يَجْهَلُ مَا أَلَدْتُ فَإِنَّ الْحَبَّ سُقْمِي

إِنَّ رُوحِي لَبَغْدَا دَ، وَفِي الْكَوْفَةِ جِئْمِي

وقوله:

أَمْسَى بِبَعْدَادَ ظَبِيٍّ لَسْتُ أَذْكُرُهُ إِلَّا بِكَيْتٍ إِذَا ذَكَرُهُ حَطَرَا

إِنَّ الْمُحِبَّ إِذَا شَطَّتْ مَنَازِلُهُ عَنِ الْحَبِيبِ بَكَى أَوْ حَنَّ أَوْ ذَكَرَا

(١) أنظر هذه الرواية في الأغاني: ٢٤٦/٣ - ٢٥٠ (ترجمة يزيد بن حوراء).

(٢) تَمَرَّسَ بِالشَّيْءِ وَامْتَرَسَ: احْتَكَّ بِهِ، وَتَدَرَّبَ عَلَيْهِ.

(٣) هو أبو دُهْمَان الْغِلَابِي: شَاعِرٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ. أَدْرَكَ دَوْلَتِي بَنِي أُمَيَّةَ وَبَنِي الْعَبَّاسِ، وَمَدَحَ

المهدي، وكان طيباً ظريفاً مليح النادرة. (الأصفهاني، الأغاني: ٢٢/٢٦٩).

(٤) ثَنَانِي: صَرَفَنِي وَمَالَ بِي عَمَّا أُرِيدُ. وَالْفَرْقُ: الْخَوْفُ.

يَا رَبَّ لَيْلٍ طَوِيلٍ بِتُّ أَرْقُبُهُ حَتَّى أَضَاءَ عَمُودُ الصُّبْحِ فَاثْفَجَرَا
مَا كُنْتُ أَحْسِبُ إِلَّا مُدَّ عَرَفْتُكُمْ أَنَّ الْمَضَاجِعَ مِمَّا تُنْبِتُ الْإِبْرَا
وَاللَّيْلُ أَطْوَلُ مِنْ يَوْمِ الْحِسَابِ عَلَى عَيْنِ الشَّجِيِّ إِذَا مَا نَوْمُهُ نَفَرَا

بين المهدي وأبي العتاهية

ولما قدمت عتبة ببغداد قَدِمَ معها أبو العتاهية، وتلطف حتى اتَّصَلَ بالرشيد في خلافة أبيه المهدي؛ وتمكَّن منه، وبلغ المهدي خبره، فأحضره؛ فقال: يا بئس؛ أنت مستقتل، وسأله عن حاله؛ فأشده قصيدته التي يقول فيها:

أَنْتَ الْمُقَابِلُ وَالْمُودَا بِرِ فِي الْمُنَاسِبِ وَالْعَدِيدِ
بَيْنَ الْعُمُومَةِ وَالْخُصُ لَةِ وَالْأَبْصُورَةِ وَالْجُسُودِ
فَإِذَا أَنْتَمَيْتَ إِلَى أَيْدِ كَ فَأَنْتَ فِي الْمَجْدِ الْمَشِيدِ
وَإِذَا أَنْتَمَى خَالٌ فَمَا خَالٌ بِأَكْرَمَ مِنْ يَزِيدِ

يريد يزيد بن منصور؛ وكانت أم المهدي أم موسى بنت منصور الحميري. وأنشده:

عَلِمَ الْعَالَمُ أَنَّ الْمَنَايَا سَامِعَاتُ لَكَ فِيمَنْ عَصَاكَ
فَإِذَا وَجَّهَتْهَا نَحْوَ طَاغٍ رَجَعَتْ تَرْعُفُ مِنْهُ قَنَاكَ^(١)
وَلَوْ أَنَّ الرِّيحَ بَارَتْكَ يَوْمًا فِي سَمَاحٍ قَصَّرَتْ عَنْ نَدَاكَ
وَأَنْشَدَهُ^(٢):

أَتَتْهُ الْخِلَافَةُ مُنْقَادَةً إِلَيْهِ تُجَرَّرُ أَذْيَالُهَا
فَلَمْ تَكُ تَصْلُحْ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكُ يَصْلُحْ إِلَّا لَهَا
وَلَوْ رَامَهَا أَحَدٌ غَيْرُهُ لَزُلْزَلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالُهَا
وَلَوْ لَمْ تُطْعَمْ بَنَاتُ الْقُلُوبِ لَمَّا قَبِلَ اللَّهُ أَعْمَالُهَا

فقال له المهدي: إن شئت أدبناك بضربٍ وجيع؛ لإقدامك على ما نهيت عنه، وأعطيناك ثلاثين ألف درهم جائزة على مدحك لنا. وإن شئت عَفَوْنَا عَنْكَ فَقَطْ.

(١) ترعف: تسيل دماً.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ٤٤/٤.

فقال: بل يُضَيِّف أمير المؤمنين إلى كريم عفوه جميل معروفه؛ ومكرمتان أكثر من واحدة، وأمير المؤمنين أولى من شفع نعمته وأتم كرمه. فأمر له بثلاثين ألف درهم وعفا عنه.

الرشيد يحبسه على ترك الشعر

ولما قدم الرشيد الرقة أظهر أبو العتاهية الزهد والتصوف وترك الغزل، فأمره الرشيد أن يتغزل، فأبى، فحبسه، فغنى بقوله:

خَلِيلِي مَالِي لَا تَسْزَالُ مَضَرَّتِي تَكُونُ عَلَى الْأَقْدَارِ حَتْمًا مِنَ الْحَتَمِ
كَفَاكَ بِحَقِّ اللَّهِ مَا قَدْ ظَلَمْتَنِي فَهَذَا مُقَامُ الْمُسْتَجِيرِ مِنَ الظُّلَمِ
أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ جِسْمِي وَقَوْتِي أَلَا مُسْعِدٌ حَتَّى أَنْوَحَ عَلَى جِسْمِي

فأمر بإحضاره وقال: بالأمس ينهاك أمير المؤمنين المهدي عن الغزل، فتأبى إلا لجأجأً ومَحْكًا؛ واليوم أمرك بالقول فتأبى جُرْأَةً عَلِيٍّ وإقداماً، فقال: يا أمير المؤمنين؛ إن الحسنات يُذهبن السيئات، كنت أقول الغزل ولي شبابٌ وجدة، وبي حراك وقوة، وأنا اليوم شيخٌ ضعيف لا يحسن بمثلي تصاب؛ فردّه إلى حبسه؛ فكتب إليه^(١):

أَنَا الْيَوْمَ لِي، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، أَشْهُرٌ يَرْوَحُ عَلَيَّ الْغَمُّ مِنْكَ وَيَبْكُرُ
تَذَكَّرُ، أَمِينَ اللَّهِ، حَقِّي وَحُرْمَتِي وَمَا كُنْتُ تُؤَلِّينِي، لَعَلَّكَ تَذَكَّرُ
لِيَالِي تُدْنِي مِنْكَ بِالْقُرْبِ مَجْلِسِي وَوَجْهُكَ مِنْ مَاءِ الْبَشَاشَةِ يَقْطُرُ
فَمَنْ لِي بِالْعَيْنِ الَّتِي كُنْتُ مَرَّةً إِلَيَّ بِهَا مِنْ سَالِفِ الدَّهْرِ تَنْظُرُ
فبعث إليه: لا بأس عليك؛ فقال:

كَأَنَّ الْخَلْقَ رَكِبَ فِيهِ رُوحٌ لَهُ جَسَدٌ وَأَنْتَ عَلَيْهِ رَأْسُ
أَمِينَ اللَّهُ إِنَّ الْحَبْسَ بِأَسْ وَقَدْ وَقَعْتَ: لَيْسَ عَلَيْكَ بَأْسُ
فأخرجه.

أخذ البيت الأول من هذين علي بن جبلة^(٢) وزاد فيه، فقال لأبي غانم الطوسي:

(١) الأصفهاني، الأغاني: ٦٥/٤.

(٢) هو أبو الحسن، علي بن جبلة بن مسلم بن عبد الرحمن: شاعر مطبوع، مجيد، فصيح، وكان أعمى، أسود، أبرص. ولد ببغداد، واشتهر بمدح القائدين: أبي دلف العجلي وحמיד الطوسي. توفي سنة ٢١٣ هـ/ ٨٢٨ م. (ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٧٤٢/٢؛ ابن المعتز، طبقات الشعراء: ١٧١).

دَجَلَةٌ تَسْقِي وَأَبُو غَانِمٍ يُطْعِمُ مَنْ تَسْقِي مِنَ النَّاسِ
وَالْخَلْقُ جِسْمٌ، وَإِمَامُ الْهُدَى رَأْسٌ، وَأَنْتَ الْعَيْنُ فِي الرَّأْسِ

* * *

بشار يمدح عمر بن العلاء

وكان عمر بن العلاء ممدحاً، وفيه يقول بشار بن برد^(١):

إِذَا أَيْقَظَكَ حُرُوبُ الْعِدَى فَجَبَّةٌ لَهَا عُمْرًا ثُمَّ نَمٌ
دَعَانِي إِلَى عُمَرِ جُودُهُ وَقَوْلُ الْعَشِيرَةِ بَحْرٌ خَضَمٌ^(٢)
وَلَوْلَا الَّذِي ذَكَرُوا لَمْ أَكُنْ لِأَمَدَحَ رَيْحَانَةَ قَبْلَ شَمٍ^(٣)
فَتَى لَا يَبِيتُ عَلَى دِمْنَةٍ وَلَا يَثْرِبُ الْمَاءَ إِلَّا بِدَمٍ^(٤)

لأبي سعيد المخزومي

أخذ هذا البيت أبو سعيد المخزومي^(٥)، فقال:

وَمَا يُرِيدُونَ، لَوْلَا الْجُبْنُ، مِنْ رَجُلٍ بِاللَّيْلِ مُشْتَمِلٍ بِالْجَمْرِ مُكْتَحِلٍ
لَا يَضْرِبُ الْمَاءَ إِلَّا مِنْ قَلْبِ دَمٍ وَلَا يَبِيتُ لَهُ جِسَارٌ عَلَى وَجَلٍ^(٦)

لأبي الطيب المتنبي

وقال أبو الطيب^(٧):

(١) بشار بن برد، الديوان: ١٦٠/٤.

(٢) بَحْرٌ خَضَمٌ: واسع.

(٣) في الديوان: «ولولا الذي زعموا».

(٤) الدمنة هنا بمعنى الحقد الثابت، وفي الديوان: «فتى لا ينأى على ثأره».

(٥) رجح بعضهم أنه «أبو سعد»، استناداً إلى ما قيل في هجائه:

إِنْ أَبَا سَعْدٍ فَتَى مَا جَدُّ يُعْرِفُ بِالْكُتَيْبَةِ لَا الْوَالِدِ
يَنْشُدُ فِي حَيٍّ مَعْدُ أَبَا ضَلَّ عَنْ الْمَشُودِ وَالشَّاشِدِ
فَرَحِمَةَ اللَّهِ عَلَى مُنْهِمٍ بَرْدٌ مَقْقُوداً عَلَى فَاقِدِ

(٦) القلب: البئر. والوجل: الخوف.

(٧) أبو الطيب المتنبي، الديوان: ١٨٠/٢، والبيتان من قصيدة طويلة يمدح بها سيف الدولة الحمداني.

تَعَوَّدَ أَلَّا تَقْضَمَ الْحَبَّ خَيْلُهُ إِذَا الْهَامُ لَمْ تَرْفَعِ جُنُوبَ الْعَلَائِقِ^(١)
وَلَا تَرِدَ الْغُدْرَانَ إِلَّا وَمَاؤُهَا مِنْ الدَّمِ كَالرَّيْحَانِ تَحْتَ الشَّقَائِقِ^(٢)

لابن هانيء

وقال أبو القاسم بن هانيء:

مَنْ لَمْ يَرَ الْمَيِّدَانَ لَمْ يَرَ مَعْرَكَاً أَشْبَاءَ، وَيَوْمًا بِالْأَسِنَّةِ أَكْهَبَا^(٣)
وَكِتَابًا تُرِدِّي غَوَارِبُهَا الْعِدَى وَفَوَارِسًا تَعْدُو صَوَالِجَهَا الظُّبَا^(٤)
لَا يُورِدُونَ الْمَاءَ سُبُكْ سَابِحٍ أَوْ يَكْتَسِي بِدَمِ الْفَوَارِسِ طُحْلُبَا^(٥)

[رجع إلى عمر بن العلاء]

بين عمر بن العلاء وأبي العتاهية

قال: وبلغ عمر بن العلاء أن أبا العتاهية عاتب عليه في هتات نالها منه في مجلس، وكان كثير الانقطاع إليه، فتخلف عنه، فساء ذلك عمر، فكتب إليه: قد بلغني الذي كان من تجبُّبك فيما استخفك به سوء الأدب عن علم حقيقة مني، فصرت مُتَرَدِّدًا من العمى في يَلَامِيع^(٦) الشبهة؛ ولو كان معك من علمك داع إلى لقائني لكشفت لك مَوْرِدَ الأمر ومصدره، لترجع إلى الصَّلَّة، فتقال أو تأبى إلا الصَّريمة فتَضُرِم؛ وقد قال الأول:

- (١) القضم: أكل الشيء اليابس. والهام: الرؤوس. وجنوب: جمع جنب، بمعنى جانب. والعلائق: جمع علاقة، وهي ما يتعلق به الشيء، يريد المخالي. بقول: إذا أعطيت خيله عليها رفعتة على هام الرجال، وأكلته، وفي هذا إشارة إلى كثرة القتل.
- (١) ورد الماء: أناه للشرب. والغدران: جمع غدير، وهو القطعة من الماء يغادرها السيل. والريحان: كل نبت طيب الريح. والشقائق: زهر معروف. أي تعوَّد ممدوحه ألا يورد خيله الماء إلا بعد أن يكثر القتل، حتى يمتزج الماء بالدم، وتظهر خضرة الطحلب من فوقه كلون الريحان فوق الشقيق.
- (٣) أشب: مختلط. وأكهب: مظلم.
- (٤) صَوَالِجُ: جمع صَوْلَج: العود المُعَوَّج (فارسي معرب). والظُّبَا: جمع ظُباة، وهي حد السيف.
- (٥) الطحلب: خضرة تعلق الماء المزمز.
- (٦) اليلاميع: جمع يلمع، وهو البرق الخُلب والسراب، ويُشَبُّ به الكذاب.

وَمُسْتَعْتَبٍ أَبْدَى عَلَى الظَّنِّ عَتْبَهُ وَأَخْرَجَ مِنْهُ الْمُحْفَظَاتِ غَلِيلُ
كَشَفْتُ لَهُ عُذْرًا فَأَبْصَرَ وَجْهَهُ فَعَادَ إِلَى الْإِنْصَافِ وَهُوَ ذَلِيلُ

فأجابه أبو العتاهية: لم أجزُ بعثي الحقيقةَ إلى الشبهة، ولم أجد سعةً مع عظيم قدرتك إلى حمل اللائمة، فقصرَ بي الخوفُ من سُخْطِكَ، على تركِ معاتبتك؛ لأنَّ المعاتبة لا تَجتنى إلَّا من المساوي، ولو رغبت عن الصلة إلى القطيعة لتقاضيتك ذلك عن طول الصُّحبة، وسالف المدة، وأنا أقول:

رَضِيتُ بِنَعْصِ الدَّلِّ خَوْفَ جَمِيعِهِ وَلَيْسَ لِمِثْلِي بِالْمَلُوكِ بَدَانِ
وَكُنْتُ أَمْرًا أَخْشَى الْعِقَابَ وَأَتَّقِي مَغَبَّةَ مَا تَجْنِي يَدِي وَلِسَانِي
فَهَلْ مِنْ شَفِيعٍ مِنْكَ يَضْمَنُ تَوْبَتِي فَإِنِّي أَمْرٌ أَوْفِي بِكُلِّ ضَمَانِ
فتراجعا إلى أحسن ما كانا عليه.

وإنما ألم أبو العتاهية في قوله: «إِنَّ المطايا تشتكك... وما يليه» بقول أبي الحَجَّاء نُصَيْبٍ الأكبر^(١):

فَعَاجُجُوا فَائْتُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَنْتُوا أَتَيْتُ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ^(٢)
وقال أبو الطيب في أبي العنثر الحمداني^(٣):

تُنْشِدُ أَتْوَابَنَا مَدَائِحَهُ بِأَلْسُنٍ مَالَهُنَّ أَفْوَاهُ^(٤)
إِذَا مَرَرْنَا عَلَى الْأَصَمِّ بِهَا أَغْتَهُ عَنْ سَمْعَيْهِ عَيْنَاهُ^(٥)

- (١) هو أبو محجن، نصيب بن رياح، مولى عبد العزيز بن مروان: شاعر فحل مقدم في النسيب والمديح. وكان عفيفاً لم ينسب قط إلا بامرأته، وله في سواد لونه شعر كثير. توفي نحو ١٠٨ هـ/ ٧٢٦ م. (ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٣٢٢/١؛ الأصفهاني، الأغاني: ٣٠٥-٣٥٥).
- (٢) البيت مع بيتين آخرين في «العمدة»: ٧٤/١، أنشدها نصيب لسليمان بن عبد الملك، فأثابه عليها خمسمائة دينار.
- (٣) المتنبي، الديوان: ٤١٩/١.
- (٤) يقول: نلبس خلعه، فيراها الناس، فيعلمون أنها من إنعامه، فكأنها قد أبانت عن كرمه، ونطقت بالثناء عليه.
- (٥) المِصْمَعُ: الأذن. يقول: إذا مررنا بها على الأصم، علم أن الأمير قد أنعم بها علينا، فاستغنى برؤيتها عن أن نخبره بعطائه.

وهذا المعنى من النُصْبَةِ^(١) الدالة بذاتها التي ذكرتها عن الجاحظ في أقسام البيان.

* * *

وقال بعضُ الخطباء: أشهد أن في السموات والأرض آياتٍ ودلالاتٍ، وشواهدَ قائماتٍ؛ كلُّ يؤدي عنك الحجة، ويشهد لك بالربوبية.

لأبي العتاهية

ونظيرُ هذا قولُ أبي العتاهية، وروي أنه جلس في دكان ورَّاق، وأخذ كتاباً فكتب على ظهره:

فَوَاعِجِبْأَ كَيْفَ يُعْصَى الْمَلِـِ
كُ أَمْ كَيْفَ يَجْهَدُ الْجَاحِدُ
وَلِلَّهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكِـِ
وَتَسْكِينَةٍ فِي الْوَرَى شَاهِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَه آيَةٌ
تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

لأبي نواس

وانصرف، فاجتاز أبو نواس بالموضع فرأى الأبيات، فقال: لِمَنْ هذا؟ فَلَوَدْتُهَا لِي بجميعِ شعري، فقيل: لإسماعيل بن القاسم، فوقع تحتها^(٢):

سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْخَلْدَ
قَ مَنْ ضَعِيفٍ مَهِينِ^(٣)
فَصَبَّأَهُ مِنْ قَرَارٍ
إِلَى قَرَارٍ مَكِينِ
يَحُولُ شَيْئاً فَشَيْئاً
فِي الْحُجُبِ دُونَ الْعِيُونِ^(٤)
حَتَّى بَدَتْ حَرَكَاتُ
مَخْلُوقَةٍ مِنْ سُكُونِ

وقال الفضل بن عيسى الرقاشي^(٥): سَلِ الْأَرْضَ مَنْ غَرَسَ أَشْجَارَكَ، وَشَقَّ أَنْهَارَكَ، وَجَنَى ثَمَارَكَ، فَإِنْ لَمْ تُجِبْكَ حِوَاراً، أَجَابَتْكَ اعْتِبَاراً.

(١) النُصْبَةُ: ما يُنْصَبُ من العلامات لتدل على معانٍ جرى العرف بدلالاتها عليها.

(٢) أبو نواس، الديوان: ص ٦١٩.

(٣) في البيت إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ (سورة المرسلات، آية ٢٠).

(٤) يحول: يتحول من حالٍ إلى حالٍ أخرى. وفي الديوان: «يحور» أي: يتحول من شيء إلى شيء.

(٥) هو أبو عيسى، الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي: واعظ من أهل البصرة، من أخطب الناس، وكان

متكلماً، قاصاً مجيداً. وهو رئيس طائفة من المعتزلة تُنسب إليه، وكان قديراً ضعيف الحديث، سَجَّاعاً في قصصه. توفي نحو ١٤٠ هـ/ نحو ٧٥٧ م. (الزركلي، الأعلام: ١٥١/٥).

وهذا شبيهٌ بقول عدي بن زيد^(١)، وقد نزل النعمان بن المنذر تحت سَرَحَةٍ^(٢). فقال:
أتدري ما تقول هذه السَرَحَةُ أيها الملك؟ قال: وما تقول؟ قال: تقول:
رُبَّ رَكْبٍ قَدْ أَنَاخُوا حَوْلَنَا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ بِالْمَاءِ الزَّلَالِ
ثُمَّ أَضْحَوْا لِعَبِّ الدَّهْرِ بِهِمْ وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ
ويروى «عَكَفَ الدَّهْرُ بِهِمْ فَتَوَّأ^(٣)». فتكدر حال الثَّغْمَانِ وما كان فيه من لَذَّةٍ.

ألفاظ لأهل العصر في الشكر بدلالة الحال

لو سكت الشَّاكِرُ لَنَطَقَتِ المَائِرُ. لو صَسَّتِ الْمُخَاطِبُ لَأَكْنُتِ الحَقَائِبُ، وَلَشَهِدَتْ شَوَاهِدُ حاله على صِدْقِ مَقَالِهِ. إِنْ جَحَدْتُ مَا أَوْلَانِيهِ، وَكَفَرْتُ مَا أَعْطَانِيهِ، نَطَقَتْ أَثَارُ أَيَادِيهِ عَلَيَّ، وَلَمَعَتْ أَعْلَامُ عَوَارِفِهِ^(٤) لَدَيَّ.

لأبي الفضل الميكالي

ولأبي الفضل الميكالي من رسالة: وَرَدَ فَلَانٌ فَتَعَاطَى مِنْ شُكْرِهِ عَلَى نِعْمَةِ الَّتِي أَلْبَسَهُ جَمَالَهَا، وَأَسَجَّهَ أَذْيَالَهَا، مَا لَوْ لَمْ يَتَحَدَّثْ بِهِ نَاشِرًا وَمُثْنِيًا، وَمُعِيدًا وَمُبْدِيًا، لَأَكْنُتَ بِهِ حَالَهُ، وَشَهِدَتْ بِهِ رَحَالَهُ، حَتَّى لَقَدْ امْتَلَأَتْ بِذِكْرِهِ الْمُحَافِلُ، وَسَارَتْ بِخَبْرِهِ الرُّكْبَانُ وَالْقَوَافِلُ، وَصَارَتْ الْأَلْسِنَةُ عَلَى الشُّكْرِ وَالثَّنَاءِ لِسَانًا، وَالْجَمَاعَةُ عَلَى التَّشْرِيرِ وَالدَّعَاءِ أَنْصَارًا وَأَعْوَانًا، عَلَى أَنَّهُ وَإِنْ بَالِغٌ فِي هَذَا الْبَابِ، وَجَاوَزَ حَدَّ الْإِكْثَارِ وَالْإِسْهَابِ، نَهَائِيهِ الْقُصُورُ دُونَ وَاجِبِهِ، وَالسَّقُوطُ عَنْ أَدْنَى دَرَجَاتِهِ وَمَرَاتِبِهِ.

لأبي الفتح البستي

ومما يقترون لهم بهذا المعنى من ذِكْرِ الشُّكْرِ: قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبَسْتِي: الْحَرُّ نَحْلُ الشُّكْرِ، إِنْ أَجْنَاهُ الْمَرْءُ مِنْ خَيْرِهِ شُكْرًا أَجْنَاهُ مِنْ بَرِّهِ شَهْدًا.

(١) هو عدي بن زيد بن حماد بن زيد العبادي التميمي: شاعر جاهلي فصيح، وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، ولو شاء لملكه الناس، ولكنه كان يؤثر اللهو والصيد على الملك. تزوج من هند بنت النعمان، ثم غضب النعمان عليه وحبسه وقتله نحو ٥٩٠ م. (الأصفهاني، الأغاني: ٨٠/٢؛ شيخو، شعراء النصرانية: ج١/٤٣٩).

(٢) السرحة: الشجرة العظيمة، أو هي كل شجرة لا شوك لها، وقد تُطلق مجازاً على المرأة.

(٣) كذا، ولا يستقيم وزنه، ولو قال: «عكف الدهر بهم ثم ثووا» لثم.

(٤) العوارف: جمع عارفة، وهي النعمة.

غيره: الشكر ترجمانُ النِّيةِ، ولسانُ الطَّوْبَةِ، وشاهدُ الإخلاصِ، وعنوانُ الاختصاصِ. الشُّكْرُ نَسِيمُ النَّعْمِ، وهو السَّبَبُ إلى الزيادة، والطريقُ إلى السعادة. الشُّكْرُ قَيْدُ النَّعْمَةِ، ومفتاحُ المزيد، وَثَمَنُ الْجَنَّةِ. مَنْ شَكَرَ قَلِيلاً، اسْتَحَقَّ جَزِيلاً. شُكْرُ الْمَوْلَى، هو الْأَوَّلَى. الشُّكْرُ قَيْدُ النَّعْمِ وَشِكَاكُهَا وَعِقَالُهَا، وهو شبيه بالوَحْشِ التي لا تقيم مع الإيحاش، ولا تَرِيمُ^(١) مع الإيناس. مَوْقِعُ الشُّكْرِ من النعمة مَوْقِعُ الْقِرَى من الضيف، إن وجده لم يَرِم، وإن فَقَدَهُ لم يَقِم. الشُّكْرُ غَرَسٌ إِذَا أُودِعَ سَمْعَ الْكَرِيمِ أَثْمَرَ الزيادة، وحفظُ العادة. الشُّكْرُ تَعَرُّضٌ للمزيد السائغ، والنَّعْمُ السَّوَابِغ. شُكْرُهُ شُكْرُ الْأَسِيرِ لِمَنْ أَطْلَقَهُ، والمملوكُ لِمَنْ أَعْتَقَهُ. أَثْنَى عَلَيْهِ ثناء الرَّؤُوسِ الْمُمَجَّلِ، على الْعَيْثِ الْمُسْبِلِ. أَثْنَى عَلَيْهِ ثناء لسان الزَّهَرِ، على راحة المطر. أَثْنَى عَلَيْهِ ثناء العطشانِ الوارد، على الرُّلَالِ البارد. شُكْرُهُ شُكْرُ الْأَرْضِ لِلدَّيْمِ^(٢)، وَزُهَيْرِ لَهْرِم. بَسَطَ لِسَانَ الثَّنَاءِ والدعاء، وبلغ عِنانَ الشُّكْرِ عَنَانَ السَّمَاءِ. شَكَرَهُ شُكْرًا تَرْتَاخُ لَهُ الْمَكَارِمُ، وتهتزُّ له المَوَاسِمُ. لِأَشْكُرْتَهُ شُكْرًا تَشِيْعُ أَنْوَاعُهُ، وَتَبْسِطُ أَبْوَاعَهُ^(٣)، ويلد ذكره وسماعه. شُكْرٌ مَلَأَ الْقَلْبَ واللسانَ، كشكر حَمَّانَ لآلِ عَمَّانِ^(٤). أَطَالَ عِنانَ الشُّكْرِ، وفسح مجاله، ورفع أَعْمِدَتَهُ، ومدَّ أَرْوَاقَتَهُ. شُكْرٌ كَأَنْفَاسِ الْأَحْبَابِ، أو أَنْفَاسِ الْأَسْحَارِ، أو أَنْفَاسِ الرِّيَاضِ غِبِّ الْقَطَارِ^(٥).

[من أخبار نصيب وشعره]

بين نصيب والفرزدق

رجع ما انقطع:

كان سببُ قولِ نصيب:

فَعَا جُؤَا فَأَثْنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ

أنه كان مع الفرزدق عند سليمان بن عبد الملك، فقال سليمان بن عبد الملك: يا فرزدق؛ مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ؟ قال: أنا يا أمير المؤمنين، قال: لماذا؟ قال بقولي:

(١) لا تريم: لا تنطلق ولا تذهب ولا تفارق.

(٢) الدَّيْمُ: جمع ديمة، وهي السحابة التي يدوم مطرها.

(٣) الْأَبْوَاعُ: جمع باع، وهو مسافة ما بين أطراف أصابع يديك حين تبسطهما موازين لصدرك.

(٤) حَمَّانُ: هو حسان بن ثابت الأنصاري، وكان في الجاهلية يمدح الغساسنة، ويتقرب إليهم بشعره.

(٥) الْقَطَارُ: جمع قَطْرٍ، وهو المطر.

وَرَكِبَ كَأَنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عِنْدَهُمْ لَهَا تِرَةً مِنْ جَذْبِهَا بِالْمَصَائِبِ ^(١)
 سَرَوْا وَسَرَتْ نَكْبَاءٌ وَهِيَ تَلْفَهُمْ إِلَى شَعَبِ الْأَكْوَارِ ذَاتِ الْحَقَائِبِ ^(٢)
 إِذَا أَسْكَوْا نَارًا يَقُولُونَ: لَيْتَهَا، وَقَدْ خَصِرَتْ أَيْدِيهِمْ نَارٌ غَالِبِ ^(٣)

يريد أباه - وهو غالب بن صَعُصَعَةَ بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع -
 فأعرض عنه سليمان كالمُغْضَبِ؛ لأنه إنما أراد أن يُشَدَّ مدحاً فيه؛ ففهم نُصِيب مرآده،
 فقال: يا أُمير المؤمنين؛ قد قلتُ أبياتاً على هذا الروي لبست بدونها، فقال: هَاتِهَا؛ فَأَنْشَأُ
 نُصِيبُ بقول:

أَقُولُ لِرَكِبٍ فَافْلِينَ لَفَيْتُهُمْ قَفَا ذَاتِ أَوْشَالٍ وَمَوْلَاكَ قَارِبِ ^(٤)
 فَقَدْ أَخْبَرُونِي عَنْ سُلَيْمَانَ أَنِّي لِمَعْرُوفِهِ مِنْ آلِ وَدَّانَ طَالِسِبِ
 فَعَاجُوا فَأَتَتْهُمُ بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَنُوا أَتَيْتُ عَلَيْكَ الْحَقَائِبِ ^(٥)
 فَقَالُوا: تَرَكْنَاهُ وَفِي كُلِّ لَبْلَةٍ يُطِيفُ بِهِ مِنْ طَالِبِي الْعُرْفِ رَاكِبِ ^(٦)
 وَلَوْ كَانَ فَوْقَ النَّاسِ حَيٌّ فَعَالُهُ كَفَعْلِكَ أَوْ لِلْفَعْلِ مِنْكَ يُقَارِبِ
 لَقُلْنَا: لَهُ شِبْهٌ، وَلَكِنْ تَعَذَّرْتُ سِوَاكَ عَنِ الْمُسْتَشْفِعِينَ الْمَطَالِبِ
 هُوَ الْبَدْرُ وَالنَّاسُ الْكَوَاكِبُ حَوْلُهُ وَهَلْ نُشِبَ الْبَدْرُ الْمَنِيرَ الْكَوَاكِبِ

فقال سليمان: أحسنت، والنفت إلى الفرزدق، فقال: كيف نسمعُ يا أبا فِرَاس؛ قال:
 هو أشعرُ أهلِ جِلْدَتِهِ، قال: وأهلِ جِلْدَتِكَ؛ فخرج الفرزدق وهو يقول:

وَخَيْرُ الشُّعْرِ أَكْرَمُهُ رَجَالًا وَشَرُّ الشُّعْرِ مَا قَالَ الْعَبِيدُ

- (١) التَّرَّةُ وَالْوَرِيَّةُ وَالْوَرُّ وَالْوَرُّ: الظلم في الذحل (الثأر)، وقيل: هو الذحل عامة.
- (٢) النكباء: الريح التي تميل عن مهاب الرياح. والأكوار: جمع كُور، وهو الرجل. والحقائب: جمع حقيبة، وهي الرفادة في مؤخر القتب، وكل ما شُدَّ في مؤخر رحل أو قتب. وفي الديوان: «سروا يخطون الليل وهي تلفهم».
- (٣) خصرت: بردت. نار غالب: نار أبيه غالب. وفي الديوان: «إذا ما رأوا ناراً».
- (٤) ذات أوشال: موضع، والأوشال: جمع وشل، وهو الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة.
- (٥) عاجوا: مالوا، عرجوا.
- (٦) العُرف: المعروف.

[من المديح]

قال أبو العباس محمد بن يزيد: وهذا باب في المدح حسن متجاوز مُتَدَع لم يُسَبِّح إليه .

قول نصيب: «من أهل ودان». قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي: ذكر محمد بن كناسة والزيدي أن نُصَيِّبا من أهل ودان، وكان عبداً لرجل من بني كنانة هو وأهل بيته، وزعم أبو هفان أنه عبدٌ لعبد العزيز بن مروان، وكان نصيبٌ شديد السواد، وهو القائل:

كُتِبَتْ - وَلَمْ أَمْلِكْ - سَوَاداً، وَتَحْتَهُ قَمِيصٌ مِنَ الْقَوْهِىِّ بِيضٌ بَنَائِقُهُ^(١)
فَمَا ضَرَّ أَثْوَابِي سَوَادِي، وَإِنِّي لَكَالْمِسْكِ لَا يَسْلُو عَنِ الْمِسْكِ ذَائِقُهُ

لسحيم

وقال سُحَيْمُ عبد بني الحسحاس^(٢):

أَشْعَارُ عَبْدِ بَنِي الْحَسْحَاسِ قُتِنَ لَهُ عِنْدَ الْفَخَّارِ مَقَامَ الْأَصْلِ وَالْوَرَقِ
إِنْ كُنْتُ عَبْدًا فَنَفْسِي حُرَّةٌ كَرَمًا أَوْ أَسْوَدَ اللَّوْنِ إِنِّي أَبْيَضُ الْخُلُقِ

للمتنبى

وقال أبو الطيب المتنبى لكافور الإخشيدي^(٣):

إِنَّمَا الْجِلْدُ مَلْبَسٌ وَابْيَاضُ الْخَلْقِ خَيْرٌ مِنْ أَيْبَاضِ الْقَبَاءِ^(٤)

وقال نصيب لبعض ملوك بني أمية: إن لي بنات نَفَضْتُ عليهن من سوادى، فقال: ما أحسن ما تَلَطَّفْتَ لهن! وأمر له بصلصة.

(١) القوهي: ثياب بيض تنسب إلى قوهستان. والبنائق: الجيوب، ومفردها: بنيقة.

(٢) هو أبو عبد الله، سُحَيْمُ عبد بني الحسحاس: شاعر مخضرم، أدرك الإسلام وأسلم. وهو عبد حبشي، اشتراه بنو الحسحاس، وهم بطن من أسد. وعرف سحيم بغزله الصريح، وتشبيهه بنات أسياده، ويقال: إنه قُتِلَ بسبب ذلك في خلافة عمر بن الخطاب (ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ١/٣٢٠).

(٣) المتنبى، الديوان: ٢/٢٤٩. وفيه «وابيضاض النفس».

(٤) يقول: الجلد للإنسان بمنزلة اللباس، فلا عبرة ببياضه، وإنما العبرة ببياض النفس ونقاها من العيوب.

بين أبي تمام وابن الزيات

وكان أبو تمام حبيب بن أوس لما مدح أبا جعفر محمد بن عبد الملك الزيات بقصيدته التي أولها^(١):

لَهَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَقُولَ وَتَقْعَلَا وَنَذْكُرَ بَعْضَ الْفَضْلِ مِنْكَ وَتُقْضِلَا^(٢)
وهي من أحسن شعره، وقّع له على ظهرها:

رَأَيْتُكَ سَمَحَ الْيَعِ سَهْلًا، وَإِنَّمَا يُعَالَى إِذَا مَا ضَنَّ بِالشَّيْءِ بَائِعُهُ
فَأَمَّا إِذَا هَانَتْ بَضَائِعُ يَبْعِهِ فَيُوشِكُ أَنْ تَبْقَى عَلَيْهِ بَضَائِعُهُ
هُوَ الْمَاءُ إِنْ أَجْمَمْتَهُ طَابَ وَرَدُّهُ وَيَقْسِدُ مِنْهُ أَنْ تُبَاحَ مَشَارِعُهُ^(٣)

فأجابه بقصيدة طويلة، واحتج عليه واعتذر إليه في مدحه لغيره؛ فقال في بعض ذلك^(٤):

أَمَّا الْقَوَافِي فَقَدْ حَصَّنْتَ غِرَّتَهَا فَمَا يُصَابُ دَمٌ مِنْهَا وَلَا سَلْبُ^(٥)
مَنْعَتَ إِلَّا مِنَ الْكَفَاءِ أَيْمَهَا وَكَانَ مِنْكَ عَلَيْهَا الْعُطْفُ وَالْحَدَبُ^(٦)
وَلَوْ عَضَلْتَ عَنِ الْكَفَاءِ أَيْمَهَا وَلَمْ يَكُنْ لَكَ فِي إِظْهَارِهَا أَرْبُ^(٧)
كَانَتْ بَنَاتٍ نُصِيبُ حِينَ ضَنَّ بِهَا عَلَى الْمَوَالِي وَلَمْ تَحْفَلْ بِهَا الْعَرَبُ
وقد قيل إن أبا تمام أجابه بقوله^(٨):

(١) أبو تمام، الديوان: ٤٧/٢.

(٢) يقول: يهون علينا أن نُسأل بالقول، فتُعْطِي أنت بالفعل، ثم نمدحك ببعض فضائلك، فتَنْهَالُ علينا أَفْضَالَكَ.

(٣) أَجَمَّ الْمَاءَ وَجَمَّهُ: تركه يجتمع. والمشاريع: جمع مشرعة، وهي مورد الشارية التي يشرعها الناس، فيشربون منها ويستقون.

(٤) أبو تمام، الديوان: ١٦٤/١.

(٥) حَصَّنَ الشَّيْءَ: منعه وحماه. والغرة من كل شيء: أوله ومعظمه وطلعته.

(٦) الأيم: من لا زوج لها، بكرة أو ثيباً، ومن لا امرأة له، وتأييم فلان: مكث زماناً لم يتزوج. والحدب: العطف والحنان والإشفاق. وفي الديوان: «ناكحها».

(٧) عَضَلَ الْمَرْأَةُ: منعها من الزواج ظلماً. والأرب: الحاجة. وفي الديوان: «في أطهارها» والأطهار: جمع طهر. جعل القوافي كالنساء، فإذا طهرت المرأة احتج إليها، وتعتزل في الحيض.

(٨) لم نجد هذه الأبيات في ديوانه، مما يرجح أن تكون منحولة له.

أَبَا جَعْفَرٍ إِنْ كُنْتُ أَصْبَحْتُ شَاعِرًا أَسَامُحُ فِي بَيْعِي لَهُ مَنْ أَبَايَعُهُ
فَقَدْ كُنْتُ قَبْلِي شَاعِرًا تَاجِرًا بِهِ نَاسِهُلُ مَنْ عَادَتْ عَلَيْكَ مَنَافِعُهُ
فَصَبْرَتْ وَزِيرًا وَالْوَزَارَةُ مَكْرَعٌ يَعْصُ بِهِ بَعْدَ اللَّذَاذَةِ كَارِعُهُ^(١)
وَكَمْ مِنْ وَزِيرٍ قَدْ رَأَيْنَا مُسَلِّطًا فَعَادَ وَقَدْ سُدَّتْ عَلَيْهِ مَطَالِعُهُ
وَلِلَّهِ قَوْسٌ لَا تَطِيَّشُ سِهَامُهَا وَلِلَّهِ سَيْفٌ لَا تَقْلُ مَقَاطِعُهُ

قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولي: ويقال إن هذه الأبيات منحولة لحبيب، وليس مثل أبي جعفر في جلالة قدره واصطناعه لحبيب يُعامل بمثل هذا الجواب، ولا ينتهي جهل حبيب أن يقابل مأموله ومن يرتجي جليل الفائدة منه بهذه الأبيات.

وقد قيل: بل قالها، ولم ينشدها أحداً؛ وإنما ظهرت بعد موته

لابن الزيات يمدح الحسن بن سهل

وكان ابن الزيات كما قال شاعراً، ومدح الحسن بن سهل في وزارته للمأمون؛ وأعطاه عشرة آلاف درهم، فقال:

لَمْ أَمْتَدِّحْكَ رَجَاءَ الْمَالِ أَطْلُبُهُ لَكِنْ لِنُلْبِسِنِي التَّحْجِيلَ وَالْغَرَا
مَا كَانَ ذَلِكَ إِلَّا أَتْنِي رَجُلٌ لَا أَقْرَبُ الْوَرْدَ حَتَّى أَعْرِفَ الصَّدْرَا

لأبي تمام يمدح ابن أبي دؤاد

قال الصولي: وكان السبب الذي أوجد^(٢) أبا جعفر على أبي تمام حتى قال: «لقد رأيتك سهلاً البيع - الأبيات» قول أبي تمام قصيدته المشهورة في ابن أبي دؤاد التي أولها^(٣):

سَقَى عَهْدَ الْحِمَى سَبَلُ الْعِهَادِ وَرُؤْيَى حَاضِرٍ مِنْهُ وَيَادِ^(٤)

(١) المكروع: المكان الذي تشرب منه الدواب، سمي بذلك لأن الحيوان لا يشرب منه إلا بإدخال أكارعه فيه. والكراع: ما دون الكعب في الدابة، وما دون الركبة من الإنسان. وكرع في الماء: أدخل فيه أكارعه ليشرب.

(٢) أوجده: أثار موجدته (غضبه).

(٣) أبو تمام، الديوان: ١/ ٢١٣. وفيه: «وَرُؤْيَى حَاضِرٍ»، و «فَرَحْتُ بِهِ رَكِيَّ الْعَيْنِ».

(٤) السبل: المطر، وقيل: هو المطر بين السحاب والأرض، حين يخرج من السحاب ولم يصل إلى الأرض. والعهاد: أمطار الربيع، والواحدة عهدة.

نَزَحْتُ بِهِ رَكِيَّ الدَّمَعَ لَمَّا رَأَيْتُ الدَّمَعَ مِنْ خَيْرِ الْعَتَادِ^(١)
يقول فيها في مدحه:

هُمْ عَظُمُ الْأَثَافِي مِنْ نِزَارٍ وَأَهْلُ الْهَضَبِ مِنْهَا وَالنَّجَادِ^(٢)
مُعَرَّسُ كُلِّ مُعْضِلَةٍ وَخَطْبِ وَمَنْبِتُ كُلِّ مَكْسَرُومَةٍ وَادِ^(٣)
إِذَا حُدَّتِ الْقَبَائِلُ سَاجِلُوهُمْ فَإِنَّهُمْ بَنُو الْمَجْدِ الثَّلَاثِ^(٤)
تَفَرَّجَ عَنْهُمْ الْعِمْرَاتِ بِيضُ جِلَادٍ تَحْتَ قَسْطَلَةِ الْجِلَادِ^(٥)
وَحَشَوُ حَوَادِثِ الْأَيْسَامِ مِنْهُمْ مَعَايِلُ مِطْرَدٍ وَبَنُو طَرَادِ^(٦)
لَهُمْ جَهْلُ السَّبَاعِ إِذَا الْمَنَابِا تَمَشَّتْ فِي الْوَعَى وَحُلُومُ عَادِ^(٧)
لَقَدْ أَنْسَتْ سُلُويَ كُلِّ دَهْرٍ مَحَاسِنُ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي دُوَادِ
مَنَى تَحُلُّلُ بِهِ تَحُلُّلُ جَنَابَا رَضِيعَا لِلْسَوَارِي وَالْعَسَوَادِي^(٨)

- (١) نَزَحَ البئر وأنزحها: استقى ما فيها حتى تنفذ، والنَّزَحُ: البئر التي اسْتَقْبَى ماؤها، وبئر نزوح، وركايا نُزَحَ: قليلة الماء. والركي والركايا: الآبار، والمفرد: ركية. والعناد: العُدَّة.
- (٢) الْأَثَافِي: الحجارة التي تُجْعَلُ عليها القدر، الواحدة أَثْفِيَّة (مشددة)، ويقال: إذا كانت الواحدة مشددة ففي الجمع الثقيل والتخفيف، كقولك: أُمْنِيَّةٌ وَأَمَانِيٌّ وَأَمَانٍ. وقيل: الأثفية: الجبل. وفي الديوان: «هم عَظُمَى الْأَثَافِي». والنجاد: المرتفعات.
- (٣) الْمُعَرَّسُ: موضع التعريس، وهو النزول ليلاً. والآد والأيد: القوة، وآد فلان يثيد أيداً: اشتد وفوي. أراد أنه يفزع إليهم في المعضلات والخطوب.
- (٤) الْمُسَاجِلَةُ: المباراة والمفاخرة، قال الفضل بن عباس اللهي: مَنْ يُسَاجِلُنِي يُسَاجِلُ مَا جَدَا يَمْلَأُ الدَّلَوُ إِلَى غَفْدِ الْكَرْبِ (ابن منظور، اللسان: سجل). وَحُدَّتِ الْقَبَائِلُ: القبائل الحديثة. والثلاث والتالذ والتلبذ: كل قديم موروث من مالٍ أو مجد أو سُودد. وفي الديوان: «بَنُو الذَّهْرِ الثَّلَاثِ».
- (٥) الغمرات: جمع غمرة، وهي الشدة. والبيض الجلاذ: السيوف القوية. وقسطة الجلاذ: شدة الحرب. والمعنى: أنهم يتكشفون عند الشدائد رجالاً كراماً ذوي قوة وصبر.
- (٦) الطراد: القتال. وقد طارد قرنه، وطارداً، وبينهما طراد ومطاردة، وهي حَمْلُ أَحَدِهِمَا عَلَى صَاحِبِهِ ومقاتلته، وإن لم يكن ثَمَّ طرد.
- (٧) الأحلام والحلوم: جمع حِلْمٍ: الأنأة والعقل، والحِلْمُ: نقيض السفه.
- (٨) السواري: جمع سارية، وهي السحابة تمطر ليلاً. والغوادي: جمع غادية، وهي السحابة تمطر صباحاً أو غدوة. والجَنَابِ: الناحية.

وَمَا اشْتَبَهْتُ سَبِيلَ الْمَجْدِ إِلَّا هَذَاكَ لِقِبْلَةِ الْمَعْرُوفِ هَادٍ
وَمَا سَافَرْتُ فِي الْآفَاقِ إِلَّا وَمِنْ جَدِّكَ رَاحِلَتِي وَزَادِي
مُقِيمُ الظَّنِّ عِنْدَكَ وَالْأَمَانِي وَإِنْ قَلَقْتُ رِكَابِي فِي الْبِلَادِ

وهذه النكت^(١) التي أَحَقَّدْتُ أبا جعفر، وأعتبته على أبي تمام، وفي هذه القصيدة يقول معتدراً إليه في الذي قُرِفَ^(٢) به عنده من هجاء مضر:

أَتَانِي عَائِرُ الْأَنْبَاءِ تَسْرِي عَقَارُبُهُ بِدَاهِيَةٍ نَادٍ^(٣)
تَشَاخَبَ كَأَنَّ الْقَلِيبَ مِنْهُ يُجَرُّ بِهِ عَلَى شَوْكِ الْقَتَادِ^(٤)
بَأَنِّي نِلْتُ مِنْ مُضَرٍّ وَخَبْتُ إِلَيْكَ شَكَيْتِي حَبَبِ الْجَوَادِ^(٥)
وَمَا رَبُّعُ الْقَطْبَعَةِ لِي بِرُبْعٍ وَلَا نَادِي الْأَذَى مَتِّي بِنَادٍ
وَأَيْسَرَ يَجُورُ عَنْ قَصْدٍ لِسَانِي وَقَلْبِي رَائِحٌ بِرِضَاكَ غَادٍ
وَمِمَّا كَانَتْ الْحُكْمَاءُ قَالَتْ: لِسَانُ الْمَرْءِ مِنْ خَدَمِ الْفُؤَادِ
وَقَدِّمًا كُنْتُ مَعْسُولَ الْفَوَافِي وَمَادُومَ الْمَعَانِي بِالسَّدَادِ^(٦)

[من أخبار ابن أبي دؤاد]

غلوه في التعصب لإياد

وكان ابن أبي دؤاد غالباً في التعصب لإياد وإلحاقها بنزار، على مذهب نُسَابِ الْعَدْنَانَيْنِ. قال: وكلُّ من بالعراق من إياد دخلوا في النَّخَع، وإليهم يُسَبُّون؛ وَمَنْ كَانَ

(١) النكت: أراد الإشارات.

(٢) قُرِفَ الذنب وغيره، يقرفه قَرْفًا، واقرفه: اكتسبه، أي أتاه وفعله، وفارف الذنب: داناه ولاصفه، وقَرْفَهُ بكذا: أضافه إليه واثمه به.

(٣) عائر الأنباء: أي الأنباء التي لا يُعرف قائلها. نَادٍ: شديدة.

(٤) في الديوان: «تَشَاخَبَ»، أي انتشار خبر. والقِتَاد: شجر له شوك أمثال الإبر، وله وَرِيْقَةٌ غبراء، وثمره تنبت معها غبراء كأنها عَجْمَةُ النَّوَى.

(٥) نِلْتُ مِنْ مُضَرٍّ: طَعَنْتُ فِيهَا. والخَبْط: ضرب من السير. والشكِيَّة: ما يُشْكِي منه.

(٦) في الديوان: «قَدِّمًا كُنْتُ مَعْسُولَ الْأَمَانِي». مَادُوم: من قولهم: أدمت الطعام إذا خلطته بالإدام. السَّدَادُ: الصواب. يريد: أنه لم يخلط أشعاره قديماً بما يُؤذي، ولم يجعل إدامها إلا السداد، أي إنه لم يقل سوءاً بمضر، وهو قد ربي في نعمهم، ويقول: إن الذي ذكر عته إنما هو زور.

بالشام فملّم^(١) على نسبهم في نزار، وابن أبي دُوَاد يُرْمَى بالدعوة؛ والتكثيرُ من أخباره يُخْرِجُ إلى ما أَخَافَهُ من تَطْوِيلِ التصرُّف، في مملول التكلف.

علمه وعداوته لابن الزيات

وكان ابن أبي دُوَاد عالماً بضروب العلم والآداب، متصرفاً في صناعة الجِدال، على مذهب أهل الاعتزال، وكانت العداوةُ بينه وبين ابن الزيات بينة، والنفاسة في الرياسة بينهما متمكّنة، وقال له بعض الشعراء:

أَكُلْ أَبِي دُوَادٍ مِنْ إِسَادٍ فَكُلْ أَبِي ذُوَيْبٍ مِنْ هُذَيْلٍ
قال مسلم: ماتاه إلا وضع، ولا فاخر إلا سقيط، ولا تعصب إلا دَخِيل.

أصله

وقال مدني لرجل: ممن أنت؟ فقال: من قريش، والحمد لله، قال: بأبي أنت! التحميد هاهنا ريبة! واسم أبي دُوَاد دُعَمِي، قال أبو اليقظان: وهم من قبيلة يقال لها بنو زهرة إخوة بني جذان، وقد ذكره الطائي في قوله^(٢):

وَالْغَيْثُ مِنْ زُهَيْرٍ سَحَابَةٌ رَافَةٌ وَالرَّكْنُ مِنْ شَيْيَانٍ طَوْدٌ حَدِيدٌ^(٣)
ذكر شيان، لأن خالد بن يزيد الشيباني شَفَعَ له عند ابن أبي دُوَاد فيما ينساق الحديث إليه من مؤجّده عليه.

غضبه على أبي تمام ثم رضاه عنه

قال محمود الوراق: كنتُ جالساً بِطَرْفِ الجِسرِ مع أصحاب لي، فمرّ بنا أبو تمام، فجلس إلينا، فقال له رجل منا: يا أبا تمام، أيُّ رجل أنتَ لو لم تكن من اليمَن! قال: ما أُحِبُّ أَيَّ بغير الموضع الذي اختاره الله لي، فَمِمَّنْ^(٤) تحبُّ أن أكون؟ قال: من مُضَر،

(١) كذا، ونحسبها: «فَهَمَّ على نسبهم».

(٢) أبو تمام، الديوان: ٢٢٢/١. واليت من قصيدة طويلة يمدح بها أحمد بن أبي دواد، ويعتذر إليه، ويستشفع بخالد بن يزيد.

(٣) أراد أن الممدوح سحابة رحمة له. والركن من شيان: أي خالد بن يزيد. وطود حديد: أي جبل حديد.

(٤) وفي نسخة: «فمن تحب أن أكون».

قال: إنما شَرُفْتُ مُضَرَ بالنبي ﷺ، ولولا ذلك ما قيسوا بملوكنا وأدواتنا، وفينا كذا، ومِنَّا كذا - يَفْخَرُ؛ وذكر أشياء عاب بها مُضَرَ، ونُصِي الخبرُ إلى ابن أبي دؤاد وزيدَ فيه، فقال: ما أُحِبُّ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيَّ، فقال يعتذر إليه بقصيدة أولها^(١):

سَعِدَتْ غُرْبَةُ النَّوَى بِسَعَادِ فِي طُلُوعِ الْإِنْهَامِ وَالْإِنْجَادِ^(٢)
يقول فيها:

بَعْدَ أَنْ أَصْلَتِ الْوُشَاةُ سُيُوفًا فَفَقَى عَنْكَ زُخْرُفَ الْقَوْلِ سَمْعُ
قَطَعَتْ فِي وَهْيٍ غَيْرِ حِدَادِ^(٣) لَمْ يَكُنْ فَرُضَةً لِغَيْرِ السَّدَادِ^(٤)
دُونَ غُورِ الْكَلَامِ بِالْأَسْدَادِ^(٥) وَحَيَا أَرْزَمَةَ وَحَيَّةٍ وَادِ^(٦)
عَاتِقُ مُعْتَقٍ مِنَ الرِّقِّ إِلَّا مِنْ مَقَاسَاةٍ مَغْرَمٍ أَوْ نِجَادِ^(٧)
لِلْحِمَالَاتِ وَالْحَمَائِلِ فِيهِ كَلْحُوبِ الْمَوَارِدِ الْأَعْدَادِ^(٨)

فما رَضِيَ عنه حتى تشفع إليه بخالد بن يزيد بن مَزِيدِ الشَّيْبَانِي، فقال في قصيدة^(٩):

- (١) أبو تمام، الديوان: ٢٠٨/١.
- (٢) الْإِنْهَامُ: من أَتَهَمَ: أَتَى تَهَامَةً. وَالْإِنْجَادُ: من أَنْجَدَ: أَتَى نَجْدًا. غربة النوى: بعد النية، وهي الوجه الذي ينويه المسافر. يعني أن سعاداً تتهم مرةً وتتجد أخرى.
- (٣) في الديوان: «بعدما أصلت»، وأصلت السيف: جرَّده من غمده. والسبب في قوله: الوشاة: أن جماعة وشوا به إلى أحمد بن أبي دؤاد، بأنه فخر باليمنيين وملوكهم على مضر، ولم يستثن إلا النبي ﷺ، فغضب ابن أبي دؤاد، وحجبه عنه، فقال هذه القصيدة يعتذر إليه ويمدحه.
- (٤) الفرضة: المعبر. السداد: أي سديد القول، ومُصْبِيه.
- (٥) غور الكلام: الكلام القبيح. والأسداد: مفردها السدّ: الحاجز بين الشيئين.
- (٦) في الديوان: «مُلَّتْكَ الْأَحْسَابُ أَيَّ حَيَاءٍ»، ونحبه الأصوب. وقوله: مُلَّتْكَ: أي مُلِّتَ منها، وُمُتَّتْ بها، على الدعاء. وقوله: أي حياءٍ: يريد أي حياءٍ فيك. والحيا: المطر العام. والأزمة: السنة الشديدة. وحية الوادي: كناية عن الشجاعة.
- (٧) العاتق: بين المنكب والعنق. الرق: العبودية، وفي الديوان: «من الهون»، أي: الذل والهوان. المغرم: ما يدفع عن المديون. والنجاد: حمائل السيف.
- (٨) الحمالات: جمع حمالة: ما لزم من غرم دية، أو نحو ذلك. اللحوب: جمع لحب: طريق واضح. الموارد: جمع مورد: مشرب الماء. الأعداد: جمع عدّ: النبع القديم الدائم. يمتدحه بدفع الغرامات، وحمل ديّات القتلى والمظلومين، وبأنه للمقاصدين مثل نبع غزير متدفق.
- (٩) أبو تمام، الديوان: ٢٢٢/١ - ٢٢٣.

أَسْرَى طَرِيداً لِلْحَيَاءِ مِنَ الَّتِي زَعَمُوا، وَلَيْسَ لِقَوْلِهِ بِطَرِيدٍ^(١)
 كُنْتُ الرِّيْعَ، أَمَامَهُ وَوَرَاءَهُ قَمَرُ الْقَبَائِلِ خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ
 وَغَدَاً تَبَيَّنَ مَا بَرَاءَةٌ سَاحَتِي لَوْ قَدْ نَفَضْتَ تَهَائِمِي وَنُجُودِي^(٢)
 اللَّهُ ذَرُّكَ أَيُّ بَابٍ مُلَمَّمَةٍ لَمْ يُرَمَ فِيهِ إِلَيْكَ بِالْإِقْلِيدِ^(٣)
 لَمَا أَظْلَمْتَنِي غَمَامُكَ أَصْبَحَتْ تِلْكَ الشُّهُودُ عَلَيَّ وَهِيَ شُهُودِي^(٤)
 مِنْ بَعْدِ مَا ظَنُّوا بَأَن سَيَكُونُ لِي يَوْمٌ بِزَعْمِهِمْ كَيَوْمِ عَيْدِ^(٥)

يريد عبيد بن الأبرص الأسدي، وكان النعمان بن المنذر لقيه يوم يؤسره فقتله.

بين ابن أبي دؤاد والحاجب أبي منصور

وكان ابن أبي دؤاد كريماً فصيحاً جَزْلاً. قال أبو العيناء: كنا عند ابن أبي دؤاد ومعنا محمود الرِّزَّاق وجماعةٌ من أهل الأدب والعلم؛ فجاءه رسول إيتاخ فقال: إن الحاجب أبا منصور يقرأ على القاضي السلام، ويقول: القاضي يَتَعَنَّى^(٦) وَيَجِيءُ في الأوقات؛ وقد تفاقم الأمرُ بينه وبين كاتب أمير المؤمنين، يريد ابن الزيات، فصار يضرُّنا عند قَصْدِهِ القاضي، وما أَحَبُّ أَنْ يَتَعَنَّى إِلَيَّ لهذا السبب؛ إذ كنت لا أَصِلُ إلى مكافأته. فقال: أجيئوه عن رسالته، فلم نَدْرِ ما نقول، ونظر بَعْضُنَا إلى بعض، فقال: أما عندكم جواب! قلنا: القاضي - أعزَّه الله، أعلمُ بجوابه منا، فقال للرسول: اقرأ عليه السلام، وقل له: ما أتيته متكثرًا بك من قلة، ولا متعزِّزًا بك من ذلة، ولا طالبًا منك رُبَّةً، ولا شاكياً إليك كُرْبَةً، ولكنك رجلٌ ساعدك زَمَانٌ، وحركك سلطان، ولا علم يؤلف، ولا أصل يُعرَف؛ فإن جئتكَ فبسلطانك، وإن تركتكَ فلنفسك! فَعَجِبْنَا من جَوَابِهِ.

- (١) أسرى: سار ليلاً. من التي زعموا: أي من التهمة التي قرف بها، لا لخوفه، بل لأنه بريء مما اتُّهم به، وحياء منه. وفي الديوان: «وليس لرهبة بطريد».
- (٢) نفضت: من نفض الطريق: إذا نظر هل فيه أحد أم لا. وأراد هنا بتهايمه ونجوده: ما ظهر وما بطن من أمره، والكلام على الاستعارة.
- (٣) في الديوان: «نفسى فداؤك». الإقْلِيد: المفتاح.
- (٤) لما أظلمتني غمامك: أي لما تحققت أمري، صار الشهود الذين كانوا ضدي، شهوداً معي.
- (٥) في الديوان: «مِنْ بَعْدِ أَنْ ظَنُّوا». و «يَوْمٌ يَبْعَثُهُم». والبغي: الظلم. وكان مقتل عبيد بن الأبرص الأسدي نحو ٢٥ ق.هـ/ نحو ٦٠٠ م.
- (٦) يَتَعَنَّى: يتعب.

[من براءة خالد بن عبد الله القسري]

صعد خالد بن عبد الله القسري^(١) المنبر يوم الجمعة، فخطب وهو إذ ذاك أميراً على مكة، فذكر الحجاج فأحمد طاعته، وأثنى عليه خيراً، فلما كان في الجمعة الثانية ورد عليه كتاب سليمان بن عبد الملك يأمره فيه بشتم الحجاج وذكر عيوبه، وإظهار البراءة منه، وصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن إبليس كان ملكاً من الملائكة، وكان يُظهر من طاعة الله ما كانت الملائكة ترى له بذلك فضلاً، وكان الله تعالى قد علم من غشه ما خفي عن الملائكة، فلما أراد الله فضيحتَه ابتلاه^(٢) بالسجود لآدم؛ فظهر لهم ما كان يُخفيه عنهم فلعنوه؛ وإن الحجاج كان يُظهر من طاعة أمير المؤمنين ما كنا نرى له بذلك فضلاً، وكان الله عز وجل أطلع أمير المؤمنين من غله ونخبته على ما خفي عنا، فلما أراد الله فضيحتَه أجرى ذلك على يدي أمير المؤمنين، فالعنوه، لعنه الله. ثم نزل.

أبو تمام يعتذر للمعتصم عن سابق مدحه للأفشين

وكان أبو تمام قد مدح الأفشين التركي، واسمه خيذر بن كأوس، وكان من أجل قواد المعتصم، وأُتِيَ في أمر بابك الخرمي بلاءً حمده له؛ فلما سخط المعتصم عليه لما نسب إليه من سوء السيرة، وقُبِح السريرة، وأنه يخطب درجة بابك، ويريد التحصن بموضع يخلع فيه يده عن الطاعة، وأظهر القاضي أحمد بن أبي دؤاد عليه أنه على غير الإسلام، قال أبو تمام معتذراً للمعتصم من تقديمه واجتباؤه، ولنفسه من مدحه وإطرائه^(٣):

مَا كَانَ لَوْلَا فُحْشُ غَدْرَةِ خَيْذَرَ لِيَكُونَ فِي الْإِسْلَامِ عَامُ فِجَارٍ^(٤)

(١) هو أبو يزيد، وأبو الهيثم، خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي القسري: أمير العراقيين لهشام بن عبد الملك. ولي مكة سنة ٨٩ هـ، وكان لجده يزيد صحبة مع النبي ﷺ. وهو خطيب فصيح، وجواد كثير العطاء. قتله يوسف بن عمر الثقفي سنة ١٢٥ هـ / ٧٤٤ م. بالبحيرة، بأمر من هشام بن عبد الملك. (ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٢/٢٢٦).

(٢) ابتلاه: اختبره، امتحنه.

(٣) أبو تمام، الديوان: ٣٣٨/١ - ٣٣٩.

(٤) فحش: قبح الذنب. فجار: حروب في الجاهلية تُعرفُ بأيام الفجار، وهي أربعة أفجرة في الأشهر الحرم، وكانت العرب تمتنع بها عن القتال. فلما وقعت هذه الحروب بين قريش وقيس عيلان، سُميت أيام الفجار، لأن أصحابها فجروا فيها، أي عصوا الله بانتهاكهم حرمة الأشهر المعظمة. وقد جعل الشاعر غدر الأفشين عصيانياً لله في الإسلام، كما جعلت أيام الفجار في الجاهلية.

هَذَا الرَّسُولُ وَكَانَ صَفْوَةً رَبِّهِ مِنْ خَيْرِ بَادٍ فِي الْأَنَامِ وَقَارٍ ^(١)
 قَدْ خَصَّ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ عَصَابَةً وَهُمْ أَشَدُّ أَذَى مِنَ الْكُفَّارِ ^(٢)
 وَاخْتَارَ مِنْ سَعْدٍ لَعِينِ بَنِي أَبِي سَرِجٍ لَعَمْرُ اللَّهِ غَيْرَ خِيَارٍ ^(٣)
 حَتَّى اسْتَضَاءَ بِشُعْلَةِ السُّورِ الَّتِي رَفَعَتْ لَهُ سِتْرًا مِنَ الْأَسْتَارِ ^(٤)

ثم ذكر في هذه القصيدة أن قتل الأفسنين لبابك لم يكن بصندوق بصيرة، ولا لصحة سريرة، فقال:

وَالهَاشِمِيُّونَ الْمُسْتَقِيلَةُ طُعْمُهُمْ عَنْ كَرِبَلَاءَ بِأَثْقَلِ الْأَوْزَارِ ^(٥)
 فَشَفَاهُمْ الْمُخْتَارُ مِنْهُ وَلَمْ يَكُنْ فِي دِينِهِ الْمُخْتَارُ بِالْمُخْتَارِ ^(٦)

[المنافقون في عهد النبي ﷺ]

أما من ذُكر من أهل النفاق، فقد كانوا يُظهِرونَ غَيْرَ ما يُسِرُّونَ، حتى أطلع الله نبيَّه عليه السلام على أخبارهم، ونَشَرَ له مَطْوِيَّ أسرارهم.

- (١) في الديوان: «هذا النبي». البادي: ساكن البادية. والقاري: ساكن القرى، أي الحضر.
- (٢) يقول: غير عجب أن يكون الخليفة قد خدع بمكر الأفسنين حتى ظهرت سريرته فانقم منه، ذلك أن النبي ﷺ، على عظمته، قد خصَّ بالود والثقة جماعة من المنافقين انتحلوا الإسلام مكرًا، وكانوا يؤذون المسلمين، ويسخرون بهم، ويشطون عزائمهم.
- (٣) في الديوان: «لَوْحِي الله». ولعين بني أبي سرح: هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي، وكان قد أسلم فاختاره النبي ﷺ كاتبًا للوحي، ولم يكن أهلاً لهذا الخيار، لأنه ارتدَّ مشركًا. وقوله: غير خيار، أي لم يكن ذلك خياراً.
- (٤) في الديوان: «رَفَعَتْ لَهُ سَجْفًا مِنَ الْأَسْرَارِ». والسجف: السر.
- (٥) يقول: إن سور القرآن أضاءت أنوارها للنبي ﷺ، فرفعت السر عن هؤلاء المنافقين.
- (٦) في الديوان: «وَالهَاشِمِيُّونَ اسْتَقِيلَتْ عِيْرُهُمْ مِنْ كَرِبَلَاءَ بِأَثْقَلِ الْأَوْزَارِ» والهاشميون: أهل بيت النبي ﷺ. استقلت: رحلت. عيرهم: قافلتهم. كربلاء: موضع بالعراق، قتل فيه الإمام الحسين بن علي. والأوتار: مفردھا وتر: الثأر. يقول: رحل الهاشميون عن كربلاء بعد مقتل الحسين ولهم ثارات قوية ثابتة على بني أمية.
- (٦) المختار: أي المختار الثقفي الذي أخذ بثأر الحسين مظهرة ومداجاة لتحقيق أغراضه وآماله. و«منه» أي: من الثأر.

عبد الله بن أبي سرح

وأما ابنُ أبي سَرَح فهو عبدُ الله بن سعد بن أبي سَرَح بن الحسام بن الحارث بن حبيب بن خزيمة بن نصر بن مالك [بن حِسل] بن عامر بن لؤي، أسلم قبل الفَتْح، واستنكبه النبي عليه السلام؛ فكان يكتبُ موضعَ «الغفور الرحيم» العزيز الحكيم، وأشباه ذلك؛ فأطلع الله عليه النبي عليه السلام، فهرب إلى مكة مرتدًّا؛ وأنزل فيه: ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾^(١). فأهْدَرَ النبي ﷺ يوم الفتح دَمَهُ، فهرب من مكة، فاستأمن له عثمان رضي الله عنه؛ فأَمَنَهُ رسولُ الله ﷺ، وهو أخو عثمان من الرِّضَاعَةِ، وأسلم فحَسُنَ إسلامُهُ، وولِيَ مصر سنة أربع وعشرين، فأقام عليها إلى أَنْ حُصِرَ عثمان، ومات بِقَيْسَارِيَةِ الشَّامِ، ولم يدخل في شيء من الفِتَنِ الحجازية في ذلك الوقت.

المختار بن أبي عبيد الخارجي

وأما المختارُ الذي ذكره فهو المختار بن أبي عُبَيْد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف بن عَفْدة بن عروة بن عَوْف بن قَسِيٍّ وهو ثقيف؛ وكانت لأبيه في الإسلام آثارٌ جميلة، وأختُ المختار صفية بنت أبي عبيد زوجُ ابن عمر، والمختار هو كذاب ثقيف الذي جاء فيه الحديث، وكان يزعمُ أنه يُوحَى إليه في قَتْلَةِ الحسين؛ فقتلهم بكل موضع، وقتل عبيد الله بن زياد، وله أسجاع يَصْنَعُهَا، وألفاظٌ يَتَدَعُّهَا، ويزعم أنها تنزل عليه وتُوحى إليه. وقيل للأحفد بن قيس: إن المختار يزعم أنه يُوحَى إليه! فقال: صدق، وتلا: (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ)^(٢). وأخباره كثيرة ليس هذا موضعها.

بين أمية بن خالد وعبد الله بن الأَهم

لما هُزِمَ أمية بن خالد بنُ أُسَيْدٍ لم يَلِرْ الناس كيف يقولون له، فدخل عبدُ الله بن الأَهم عليه، فقال: الحمد لله الذي نظر لنا أيُّها الأمير عليك، ولم يَنْظُرْ لك علينا، فقد تعرَّضت للشهادة بِجَهْدِكَ، إلَّا أن الله علم حاجة أهل الإسلام إليك، فأبقاك لهم بخذلان مَنْ معك. فصدر الناس عن كلامه.

(١) سورة الأنعام، آية (٩٣).

(٢) لعله أراد قول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ (سورة الأنعام، آية ١١٢).

ويتعلق بهذه المقامة فصل في غرائب التكاثر

من حمدون بن نهران لعامل عزل عن عمله

كتب حمدون بن نهران إلى عاملٍ عزّل عن عمله:

بلغني أعزك الله أنصرفك عن عملك، ورجوعك إلى منزلك؛ فسررت بذلك، ولم أستظعه وأجزع له؛ لعلمي بأن قدرك أجل وأعلى من أن يرفعك عملٌ تتولاه، أو يضعك عزّل عنه؛ ووالله لو لم تختَر الانصراف وترد الاعتزال لكان في لطف تدبيرك، وثقوب رويك^(١)، وحسن تأتيك، ما تزيل به السبب الداعي إلى عزلك، والباعث على صرّك؛ ونحن إلى أن نهتك بهذه الحال أولى بنا من أن نعزبك؛ إذ أردت الانصراف فأوتيته، وأحببت الاعتزال فأعطيته، فبارك الله لك في مُثْلِكَ، وهنالك النعم بدوامها، ورزقك الشكر الموجب لها الزائد فيها.

من ابن مكرم لنصراني أسلم

وكتب ابن مكرم إلى نصراني أسلم:

أمّا بعد فالحمد لله الذي وفّقك لشكره، وعرفك هدايته، وطهر من الارتباب قلبك، وما زالت مخايلك^(٢) ممثلة لنا حقيقة ما وهب الله فيك، حتى كأنك لم ترك بالاسلام مؤسوماً، وإن كنت على غيره مقيماً، وكنا مؤمّلين لما صرّت إليه، مُشْفِقِينَ مما كُنْتَ عليه^(٣)، حتى إذا كاد إشفاقنا أن يستعلي رجاءنا أتت السعادة بما لم ترك الأنفس تعدّ منك؛ فأسأل الله الذي أضاء لك سبيل رُشدك أن يوفّقك لصالح العمل، وأن يؤتيك في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً، ويقيك عذاب النار.

بعض ما يستحسن تركه وإن كان حلالاً

قال بعض الكتاب: من الحق ما يُستحسن تركه، ويستهجّن عمله^(٤)، وقد يقع من

(١) يقال: ثقب الكوكب ونحوه: أضاء، وثقب الذكّر: اشهر، وثقب رأيه: أصاب، وثقبت النار: انتقدت.

(٢) المخايل: جمع مخيلة، وهي الظن، يقال: أخطأت فيه مخيلتي، ويقال: ظهرت فيه مخايل النجاة: دلائلها ومظانها.

(٣) أشفق منه: خافه وحذر منه، وأشفق عليه: عطف وخاف عليه، والشفقة: الخوف من حلول مكروه، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ (سورة الأنبياء، آية ٤٩).

(٤) يُستهجّن: يُستفح.

ذلك فيما يُحلّه الشرع، ويكرهه الأدباء؛ وكثيرٌ ممن يغلبُ على طبعه هذا المعنى يراه سمؤً نفس، وعلوّ همة، حتى رأينا من لا يحضر تزويج كريمته، ويولي أمرها غير نفسه، ورأينا من يُجاوز ذلك إلى ألا يُنكِحَ مستنكحاً، وزاد به العلوّ إلى ترك ما ذكره أولى؛ وكنا عَرَفْنَا حال إنسان تزوّجت أمه؛ فعَظُمَ لذلك همُّه، وانفرد عن أودائه^(١)، وتوارى عن أصفائه؛ حياءً من لقائهم، وكُرْهاً لتهتتهم له أو عزائهم، واضطرتّه الوحشة إلى قصدٍ من ظنّ به منهم المُسكّة في تحامي خطابه فيما اجتنب لأجله خلّاته، وفارق بسببه إخوانه، وتخيّل ذلك المقصود أنه إنما لجأ إليه لئلا يسلية؛ فأفاض معه فيما قدّر أنه قصد له من المعنى الذي جعله وحيداً خوف المفاوضة.

ثم مضت الأيام واختلف الحال، ورجع إلى العشرة وأبناء المودة؛ فكان عنده من لم يخاطبه أخطى، وفي نفسه أوفى، وعلى قلبه أخف، وفي نفسه أشف، ونقّم على ذلك الصديق وعتب؛ إذ لكلّ من الناس - إلا من طاب محبته وطال سؤده - حالٌ من الإلف والرغبة تحسن المساوي، ثم حالٌ من الملل والزهادة تُقبّح المحاسن؛ واعتذر المتكلف من التسلية بما لم يلزمه، ولم يرده صفئه، فإنه فعل ما أوجبه الأخوة، وحقوق الخلطة، وأسباب العشرة، وانبساط المفاوضة؛ ودبّت عقاربُ الظنون والوشاية، إلى أن خرجا بالملاحاة^(٢) إلى المُعاداة؛ فلما وقع بعضُ الناس بينهما من معاودة الحسنى، ومراجعة الأولى؛ جاهر هذا الماقت بقرع سنّ الأسف على تخيل النهي والوقار من الممقوت، وظاهر الممقوت بتقريع الماقت، بتزويج أمّه الذي تجشّم من كلامه فيه فضلاً، وتكلف من خطابه عليه ما من حسرة خلا؛ فأفضى الأمرُ بينهما إلى الأوتار، وطلب الثار.

ما يقال لمن تزوجت أمه

فإن اضطّر إلى القول في هذا المعنى أحدٌ بأمر قاهرٍ من السلطان، أو حوادث الأزمان، أو تطارح الإخوان^(٣)، فليقل وليكتب ما مثلنا إن لم يجد منه بداً: أنت - بفضل الله عليك وإحسان تبصيره إياك - من أهل الدين، وخلوص اليقين؛ فكما لا تتبع الشهوة في

(١) أوداؤه: أهل مودته ومحبه.

(٢) الملاحاة: المفاولة والمخاصمة والمنازعة، وقد لحا الرجل لَحْواً: شتمه، ولحا الرجل لَحْياً: لامه وعذله.

(٣) تطارح الإخوان: تحاوروا وتناظروا.

محظورٌ تُبيحه، فكذا لا تُتَّبَعُ الْأَكْفَةُ^(١) في مُباحٍ تحظره؛ وقد اتَّصَلَ بنا ما اختاره الله والقضاء لذات الحقِّ عليك، المنسوبة - بعد نسبك إليها - إليك، مما كرهه إياؤك الدُّنيوي لك ولها، [وَرَضِيَهُ الحلالُ الديني له ولها]، فنحن نعتيك عن فائت محبوبك، ونهتلك في الخيرة في اختيار القَدَرِ لك، ونسألُ الله أن يجعلها أبداً معك فيما رضيت وكرهت، وأُتيت وأُتيت. فهذا ونحوه أَصَوَّبُ وأسلم، إن اضطررت إليه، وتركه أحسن وأحزم، إن ملكت رأيك فيه؛ والتلطفُ للكتابة عما يُستَهْجَن ولا يستحسن التواجه به من أحسن الأشياء وأسدها.

من أبي الفضل بن العميد لمن تزوجت أمة

وكتب أبو الفضل بن العميد في بابه: الحمدُ لله الذي كشف عنا سِتْرَ الحَيْرَةِ. وهذانَا لِسِتْرِ العَوْرَةِ، وَجَدَعُ^(٢) بما شرع من الحلال أَثَقَ الغَيْرَةَ، وَمَنَعَ من عَضَلِ الأمهات، كما مَنَعَ من وَأَدِ البنات، استنزالاً للنفوس الأبيَّة، عن حَمِيَّةِ الجاهلية، ثم عَرَضَ للجزيل من الأجر من استسلم لمواقع قضائه؛ وعَوَّضَ جزيلَ الثواب لِمَنْ صبر على نازلِ بلائه؛ وهَنَّاكَ الله، الذي شرح للفقوى صَدْرَكَ، ووسَّعَ في البَلَوَى صَبْرَكَ، ما ألهمك من التسليم بمشيئته، والرضا بقضئته، ووفَّقَكَ له من قضاء الواجب في أحد أبويك، ومن عظم حقه عليك؛ وجعل الله تعالى حدَّه^(٣) ما تجرَّعته من أَثَقِ^(٤)، وكظَمْتُهُ من أَسَفِ، معدوداً يعظُمُ الله عليه أجرك، ويُجْزِلُ به ذُخْرَكَ؛ وَقَرَنَ بالحاضر من امتِعاظك لِفِعْلِهَا المتظَرَّ من ارتِمَاضِكَ لِدَفْنِهَا^(٥)، وعَوَّضَكَ من أَسِرَّةِ فَرْشِهَا أَعْوَادَ نَعَشِهَا؛ وجعل ما يُعْجَمُ به عليك من بعدها من نعمة مُعْرَى من نِقْمَةٍ، وما يُولِيكَ بعد قَبْضِهَا من منحة مُبْرَأً من مِحْنَةٍ.

الفاظ لأهل العصر في التهاني بالبنات

هنا الله سيدي ورَدَ الكريمة عليه، وثمر بها أعداد النسل الطيب لديه؛ وجعلها مُؤَدِّنَةً بإخوة بررة، يَعْمُرُونَ أُنْدِيَةَ الفضل، وَيَغْبُرُونَ^(٦) بقيَّةَ الدهر.

(١) الْأَكْفَةُ: العِزَّةُ وَالْحَمِيَّةُ.

(٢) الْجَدْعُ: القطع، وقيل: هو القطع البائن في الأنف والأذن والشفة واليد ونحوها.

(٣) الْحَدُّ: البأس، ومثله الجد.

(٤) الْأَثَقُ وَالْأَكْفَةُ: الْحَمِيَّةُ.

(٥) الارتماض: الحُزْنُ.

(٦) يغبرون: يقون.

اتصل بي خبر المولودة، كرم الله غرتها وأبنتها نباتاً حسناً، وما كان من تَغْيِيرِكَ بعد اتّصاح الخبر، وإنكارك ما اختاره الله لك في سابقِ القدر، وقد عَلِمْتَ أَنَّهُنَّ أَقْرَبُ من القلوب، وأنَّ الله تعالى بدأ بهنَّ في الترتيب، فقال جل من قائل: ﴿يَهَبْ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِثًا وَيَهَبْ لِمَنْ يَشَاءُ ذَكَورًا﴾^(١). وما سمّاه هبة فهو بالشكر أولى، ويَحْسِنُ التَّحْقِيلُ أُخْرَى. أهلاً وسهلاً بعقيلة النساء، وأُمُّ الأبناء، وجالبة الأَصهار، وأولاد الأَطهار، والمبشرة بإخوة يتناسقون، ونُجباء يتلاحقون.

فَلَوْ كَانَ النِّسَاءُ كَمِثْلِ هَذِي لَفُضِّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ^(٢)
فَمَا التَّائِيثُ لِاسْمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ وَلَا التَّذَكِيرُ فَخْرٌ لِلْهَالِلِ

والله يعرفك البركة في مَطْلَعِهَا، والسعادة في موقعها، فَادَّرِعْ اغْتِبَاطاً، واستأنف نشاطاً. الدنيا مؤنثة، والرجال يخدمونها. والنار مؤنثة، والذكور يَعْبُدُونَهَا. والأرض مؤنثة، ومنها خُلِقَتِ البرية، وفيها كثرت الذرية. والسماء مؤنثة، وقد حُلِيتْ بالكواكب، وَزَيَّنَتْ بالنجوم الثواقب. والنفْس مؤنثة، وهي قِوَامُ الأبدان، وَمِلَاكُ الحيوان. والحياة مؤنثة، ولولاها لم تتصرَّف الأجسامُ ولا عُرِفَ الأنام. والجنة مؤنثة، وبها وَعَدَ المتقون، وفيها يُنْعَم المرسلون؛ فهناك الله ما أوليت، وأُوْزَعَكَ شُكْرَ ما أُعْطِيت، وأَطَالَ اللهُ بَقَاءَكَ ما عُرِفَ السُّلُ الوَلَد، وما بقي العَصْرُ والأبد؛ إنه فعال لما يشاء.

[بعض ما لا يُمدح النساء به]

لابن الرومي

والتصرف في النساء ضيقُ النطاق، شديدُ الخناق، وأكثرُ ما يُمدح به الرجال ذمُّ لهن، وَوَضُمَّ عليهن، قال ابن الرومي^(٣):

مَا لِلْحَسَانِ مُسِيئَاتٍ بِنَا، وَلَكِنَّا إِلَى الْمُسِيئَاتِ طُولَ الدَّهْرِ تَحَنُّانُ

(١) سورة الشورى، آية (٤٩).

(٢) البيتان لأبي الطيب المتنبّي من قصيدة يرثي بها والدة سيف الدولة الحمداني (ديوانه: ١٤/٢). وفيه: «وَلَوْ كَانَ النِّسَاءُ كَمَنْ فَقَدْنَا».

(٣) ابن الرومي، الديوان: ١٧٥/٦. والأبيات من قصيدة طويلة يمدح بها إسماعيل بن بلبل وزير الموفق العباسي.

فَإِنْ يَبْحُنَ بَعْدَ قُلْنِ: مَعْدَرَةٌ
لَا نُلْزِمُ الذَّكَرَ، إِنَّا لَمْ نُسَمِّ بِهِ
فَضْلُ الرِّجَالِ عَلَيْنَا أَنْ شِيمَهُمْ
وَأَنَّ مِنْهُمْ وَفَاءٌ لَا نَقُومُ لَهُ
إِنَّا نَسِينَا، وَفِي النِّسْوَانِ نَسْيَانٌ^(١)
وَلَا مُنْحَنَاهُ، بَلْ لِلذَّكَرِ ذُكْرَانُ
جُودٌ وَيَأْسٌ وَأَحْلَامٌ وَأَذْهَانُ
وَهَلْ يَكُونُ مَعَ النُّقْصَانِ رُجْحَانُ؟^(٢)

للمتنبّي

وقال أبو الطيب المتنبّي^(٣):

يَنْقَسِي الْخَيَالُ الزَّائِرِي بَعْدَ هَجْعَةٍ
سَلَامٌ فَلَوْلَا الْبُخْلُ وَالْخَوْفُ عِنْدَهُ
وَقَوْلَتُهُ لِي: بَعْدَنَا الْغُمُضُ نَطْعَمُ^(٤)
لَقُلْنَا أَبُو حَفْصٍ عَلَيْنَا الْمُسْلِمُ^(٥)

ألا ترى أنّ الجود، والوفاء بالعهود، والشجاعة والفطن، وما جرى في هذا السّنن،
من فضائل الرجال، لو مُدِح النساءُ به لكان نقصاً عليهن، وذمّاً لهنّ؟

رجل يمدح زبيدة أم الأمين

ولمديح النساءِ أبواب تفرّقت في الكتاب:

أنشد رجلٌ زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور:

أَرْبَبِيْدَةُ بِنْتُ جَعْفَرٍ طَوْبَى لِزَائِرِكَ الْمُثَابِ
تُعْطِيْنَ مَنْ رَجُلَيْسِكَ مَا تُعْطِي الْأَكْفُفُ مِنَ الرُّغَابِ

فوثب إليه الخدمُ يضربونه، فمنعتهم من ذلك، وقالت: أراد خيراً وأخطأ، وهو أحبُّ
إلينا ممن أراد شراً فأصاب، سمع قولهم: «شمالك أُنْدَى من يمين غيرك» فظن أنه إذا قال
هكذا كان أبلغ، أعطوه ما أمّل، وعرفوه ما جهل.

(١) في الديوان: «فَإِنْ تَبْعَنَ».

(٢) في الديوان: «وَأَنَّ فِيهِمْ».

(٣) المتنبّي، الديوان: ٢٤٤/١.

(٤) الباء: للتفدية. الهجعة: الرقدة. وطعم الشيء: ذاقه. يقول: عاتبني الخيال الزائر على المنام،
وانتهمني بالسُّلُو، لأن من فارق أحبته لا ينام.

(٥) أبو حفص: كنية الممدوح. يقول: لولا أن هذا الخيال جبان لا يزور مجاهراً، وبخيل لا يجود
بمطلب، لحملني الابتهاج به على أن أظنه أبا حفص يُسَلِّمُ عليّ.

لكثير عزة

وقال كثير:

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِئَى كُلِّ حَاجَةٍ وَمَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحٌ
وَشُدَّتْ عَلَى حُذْبِ الْمَطَابَا رِحَالُنَا وَلَا يَعْلَمُ الْغَادِي الَّذِي هُوَ رَائِحٌ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ
نَقَعْنَا فُلُوبًا بِالْأَحَادِيثِ وَاشْتَقَّتْ بِذَلِكَ صُدُورُ مُنْضَجَاتِ قَرَائِحِ^(١)
وَلَمْ نَخْشَ رَيْبَ الدَّهْرِ فِي كُلِّ حَالَةٍ وَلَا رَاعِنًا مِنْهُ سَنِحٌ وَبَارِحُ^(٢)

ولكثير

وقال:

تَفَرَّقَ الْأَفْ الْحَجِيجِ عَلَى مِئَى وَشَتَّتَهُمْ شَحْطُ النَّوَى مَشْيَ أَرْبَعِ
فَرِيقَانِ مِنْهُمْ سَالِكُ بَطْنِ نَخْلَةٍ وَآخِرُ مِنْهُمْ جَارِعُ ظَهَرِ تَضْرُعِ^(٣)
فَلَمْ أَرْ دَارًا مِثْلَهَا دَارَ غِبْطَةٍ وَلَهُوَ إِذَا النَفَّ الْحَجِيجُ بِمَجْمَعِ
أَقْلَ مُقِيمًا رَاضِيًا بِمَكَانِهِ وَأَكْثَرَ جَارًا ظَاعِنًا لَمْ يُودِعِ
فَأَصْبَحَ لَا تَلْفَى خِباءَ عَهْدَتِهِ بِمَضْرِبِهِ أَوْ تَادَهُ لَمْ تُنْزِعِ
فَشَاقُّوكَ لَمَّا وَجَّهُوا كُلَّ وَجْهَةٍ فَبَانُوا وَخَلُّوا عَنْ مَنَازِلِ بَلْقَعِ^(٤)

عزة تفضل الأحوص على كثير

ودخل كثير على عزة يوماً، فقالت: ما ينبغي أن تأذن لك في الجلوس، فقال: ولم ذلك؟ قالت: لأنني رأيت الأحوص ألين جانباً عند الغواني منك في شعره، وأضرع خذاً للنساء، وأنه الذي يقول:

- (١) نقع: روى. منضجات فرائح: أنفضجها الحزن وفرَّحها.
- (٢) السائح والسنيح: ما أتاك عن يمينك من ظبي أو طائر أو غير ذلك، والبارح: ما أتاك من ذلك عن يارك، والسائح أحسن حالاً عندهم في التَّيَّس من البارح.
- (٣) تَضْرُع: ورد في اللسان (ضرع): تَضْرُع، وهو موضع أو جبل بنجد، وأَضْرُع: موضع، وتضروع: بلدة.
- (٤) بلقع: قفر، خالية.

يَأْيَهَا اللَّائِمِي فِيهَا لِأَصْرِمَهَا أَكْثَرَتْ لَوْ كَانَ يُغْنِي عَنْكَ إِكْثَارُ^(١)
 أَكْثِرَ فَلَسْتُ مُطَاعاً إِذْ وَشَيْتَ بِهَا لَا الْقَلْبُ سَالٍ وَلَا فِي حُبِّهَا عَارُ
 ويعجبني قوله:

أَدُورُ وَلَوْ لَا أَنْ أَرَى أُمَّ جَعْفَرٍ بِأَيَّاتِكُمْ مَا دُرْتُ حَيْثُ أَدُورُ
 وَمَا كُنْتُ زَوَّاراً، وَلَكِنْ ذَا الْهَوَى إِذَا لَمْ يَزَرْ لَا بُدَّ أَنْ سِيرُورُ
 لَقَدْ مَنَعْتَ مَعْرُوفَهَا أُمَّ جَعْفَرٍ وَإِنِّي إِلَى مَعْرُوفِهَا لَفَقِيرُ
 ويعجبني قوله:

كَمْ مِنْ دَنِيٍّ لَهَا قَدْ كُنْتُ أَتْبَعُهُ وَلَوْ صَحَا الْقَلْبُ عَنْهَا كَانَ لِي تَبَعَا
 لَا أَسْتَطِيعُ نَزُوعاً عَنْ مَحَبَّتِهَا أَوْ يَصْنَعُ الْحُبُّ بِي فَوْقَ الَّذِي صَنَعَا^(٢)
 أَدْعُو إِلَى هَجْرِهَا قَلْبِي فَيَتْبَعُنِي حَتَّى إِذَا قُلْتُ هَذَا صَادِقٌ نَزَعَا
 وَزَادَنِي رَغْبَةً فِي الْحَبِّ أَنْ مَنَعْتُ، أَشْهَى إِلَى الْمَرْءِ مِنْ دُنْيَاهُ مَا مَنَعَا
 وقوله:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعَشِقْ وَلَمْ تَدْرِ مَا الْهَوَى فَكُنْ حَجَرًا مِنْ يَابِسِ الصَّخْرِ جَلَمَدَا^(٣)
 وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا مَا تَلَذُّ وَتَشْتَهِي وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ ذُو الشَّانِ وَفَتَدَا^(٤)
 وَإِنِّي لَأَهْوَاهَا وَأَهْوَى لِقَاءَهَا كَمَا يَشْتَهِي الصَّادِي الشَّرَابَ الْمُبْرَدَا^(٥)
 عَلاَقَةُ حَبِّ لَجَّ فِي سَنَنِ الصَّبَا فَابْلَيْ، وَمَا يَزْدَادُ إِلَّا تَجَدُّدَا^(٦)

هذان البيتان ألحقهما العُتْبِي وغيره بشعر الأحوص، وأنشدها أبو بكر بن دريد لأعرابي، فقال كثير: قد والله أجاد فما استقبحت من قولِي؟ قالت: قولك:

- (١) الصَّرْمُ: القطيعة والهجر.
- (٢) نزاع عن الصَّبَى والأمر، ينزع نَزُوعاً: كَفَّ وانتهى.
- (٣) الْجَلَمَدُ والجُلُودُ: الصَّخْرُ.
- (٤) الشَّانُ والشَّانُ: البُغْضُ.
- (٥) الصَّادِي: الظَّمآن.
- (٦) السَّنُّ: الطريق، وَسَنُّ الطريق: نَهْجُهُ. وَالسَّنُّ: الطريقة، ومنه يقال: استقام فلان على سَنِّ واحد.

وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ أَجْلَلَنَ مَجْلِسِي
يُحَاذِرُنْ مِنِّي غَيْرَةَ قَدْ عَرَفْتُهَا
تَرَاهُنَّ إِلَّا أَنْ يُخَالِسْنَ نَظْرَةَ
كَوَاطِظٍ لَا يَنْطَقْنَ إِلَّا مُحَوَّرَةً
وَكُنَّ إِذَا مَا قُلْنَ شَيْئًا يُسِرُّهُ
وَأَظْهَرُنْ مِنِّي هَيْبَةً لَا تَجْهَمُهَا
قَدِيمًا، فَلَا يَضْحَكُنَّ إِلَّا تَبَسُّمًا
بِمُؤَخَّرِ عَيْنٍ أَوْ يُقَلِّبْنَ مِعْصَمًا
رَجِيعَةً قَوْلٍ بَعْدَ أَنْ يَتَفَهَّمَا
أَسْرَ الرِّضَا فِي نَفْسِهِ وَتَحَرَّمَ مَا

وقولك:

وَدِدْتُ وَيَّتِ اللَّهُ أَنَّكَ بَكْرَةٌ
كِلَانَا بِهِ عُرٌّ فَمَنْ يَرَنَا يَقْلُ
نَكُونُ لِذِي مَالٍ كَثِيرٍ مُغْفَلٍ
إِذَا مَا وَرَدْنَا مِنْهُلًا صَاحَ أَهْلُهُ
هِجَانٌ، وَأَنِّي مُضْعَبٌ ثُمَّ تَهَرَّبُ^(١)
عَلَى حُسْنِهَا جَرَبَاءُ تُعْدِي وَأَجْرَبُ^(٢)
فَلَا هُوَ يَرَعَانَا وَلَا تَحْنُ نَظْلُبُ
عَلَيْنَا. فَمَا نَنفَكُ نُؤْذَى وَنُضْرَبُ^(٣)

وَنُحَكِّ! لَقَدْ أَرَدْتُ بِي الشَّقَاءَ، أَمَا وَجَدْتَ أَمْنِيَةً أَوْطَأَ مِنْ هَذِهِ؟ فَخَرَجَ خَجَلًا.

[من الأمانى]

لأبي صخر الهذلي

وقد تمنى بمثل هذه الأمانة الفرزدق. وأغرب من هذا قول أبي صخر الهذلي:

تَمَنَيْتُ مِنْ حُبِّي عُلْيَةَ أَنَّنَا
عَلَى دَائِمٍ لَا يَغْبُرُ الْفُلُكُ مَوْجَهُ
فَنَقْضِي هَمَّ النَّفْسِ فِي غَيْرِ رِقْبَةٍ
وَقِيلُ: الْأَمَلُ رَفِيقُ مُؤْنَسٍ؛ إِنْ لَمْ يُلْغَلِكْ فَقَدْ أَلْهَاكَ.
عَلَى رَمَتْ فِي الْبَحْرِ لَيْسَ لَنَا وَفَرُّ^(٤)
وَمِنْ دُونِنَا الْأَهْوَالُ وَاللُّجُجُ الْخُضْرُ
وَيُغْرِقُ مَنْ نَخْشَى نَمِيمَتَهُ الْبَحْرُ

وقيل: الأمل رفيق مؤنس؛ إن لم يُلْغَلِكْ فَقَدْ أَلْهَاكَ.

(١) هيجان: يضاء. المضعب: الفحل. وفي رواية:

أَلَا لَيْتَنَا يَا عَزَّ كُنَّا لِذِي غَنَى
بَعِيرَيْنِ نَرَعَى فِي الْخَلَاءِ وَنَعْرُبُ
(٢) العر: الجرب.

(٣) وفي رواية:

إِذَا مَا وَرَدْنَا مِنْهُلًا هَاجَ أَهْلُهُ
إِلَيْنَا فَلَا نَنفَكُ نُؤْمَى وَنُضْرَبُ
(٤) الرمت: خشب يمس بفضه إلى بعض، ويركب في البحر.

وقال مسلم بن الوليد^(١):

وَأَكْثَرُ أَفْعَالِ اللَّيَالِي إِسَاءَةٌ وَأَكْثَرُ مَا تُلْقَى الْأَمَانِي كَوَاذِبًا

وقال آخر:

مُنَى إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمُنَى وَإِلَّا فَقَدْ عَشْنَا بِهَا زَمَنًا رَعْدًا
أَمَانِيٍّ مِنْ لَيْلَى حِسَانٍ كَأَنَّمَا سَقَتْنِي بِهَا لَيْلَى عَلَى ظَمَأٍ بَرْدًا

وقال آخر:

رَفَعْتُ عَنْ الدُّنْيَا الْمُنَى غَيْرَ حُبِّهَا فَلَا أَسْأَلُ الدُّنْيَا وَلَا أَسْتَزِيدُهَا

وقيل لأعرابي: ما أمتع لذات الدنيا؟ فقال: مغازاة المحب، ومحادثة الصديق، وأمانتي تقطع بها أيامك، وأنشد:

عَلَّيْنِي بِمَوْعِدٍ وَأَمْطِلْنِي مَا حَيَّتْ بِهِ
وَدَعَيْنِي أَفْـوْزُ مِنْـكَ بِنَجْوَى تَطْلُبُهَا
فَعَسَى يَعْثُرُ الزَّمَا نُ يَحْطُطُّ لِي فَيَتَبَّعُهَا

[بعض أخبار كثير وعزة]

حمق كثير

وكان كثير بن عبد الرحمن بن أبي جُمعة الخزاعي - ويعرف بعزة، على حدة خاطره، وجودة شعره - أحمق الناس.

دخل عليه نفرٌ من قريش وهو عليل يهزؤون به، قال بعضهم: فقلت له: كيف تجدك؟ قال: بخير، هل سمعتم الناس يقولون شيئاً؟ فقلت: نعم، سمعتمهم يقولون: إنك الدجال. فقال: والله لئن قلت ذلك إني لأجد في عيني اليمنى ضعفاً منذ أيام.

(١) هو أبو الوليد، مسلم بن الوليد الأنصاري، المعروف بصريح الغواتي: شاعر غزل مُجيد، من شعراء الدولة العباسية، من أهل الكوفة. ويقال: إن الرشيد كتب شعره بماء الذهب. توفي سنة ٢٠٨ هـ / ٨٢٣ م. (ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٧١٢/٢؛ ابن المعتز، طبقات الشعراء: ٢٣٤).

كان رافضياً

وكان رافضياً يدين بالرجعة، ويقول بإمامة محمد بن الحنفية^(١)، والروافض يزعمون أنه دخل في شعب باليمن في أربعين من أصحابه، ولا بُدَّ من ظهوره، وفي ذلك يقول^(٢):

أَلَا إِنَّ الْأَثْمَةَ مِنْ قُرَيْشٍ وَلَاَةَ الْحَقِّ أَرْبَعَةٌ سَوَاءٌ
عَلَيَّ وَالثَّلَاثَةُ مِنْ بَيْتِهِ هُمْ الْأَسْبَاطُ لَيْسَ بِهِمْ خَفَاءٌ
فَسَبَطُ سَبْطُ إِيْمَانٍ وَبِرٍّ وَسَبَطُ غَيْبَتِهِ كَرَبْلَاءُ
وَسَبَطُ لَا يَذُوقُ الْمَوْتَ حَتَّى يَقُودَ الْخَيْلَ يَقْدُمُهَا اللَّوَاءُ
تَغَيَّبَ لَا يُرَى عَنْهُمْ زَمَانًا بِرَضْوَى عِنْدَهُ عَسَلٌ وَمَاءٌ

وكان خلفاء بني أمية يعلمون ذلك منه، ويَلْبَسُونَهُ عليه.

بين كثير وعبد الملك بن مروان

دخل يوماً على عبد الملك بن مروان فقال: نشدتك بحق علي بن أبي طالب، هل رأيت أعشقت منك؟ فقال: يا أمير المؤمنين؛ لو سألتني بحقك لأخبرتُك، نعم، بينا أنا أسيرُ في بعض الفلوات إذا أنا برجل قد نَصَبَ حَبَائِلَهُ، فقلت له: ما أجلسك ها هنا؟ قال: أهلكني وأهلي الجوع، فنصبت حَبَائِلِي لأُصِيبَ لَهُمْ وَلِنَفْسِي ما يكفيني سحابة يَوْمِنا، قلت: أرأيت إن أقمت معك فأصَبْنَا صيدا، أَتَجْعَلُ لي منه جزءاً؟ قال: نعم، فبينما نحن كذلك إذ وقعت ظيئة، فخرَجْنَا مُتَبَدِّرِينَ، فأسرع إليها فحلَّها وأطلقها؛ فقلت: ما حملك على هذا؟ قال: دخلتني لها رِقَّةٌ لِشَبْهِهَا بِلَيْلى، وأنشأ يقول:

أَيْسَا شَبْهَ لَيْلَى لَا تُرَاعِي فَإِنِّي لَكَ الْيَوْمَ مِنْ وَخْشِيَّةٍ لَصَدِيقُ
أَقُولُ وَقَدْ أَطْلَقْتُهَا مِنْ وَثَاقِهَا لَأَنْتَ - لِلَّيْلِ - مَا حَيَّتَ طَلِيقُ

وروى الكلبي وابن دأب أنه لما حلَّها قال:

أَذْهَبِي فِي كَلَاءَةِ الرَّحْمَنِ أَنْتِ مِنِّي فِي ذِمَّةٍ وَأَمَانِ

(١) هو أبو القاسم، محمد بن الحنفية، ويقال: أبو عبد الله، محمد بن علي بن أبي طالب، وأمه خولة بنت جعفر بن قيس بن سلمة، من بني حنيفة بن لجم، وكان محمد عالماً فاضلاً شجاعاً. توفي سنة ٨١ هـ / ٧٠١ م.

(٢) الأبيات في الملل والنحل للشهرستاني: ١٦٧/١ (فصل الكيسانية).

لَا تَخَافِي بَأْنَ تُهَاجِي بِسُوءٍ مَا تَغْنَى الْحَمَامُ فِي الْأَغْصَانِ
تَرْهَبْنِي وَالْجِدُّ مِنْكَ لِلْيَلَى وَالْحَشَا وَالْبُغَامُ وَالْعَيْنَانِ؟^(١)

لقيس بن الملوح

وقال قيس بن الملوح:

رَاحُوا يَصِيدُونَ الطَّبَاءَ وَإِنِّي لَا أَرَى تَصِيدُهَا عَلَيَّ حَرَامًا
أَشْبَهْنَ مِنْكَ مُحَاجِرًا وَسَوَافَا فَأَرَى عَلَيَّ لَهَا بِذَاكَ ذِمَامًا
أَعَزَزَ عَلَيَّ بَأْنَ أُرْوَعُ شِيَهَهَا أَوْ أَنْ يَذُقْنَ عَلَيَّ يَدَيَّ حِمَامًا

من جيد شعر كثير

ومن جيد شعر كثير:

وَكَاثَتْ لِقَطْعِ الْجُبْلِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا كَنَازِرَةٌ نَذْرًا فَأَوْفَتْ وَحَلَّتِ^(٢)
فَقُلْتُ لَهَا: يَا عَزُّ كُلِّ مُصِيبَةٍ إِذَا وَطَّنْتَ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتِ^(٣)
وَلَمْ يَلْقَ إِنْسَانٌ مِنَ الْحَبِّ مِيعَةً تَعَمُّ وَلَا غَمَاءَ إِلَّا تَجَلَّتِ^(٤)
أَبَاحَتْ حِمَى لَمْ يَرْعَهُ النَّاسُ قَبْلَهَا وَحَلَّتْ تِلَاعًا لَمْ تَكُنْ قَبْلُ حُلَّتِ^(٥)
هَنِيئًا مَرِيئًا غَيْرَ دَاءٍ مُخَامِرٍ لِعِزَّةٍ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتِ^(٦)
أَسِيبِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مُلُومَةٌ لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتِ^(٧)
وَوَاللَّهِ مَا قَارَبْتُ إِلَّا تَبَاعَدْتُ بِهِجْرٍ، وَلَا اسْتَكْنَرْتُ إِلَّا أَقَلَّتِ
وَمَا مَرَّ مِنْ يَوْمٍ عَلَيَّ كَيَوْمِهَا وَإِنْ عَظُمَتْ أَيَّامُ أُخْرَى وَجَلَّتِ

(١) بُغَامُ الظبية: صوتها، وقد بنمت الظبية: صاحت إلى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها.

(٢) الجبل: الوصل. فأوفت وحلت: خرجت من عهده لما أوفته.

(٣) وَطَّنْتَ: مُهَّدْتَ وَأَعَدَّتْ. وذلت: سهلت ولانت. ويروى أن عبد الملك بن مروان كان يقول: «لو كان هذا البيت في صفة الحرب لكان أشعر الناس».

(٤) مِيعَةُ الشَّيْءِ: أَوَّلُهُ. تجلت: انكشفت. وفي رواية: «ولا عُمِيَاء».

(٥) الحِمَى هنا: قلب الشاعر الذي احتلته.

(٦) مُخَامِرٌ: مُخَالَطٌ.

(٧) مَقْلِيَّةٌ: مِنَ الْقَلَى، وَهُوَ الْبَغْضُ. وَتَقَلَّتْ: تَبَغَضَتْ.

فِيَا عَجِيبَا لِلْقَلْبِ كَيْفَ اغْتِرَافُهُ وَلِلنَّفْسِ لِمَا وُطِّنَتْ كَيْفَ ذَلَّتِ^(١)
وَأِنِّي وَتَهِيَامِي بِعِزَّةٍ بَعْدَمَا تَخَلَّيْتُ مِمَّا بَيْنَنَا وَتَخَلَّيْتُ^(٢)
لِكَالْمُرْتَجِي ظِلَّ الْغَمَامَةِ، كُلَّمَا تَبَوَّأَ مِنْهَا لِلْمَقِيلِ اِضْمَحَلَّتِ^(٣)

كان كثير قصيراً دميماً

وكان كثير قصيراً دميماً، ولذلك قال:

فَإِنْ أَكَّ مَعْرُوقَ الْعِظَامِ فَإِنِّي إِذَا مَا وَزَنْتُ الْقَوْمَ بِالْقَوْمِ وَازِنُ^(٤)

ودخل كثير على عبد الملك بن مروان في أول خلافته، فقال: أنت كثير؟ فقال: نعم، فافتحهم، وقال: تَسْمَعُ بِالْمَعِيدِي لَا أَنْ تَرَاهُ^(٥)! فقال: يا أمير المؤمنين، كلُّ إنسان عند محله رَحْبُ الْفَنَاءِ، شَامُخُ الْبِنَاءِ، عَالِي السَّنَاءِ، وأنشد يقول:

تَرَى الرَّجُلَ النَّحِيفَ فَتَزْدَرِيهِ وَفِي أَثْوَابِهِ أَسَدٌ هَضُورُ
وَيُعْجِبُكَ الطَّرِيرُ إِذَا تَرَاهُ فَيُخَلِّفُ ظَنَّاكَ الرَّجُلُ الطَّرِيرُ^(٦)
بُغَاثُ الطَّيْرِ أَطْوَلُهَا رِقَاباً وَلَمْ تَطُلِ الْبُزَاةُ وَلَا الصُّقُورُ^(٧)
خَشَاشُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاحاً وَأُمُّ الْبَازِ مِقْلَاةٌ نَزُورُ^(٨)

(١) وُطِّنَتْ: مُهَدَّتْ وَأُعِدَّتْ. واعتراه: اصطباره، يقال: نزلت به مصيبة فوجد عروفاً: أي صبوراً، والعارف: الصابر.

(٢) تَخَلَّيْتُ: تَرَكْتُ.

(٣) الغمامة: السحابة. تبوَّأ: نزل. المقييل: النوم نصف النهار. اضمحلت: انقشعت. يشبه تعلقه بعزة بعد الفراق بظل سحابة، سرعان ما تنقشع، ويبقى هو في حرِّ الشمس.

(٤) قبل هذا البيت:

رَأَتْ رَجُلًا أَوْدَى السَّقَامُ بِجِسْمِهِ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنَطِقٌ وَجُنَاحُنْ

وبعده:

وَأِنِّي لِمَا اسْتَوْدَعْتَنِي مِنْ أَمَانَةٍ إِذَا ضَيَعَ الْأَمْرَارَ يَا عَزَّ دَافِنُ

(٥) وفي رواية: «أَنْ تَسْمَعَ بِالْمَعِيدِي خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ».

(٦) الطرير: ذو الهيئة الحسنة.

(٧) بُغَاثُ الطَّيْرِ: شِرَارُهَا.

(٨) خَشَاشُ الطَّيْرِ: العصافير ونحوها. والمقلاة: التي لا يعيش لها ولد. والتزور: قليلة الأولاد.

ضِعَافُ الْأَسَدِ أَكْثَرُهَا زَيْراً^(١) وَأَصْرُمُهَا اللَّوَاتِي لَا تَزِيرُ^(٢)
وَقَدْ عَظُمَ الْبَعِيرُ بِغَيْرِ لُبٍّ فَلَمْ يَسْتَعْنِ بِالْعِظَمِ الْبَعِيرُ^(٣)
يَنْوُحُ ثُمَّ يَضْرِبُ بِالْهَرَاوِي فَلَا عُرْفَ لَسَدِيهِ وَلَا نَكِيرَ^(٤)
يَقْسُوذُهُ الصَّبِيُّ بِكُلِّ أَرْضٍ وَيَضْرَعُهُ عَلَى الْجَنْبِ الصَّغِيرِ^(٥)
فَمَا عَظُمَ الرِّجَالُ لَهُمْ بِزَيْنٍ وَلَكِنْ زَيْنُهُمْ حَمَبٌ وَخَيْرُ^(٦)

فقال: قاتله الله! ما أطول لسانه، وأمد عنانه، وأوسع جنانه؛ إني لأحسبه كما وصف نفسه^(٦).

[قولهم في الطول والقصر]

لشاعر قديم

وأشدد أحمد بن عبيد الله لشاعر قديم:

وَعَادِلَةٌ هَبَّتْ بِلَيْلٍ تَلُومُنِي وَلَمْ يَغْتَمِرْنِي قَبْلَ ذَاكَ عَذُولُ^(٧)
تَقُولُ: ائْتِدْ لَا يَدْعُوكَ النَّاسَ مُمْلِقاً وَتُزِرِي بَمَنْ يَابُنَ الْكَرَامِ تَعُولُ^(٨)
فَقُلْتُ: أَبَتْ نَفْسُ عَلِيٍّ كَرِيمَةً وَطَارِقُ لَيْلٍ عِنْدَ ذَاكَ يَقُولُ
أَلَمْ تَعَلِّمِي يَا عَمْرُكَ اللَّهُ أَنَّنِي كَرِيمٌ عَلَى حِينِ الْكَرَامِ قَلِيلُ
وَأَنْنِي لَا أَخْزَى إِذَا قِيلَ مُمْلِقٌ سَخِيٌّ، وَأَخْزَى أَنْ يُقَالَ بَخِيلُ
فَلَا تَتَّبِعِي النَّفْسَ الْغَوِيَّةَ وَانْظُرِي إِلَى عُنْصُرِ الْأَحْسَابِ كَيْفَ يَقُولُ

(١) لا تزير: لا تزأر.

(٢) اللب: العقل.

(٣) ينوح: يبرك.

(٤) وفي رواية: «وينحره على الترب الصغير».

(٥) وفي رواية: «كرم وخير».

(٦) وفي رواية: «فقال عبد الملك بن مروان: لله درّه! ما أفصح لسانه، وأضبط جنانه، وأطول عنانه! والله إني لأظنه كما وصف نفسه».

(٧) اغتمره: عدّه غمراً، وهو قليل التجربة.

(٨) مملق: فقير، تزري: تسيء.

وَلَا تَذْهَبُنْ عَيْنَاكِ فِي كُلِّ شَرْمَحٍ لَهُ قَصَبٌ جُوفُ الْعِظَامِ أَسِيلٌ^(١)
 عَمَى أَنْ تَمْنَى عِرْسُهُ أَنَّنِي لَهَا بِهِ، حِينَ يَشْتَدُّ الزَّمَانُ، بِدِيلٍ^(٢)
 إِذَا كُنْتَ فِي الْقَوْمِ الطُّوَالِ فَطُلْتَهُمْ بِعَارِفَةٍ حَتَّى يُقَالَ طَوِيلٌ^(٣)
 وَلَا خَيْرَ فِي حُسْنِ الْجُسُومِ وَطُولِهَا إِذَا لَمْ تَزِنْ حُسْنَ الْجُسُومِ عَقُولُ
 فَكَائِنٌ رَأَيْنَا مِنْ فُرُوعِ طَوِيلَةٍ تَمُوتُ إِذَا لَمْ تُحْيِهِنَّ أَصُولُ
 فَلِإِلَّا يَكُنْ جِسْمِي طَوِيلًا فَإِنَّنِي لَهُ بِالْفِعَالِ الصَّالِحَاتِ وَصُولُ
 وَلَمْ أَرَ كَالْمَعْرُوفِ: أَمَا مَذَاقُهُ فَحُلُّوْ، وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُ

لابن الرومي

وقال ابن الرومي^(٤):

وَنَصِيفٍ مِنَ الرِّجَالِ نَعِيفٍ رَاجِحِ الْوِزْنِ عِنْدَ وَزْنِ الرِّجَالِ^(٥)
 فِي أَنْاسٍ أُونُوا حُلُومَ الْعَصَافِ رِ فَلَمْ تُغْنِهِمْ جُسُومُ الْبِغَالِ^(٦)

أخذه من قول حسان بن ثابت، وقال له بنو الديان الحارثيون: قد كنا ونحن نطول بأجسامنا على العرب حتى قلت:

دَعُوا التَّحَاجُوزَ وَأَمْشُوا مِشْيَةَ سُجْحًا إِنَّ الرِّجَالَ ذَوُو قَدٍّ وَتَذْكِيرٍ^(٧)
 لَا بَأْسَ بِالْقَوْمِ مِنْ طُولٍ وَمِنْ عَظَمٍ جِسْمُ الْبِغَالِ وَأَحْلَامُ الْعَصَافِيرِ
 فتركتنا لا نرى أجسامنا شيئا.

(١) الشرمح: الرجل الطويل. والأسيل: الأملس.

(٢) عِرْسُهُ: زوجته.

(٣) العارفة: المكربة.

(٤) ابن الرومي، الديوان: ٢٣٨/٥. والبيتان من قصيدة يمدح بها علي بن يحيى النديم ويعاتبه، وهي أطول قصيدة لامية له.

(٥) في الديوان: «مِنْ قُصَيْفٍ»، والقضيف: الدقيق العظيم، القليل اللحم.

(٦) يقول: في أناس ذوي عقول صغيرة في أجسام كبيرة.

(٧) التحاجوز: فتح الصدر عند المشي تيهًا وكبرياءً.

لعنترة العبسي

والعربُ تمدح الطول، وتثني عليه، وقال عنترة بن شداد^(١):

بَطْلٌ كَأَنَّ ثِيَابَهُ فِي سَرْحَةٍ يُحْذِي نَعَالَ الْمُتَبِتِ لَيْسَ بِتَوَامٍ^(٢)

قوله «ليس بتوأم» يريد ليس ممن زوحم في الرحم فضعف، كما قال الشعبي، وقد دخل على عبد الملك بن مروان، فجعل ينظر إليه، وكان الشعبي قد وُلِدَ توأماً مع أخيه، فكان نحيفاً، فقال: يا أمير المؤمنين، إني زوحت في الرحم، وقال:

وَلَمَّا تَقَى الصَّفَانِ وَاخْتَلَفَ الْقَنَا نَهَالاً، وَأَسْبَابُ الْمَنَايَا نَهَالُهَا
تَيَّيْنُ لِي أَنَّ الْقَمَاءَ ذِلَّةٌ وَأَنَّ أَعْرَاءَ الرَّجَالِ طَوَالُهَا^(٣)

لأبي نواس

وقال أبو نواس^(٤):

وَكُنَّا إِذَا مَا الْحَائِنُ الْجَدُّ غَرَّهُ سَنَى بَرْقٍ غَادٍ أَوْ ضَجِيجِ رَعَادٍ^(٥)
تَرَدَّى لَهُ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ بِمَاضِي الطُّبَى يَزْهَاهُ طُولُ نِجَادٍ^(٦)

- (١) عنترة بن شداد، الديوان: ص ٢٧.
- (٢) البطل: الفارس الشجاع. السرحة: الشجرة العظيمة الطويلة. وقوله: «يحذى نعال المتبت»، أي: يلبس نعال الملوك المدبوغة بالقرظ.
- (٣) قماً الرجل وغيره، وَقَمَوْ قَمَاءً وَقَمَاءً وَقَمَاءَةً: ذَلَّ وَصَغُرَ وَصَارَ قَمِيئاً، وَرَجُلٌ قَمِيءٌ: ذَلِيلٌ، وَقَمَاتُ الْمَرْأَةِ: صَغَرُ جَمْعِهَا، وَقَمَاتُ الْمَاشِيَةِ: سَمَتٌ، وَالْقَمَاءَةُ هُنَا: صِغَرُ الْجَسْمِ أَوْ قِصَرُهُ.
- (٤) أبو نواس، الديوان: ص ٤٧٢، والأبيات من قصيدة يمدح بها الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي (ت سنة ١٩٣ هـ / ٨٠٩ م).
- (٥) الحائِنُ الجَدُّ: يقال: حَانَ الرَّجُلُ إِذَا دَنَا مَوْتَهُ، وَالْمَصْدَرُ: الْحَيْنُ. وَالْجَدُّ: الْحَظَرُ. وَالسَّنَى: الضيَاءُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَكَادُ سَنَى بَرْقِهِ يَكْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾، (سورة النور، آية ٤٣). وَالرَّعَادُ: جَمْعُ لِلرَّعْدِ.
- (٦) الطُّبَى: جَمْعُ ظَبْيَةٍ، وَهِيَ مِنَ السِّيفِ حَذُّهُ. يَزْهَاهُ: يَرْفَعُهُ وَيَعْلِيهِ. وَالنِّجَادُ: حِمَائِلُ السِّيفِ، وَفِي امْتِدَاحِ الطَّوْلِ قَالَ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ فِي الْخَلِيفَةِ الْمَهْدِيِّ:
قَصُرَتْ حِمَائِلُهُ عَلَيْهِ فَقَلَصَتْ وَلَقَدْ تَأْتَقُ فَيْئُهُ فَاطَالُهَا
وَقَالَتِ الْخَنَسَاءُ فِي أَخِيهَا صَخْر:
طَوِيلُ النَّجَادِ رَبِيعُ الْعِمَا دِمَادٌ غَيْرَ رَتَّةٍ أَمْرَدَا
(الأصفهاني، الأغاني: ٦٨/١٥).

أَمَامَ خَمِيسٍ أَرْجُوَانٍ كَأَنَّهُ قَمِيصٌ مُحَوَّكٌ مِنْ قَنَّا وَجِيَادٍ^(١)
ومن هذا البيت أخذ أبو الطيب المتنبّي قوله^(٢):

وَمَلْمُومَةٌ زَرَدٌ ثَوْبُهَا وَلَكِنَّهُ بِالْقَنَّا مُحْمَلٌ^(٣)

[عود إلى أخبار كثير وعزة]

كثير عند عبد العزيز بن مروان وهو مريض

ودخل كثير على عبد العزيز بن مروان وهو عليل، وأهله يتمنون أن يتبسم، فقال:
لولا أن سرورك لا يتم بأن تسلم وأسقم لدعوتُ الله أن يصرف ما بك إليّ، ولكني أسأل الله
أيها الأمير العافية لك ولي في كفك؛ فضحك وأمر له بمال فخرج وهو يقول:

وَنَعُودُ سَيِّدِنَا وَسَيِّدَ غَيْرِنَا لَيْتَ التَّشْكِي كَانَ بِالْعُودِ^(٤)
لَوْ كَانَ تُقْبَلُ فِدْيَةٌ لَفَدَيْتُهُ بِالمُصْطَفَى مِنْ طَارِفِي وَتِلَادِي^(٥)

نقد ابن سلام الجمحي بعض شعر كثير

قال محمد بن سلام الجمحي^(٦): قال أبي: ذاكُرْتُ مروان بن أبي حَفْصَةَ شِعْرَ جَرِيرٍ

- (١) الخميس: الجيش، قال طرفة بن العبد:
وَأَيُّ خَمِيسٍ لَا أَفْأَنَا نَهَابُهُ وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ كَيْشِهِ دَمًا
والأرجوان: الأحمر.
- (٢) المتنبّي، الديوان: ٦٤/٢. والبيت من قصيدة يملح بها سيف الدولة الحمداني، وقد ضُربت له
خيمة عظيمة، فهبت ريحٌ شديدة فأسقطتها.
- (٣) الملمومة: المجموعة، يريد الكتيبة من الجيش. والزُّرْدُ: حلق الحديد (خبر مقدم عن ثوبها).
والقنا: الرماح. والمحمل: ما جعل له حمل، وهو هذب القטיפه ونحوها.
- (٤) العُودُ: الزائرون في المرض.
- (٥) المصطفى: المختار. الطريف: المال الحديث المُكْتَسَب. والتالد: المال الموروث عن الآباء
والأجداد.
- (٦) هو أبو عبد الله، محمد بن سلام بن عبيد الله بن سالم البصري، الجمحي: أديب، لغوي،
إخباري، راوية، حافظ. قدم بغداد، وأقام بها إلى أن توفي سنة ٢٣١ هـ / ٨٤٦ م. من آثاره:
«طبقات الشعراء» و«بيوتات العرب» و«غريب القرآن» وغيرها. (عمر كحالة، معجم المؤلفين:
٤١/١٠).

والفرزدق وكثير، فذهب إلى تقديم كثير، وجعل يُطْرِبُهُ ويقول: هو أمدحهم للخلفاء، فقلت: أَمِنْ جوده مدحه للخلفاء قوله لعبد الملك بن مروان:

تَرَى ابْنَ أَبِي الْعَاصِي وَقَدْ صُفِّ دُونُهُ ثَمَانُونَ أَلْفًا قَدْ تَوَافَتْ كُمُولُهَا
يَقْلِبُ عَيْنِي حَيَّةً بِمَفَازَةٍ إِذَا أَمَكَّتْهُ شِدَّةٌ لَا يَقِيلُهَا
فقال هذا للخليفة ودونه ثمانون ألفاً، وجعله يقلب عيني حية.
وقوله:

وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هُوَ الَّذِي غَزَا كَامَنَاتِ الْوُدِّ مِنِّي فَتَالَهَا
زَعَمَ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اسْتَعْطَفَهُ حَتَّى غَزَا كَامَنَاتِ صَدْرِهِ.
وقوله لعبد العزيز بن مروان:

وَمَا زَالَتْ رُقَاكَ تُسَلِّ ضِغْنِي وَتُخْرِجُ مِنْ مَكَامِنِهَا ضِيبَابِي^(١)
وَيَرْقِنِي لَكَ الْحَاوُونَ حَتَّى أَجَابِكَ حَيَّةٌ تَحْتَ الْحِجَابِ^(٢)
زعم أن عبد العزيز ترصاه، واحتال له ورقاه، حتى أجابه؛ أكذا تُمدح الملوك؟ فأُسْكَنَتْهُ.

فصول قصار

من كان له من نفسه واعظ، كان من الله عليه حافظ. العبد حرٌّ إذا قنع، والحرُّ عبدٌ إذا طمع. الأمانى تَخْدَعُكَ، وعند الحقائق تَدْعُكَ. إذا كان الطمع هلاكاً، كان اليأس إدراكاً. ليس يُعَدُّ حكيماً، من لم يكن لنفسه خَصِيماً. تعرَّ عن الشيء إذا مُنِعْتَهُ، بقله ما يصحبك إذا مُنِحْتَهُ. تجرَّع مَضَضَ الصبر تطفئ نار الضر. الحكمة حِفْظُ ما كلفت، وترك ما كفيت. الصَّبْرُ عن محارم الله، أيسر من الصبر على عذاب الله.

شذور لأهل العصر في معاني شتى

من كلام قابوس بن وشمكير

قطعة من كلام الأمير قابوس بن وشمكير شمس المعالي في أثناء رسائله: بِزَنْدِ الشَّيْعِ

- (١) الضَّغْنُ: الحقد الدفين. والضَّبابُ: جمع ضَبٍّ، وهو دويبة من الحشرات، أحرش الذنب خشنه، ولونه إلى الصُّخْمَةِ، وهي غُبْرَةٌ مُثْرَبَةٌ سَوَادًا، وإذا سمن أصفر صدره.
(٢) الحاوون: جمع حاوٍ، وهو الذي يصطاد الحيات، ويروضها، ويلاعبها.

تُورِي نار النجاح، ومن كف المفيض يُنْتَظَر فوز القِداح، الوسائل أقدام ذوي الحاجات،
والشفاعات مفاتيحُ الطَّلِبَات. العفو عن المجرم من مُوجِبَات الكرم، وقَبُولُ المعذرة من
محاسن الشِّيم. وبالقوادم والخوافي قُوَّةُ^(١) النجاح، وبالأسنة والعوالي عمل الرماح. الدنيا
دار تغرير وخداع، وملتقى ساعةٍ لوداع، والناس مُتَصَرِّفُونَ بين كلِّ وردٍ وصدر، وصائرون
خبراً بعد أثر. غايةُ كلِّ متحرِّكٍ إلى سكون، ونهايةُ كلِّ متكونٍ ألاَّ يكون، وآخر الأحياء فنَاءٌ،
والجزع على الأموات عَنَاءٌ، وإذا كان ذلك كذلك، فلمَ التهالك على الهالك؟. حَشُوُ الدهر
أحزان وهموم، وصفوهُ من غير كدر معدوم. إذا سمح الدهر بالحباء^(٢)، فأبشر بوشك
الانقضاء، وإذا أعار، فاحسبه قد أغار. الدهر طعمان حلو ومرّ، والأيام ضربان عُسر وَيُسّر.
لكل شيء غايةٍ ومنتهى، وانقطاع وإن بلغ المدى. تَرُكُ الجواب، داعيةُ الارتباب، والحاجة
إلى الاقتضاء، كسوف في وجه الرجاء. هم المنتظر للجواب ثقیل، والمدى فيه وإن كان
قصيراً طویل، النجيب إذا جرى لم يشقَّ غباره^(٣)، وإذا سرى لم تلحق آثاره. ومن أين
للضباب صَوْبُ السحاب^(٤)، وللغراب هَوِيُّ العقاب. وهيهات أن تكتسب الأرض لطافة
الهواء، ويصير البدر كالشمس في الضياء.



للثعالبي يصف شمس المعالي

وقد ترجم عن شمس المعالي أبو منصور الثعالبي في كتاب ألفه له؛ قال في أوله: أمّا
على أثر حمدِ الله الذي هو أوَّلُ كتابه، وآخرُ دعوى ساكني دارِ ثَوَابِهِ، والصلاةِ على خيرته
من بَرِيَّتِهِ، وعلى الصَّفوةِ من ذرّيته، فإنَّ خيرَ الكلام ما شغل بِخِدْمَةِ مَنْ جَمَعَ اللهُ له عِزَّةَ
المُلْكِ إلى بَسْطَةِ العلم، ونورَ الحكمةِ إلى نفوذِ الحكم، وجَعَلَهُ مُمَيَّزاً على ملوكِ العصر،

(١) القوادم: جمع قادم، وهو من الإنسان رأسه، وأكثر ما يُتَكَلَّمُ به جمعاً، والقوادم أرجع ريشات
من مقدم جناح الطائر، الواحدة قادمة، والمناكب اللواتي بعدهن إلى أسفل الجناح، والخوافي:
ما بعد المناكب. ومن أمثالهم: «ما جعل القوادم كالخوافي»، وقيل: قوادم ريش الطائر: ضد
خوافيها.

(٢) الحباء: العطاء، قال الفرزدق:

خَالِي الَّذِي اغْتَصَبَ الْمُلُوكَ عَطَاءَهُمْ وَإِلَيْهِ كَانَ حَبَاءُ جَفَنَةٍ يُنْقَلُ

(٣) النجيب: الكريم، ومن الإبل: القوي، الخفيف، السريع. ولا يُشَقُّ له غبار: لا يُسْبَق.

(٤) الصَّوْبُ: نزول المطر، أو المطر نفسه.

ومدبري الأرض وولاة الأمر، بخصائص من العدل، وجلائل من الفضل، ودقائق من الكرم المحض، لا يدخل أيسرها تحت العادات، ولا يُدرك أفلها بالعبارات؛ ومحاسن [سير] الأنام، تحرُسها أسنة الأقلام، وتدرسها السنة الليالي والأيام، وهذه صفة تُغني عن تشبيه الموصوف باختصاصه بمعناها، واستحقاقه إياها، واستثاره على جميع الملوك بها، ولعلم سامعها ببديهة السماع أنها للأمير، شمس المعالي، خالصة، وعليه مقصورة، وبه لائقة، وعن غيره نافرة؛ إذ هو - بمعانيه الآثار، وشهادة الأخيار، وإجماع الأولياء، واتفاق الأعداء - كافل المجد، وكافي الخلق، وواحد الدهر، وغرة الدنيا، ومفزع الوري^(١)، وحسنه العالم، ونكتة الفلك الدائر؛ فبلغه الله أقصى نهاية العمر، كما بلغه أقصى غاية الفخر؛ وملّكه أزمته الأمر، كلما ملّكه أعتته الفضل؛ وأدام حسن النظر للعباد والبلاد، بإدامة أيامه التي هي أعياد الدهر، ومواسم الثمن والأمن، ومطالع الخير والسعد، وزاد دولته شباباً ونمواً، كما زاده في الشرف علواً، حتى تكون السعادات وفدّ بابه، والبشائر قرى سمعه، والمسار غذاء نفسه، ويطرأ به الإقبال إلى حيث لا يبلغه أمل، ولا يقطعُه أجل.

* * *

نحافى قوله: «وهذه صفة تُغني عن الموصوف» إلى قول أبي الطيب يرثي أخت سيف الدولة^(٢):

يا أختَ خيرِ أخٍ يا بنتَ خيرِ أبٍ كنايةً بهما عن أشرفِ النسبِ^(٣)
أجلٌ قدرُك أن تُسميَ مؤنثةً ومن دَعَاكَ فقد سَمَاكَ للعربِ^(٤)

* * *

(١) مفزع الوري: ملجؤهم وملأدهم.

(٢) المتنبى، الديوان: ٢٢٨/٢.

(٣) أي: يا أخت سيف الدولة، ويا بنت أبي الهيجاء، وهو المراد بأشرف النسب، فكنى عن ذلك، ونصب كناية على المصدر، كأنه قال: كُنت كنايةً.

(٤) في الديوان:

أجلٌ قدرُك أن تُسميَ مؤنثةً ومن يصفك فقد سَمَاكَ للعربِ
ومؤنثة: حال من الباء في «تُسمي»، والتأين: الثناء على الميت. يقول: أنت أجل من أن أعرفك باسمك، لأن وصفك يغني عن تسميتك.

مدائح في شمس المعالي ابن وشمكير

وفي شمس المعالي يقول الأمير أبو الفضل الميكالي:

لَا تَعْصِيَنَّ شَمْسَ الْعُلَا قَابُوسَا فَمَنْ عَصَى قَابُوسَ لَأَقَى بُوسَا^(١)

وله يقول بديع الزمان في قصيدة نظمها في تضاعيف رسالة موشحة:

إِنْ مَنْ كُنْتَ مِنْ مُنَاهِ بِمَرَأَى	وَتَعَسَّدَاكَ مَيَّيْءُ الْاِقْتِرَاحِ
بَيْنَ بَشَرٍ يَرُدُّ غَائِضَ جَاهِي	وَقَبُولِ يُعِيدُ رِيثَ جَنَاحِي ^(٢)
وَبَسَاطِ وَرَدْتُ مَشْرَعَةَ الْأُذَى	سِ بِهِ وَادَّرَعْتُ بُرْدَ النَّجَاحِ ^(٣)
فَاقْضِ أَوْطَاراً الثَّقَتِ وَالْمَعَالِي	فِي نِظَامٍ مِنْ النُّهَى وَتَصَاحِ ^(٤)
مَلِكُ دُونِهِ تَقَطَّعُ أَبْصَا	رُ اللَّيَالِي يَوْمَانِي وَكِفَاحِ
مَلِكُ لَوْ يَشَاءُ مَدَّ عَلَى النَّجْدِ	سِمَ رَوَاقاً وَرَدَّ وَفَدَ الرِّيَاحِ ^(٥)
تَارَةً فِي خُسُونَةِ الدَّهْرِ تَلَقَّا	هُ وَطَوَّراً فِي حُسْنِ ذَاتِ الْوِشَاحِ
مَلِكُ كُلِّمَا بَدَا تَقِفُ الْأَفْ	سَ لَكَ عُجْباً بِهِ وَفَرَطَ ارْتِيَاحِ
هَكَذَا هَكَذَا تَكُونُ الْمَعَالِي	طُرُقُ الْجَدِّ غَيْرُ طُرُقِ الْمِزَاحِ

وهي طويلة، كتبها على طريق الاختيار.

[من رسائل بديع الزمان]

رقعة بديع الزمان إلى شمس المعالي، وقد ورد حضرته:

لم تَزَلِ آلَامًا - أطل الله بقاء الأمير السيد شمس المعالي، وأدام سلطانه - تَعِدُنِي هَذَا
اليوم، والأيامُ تَمُطِّلُنِي بِالسَّيَةِ صُرُوفِهَا، عَلَى اخْتِلَافِ صُنُوفِهَا، بَيْنَ حُلُوِّ أَسْتَرْقُنِي، وَمَرٍّ
اسْتَخْفَنِي، وَشَرِّ صَارَ إِلَيَّ، وَخَيْرٌ صِرْتُ إِلَيْهِ، وَأَنَا فِي خِلَالِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ أَذْرَعُ الْآفَاقَ فَأَكُونُ

(١) البوس: البؤس.

(٢) غائض: من غاض الماء غَيْضاً ومغِيضاً: نقص أو غار وذهب، أو قَلَّ وَنَضَبَ.

(٣) اَدَّرَعَ الْبُرْدَ؛ لِبِهِ.

(٤) الْأَوْتَارُ: الْحَوَافِجُ، الْمَفْرَدُ: وَطَر.

(٥) الرُّوَاقُ وَالرَّوْقُ: سَقْفٌ فِي مَقْدَمِ الْبَيْتِ، وَقِيلَ: سِتْرٌ يُمَدُّ دُونَ السَّقْفِ، وَقِيلَ: رَوَاقُ الْبَيْتِ: مَقْدَمُهُ، وَالْجَمْعُ أَرْوَقَةٌ.

طوراً مَشْرِقاً للمشرق الأقصى، وطوراً مَغْرِباً للمغرب، ولا مطمح إلا حضرته الرفيعة، وسُدَّتْه المريعة، ولا وسيلة إلا المنزع الشاسع، والأمل الواسع؛ وقد صرت - أطل الله بقاء الأمير مولانا - بين أنيابِ النوائب، وتَجَسَّمتْ هَوَلُ الموارد، وركبت أكتاف المكاره، وَرَضَعْتُ أخلاف العواقب، ومسحت أطراف المراحل، حتى حضرت الحَضْرَة البهية أو كِدْتُ، وبلغت الأمنية أو زِدْتُ، وللأمير السيد في الإصغاء إلى المجد، والبَسْط من عنان الفضل، بتمكين خادِمه من المجلس يَلْقَاه بِقَدَمه، والبساط يَلْتِمُه بِفمه، تَفْضُّله، فله الرأْيُ العالي إن شاء الله.

وله إلى بعض الرؤساء وقد وعد بحضور مجلسه بالغداة وأمره أن يزف إليه ما أنشأه، فبعث به وكتب إليه:

مَرْحَباً بِسَلامِ الشَّيْخِ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ أَطَالَ اللهُ بَقَاهُ، وَلَا كَالْمَرْحَبِ^(١) بَطَلَعْتِهِ؛ وَقَدْ وَصَلَتْ تَحِيَّتُهُ فَشَكَرْتَهَا، وَعِدَّتُهُ الْجَمِيلَةَ بِالْحَضُورِ غدا فانتظرتها؛ ودعوتُ الله أن يَطُويَ ساعاتِ النهار، وَيُزِجَ الشَّمْسَ فِي الْمَغَارِ، وَيُقَرِّبَ مَسَافَةَ الْفَلَكَ الدَّوَّارِ، وَيَرْفَعَ الْبَرَكَةَ مِنْ سِيرِهِ، وَيَجْهَزَ الْحَرَكََةَ إِلَى دَوْرِهِ؛ وَيُسِرَّتِي بِوَفْدِ الظَّلَامِ وَقَدْ نَزَلَ، ثُمَّ لَمْ يَلَيْثْ إِلَّا رِيثَمَا رَحَلَ؛ وَقَدْ بَعَثْتُ بِمَا طَلَبَ سَمْعاً لَأَمْرِهِ وَطَاعَةَ، وَالنَّسْخَةَ أَسْقَمُ مِنْ أَجْفَانِ الْغَضْبَانِ، وَالشَّيْخِ سَيِّدِي - أَدَامَ اللهُ عَزَّه - يُرْكُضُ قَلَمَهُ فِي إِصْلَاحِهَا، وَجَبْدًا هُوَ فِي غَدٍ، وَقَدْ طَلَعَ كَالصَّبْحِ إِذَا سَطَعَ، وَالْبَرْقِ إِذَا لَمَعَ:

يَا مَرْحَباً بِغَدٍ وَيَا أَهْلاً بِهِ إِنْ كَانَ إِلِمَامُ الْأَجَبَةِ فِي غَدٍ^(٢)

وله إلى أبي الطيب سهل بن محمد يسأله أن يصله بأبي إبراهيم إسماعيل بن أحمد:

لَوْ كَانَ لِلْكَرَمِ عَنْ جَنَابِ الشَّيْخِ مُنْصَرَفٌ لَانْصَرَفْتُ، أَوْ لِلْأَمَلِ مُنْحَرَفٌ إِلَى سِوَاهُ لَانْحَرَفْتُ، أَوْ لِلتُّجِّحِ بَابٌ سِوَاهُ لَوُلِجْتُ، أَوْ لِلْفَضْلِ خَاطِبٌ غَيْرُهُ لَزَوَّجْتُ، وَلَكِنْ أَبَى اللهُ أَنْ يَعْقِدَ إِلَّا عَلَيْهِ الْخَنْصِرَ، أَوْ يَتَحَلَّى إِلَّا بِفَوَاضِلِهِ الدَّهْرِ، وَلَا يَزَالُ كَذَا يَتَّسِمُ الْمَجْدُ بِسِمَّتِهِ،

(١) الْمَرْحَبُ: يُقَالُ فِي تَحِيَّةِ الْوَارِدِ: أَهْلاً وَمَرْحَباً، أَيْ صَادَفْتُ أَهْلاً وَمَرْحَباً، وَقَوْلُهُمْ: مَرْحَباً وَأَهْلاً، أَيْ أَتَيْتُ سَعَةً، وَأَتَيْتُ أَهْلاً.

(٢) الْبَيْتُ فِي الْأَصْلِ:

لَا مَرْحَباً بِغَدٍ وَلَا أَهْلاً بِهِ إِنْ كَانَ تَفْرِيقُ الْأَجَبَةِ فِي غَدٍ
قَالَهِ النَّابِغَةُ الذَّيْنَانِي فِي قَصِيدَتِهِ بِالْمَتَجَرِّدَةِ زَوْجَةِ النِّعْمَانِ بْنِ الْمَنْزَلِ. (ديوانه: ص ٣٨).

ويجذب العلاء بهمته، ويُسعِدُ الدين بنظره، والدنيا بجماله، وغلامه أنا لو استعار الدَّهر لساناً، واتخذ الريح ترجماناً، لِيُشيعَ إنعامه حق الإشاعة، لَقَصُرَتْ به يَدُ الاستطاعة، فليس إلا أن يلبس مكارمه صافيةً سابعة، وَيَرِدَ مشارعه صافيةً سائغة، ويحيل الجزاء على يد قصور، والشكر على لسان قصير؛ ثم إن حاجاتي، إذا لم يَعَرَ من فلاتد المجد نحرها، ولم يَعْطَلْ من حَلْيِ المجد صدرها، كبر مهرها، وعَزَّ كفؤها، ولم أجد لها إلا واحداً أَخْضَرَ الجلد في بيت العرب، أو ماجداً يَمْلَأُ الدَّلُو إلى عقد الكَرَب^(١). وهذه حاجة أنا أرفها إلى الشيخ الإمام حَرَسَ الله مُهَجَّتَه، وأسوقها منظومة من الصِّدْرِ إلى العَجَز، كما يُسَاقُ الماءُ إلى الأرض الجُرُر^(٢)؛ وأنا من مُفْتَسِحِ اليوم إلى مُخْتَمِمِهِ، ومن قَرْنِ النهار إلى قَدَمِهِ، قاعد كالكَرْكِي^(٣)، أو الديك الهِنْدِي، في هذا الأَدْحِي^(٤)، يمرُّ بي أولو الحلى والحلل، ويجتاز ذوو الخيل والخول^(٥)، وما أنا والنظر إلى ما لا يَلِينِي، والسؤال عما لا يَعْنِينِي، واليوم، لما اقتضضنا عُذْرَةَ الصِّباح^(٦)، ملأت جفوني من مَنَظَرٍ ما أَوْجَحَه إلى عَيْبٍ يَصْرِفُ عَيْنَ كَمَالِهِ، عن جماله، فقلت لمن حضر: مَنْ هذا؟ فأخذوا يُحَرِّكون الرُّؤوسَ استظرافاً لحالي، ويتغامزون تعجباً من سؤالي، وقالوا: هذا الشيخ الفاضل أبو إبراهيم إسماعيل بن أحمد، فقلت: حَرَسَ الله مُهَجَّتَه، وأدام غِبَطَتَه؛ فكيف الوصول إلى خِدْمَتِهِ، وأنى مَأْتَى معرفته؟ قالوا: إن الشيخ الإمام - أدام الله تأييده - يضربُ في مودَّتِهِ بالقُدْحِ المُعْلَى، ويأخذ في معرفته بالحِظِّ الأَعْلَى، فإن رأى الشيخ - أطل الله بقاءه - أن تُجْعَلَ عنايته حَرْفَ الصَّلَاةِ، وتفضله لَامَ المَعْرِفَةِ، فَعَلَّ، إن شاء الله.

[من أخبار البرامكة]

قال الرشيد ليحيى بن خالد: يا أبت، إني أردت أن أجعل الخاتم الذي في يد الفضل إلى جعفر، وقد احتشمت منه فاكفنيته.

- (١) الماجد: الشَّريفُ الخَيْرُ. وَالكَرْبُ: الحَبْلُ يلي الماء. قال الفضل بن العباس اللهي: مَنْ يُسَاجِلُنِي يُسَاجِلُ مَاجِداً يَمْلَأُ الدَّلُو إلى عَقْدِ الكَرَبِ (ابن منظور، لسان العرب: سجل).
- (٢) الجُرُرُ: الأرض لا تنبت شيئاً.
- (٣) الكركي: طائر يقرب من الوَرْد، أبتَر الذنب، رمادي اللون، يأوي إلى الماء أحياناً.
- (٤) الأَدْحِي: المكان من الرمل، تبيض فيه النعام.
- (٥) الخَيْلُ: الخِيَلَاءُ. والخَوْلُ: الإماء والعبيد والخدم.
- (٦) اففض العذرة: افترعها.

فكتب إليه يحيى: قد أمر أمير المؤمنين - أعلى الله أمره - أن يحول الخاتم من يمينك إلى شمالك.

فأجاب الفضل: قد سمعتُ ما قاله أمير المؤمنين في أخي، وقد أطلعت على أمره، وما انقلبتُ عني نعمةً صارت إليه، ولا عزتٌ^(١) عني رتبةٌ طلعتُ عليه.

فقال جعفر: لله أخي! ما أنفَسَ نفسه، وأبين دلائل الفضل عليه، وأقوى مُتَّة العَقل فيه، وأوسع في البلاغة ذرعه، وأرحب بها جنبه. يُوجب على نفسه ما يجب له، ويَحْمِلُ بكرمه فوق طاقته.

ثمامة بن أشرس يصف جعفر بن يحيى

وذكر جعفر بن يحيى في مجلس ثمامة بن أشرس^(٢) فقال: ما رأيتُ أحداً من خَلْقِ الله كان أبسطَ لساناً، ولا ألحنَ بحجة، ولا أفدر على كلام، بتَظْمٍ حَسَنٍ، وألفاظٍ عذبة، ومَنطِقٍ فصيح؛ من جعفر بن يحيى، كان لا يتوقف، ولا يتحسب، ولا يَصِلُ كلامه بِحَسْبِ من الكلام، ولا يُعَبِّدُ لفظاً ولا معنى، ولا يَخْرُجُ من فنٍّ إلى غيره، حتى يبلغَ آخِرَ ما فيه؛ وكان لا يرى شيئاً إلا حكاها، ولا يَحْكِي شيئاً إلا كان أكثر منه، ولا يَمُرُّ بذهنه شيء إلا حفظه، وكان إذا شاء أضحك الثكلى، وأذهل الزاهد، وخشَنَ قلبَ العابد.

قلت: فكيف كانت معرفته؟ قال: كان من أعلم الناس بالخبر الباهر، والشعر النادر، والمثل السائر، والفصاحة التامة، واللسان البسيط.

سهل بن هارون يصف يحيى وابنه جعفر

قال سهل بن هارون، وذكر يحيى بن خالد وابنه جعفرأ، فقال: لو كان الكلام مُتَصَوِّراً دُرّاً، ويُلقِيهِ المنطق جَوْهراً، لكان كلامُهُما، والمُنْتَقَى من ألفاظهما. ولقد غَبَرَتَ معهما، وأدركتُ طبقة المتكلمين في أيامهما، وهم يَرَوْنَ البلاغة لم تُسْتَكْمَلْ إلا فيهما، ولم تَكُنْ مقصورةً إلا عليهما، ولا انقادت إلا لهما. وإنهما للبابُ الكرم، عِتْقُ منظرٍ، وجودةٌ مَخْبِرٍ،

(١) عزيت: بعدت، ولعله أراد: «غربت» لتناسب قوله: «طلعت».

(٢) ثمامة بن أشرس (أبو معن النميري): أحد المعتزلة البصريين، ورد بغداد، واتصل بهارون الرشيد وغيره من الخلفاء، وله أخبار ونوادر، يحكيها عنه أبو عثمان الجاحظ وغيره. (الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ١٤٥/٧).

وسهولة لفظ، وجزالة منطق، ونزاهة نفس، وكمال خصال؛ حتى لو فاخرت الدنيا بقليل أيامهما، والمأثور من خصائصهما جميع أيام مَنْ سواههما من لَدُنْ آدم إلى أن يُنْفَخَ في الصور، ويُبْعَثَ أهل القبور - حاشا أنبياء الله الكرام، وسَلَفَ عباده الصالحين - لما باهت إلا بهما، ولا عَوَّلَ في الفخر إلا عليهما، ولقد كانا - مع تهذيب أخلاقهما، ومَعْسُول مَذَاقهما، وسنا إشراقهما، وكمال الخير فيهما - في محاسن المأمون كالنقطة في البحر، والخرَدَل في القفر.

توقيع لجعفر بن يحيى

وَوَقَّعَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى لِرَجُلٍ اعْتَذَرَ عَنْهُ مِنْ ذَنْبٍ: قَدْ قَدَمْتُ طَاعَتَكَ، وَظَهَرَتْ نَصِيحَتُكَ، وَلَا تَغْلِبْ سَيِّئَةَ حَسَنَتَيْنِ.

وَوَقَّعَ - وَقَدْ قَرَأَ كِتَابًا فَاسْتَحْسَنَ خَطَّهُ -: الْخَطُّ خَيْطُ الْحِكْمَةِ، يُنْظَمُ فِيهِ مَشُورُهَا، وَيُقَصَّلُ فِيهِ شُورُهَا.

واختصم رجلان بحضرته، فقال لأحدهما: أنت خَلِيٌّ، وهذا شَجِيٌّ؛ فكلامك يَجْرِي على بَرْدِ العافية، وجوابه يَجْرِي على حَرِّ المصيبة.

بين جعفر بن يحيى ومروان بن أبي حفصة

ودخل مروان بن أبي حفصة على جعفر بن يحيى فأشده:

أَبْرَ فَمَا تَرْجُو الْجِيَادُ لِحَاقَهُ أَبُو الْفَضْلِ سَبَّاقُ الْأَصَامِيمِ جَعْفَرُ
وَزِيرٌ إِذَا نَابَ الْخِلَافَةُ حَادِثٌ أَشَارَ بِمَا عَنْهُ الْخِلَافَةُ تَصْدُرُ

فقال جعفر: أنشدني مرثيتك في معن بن زائدة، فأشده:

أَقَمْنَا بِالْيَمَامَةِ أَوْ نَسِينَا مُقَامًا مَا نُرِيدُ بِهِ زَوَالَا
وَقُلْنَا: أَيْنَ نَذْهَبُ بَعْدَ مَعْنٍ وَقَدْ ذَهَبَ النَّوَالُ فَلَا نَوَالَا؟^(١)
وَكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ لِمَعْنٍ إِلَى أَنْ زَارَ حُفْرَتَهُ - عِيَالَا

حتى فرغ من القصيدة، وجعفر يُرْسِلُ دموعه على خديّه، فقال: هل أثابك على هذه المرثية أحدٌ من أهل بيته وولده؟ قال: لا، قال: فلو كان معن حيًّا، ثم سمعها منك، كم

كان يُمِيكَ عليها؟ قال: أربعمائة دينار، قال: فإنّا كنّا نظنّ أنه لا يرُضَى لك بذلك، وقد أمرنا لك عن معن - رحمه الله - بالضعف مما ظننته، وزدناك مثل ذلك؛ فاقبض من الخازن ألفاً وستمائة دينار قبل أن تخرج، فقال مروان - يذكر جعفرأ وما سمح به عن معن -:

نَفَحْتُ مُكَافِئاً عَنْ جُودِ مَعْنٍ لَنَا فِيمَا تَجُودُ بِهِ سَجَالاً^(١)
فَعَجَّلْتُ الْعَطِيَّةَ يَابْنَ يَحْيَى لِنَادِيهِ وَلَمْ تُرِدِ الْمِطَالاً^(٢)
فَكَافَأَ عَنْ صَدَى مَعْنٍ جَوَادُ بِأَجُودِ رَاحَةٍ بَذَلْتُ نَوَالاً^(٣)
بَنَى لَكَ خَالِدٌ وَأَبُوكَ يَحْيَى بِنَاءً فِي الْمَكَارِمِ لَنْ يُتَالَا
كَأَنَّ الْبَرْمَكِيَّ لِكُلِّ مَالٍ تَجُودُ بِهِ يَدَاهُ يُقِيدُ مَالاً^(٤)

* * *

أخذ هذا من قول زهير:

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ

من قصيدة لزهير بن أبي سلمى

وهذا البيت لزهير من قصيدة يقول فيها^(٥):

وَذِي نِعْمَةٍ تَمَّتْهَا وَشَكَرَتْهَا وَخَصَّمْ يَكَادُ يَغْلِبُ الْحَقُّ بَاطِلُهُ^(٦)
دَفَعْتُ بِمَعْرُوفٍ مِنَ الْحَقِّ صَائِبٍ إِذَا مَا أَضَلَّ الْقَائِلِينَ مَقَاصِلُهُ^(٧)

(١) نفحه بالمال نفحاً: أعطاه، قال ابن ميادة:

لَنَا أَنْتِيكَ أَرْجُو فَضْلَ نَائِلِكُمْ نَفَحْتَنِي نَفْحَةً طَابَتْ لَهَا الْعَرَبُ

(ابن منظور، لسان العرب: نفح). والسجال: هو من قولهم: الحرب بيتنا سجال، أي: إنا ندالّ عليهم مرّةً، ويدالّ علينا أخرى، وأصله: أن المستقين بسجلين من البر، يكون لكل واحد منهما سجّل، أي دلو ملأى بالماء.

(٢) المِطَالُ والمِطْل: تأخير الوفاء بالوعد وغيره، أو ما شابهه.

(٣) الجواد: الكريم.

(٤) يقيد هنا: يأمّن يأخذ.

(٥) زهير بن أبو سلمى، الديوان: ص ٦٤ - ٧٠، والقصيدة في مدح حصن بن حذيفة بن بدر.

(٦) يقول: تنعم فتمم ما أنعمت به وإذا أسديت إليك نعمة شكرتها.

(٧) مفاصله: هو من قولهم: طبق المفصل، أي أن الجزار الحاذق إذا أراد القطع أصاب المفصل.

يقول: إذا لم يهتد الناطقون لمفاصل الكلام ومقاطعه، فأنّت مُهْتَدٍ إليها.

وَذِي خَطَلٍ فِي الْقَوْلِ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُصِيبٌ فَمَا يُلْمَمُ بِهِ فَهُوَ قَائِلُهُ^(١)
 عَبَأْتُ لَهُ حِلْمًا، وَأَكْرَمْتُ غَيْرَهُ وَأَعْرَضْتُ عَنْهُ وَهُوَ بَادٍ مَقَاتِلُهُ^(٢)
 وَأَبْيَضَ فَيَّاضٍ يَدَاهُ غَمَامَةٌ عَلَى مُعْتَقِيهِ مَا تُغِيبُ نَوَافِلُهُ^(٣)
 غَدَوْتُ عَلَيْهِ غُدْوَةً فَارَأَيْتُهُ قَعُودًا لَدَيْهِ بِالصَّرِيمِ عَوَازِلُهُ^(٤)
 يُفْدِيَنُهُ طَوْرًا، وَطَوْرًا يُلْمَنُهُ وَأَعْيَا فَمَا يَدْرِيْنَ أَيْنَ مَخَاتِلُهُ^(٥)
 فَأَعْرَضَنَ عَنْهُ عَنْ كَرِيمٍ مُرَرًا جَمُوحٌ عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ فَاعِلُهُ^(٦)
 أَحْيَى ثِقَةٍ لَا يُذْهَبُ الْحَمَرُ مَالَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يُذْهَبُ الْمَالُ نَائِلُهُ^(٧)

تعليق عليها لقدامة بن جعفر

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ قُدَامَةُ بْنُ جَعْفَرٍ^(٨)، فِي مَعْنَى أَبِيَات زَهِيرِ الْأُولَى^(٩): لَمَّا كَانَتْ فَضَائِلُ النَّاسِ مِنْ حَيْثُ هُمْ نَاسٌ، لَا مِنْ طَرِيقٍ مَا هُمْ مُشْتَرِكُونَ فِيهِ مَعَ سَائِرِ الْحَيَوَانِ، عَلَى مَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْأَلْبَابِ مِنَ الْإِتِّفَاقِ فِي ذَلِكَ، إِنَّمَا هِيَ الْعَقْلُ وَالْعِفَّةُ وَالْعَدْلُ وَالشَّجَاعَةُ، كَانَ الْقَاصِدُ لِلْمَدْحِ بِهَذِهِ الْأَرْبَعَةِ مُصِيبًا، وَبِمَا سِوَاهَا مُخْطِئًا؛ وَقَدْ قَالَ زَهِيرُ:

- (١) الْخَطَلُ: الْخَطَأُ فِي الْقَوْلِ. مَا يُلْمَمُ بِهِ: مَا يَحْضُرُهُ مِنَ الْكَلَامِ.
- (٢) عَبَأْتُ لَهُ حِلْمًا: أَيِ حِلْمَتٍ عَلَيْهِ، وَصَفَحْتُ عَنْهُ، وَقَدْ بَدَتْ لَكَ مَقَاتِلُهُ.
- (٣) الْأَبْيَضُ: أَرَادَ بِهِ رَجُلًا نَقِيًّا مِنَ الْعُيُوبِ، وَهُوَ مَمْدُوحُهُ. الْفَيَّاضُ: الْكَثِيرُ الْعَطَاءِ. وَالْمُعْتَقُونَ: طَالِبُو الْمَعْرُوفِ. تَغِيبُ تَقْطَعُ. فَوَاضَلَهُ: عَطَايَاهُ.
- (٤) الصَّرِيمُ: جَمْعُ الصَّرِيمَةِ: رَمْلَةٌ تَقْطَعُ عَنْ بَقِيَّةِ الرَّمْلِ. عَوَازِلُهُ: اللَّاتِي يَعْذِلُنَّهُ عَلَى إِنْفَاقِ الْمَالِ. وَفِي الدِّيَوَانِ: «بَكَرَتْ عَلَيْهِ».
- (٥) يَفْدِيَنُهُ: يَقْلِنُ لَهُ فِدْيَانُكَ. أَعْيَا: أَيِ أَعْجَزَهُنَّ، فَمَا يَدْرِيْنَ كَيْفَ يَخْدَعُنَّهُ لِيَسْتَنْزِلَهُ حَتَّى يَقْبَلَ عَذْلَهُنَّ.
- (٦) فِي الدِّيَوَانِ: «فَأَقْصَرَ مِنْهُ». وَأَقْصَرَ: كَفَفَ. وَالْمُرَرُّ: الْمَصَابُ بِمَالِهِ.
- (٧) أَحْيَى ثِقَةً: أَيِ يُوثِقُ بِمَا عِنْدَهُ مِنَ الْخَيْرِ لَمَّا عَلِمَ مِنْ جُودِهِ وَكَرَمِهِ. وَفِي الدِّيَوَانِ: «لَا تُتْلَفُ الْحَمَرُ مَالَهُ».

(٨) هُوَ أَبُو الْفَرَجِ، قُدَامَةُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ قُدَامَةَ: بَيَانِي، حَكِيمٌ، مَنْطِقِي، إِخْبَارِي، أَدِيبٌ، كَاتِبٌ، نَاقِدٌ. أَسْلَمَ عَلَى يَدِ الْمَكْتَفِيِّ بِاللَّهِ الْعَبَّاسِيِّ، وَسَكَنَ الْبَصْرَةَ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى بَغْدَادَ، وَجَالَسَ الْمُبَرِّدَ وَثَعْلَبًا وَغَيْرَهُمَا. تَوَفِيَ سَنَةَ ٣٣٠ هـ / ٩٤٨ م. مِنْ آثَارِهِ: «سِرُّ الْبَلَاغَةِ فِي الْكِتَابَةِ» وَ«نَقْدُ الشُّعْرِ» وَ«كِتَابُ الْخُرَاجِ» وَغَيْرُهَا. (عَمْرُ كَحَالَةٍ، مَعْجَمُ الْمُؤَلِّفِينَ: ١٢٨/٨).

(٩) انْظُرْ رَأْيَ قُدَامَةَ بْنِ جَعْفَرٍ مَفْصَلًا فِي «الْعُمْدَةِ»: ١٣١/٢ - ١٣٢.

أَخِي ثَقَّةٌ لَا يُتْلَفُ الْحَمْرُ مَالُهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يُهْلِكُ الْمَالَ نَائِلُهُ

فوصفه بالعفة لقلّة إمعانه في اللذات، وأنه لا يُتَفَدّ فيها ماله، وبالسّخاء لإهلاك ماله في النوال، وانحرافه إلى ذلك عن اللذات، وذلك هو العدل، ثم قال:

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ

فزاد في وَصْفِ السخاء بأنه يَهْشَر ولا يلحقه مَضَضٌ ولا تَكْرُهُ لِفِعْلِهِ ثم قال:

فَمَنْ مِثْلُ حِصْنٍ فِي الْحُرُوبِ وَمِثْلُهُ لِإِنْكَارِ ضَيْمٍ أَوْ لِأَمْرِ يُحَاوِلُهُ^(١)

فأتى في هذا البيت بالوصف من جهة الشجاعة والعقل؛ فاستوفى ضروب المدح الأربعة، التي هي فضائل الإنسان على الحقيقة، وزاد الوفاء، وإن كان داخلاً في الأربعة؛ فكثير من الناس لا يعلم وَجْهَ دخوله فيها حيث قال: «أخي ثقة» فوصفه بالوفاء؛ والوفاء داخل في هذه الفضائل التي قدّمناها.

وقد يتفنّن الشعراء فيعدّون أنواع الفضائل الأربع وأقسامها، وكلّ ذلك داخل في جملتها؛ مثل أن يذكروا ثَقَابَةَ المعرفة^(٢)، والحياء، والبيان، والسياسة، والصّدْعَ بالحجة، والعلم، والحلم عن سفاهة الجَهْلَةِ؛ وغير ذلك مما يجري هذا المجرى، وهو من أقسام العقل. وكذكّرهم القناعة، وقلة الشّرِّ، وطهارة الإزار؛ وغير ذلك أيضاً من أقسام العفة. وكذكّرهم الحماية، والأخذ بالثأر، والدفاع، والنكايّة، والمهابة، وقَتْلُ الأقران، والسير في المَهَامِ^(٣) والقفار؛ وما يشاكل ذلك، وهو من أقسام الشجاعة؛ وكذكّرهم السماحة، والتغابن^(٤)، والانظلام، والتبرّع بالنائل^(٥)، وإجابة السائل، وقِرَى الأضياف؛ وما جانس هذه الأشياء، وهو من أقسام العدل.

فأمّا تركيب بعضها على بعض فتحدث منها ستة أقسام: يحدث من تركيب العقل مع الشجاعة: الصبرُ على الملماتِ، ونوازلِ الخطوب، والوفاء بالوعود. وعن تركيب العقل مع

(١) الضيّم: الظلم، وضامه حَقُّه ضَيْمًا: نقصه إياه.

(٢) ثقابة المعرفة: ضَوْءُها، قدحها، من ثَقَبَتِ النارُ تَثْقِبُ ثَقُوبًا وثقابة: اتقدت، وتوهجت، وأضاءت.

(٣) المهامه: جمع مهمه، وهي الفلاة لا ماء فيها ولا أنيس.

(٤) التغابن: أن يغبن القوم بعضهم بعضاً، والغبنُ في البيع والشراء: الوكسُ والمخادعة والغش.

(٥) النائل: العطاء.

السخاء: إنجاز الوعد، وما أشبه ذلك. وعن تركيب العقل مع العفة: التنزه والرغبة عن المسألة، والاقصصار على أدنى معيشة، وما أشبه ذلك. وعن تركيب الشجاعة مع السخاء: الإخلاف، والإتلاف، وما أشبه ذلك. وعن تركيب الشجاعة مع العفة: إنكار الفواحش، والغيرة على الحرم. ومن السخاء مع العفة: الإسعاف بالقوت، والإيثار على النفس، وما شاكل ذلك. وكل واحدة من هذه الفضائل الأربع وسط بين طرفين مذومين.

لمحمد بن مناذر في البرامكة

وقد قال أبو جعفر محمد بن مناذر^(١) لما حجَّ الرشيد مع البرامكة:

أَتَانَا بَنُو الْأَمْلَاكِ مِنْ آلِ بَرْمَكٍ	فِيَا طَيْبَ أَخْبَارٍ، وَيَا حُسْنَ مَنْظَرٍ
لَهُمْ رِحْلَةٌ فِي كُلِّ عَامٍ إِلَى الْعِدَا	وَأُخْرَى إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ الْمُشْهَرِ
فَتُظْلِمُ بَغْدَادٌ، وَيَجْلُو لَنَا الدُّجَى	بِمَكَّةَ مَا حَجَّوْا ثَلَاثَةَ أَقْمَرٍ
إِذَا نَزَلُوا بِطَحَاءِ مَكَّةَ أَشْرَقَتْ	بِيَحْيَى وَبِالْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى وَجَعْفَرٍ
فَمَا خُلِقَتْ إِلَّا لِجُودِ أَكْفُهُمْ	وَأَقْدَامُهُمْ إِلَّا لِأَعْوَادِ مَنِيرٍ
إِذَا رَاضَ يَحْيَى الْأَمْرَ ذَلَّتْ صِعَابُهُ	وَحَسْبُكَ مِنْ رَاعٍ لَهُ وَمُسَدَّبِرٍ
تَرَى النَّاسَ إِجْلَالًا لَهُ وَكَأَنَّهُمْ	غَرَانِيقُ مَاءٍ تَحْتَ بَنَازٍ مُصْرِصِرٍ ^(٢)

[مثل من التجنيس]

لأبي الفضل الميكالي

قطعة من شعر الأمير أبي الفضل الميكالي في طرفٍ أخذ بطرف من التجنيس مستطرف في ضروب من الغزل، قال:

لَقَدْ رَاعَنِي بَذْرُ الدُّجَى بِصُدُودِهِ وَوَكَّلَ أَجْفَانِي بِرَعْيِ كَوَاكِبِهِ^(٣)

(١) هو أبو جعفر، وقيل: أبو ذريح، محمد بن مناذر، مولى بني صبير بن يربوع: شاعر مقدم فصيح، عالم باللغة والأدب. نشأ واشتهر بالبصرة، وكان في أول أمره متعبداً، ثم تهتك وهجا الناس. توفي سنة ١٩٨ هـ / ٨١٣ م. (ابن المعتز، طبقات الشعراء: ١١٩؛ الأصفهاني، الأغاني: ١٨/١٠٣).

(٢) الغرائيق: جمع غرنوق، وهو طير مائي أسود. والبازي: الصقر.

(٣) راعني: أتحافني، أفرعني. الدُّجَى: سواد الليل مع غيم.

فِيَا جَزَعِي، مَهْلًا عَسَاهُ يَعُودُ لِي وَيَا كَبِيدِي، صَبْرًا عَلَى مَا كَوَاكَ بِهِ^(١)

وقال:

مَوَاعِيذُهُ فِي الْفَضْلِ أَحْلَامُ نَائِمٍ أَشْبَهُهَا بِالْقَفْرِ أَوْ بِسَرَايِهِ
فَمَنْ لِي بِوَجْهِهِ لَوْ تَحَيَّرَ فِي الدُّجَى أَخُو سَفَرٍ فِي لَيْلٍ غَيْمٍ سَرَى بِهِ^(٢)

وقال:

صَلِّ مُحِبًّا أَعْيَاهُ وَصِفْ هَوَاهُ فَضَنَاهُ يُتُوبُ عَنْ تَرْجُمَانِهِ^(٣)
كُلَّمَا رَاقَهُ سِوَاكَ تَصَدَّتْ مُقْلَتَاهُ بِدَمْعِهِ تَرْجُمَانِهِ^(٤)

وقال:

يَا ذَا الَّذِي أَرْسَلَ مِنْ طَرْفِهِ عَلَيَّ سَيْفًا قَدَنِي لَوْ فَرَا^(٥)
شِفَاءُ نَفْسِي مِنْكَ تَخْمِيشَةٌ تَغْرِسٌ فِي خَدِّكَ نَيْلُوفَرَا

وقال:

يَا مُبْتَلَى بِضَنَاهُ يَرْجُو رَحْمَةً مِنْ مَالِكٍ يَشْفِيهِ مِنْ أَوْصَابِهِ^(٦)
[أَوْصَاكَ سِحْرُ جَفُونِهِ بِشَهْدِ
اضْبِرْ عَلَى مَضَضِ الْهَوَى فَلَرُبَّمَا
تَحْلُو مَرَارَةُ صَبْرِهِ أَوْصَابِهِ]

وقال:

كَتَبْتُ إِلَيْهِ أَسْتَهْدِي وَصَالًا فَعَلَّلَنِي بِوَعْدٍ فِي الْجَوَابِ
أَلَّا لَيْتَ الْجَوَابَ يَكُونُ خَيْرًا فَيُطْفِئُ مَا أَحَاطَ مِنَ الْجَوَى بِي

(١) الجزع: قلَّةُ الصبر على المكروه والشر.

(٢) سرى به: سار به ليلاً.

(٣) أعياه: أتعبه. والضى: المرض. والترجمان والترجمان: المُفسِّر، يقال: تَرْجَمَهُ وَتَرْجَمَ عَنْهُ.

(٤) راقه: أعجبه. والرَّجْمُ: القتل، وأصله الرمي بالحجارة حتى الموت، والرجم: اللعن، والطرْد، والسَّبُّ والسَّيْمُ.

(٥) القُدُّ: القَطْعُ المستأصل، والشقُّ طولاً. وَفَرَى الشيءَ فَرِيًّا وَفَرَاهُ: شَقَّه وَأَفْسَدَهُ.

(٦) الأوصاب: جمع وصب، وهو الوجع أو المرض.

وقال :

إِنْ كُنْتُ تَأَنَسُّ بِالْحَيِّبِ وَقُرْبِهِ فَاصْبِرْ عَلَى حُكْمِ الرَّقِيبِ وَدَارِهِ
إِنَّ الرَّقِيبَ إِذَا صَبَرْتَ لِحُكْمِهِ بَوَّاكَ فِي مَثْوَى الْحَيِّبِ وَدَارِهِ^(١)

وقال :

شَكُوتُ إِلَيْهِ مَا أَلَا قِي فَقَالَ لِي : رَوَيْدًا، فَنِي حُكْمِ الْهَوَى أَنْتَ مُوتَلِي^(٢)
فَلَوْ كَانَ حَقًّا مَا ادَّعَيْتَ مِنَ الْهَوَى لَقُلَّ بِمَا تَلْقَى إِذَا أَنْ تَمُوتَ لِي

وقال :

نَوَى لِي بَعْدَ إِكْثَارِ السُّوَالِ حَيِّبٌ أَنْ يُسَامِحَ بِالنُّوَالِ^(٣)
فَلَمَّا رُمْتُ إِنْجَازًا لَوَعْدِي عَلَيْهِ أَبَى الْوَفَاءَ بِمَا نَوَى لِي
وَكَانَ الْقُرْبُ مِنْهُ شِفَاءَ نَفْسِي فَقَدْ قَضَتْهُ النَّوَائِبُ بِالنُّوَى لِي

وقال :

سَقِيَاً لِدَهْرِ مَضَى وَالْوَصْلُ يَجْمَعُنَا وَنَحْنُ نَحْكِي عِنَاقاً شَكْلَ تَنْوِينِ
فَصِرْتُ إِذْ عَلَقْتُ كَفِّي حَبَائِلِكُمْ فَسَهُمْ هَجَرِكِ تَرْمِي ثُمَّ تَنْوِينِ^(٤)

وقال :

صَدَفَ الْحَيِّبُ بِوَصْلِهِ فَجَفَا رُقَادِي إِذْ صَدَفَ^(٥)
وَنَثَرْتُ لُسُلِي أَدُمِعَ أَضْحَى لَهَا جَفْنِي صَدَفَ

وقال :

يَا مَنْ يَقُولُ الشَّعْرَ غَيْرَ مُهَذَّبٍ وَيُسَوِّمُنِي التَّعْذِيبَ فِي تَهْذِيبِهِ

(١) بَوَّاكَ : أنزلك ، يقال : أباءه منزلاً ، وَبَوَّاهُ إِيَّاه ، وَبَوَّاهُ لَهُ ، وَبَوَّاهُ فِيهِ : هَيَّاهُ لَهُ ، وَأَنْزَلَهُ ، وَمَكَّنَ لَهُ فِيهِ ، وَتَبَوَّاتُ مَنْزَلاً : نَزَلَتْهُ .

(٢) مُوتَلِي : مقصر .

(٣) النوال : العطاء ، والمراد هنا : الوصال ، أو ما يمكن أن يسمح به الحبيب من قرب أو لثم وتقبيل .

(٤) تَنْوِينِي : تبعطني ، من النوى ، وهو البُعْد .

(٥) صَدَفَ الْحَيِّبُ : مَالَ ، وَعَدَلَ ، وَأَعْرَضَ ، من الصدوف ، وهو الميل عن الشيء ، والإعراض عنه .

لَوْ أَنَّ كُلَّ النَّاسِ فِيكَ مُسَاعِدِي لَعَجِزْتُ عَنْ تَهْذِيبِ مَا تَهْذِي بِهِ^(١)
وقال:

أَرَادَ أَنْ يُخْفِيَ هَوَاهُ وَقَدْ نَمَّ بِمَا تُخْفِي أَسَارِيرُهُ
وَكَيْفَ يُخْفِي دَاءَهُ مُذْنَفٌ قَدْ ذَابَ مِنْ فَرْطِ الْأَسَى رِيرُهُ^(٢)
وقال:

وَمُهْمُهُمْ سَفْ تَهْفُؤُ وَبِلُ سَبَّ الْمَرْءِ مِنْهُ شَمَائِلُ
فَالرَّدْفُ دَغَصٌ هَائِلُ وَالْقَدْ غُصَنٌ مَائِلُ^(٣)
وَالْخُدُّ نَوْرٌ شَقَائِقِي تَشَقُّ عَنْهُ خَمَائِلُ^(٤)
وَالْعَرْفُ نَشْرٌ حَدَائِقِي تَمَّتْ بِهِنَّ شَمَائِلُ^(٥)
وَالطَّرْفُ سَيْفٌ مَالُهُ إِلَّا الْعِذَارَ حَمَائِلُ

لأبي الفتح البستي

ولأبي الفتح البستي في هذا المذهب:

إِنْ لِي فِي الْهَوَى لِسَانًا كَتُومًا وَجَنَانًا يُخْفِي حَرِيقَ جَوَاهُ^(٦)
غَيْرَ أَنِّي أَخَافُ دَمْعِي عَلَيْهِ سَتَرَاهُ يُقْشِي الَّذِي سَتَرَاهُ

ولأبي الفتح البستي في مذهب هذا البيت الأخير:

نَاطِرَاهُ فِيمَا جَنَى نَاطِرَاهُ أَوْدَعَانِي أُمْتُ بَمَا أَوْدَعَانِي

- (١) هذى فلان يهذي هذياناً: تكلم بكلام غير معقول في مرض أو غيره.
- (٢) الرير: الدم، أو ذائب المخ.
- (٣) الرَّدْفُ: الكَفْلُ والعَجْزُ. والدَّغَصُ: قور من الرمل مجتمع، والجمع: أَدْعَاصُ وَدِعْصَةٌ، وهو أَقْلٌ مِنَ الْحِفْظِ، والطائفة منه: دِعْصَةٌ.
- (٤) شقائق: أي شقائق النعمان: زهر أحمر، سمي بذلك لأن النعمان بن المنذر نزل على شقائق رمل قد أنبتت الشَّقَرِ الأحمر، فاستحسنها وأمر أن تُحْمَى، فقليل للشقر: شقائق النعمان بمنبتها لا أنها اسم للشقر.
- (٥) العَرْفُ: الريح الطيبة.
- (٦) الجَنَانُ: القلب.

وله:

خُذِ الْعَفْوَ بِعَرْفٍ كَمَا أَمِرْتُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ^(١)
وَلِنُ فِي الْكَلَامِ لِكُلِّ الْأَنَامِ فَمُسْتَحْسَنٌ مِنْ ذَوِي الْجَاهِ لِنُ

وله:

إِلَى حَتْمِي سَعَى قَدَمِي أَرَى قَدَمِي أَرَا قَدَمِي
فَمَا أَنْفَكُ مِنْ نَدَمِي وَلَيْسَ بِنَافَعِي نَدَمِي

وله:

إِنْ هَزَّ أَقْلَامُهُ يَوْمًا لِيُعْمِلَهَا أَنْسَاكَ كُلَّ كَمِيٍّ هَرَّ عَامِلُهُ^(٢)
وَأِنْ أَقَرَّ عَلَى رَقٍّ أَنْأَمِلِسُهُ أَقَرَّ بِالرَّقِّ كُتَّابُ الْأَنَامِ لَهُ^(٣)

وقال لمن استدعاه إلى مودّته:

فَدَيْتُكَ قَلَّ الصَّدِيقُ الصَّدُوقُ وَقَلَّ الْخَلِيلُ الْحَفِيُّ الْوَفِيُّ^(٤)
وَلَيْ رَاغِبٌ فِيكَ إِمَّا وَفَيْتَ فَهَلْ رَاغِبٌ أَنْتَ فِي أَنْ تَفِي

وللامير أبي الفضل:

أَهْلًا بَطْطَبِي خَوَاهُ قَصْرُ كَجَنَّةٍ قَدْ حَوَتْ نَعِيمًا
طَرْقَتْهُ لَا أَهَابُ سُوءًا أَبَاحِنِي حُبُّهُ الْحَرِيمَا
فَجَادَ مِنْ فِيمَ لِي بِرَاحٍ تَنَفِّي حَرِيقًا بِهِ قَدِيمَا

(١) في البيت اقتباس من قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (سورة الأعراف، آية ١٩٩).

(٢) الكمي: الفارس التام السلاح، أو البطل الشجاع. وهَرَّ الشيء يَهْرُهُ هَرًّا وَهَرِيرًا: كرهه، قال المفضل بن المهلب بن أبي صفرة:

وَمَنْ هَرَّ أَطْرَافَ الْقَنَا خَشِيَةَ الرَّدَى فَلَيْسَ لِمَجْدٍ صَالِحٍ بِكُؤُوبٍ

(ابن منظور، اللسان: هـ). والعامل: الريح.

(٣) الرَّقُّ: الصحيفة البيضاء، وقيل: ما يَكْتَبُ فيه، وهو جلد رقيق، قال تعالى: ﴿فِي رَقٍّ مَنُشُورٍ﴾ (سورة الطور، آية ٣) أي في صُحُفٍ. والرَّقُّ (بالكسر): المِلْكُ والعبودية.

(٤) الخليل الحفي: الذي يحفُّ بخليله، أي يطوف به وَيُحْدِثُ.

أَفْدِي حَرِيقاً أَبَاحَ رِيقاً لَا بَلَّ حَرِيماً أَبَاحَ رِيماً
وله :

مَنْ لِي بِشَمْلِ الْمُنَى وَالْأَنْسِ أَجْمَعُ بِشَادِنٍ حَلٍّ فِيهِ الْحُسْنُ أَجْمَعُ
مَا زَالَ يُعْرِضُ عَنْ وَصْلِي وَأَخْدَعُهُ فَالآنَ قَدْ لَانَ بَعْدَ الصَّدِّ أَخْدَعُهُ^(١)
وقال :

بِأَيْبِي غَزَالَ نَامَ عَنْ وَصْبِي بِهِ وَمُزَاقٍ دَمَعِي لِلثَّوَى وَصَبِيهِ
يَا لَيْتَهُ يَرِثِي عَلَى وَلَهِي بِهِ لِيْغْرَامٍ قَلْبِي فِي الْهَوَى وَلَهِيهِ
وله في هذا الباب من غير هذا النمط يصف غلاماً مخموراً خمس وجهه :

هَبُّهُ تَغْيِيرَ حَائِلٍ عَنْ عَهْدِهِ وَرَمَى فُؤَادِي بِالصَّدُودِ فَأَزْعَجَا
مَا بَالُ نَرْجِسِهِ تَحَوَّلَ وَرْدَةً وَالْوَرْدُ فِي خَدَّيْهِ عَادَ بِنَفْسَجَا
وله في هذا المعنى :

وَرِيمَ عَلَى الشُّكْرِ خَمَشْتُهُ بِقَرُصٍ بَعَارِضِهِ أَثَرَا
فَسَأْضَحَ نَرْجِسُهُ وَرْدَةً وَوَرْدَةُ خَدَّيْهِ نَيْلُوفَرَا
وقال في وصف العذار :

ظَنَيْتُ كَسَا رَأْسَ الشَّبَابِ بَعَارِضِ نَمَّ الْعِذَارُ بِحَافَتَيْهِ فَلَا حَا
فَكَأَنَّمَا أَهْدَى لِعَارِضٍ خَدَّهُ شَعْرِي ظَلَاماً وَاسْتَعَاضَ صَبَاحَا
وقال في غلام افتصد :

وَمُهْمَنَهُفٍ غَرَسَ الْجَمَا لُ بِخُدَّهِ رَوْضاً مَرِيْعَا
فَصَدَّ الطَّيِّبُ ذِرَاعَهُ فَجَرَى لَهُ دَمْعِي ذَرِيْعَا^(٢)
وَأَمْسَنَسِي وَقَعُ الْحَدِيدِ سَدٍ يَبْعُرُ قَهْ أَلْمَا وَجِيْعَا

(١) الْأَخْدَعُ: عرق، هو شعبة من الوريد، وهما أخدعان: عرقان في موضع الحِجَامَةِ من العنق، وربما وقعت الشَّرْطَةُ على أحدهما فيتزف صاحبه.

(٢) الْفَضْدُ: شَقُّ الْعِرْقِ، وإخراج دمه. والذريع: السريع.

فَأَرِثْهُ مِنْ عَبْرَتِي مَا سَأَلَ مِنْ دَمِهِ نَجِيعًا^(١)

فقر في ذكر العلم والعلماء

العلماء ورثة الأنبياء. والعلماء أعلام الإسلام. العلماء في الأرض كالنجوم في السماء.

ابن المعتز - العلماء غرباء، لكثرة الجهل. وله: العلمُ جمالٌ لا يخفى، ونسبٌ لا يُجفى. وله: زلَّةُ العالمِ كانهكسار سفينة تغرق وتغرق معها خلقٌ كثير.

غيره - إذا زلَّ العالم، زلَّ بزلته عالمٌ. غيره: الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك. من لم يحتمل ذلَّ التعلم ساعة، بقي في ذل الجهل أبداً. ماصين العلم بمثل بذله لأهله. من كتم علماً فكأنه جاهله.

العلمُ يَمْنَعُ أَهْلَهُ أَنْ يَمْنَعُوا أَهْلَهُ^(٢)

أبو الفتح كشاجم:

وَالْعِلْمُ يَمْنَعُ جَانِبَهُ	لَا تَمْنَعُ الْعِلْمَ امْرَأً
هَمْ لُطْفُهُ وَغَرَائِبُهُ	أَمَّا الْغَبِيُّ فَلَيْسَ بِذِي
تَدِ عِنْدَهُ كَالْغَائِبَةِ	وَتَكْسُونَ حَاضِرَهُ الْفَوَا
سُقْ أَنْ يَنَالَ مَطَالِبَهُ ^(٣)	وَأَخَوِ الْحَصَافَةَ مُسْتَحِ
مِنْ فَضْلِ عِلْمِكَ وَاجِبَهُ	فِيحَقُّهُ أَعْطَيْتُهُ

ومن رَقَّ وَجْهُهُ عند السؤال، رَقَّ عِلْمُهُ عند الرجال. عِلْمٌ بلا عمل، كشجرة بلا ثمر. كما لا يُنْبِتُ المطرُ الكثيرُ الصَّخْرَ، كذلك لا ينفعُ البليدُ كثرةَ التعلم. من ترفع بعلمه وضعه الله بعمله. الجاهلُ صغيرٌ وإن كان كبيراً، والعالمُ كبيرٌ وإن كان صغيراً. من أكثر مذاكرة العلماء، لم ينس ما علم، واستفاد ما لم يعلم.

(١) النجيع: الدم، وقيل: هو دم الجوف خاصة.

(٢) يروى أن الإمام الشافعي أرسل هذا البيت إلى محمد بن الحنثياني، وكان قد استعار منه كتاباً، فتأخر عن إعارته، وقيله قوله:

فَقُلْ لِمَنْ لَمْ تَسْرِعْ عَيْنَ مَنْ رَأَى مِثْلَهُ

(٣) الحصافة: ثخانة العقل، يقال: حصَفَ الرجل حصافةً، إذا كان جيد الرأي مُحْكَمَ العقل.

ابن المعتز: المتواضع في طلاب العلم أكثرهم علماً، كما أن المكان المُنخَفَضُ أكثر البقاع ماء. إذا علمت فلا تَذَكَّرْ مَنْ دُونَكَ مِنَ الْجَهَالِ، وَاذْكُرْ مَنْ فَوْقَكَ مِنَ الْعُلَمَاءِ. النَّارُ لَا يُقْصِبُهَا مَا أُخِذَ مِنْهَا، وَلَكِنْ يُقْصِبُهَا أَلَّا تَجِدَ حَطْباً، كَذَلِكَ الْعِلْمُ لَا يُغْنِيهِ الْاِقْتِبَاسُ مِنْهُ، وَفَقَدُ الْحَامِلِينَ لَهُ سَبَبُ عَدَمِهِ. مَاتَ خَزَنَةُ الْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءُ، وَعَاشَ خَزَانُ الْعِلْمِ وَهُمْ أَمْوَاتٌ. مَثَلُ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ كَثَرَتُهُ لَا يُنْفَقُ مِنْهُ. أَزْهَدُ النَّاسِ فِي عَالَمٍ جِيرَانُهُ.

وقيل للصِّلَتِ بن عطاء، وكان مقدماً عند البرامكة: كيف غَلَبَتْ عليهم وعندهم مَنْ هُوَ آدَبُ مِنْكَ؟ قَالَ: لَيْسَ لِلْقُرْبَاءِ طَرَافَةُ الْغُرَبَاءِ، وَكُنْتُ امِراً بَعِيدَ الدَّارِ، نَائِي الْمَزَارِ، غَرِيبَ الْأَسْمِ، قَلِيلَ الْجَرَمِ، كَثِيرَ الْاَلْتِوَاءِ، شَحِيحاً بِالْإِمْلَاءِ؛ فَرَغِبَهُمْ فِي رَغْبَتِي عَنْهُمْ، وَزَهَّدَنِي فِيهِمْ رَغْبَتُهُمْ فِيَّ.

علم لَا يَبْغُرُ مَعَكَ الْوَادِي، لَا يَعْمُرُ بِكَ الْنَادِي. لَوْ سَكَتَ مَنْ لَا يَعْلَمُ لَسَقَطَ الْاِخْتِلَافُ. إِذَا اَزْدَحَمَ الْجَوَابُ خَفِيَ الصَّوَابُ. الْغَلَطُ تَحْتَ اللَّغَطِ. خَرَقُ الْإِجْمَاعِ خُرْقُ الْمَحْجُوجِ بِكُلِّ شَيْءٍ يَنْطِقُ.

استعارات فقهية تليق بهذا المكان

بين أبي تمام وابن أبي دؤاد

دخل أبو تمام الطائي على أحمد بن أبي دؤاد في مجلس حكمه، وأنشده أبياتاً يَسْتَمِطِرُ نَائِلَهُ، وَيُنْشُرُ فُضَائِلَهُ، فَقَالَ: سَيَأْتِيكَ ثَوَابُهَا يَا أَبَا تَمَامَ، ثُمَّ اشْتَغَلَ بِتَوَقُّعَاتٍ فِي يَدِهِ؛ فَأَحْفَظُ ذَلِكَ أَبَا تَمَامَ، فَقَالَ: احْضُرْ أَيْدِيكَ اللَّهُ فَإِنَّكَ غَائِبٌ، وَاجْتَمِعْ فَإِنَّكَ مَفْتَرَقٌ، ثُمَّ أَنْشَدَهُ:

إِنَّ حَرَاماً قُبُولُ مِدْحَتِنَا وَتَرْكُ مَا نَرْتَجِي مِنَ الصَّفَدِ^(١)
كَمَا الدَّنَانِيرُ وَالِدِرَاهِمُ فِي الْـ صَّرْفِ حَرَامٍ إِلَّا يَدَأُ يَسِيدِ
فَأمر بتوفير حِجَابِهِ، وتعجيل عطائه.

بين طاهر بن عبد الله وابن أبي تمام

ولما ولي طاهر بن عبد الله بن طاهر خراسان دخل الشعراء يهتئون، وفيهم تمام بن أبي تمام فأنشده:

(١) الصَّفَدُ: الرثاق.

هَآكَ رَبُّ النَّاسِ هَآكَ مَا مِنْ جَزِيلِ الْمُلْكِ أَعْطَاكَ
 قَرَرْتُ بِمَا أُعْطِيتَ يَا ذَا الْحِجَى وَالْبَاسُ وَالْإِنْعَامُ عَيْنَاكَ^(١)
 أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِمَا نَلَّتْهُ وَأَوْرَقَ الْعُودُ بِجَدْوَاكَ^(٢)

فاستضعف الجماعة شعره، وقالوا: يا بُعْدَ ما بينه وبين أبيه! فقال طاهر لبعض الشعراء: أجبه، فقال:

حَيَّاكَ رَبُّ النَّاسِ حَيَّاكَ إِنَّ الَّذِي أَمَلْتُ أَخْطَاكَ
 فَقُلْتُ قَوْلًا فِيهِ مَا زَانَهُ وَلَوْ رَأَى مَذْحًا لَأَسَاكَ
 فَهَآكَ إِنْ شِئْتَ بِهَا مَذْحَةً مِثْلَ الَّذِي أَعْطَيْتَ أَعْطَاكَ

فقال تمام: حتى يحلّ لي ولك! فضحك وقال: إلا يكن معه شعر أبيه، فمعه ظرف أبيه؛ أعطوه ثلاثة آلاف درهم! فقال عبد الله بن إسحاق: لو^(٣) لم يعط إلا لقول أبيه في الأمير أبي العباس - رحمه الله - يريد عبد الله بن طاهر:

يَقُولُ فِي قَوْمَسٍ صَحْبِي وَقَدْ أَخَذْتُ مِمَّا السَّرَى وَخُطَا الْمَهْرِيَّةِ الْقُودِ^(٤):
 أَمْطَلَعَ الشَّمْسُ تَبْغِي أَنْ تَرُومَ بِنَا؟ فَقُلْتُ: كَلَّا، وَلَكِنْ مَطْلَعَ الْجُودِ
 فقال: ويعطى بهذا ثلاثة آلاف.

[ولاية طاهر بن عبد الله بن طاهر خراسان، وسببها]

وكان سبب ولاية طاهر خراسان بعد أبيه ما حدث به أبو العيناء قال:

كنا عند أحمد بن أبي دواد، فجاء الخبر أن الكُتُبَ وردت على الواثق من خراسان بوفاة عبد الله بن طاهر، وأن الواثق يُعَزِّي عنه، وأنه قد ولى مكانه خراسان إسحاق بن إبراهيم، وكان عدواً له لانخراطه في سلك ابن الزيات؛ فلبس ثيابه ومضى، وقال: لا

(١) الحِجَى: العقل.

(٢) الْجَدْوَى: العطية.

(٣) جواب «لو» محذوف، وتقدير الكلام: لو لم يُنْطَ إِلَّا لقول أبيه لكان ذلك حسناً.

(٤) الْقَوْمَسُ: السيد الشريف، والأمير. السَّرَى: سير عامة الليل. الإبل المهرية: نجائب تسبق الخيل، منسوبة إلى قبيلة مَهْرَة بن حيدان. الْقُودُ: جمع أقود، وهو من الناس والدواب: الطويل العنق والظهر، والأثني: قوداء.

تبرحوا حتى أعود إليكم؛ فلبث قليلاً، ثم عاد إلينا فحدثنا أنه دخل على الواثق فعزاه عن عبد الله وجلس، قال: فقال لي الواثق: قد ولينا إسحاق خراسان، فما عندك؟ قلت: وفق الله أمير المؤمنين ولا نذمه. قال: قُلْ ما عندك في هذا. قلت: أمرٌ قد أمضي، فما عسيت أن أقول فيه. قال: لَتَفْعَلَنَّ. فقلت: يا أمير المؤمنين، خراسان منذ ثلاثين سنة في يد طاهر وابنه، وكلُّ مَنْ بها صَنَائِعُهُمْ، وقد خَلَفَ عَبْدُ اللَّهِ عَشْرَ بَنِينَ أَكْثَرَهُمْ رِجَالاً، وجميعُ جيش خراسان لهم عبيدٌ أو مَوَالٍ أو صَنَائِعُ، وسيقولون: أما كان فينا مُضْطَنَعٌ؟ وكان يجب أن يُجَرَّبَنَا أمير المؤمنين، فإن وَفَيْتَا بما كان يَقي به أبونا وجَدْنَا، وإلاَّ استبدل منا بعد عُذْرٍ فينا؛ ويقدم خراسان إسحاق وهو رجل غريب فينافسه هؤلاء، ويتعصب أهلها لهم؛ فينتقض ما أُبْرِمَ، ويفسد ما أصلح.

قال: صدقت يا أبا عبد الله، والرأي ما قلت، اكتبوا بعهد طاهر بن عبد الله على خراسان. فَكُتِبَ كُتْبُ طَاهِرٍ، وَخُرِقَتْ كُتُبُ إِسْحَاقَ، فخرجت الزنج تطيرُ بها، ثم لقيني إسحاق داخلاً، فقلت: يا أبا الحسن، لا عدمت عداوة رجلٍ أزال عنك ولاية خراسان بكلمة.



بين ابن الرومي وابن ثوابة

ومدح ابن الرومي أبا العباس بن ثوابة، فعارضه أخوه أبو الحسن بقصيدة يمدح أخاه بها، فقال ابن الرومي^(١):

أَلَيْسَ الْقَوَافِي بَنَاتِ الْفَتَى إِذَا صُورَةُ الْحَقِّ لَمْ تُمَسَّخِ
فَلَا تَقْبَلَنَّ أَمَادِيحَهُ حَرَامُ نِكَاحِ بَنَاتِ الْأَخِ

بين المعتصم وأبي تمام

ولما أنشد أبو تمام قصيدته في المعتصم:

السَّيْفُ أَصْلَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ

قال له: جَلَوْتَ عروسك يا أبا تمام فأحسنْتَ جلاءَهَا. قال: يا أمير المؤمنين، والله لو كانت من الحور العين لكان حُسْنُ إصغائك إليها من أَوْفَى مُهُورِهَا.

(١) ابن الرومي، الديوان: ١٠٣/٢.

لأبي الفضل الميكالي

وقال الأمير أبو الفضل الميكالي:

أَقُولُ لِشَادِنٍ فِي الْحُسْنِ أَضْحَى يَصِيدُ بِلَحْظِهِ قَلْبَ الْكَمِيِّ^(١)
مَلَكَتِ الْحُسْنَ أَجْمَعَ فِي قَوَامٍ فَسَادُ زَكَاةٍ مُنْظَرِكُ الْبَهِيِّ
وَذَلِكَ أَنْ تَجُودَ لِمُسْتَهَامٍ بِرِيْقٍ مِنْ مُقْبَلِكَ الشَّهِيِّ^(٢)
فَقَالَ: أَبُو حَنِيْفَةَ لِي إِمَامٌ فَعِنْدِي لَا زَكَاةٌ عَلَى الصَّبِيِّ

وربما أنشد هذه الأبيات على قافية أخرى فقال:

أَقُولُ لِشَادِنٍ فِي الْحُسْنِ فَرْدٍ يَصِيدُ بِلَحْظِهِ قَلْبَ الْجَلِيدِ^(٣)
مَلَكَتِ الْحُسْنَ أَجْمَعَ فِي قَوَامٍ فَلَا تَنْشَغُ وَجُوباً عَنْ وَجُودِ
وَذَلِكَ أَنْ تَجُودَ لِمُسْتَهَامٍ بِرَشْفِ رُضَايِكَ الْعَذْبِ الْبَرُودِ
فَقَالَ: أَبُو حَنِيْفَةَ لِي إِمَامٌ فَعِنْدِي لَا زَكَاةٌ عَلَى الْوَلِيدِ

وقال:

بِنَفْسِي غَزَالٌ صَارَ لِلْحُسْنِ قِبْلَةً يُحَجُّ مِنَ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَيُقَصِّدُ^(٤)
دَعَانِي الْهَوَى فِيهِ فَلَيْتُ طَائِعاً وَأَحْرَمْتُ بِالْإِخْلَاصِ وَالسَّعْيِ يُنْهَدُ^(٥)
فَطَرَفِي بِالتَّسْهِيدِ وَالْدَّمْعِ قَارِنٌ وَقَلْبِي عَلَيْهِ بِالصَّبَابَةِ مُفْرَدُ^(٦)

- (١) الشادن: ولد الطيبة الذي قوي واشتد واستغنى عن أمه. والكمي: البطل التام السلاح، أو الفارس الشجاع.
- (٢) المستهام: المحب الذي هيمه الحب، وهام فلان بالمرأة: شُغِفَ بِهَا حُبًّا. والمُقْبَلُ: الثغر.
- (٣) الجليد: القوي، الشديد، الصابر على المكروه.
- (٤) البيت العتيق: المسجد الحرام بمكة.
- (٥) التلبية: أن يقول: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ. وأحرم بالحج أو العمرة: دخل في عمل يحرم عليه به ما كان حلالاً، وأحرم الرجل: دخل في الحرم، أو البلد الحرام. والسعي: هو السعي بين الصفا والمروة، وهو من شعائر الحج.
- (٦) القارن: الذي يقرن الحج بالعمرة، أي يجمع بينهما في وقت واحد، وَبِئْسَ وَاحِدَةً. والمفرد أو المفرد: الذي يفصل بينهما، ويلاحظ أن الشاعر يستخدم المصطلحات الدينية الخاصة بمناسك الحج على سبيل التورية.

لأبي الفتح كشاجم

وقال أبو الفتح كشاجم:

فَدَيْتُ زَائِرَةً فِي الْعِيدِ وَاصِلَةً وَالْهَجْرُ فِي غَفْلَةٍ مِنْ ذَلِكَ الْخَبَرِ
فَلَمْ يَزَلْ خَلُّهَا رُكْنًا أَطْرَفُ بِهِ وَالْخَالُ فِي خَدِّهَا يُغْنِي عَنِ الْحَجَرِ^(١)

لبديع الزمان الهمذاني

وينضاف إلى هذا النظم قطعة من رسالة طويلة كتبها بديع الزمان إلى أبي نصر بن المرزبان:

كتابي أطال الله بقاء الشيخ وأنا سالم، والحمد لله رب العالمين، كيف تَقَلَّبُ الشيخ في درع العافية، وأحواله بتلك الناحية؛ فَإِنِّي ببعده مُنْغَصُّ شِرْعَةِ الْعِيشِ، مقصوص أجنحة الأنس. ورد كتابه المشتمل من خبر سلامته، على ما أرغب إلى الله في إدامته، وسكنت إليه بعد انزعاجي لتأخره؛ وقد كان رَسَمَ أَنْ أَعْرِفَهُ سَبَبَ خُرُوجِي مِنْ جَرَجَانَ، وَوُقُوعِي بِخُرَاسَانَ، وَسَبَبَ غَضَبِ السُّلْطَانِ؛ وقد كانت القصة أني لما وردت من ذلك السلطان حضرته، التي هي كَعْبَةُ الْمُحْتَاجِ، لَا كَعْبَةُ الْحَجَّاجِ، ومستقرُّ الكرم، لَا مَشْعَرُ الْحَرَمِ، وَقِبْلَةُ الصَّلَاتِ، لَا قِبْلَةَ الصَّلَاةِ، وَمَنَى الضَّيْفِ، لَا مَنَى الْخَيْفِ، وجدت بها نُذْمَاءً مِنْ نَبَاتِ الْعَامِ^(٢)، اجتمعوا قِيْضَةَ كَلْبِ^(٣) على تَلْفِيقِ خُطْبِ، أزعجني عن ذلك الْفِتَاءِ، وأشرف بي على الْفِتَاءِ، لولا ما تدارك الله بجميل صنعه، وحسن دفعه؛ ولا أعلم كيف احتالوا، ولا ما الَّذِي قَالُوا؛ وبالجمله غَيَّرُوا رَأْيَ السُّلْطَانِ، وأشار عليّ إخواني، بمفارقة مكاني، وبقيت لا أعلم أَيْمَنَةً أَضْرِبُ أَمْ شَامَةً، وَتَجِدَا أَقْصَدُ أَمْ تَهَامَةً!

وَلَوْ كُنْتُ فِي سَلْمَى أَجَا وَشِعَابِهَا لَكَانَ لِحَجَّاجٍ عَلَيَّ دَلِيلٌ^(٤)

وقد علم الشيخ أن ذلك السلطان سماءً إذا تَغَيَّمَ لم يُرْجَ صَحْوُهُ، وماءً إذا تَغَيَّرَ لم

(١) الركن: هو الركن اليماني من الكعبة. والحجر: هو الحجر الأسود (الأسعد) منها.

(٢) من نبات العام: يريد أنهم حديثو العهد.

(٣) قِيْضَةُ كَلْبِ: القِيْضَةُ (بالكسر): القطعة الصغيرة من العظم، والجمع: قِيْضٌ، والمراد تحقيرهم بوصفهم بعظام الكلب.

(٤) سلمى وأجاً: هما جبلا طمىء. وَحَجَّاج: هو الحججاج بن يوسف الثقفي، أحد ولاة بني أمية المشهورين.

يُشْرِبُ صَفْوَهُ، وَمَلِكٌ إِذَا سَخِطَ لَمْ يُنْتَظَرِ عَفْوُهُ، وَلَيْسَ بَيْنَ رِضَاهُ وَالسَّخَطِ عَوَاجَةٌ، كَمَا لَيْسَ بَيْنَ غَضَبِهِ وَالسَّيْفِ فَرَجَةٌ، وَلَيْسَ مِنْ وَرَاءِ سَخَطِهِ مَجَازٌ، كَمَا لَيْسَ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ مَعَهُ حِجَازٌ؛ فَهُوَ سَيِّدٌ يُغْضِبُهُ الْجُرْمُ الْخَفِيُّ، وَلَا يُرْضِيهِ الْعَذْرُ الْجَلِيَّةُ؛ وَتَكْفِيهِ الْجَنَایَةُ وَهِيَ إِرْجَافٌ، ثُمَّ لَا تَشْفِيهِ الْعُقُوبَةُ وَهِيَ إِجْحَافٌ، حَتَّى إِنَّهُ لِيرَى الذَّنْبَ وَهُوَ أَضْيَقُ مِنْ ظِلِّ الرَّمَحِ، وَيَعْمَى عَنْ الْعَذْرِ وَهُوَ أَبْيَنُ مِنْ عَمُودِ الصُّبْحِ؛ وَهُوَ ذُو أُذُنَيْنِ يَسْمَعُ بِهِذِهِ الْقَوْلَ وَهُوَ بَهْتَانٌ، وَيَحْجُبُ عَنْ هَذِهِ الْعَذْرِ وَلَهُ بَرَهَانٌ؛ وَذُو يَدَيْنِ يَسِطُ إِحْدَاهُمَا إِلَى السَّفْكِ وَالسَّفْحِ، وَيَقْبِضُ الْأُخْرَى عَنْ الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ؛ وَذُو عَيْنَيْنِ يَفْتَحُ إِحْدَاهُمَا إِلَى الْجُرْمِ، وَيَغْمِضُ الْأُخْرَى عَنْ الْحِلْمِ، فَمَرْحُهُ بَيْنَ الْقَدِّ وَالْقَطْعِ، وَجَدَهُ بَيْنَ السَّيْفِ وَالنَّطْعِ^(١)، وَمَرَادُهُ بَيْنَ الظُّهُورِ وَالْكَمُونِ^(٢)، وَأَمْرُهُ بَيْنَ الْكَافِ وَالنُّونِ؛ ثُمَّ لَا يَعْرِفُ مِنَ الْعِقَابِ، غَيْرَ ضَرْبِ الرِّقَابِ، وَلَا يَهْتَدِي مِنَ التَّأْنِبِ إِلَّا لِإِزَالَةِ النِّعَمِ، وَلَا يَعْلَمُ مِنَ التَّأْدِيبِ غَيْرَ إِرَاقَةِ الدَّمِ، وَلَا يَحْتَمِلُ الْهَيْئَةَ عَلَى حِجْمِ الذَّرَّةِ، وَدَقَّةِ الشَّعْرَةِ، وَلَا يَحْلُمُ عَنْ الْهَفْوَةِ، كَوْزَنِ الْهَبْوَةِ^(٣)، وَلَا يُغْضِي عَنْ السَّقَطَةِ، كَجُرْمِ النَّقْطَةِ؛ ثُمَّ إِنْ النَّقْمَ بَيْنَ لَفْظِهِ وَقَلَمِهِ، وَالْأَرْضَ تَحْتَ يَدِهِ وَقَدَمِهِ، لَا يَلْقَاهُ الْوَلِيُّ إِلَّا بِفَمِهِ، وَلَا الْعَدُوَّ إِلَّا بِدَمِهِ؛ وَالْأَرْوَاحَ بَيْنَ حَبْسِهِ وَإِطْلَاقِهِ، كَمَا أَنَّ الْأَجْسَامَ بَيْنَ حَلِهِ وَوَثَاقِهِ؛ فَنَظَرْتُ إِذَا أَنَا بَيْنَ جُودَيْنِ: إِمَّا أَنْ أَجُودَ بِبَاسِي، وَإِمَّا أَنْ أَجُودَ بِرَاسِي؛ وَبَيْنَ رُكُوبَيْنِ: إِمَّا الْمَفَازَةَ، وَإِمَّا لِحِجَازَةَ؛ وَبَيْنَ طَرِيقَيْنِ: إِمَّا الْغُرْبَةَ، وَإِمَّا التَّرْبَةَ؛ وَبَيْنَ فِرَاقَيْنِ: إِمَّا أَنْ أَفَارِقَ أَرْضِي، أَوْ أَفَارِقَ عَرْضِي؛ وَبَيْنَ رَاحِلَتَيْنِ: إِمَّا ظُهُورَ الْجِمَالِ، وَإِمَّا أَغْتَاقَ الرِّجَالِ؛ فَاخْتَرْتُ السَّمَاحَ بِالْوَطَنِ، عَلَى السَّمَاحِ بِالْبَدَنِ؛ وَأَشْدَّتْ:

إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْمَنِيَّةَ مَرْكَبٌ فَلَا رَأْيَ لِلْمَحْمُولِ إِلَّا رُكُوبُهَا

وَلَدَّ مَا ذَكَرَ مِنْ «كَبَةِ [الْمَحْتَاجِ، لَا كَبَةِ] الْحُجَّاجِ»، مِنْ قَوْلِ أَبِي تَمَامٍ:

بَيِّنَانِ حَجَّهُمَا الْأَنَامُ؛ فَهَذِهِ حَاجُ الْغَنِيِّ، وَتَلَكُمُ لِلْمُعْدِمِ

[أبو علي البصير وشيء من أدبه]

بين طالبي وأبي علي البصير

وَشْتَمَ بَعْضُ الطَّالِبِينَ أَبَا عَلِيٍّ الْفَضْلَ بْنَ جَعْفَرِ الْبَصِيرِ، فَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ: وَاللَّهِ مَا نَعَيَا

(١) النَّطْعُ وَالنَّطْعُ: بَسَاطٌ مِنَ الْجِلْدِ كَثِيرًا مَا كَانَ يُقْتَلُ فَوْقَهُ الْمَحْكُومُ عَلَيْهِ بِالْقَتْلِ، وَالْجَمْعُ أَنْطَاعٌ وَنُطُوعٌ.

(٢) الْكُمُونُ: التَّخْفِي.

(٣) الْهَبْوَةُ: الْغَبْرَةُ.

عن جوابك، ولا نَعْجِزُ عن مَسَابِكْ؛ ولكنَّا نَكُونُ خيراً لِنَسِيكِ منك، ونحفظ منه ما أَصْعَتْ؛ فاشْكُرْ توفيرنا ما وفَّرْنَا منك، ولا يُغَرِّكَ بالجهل علينا حِلْمُنَا عنك.

بين أبي علي وبعض الرؤساء

وسأل أبو علي البصير بعض الرؤساء حاجةً ولقيه؛ فاعتذر إليه من تأخرها؛ فقال أبو علي: في شُكْرٍ ما تقدَّم من إحسانك شاغلٌ من استبطاء ما تأخَّر منه.

من شعر أبي علي البصير

وأبو عليٍّ أحدُ مَنْ جمع له حظُّ البلاغة في الموزون والمثنور، وهو القائل:

أَلَمْتُ بِنَا يَوْمَ الرِّحِيلِ اخْتِلَاسَةً فَأَضْرَمَ نِيرَانَ الْهَوَى النَّظْرُ الْخَلْسَ^(١)
تَأَبَّتْ قَلِيلاً وَهِيَ تُرْعَدُ خِيفَةً كَمَا تَتَأَبَّى حِينَ تَعْتَدِلُ الشَّمْسُ
فَخَاطَبَهَا صَمْتِي بِمَا أَنَا مُضْمِرٌ وَأَنْبَسْتُ حَتَّى لَيْسَ يُسْمَعُ لِي جِسٌّ^(٢)
وَوَلَّيْتُ كَمَا وَلَّى الشَّبَابُ لَطِيفَةً طَوْتُ دُونَهَا كَشْحاً عَلَى يَأْسِهَا النَّفْسُ^(٣)

وقال يصف بلاغة الفتح بن خاقان وشعره:

سَمِعْنَا بِأَشْعَارِ الْمُلُوكِ؛ فَكُلُّهَا إِذَا عَضَّ مَتْنِيهِ الثَّقَافُ تَأَوَّدًا^(٤)
سِوَى مَا رَأَيْنَا لِامْرِئٍ الْقَيْسِ؛ إِنَّا نَرَاهُ - مَتَى لَمْ يَشْعُرِ الْفَتْحُ - أَوْحِدًا
أَقَامَ زَمَاناً يَسْمَعُ الْقَوْلَ صَامِتاً وَنَحْبِيئُهُ إِنْ رَامَ أَكْدَى وَأَصْلَدًا^(٥)
[فَلَمَّا امْتَنَطَاهُ رَاكِباً ذَلَّ صَعْبُهُ وَسَارَ فَأَضْحَى قَدْ أَغَارَ وَأَنْجَدًا]^(٦)

- (١) خلس الشيء خلساً: استلبه في نُهْزَةٍ ومخاتلة، وخالس فلاناً: انتهز منه فُرْصَةً فأعجله، وخالسه الشيء مخالسة وخلاصاً: خلَّصَهُ إياه.
- (٢) أضمر الشيء: أخفاه، يقال: أضمر في نفسه أمراً: عزم عليه بقلبه. وأنَّسَ فلان: سكت ذلاً.
- (٣) يقال: طوى فؤاده على الأمر: لم يظهره، وطوى كشحه: أعرض بوجهه.
- (٤) الثقاف: أداة من خشب أو حديد تنقف بها الرماح لتستوي وتعتدل.
- (٥) أكدى: خاب ولم يظفر، وافقر بعد غنى، وألح في المسألة. ويقال للرجل عند قهر صاحبه له: أكدت أظفارك. وأصلد: صار صلداً، والصلد: الأرض لا تبت شيئاً، والزند لا يُوري.
- (٦) أغار فلان: أتى الغور، وهو المنخفض من الأرض. وأنجد فلان: ارتفع، أو أتى نجداً، والنجد: ما ارتفع من الأرض وصلب.

من شعر الفتح بن خاقان

والفتح بن خاقان يقول:

وَإِنِّي وَإِيَّاهَا لَكَالْخَمْرِ، وَالْفَتَى مَتَى يَسْتَطِيعُ مِنْهَا الزِّيَادَةُ يَزْدَدُ
إِذَا أَزْدَدْتُ مِنْهَا زَادَ وَجِدِّي بِقُرْبِهَا فَكَيْفَ احْتِرَاسِي مِنْ هَوَى مُتَجَدِّدِ

كتاب إلى عبيد الله بن يحيى

وكتب إلى أبي الحسن عبيد الله بن يحيى: وإن أمير المؤمنين لَمَّا اسْتَخْلَصَكَ لنفسه، وَاتَّصَلَكَ عَلَى رَعِيَّتِهِ؛ فَطَقَ بِلِسَانِكَ، وَأَخَذَ وَأَعْطَى بِيَدِكَ، وَأُورِدَ وَأُصْدِرَ عَنْ رَأْيِكَ، وَكَانَ تَفْوِضُهُ إِلَيْكَ بَعْدَ امْتِحَانِهِ إِيَّاكَ، وَتَسْلِيْطُهُ الْحَقَّ عَلَى الْهَوَى فِيكَ، وَبَعْدَ أَنْ مَثَلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ سَمَوْا لِمَرْبَتِكَ، وَجَرَوْا إِلَى غَايَتِكَ، فَأَسْقَطَهُمْ مَضَاوُكَ، وَخَفُّوا فِي مِيزَانِكَ، وَلَمْ يَزِدْكَ - أَكْرَمَكَ اللَّهُ - رَفْعَةً وَتَشْرِيفًا إِلَّا أَزْدَدَتْ لَهُ هَيْبَةً وَتَعْظِيمًا، وَلَا تَسْلِيْطًا وَتَمْكِينًا، إِلَّا زَهَدَتْ نَفْسُكَ عَنِ الدُّنْيَا غُرُوفًا وَتَزْيِيْهَا، وَلَا تَقْرِيْبًا وَاخْتِصَاصًا، إِلَّا أَزْدَدَتْ بِالْعَامَةِ رَافَةً وَعَلَيْهَا حَدْبًا، لَا يَخْرُجُكَ فَرْطُ النَّصْحِ لَهُ عَنِ النَّظَرِ لِرَعِيَّتِهِ، وَلَا يُبَارِئُ حَقَّهُ عَنِ الْإِخْذِ بِحَقِّهَا عِنْدَهُ، وَلَا الْقِيَامَ بِمَا هُوَ لَهُ عَنْ تَضَمُّينِ مَا هُوَ عَلَيْهِ، وَلَا يَشْغَلُكَ مُعَانَاةُ كِبَارِ الْأُمُورِ عَنْ تَفْقِيْدِ صِغَارِهَا، وَلَا الْجِدُّ فِي صَلَاحٍ مَا يَصْلُحُ مِنْهَا عَنِ النَّظَرِ فِي عَوَاقِبِهَا؛ تَمْضِي مَا كَانَ الرَّشْدُ فِي إِمْضَائِهِ، وَتُرْجَى مَا كَانَ الْحَزْمُ فِي إِرْجَائِهِ، وَتَبْدُلُ مَا كَانَ الْفَضْلُ فِي بَدْلِهِ، وَتَمْنَعُ مَا كَانَتْ الْمَصْلَحَةُ فِي مَنَعِهِ، وَتَلِيْنُ فِي غَيْرِ تَكْبُرٍ، وَتَخْصُصُ فِي خَيْرِ مِيلٍ، وَتَعْمُ فِي غَيْرِ تَصْنَعٍ، لَا يَشْقَى بِكَ الْمُحَقُّ وَإِنْ كَانَ عَدُوًّا، وَلَا يَسْعَدُ بِكَ الْمُبْطَلُ وَإِنْ كَانَ وَلِيًّا؛ فَالْسلْطَانُ يَعْتَدِلُكَ مِنَ الْغِنَاءِ وَالْكِفَايَةِ، وَالذَّبِّ وَالْحَيَاةِ^(١)، وَالنُّصْحِ وَالْأَمَانَةِ، وَالْعِفَّةِ وَالنَّزَاهَةِ، وَالنَّصَبِ فِيمَا أَدَّى إِلَى الرَّاحَةِ، بِمَا يَرَاكَ مَعَهُ - حَيْثُ انْتَهَى إِحْسَانُهُ إِلَيْكَ - مُسْتَوْجِبًا لِلزِّيَادَةِ. وَكَافَّةُ الرِّعْيَةِ - إِلَّا مِنْ عَمِطٍ^(٢) مِنْهُمْ النُّعْمَةُ - مُثْنُونَ عَلَيْكَ بِحُسْنِ السَّيْرِ، وَيُثْمِنُ النَّقِيَّةَ، وَيَعْدُونُ مِنْ مَآثِرِكَ أَنْكَ لَمْ تُدْحِضْ لِأَحَدٍ حُجَّةً؛ وَلَمْ تَدْفَعْ حَقًّا لِسُبْهَةٍ؛ وَهَذَا يَسِيرٌ مِنْ كَثِيرٍ، لَوْ قَصَدْنَا لَتَفْضِيلِهِ، لَأَنْقَذْنَا الزَّمَانَ قَبْلَ تَحْصِيلِهِ، ثُمَّ كَانَ قَصْدُنَا الْوُقُوفَ دُونَ الْغَايَةِ مِنْهُ.

(١) الحياطة: الرعاية.

(٢) غمط النعمة: كفرها ولم يشكرها.

كتاب آخر إلى عبيد الله بن يحيى

وله إلى عبيد الله بن يحيى: يقطعني عن الأخذ بحظي من لقائك، وتعريفك ما أنا عليه عن شكر إنعامك، وإفرادي إياك بالتأمل دون غيرك، تخلفني عن منزلة الخاصة، ورغبتي عن الحلول محل العامة، وأني لست معتاداً للخدمة ولا الملازمة، ولا قوياً على المغادرة والمراوحة؛ فلا يمنعتك ارتفاع قدرك، وعلو أمرك، وما تعانیه من جلائل الأحوال الشاغلة، من أن تطول بتجديد ذكرى، والإصغاء إلى من يحضك على وصلي وبري، ويرغبك في إسداء حسن الصنيعة عندي.

وله إليه آخر فصل من كتاب: وأنا أسأل الله الذي رحم العباد بك، على حين افتقار منهم إليك، أن يعيدهم من فقدك، ولا يعيدهم إلى المكاره التي استقذتهم منها بيدك.

[بعض ما يبعث على الرحيل]

ولقي رجل رجلاً خارجاً من مصر يريد المغرب، فقال: يا أخي؛ أتبع القطر، وتدع مجرى السيول؟ فقال: أخرجني من مصر حق مضاع، وشح مطاع، وإقتار الكريم، وحركة اللثيم، وتغير الصديق، بين السعة والضيق، والهرب إلى التزبر بالعز، خير من طلب الوفير بذل العجز.

[من الوصايا لمن اعتزم السفر]

وأوصى بعض الحكماء صديقاً له، وقد أراد سفرأ، فقال: إنك تدخل بلدأ لا تعرفك أهله؛ فتمسك بوصيتي تنفق بها فيه: عليك بحسن الشمائل فإنها تدل على الحرية؛ ونقاء الأطراف فإنها تشهد بالملوكية؛ ونظافة البزة فإنها تنبئ عن النشء في النعمة؛ وطيب الرائحة فإنها تظهر المروءة، والأدب الجميل فإنه يكسب المحبة، وليكن عقلك دون دينك، وقولك دون فعلك، ولباسك دون قدرك، والزم الحياء والأئفة؛ فإنك إن استحيت من الغضاضة اجتنبت الخساسة، وإن أنفت عن الغلبة، لم تقدمك نظير في مرتبة.

قال الأصمعي: سمعت أعرابياً يوصي آخر أراد سفرأ؛ فقال: أثر بعملك معادك، ولا تدع لشهوتك رشادك، وليكن عقلك وزيرك الذي يدعوك إلى الهدى، ويحبك من الردى، واحبس هواك عن الفواحش، وأطلقه في المكارم؛ فإنك تبر بذلك سلفك، وتشد به شرفك.

وأوصت أعرابية ابنها في سفر، فقالت: يا بني؛ إنك تجاوز الغرباء، وترحل عن الأصدقاء، ولعلك لا تلقى غير الأعداء؛ فخالط الناس بجميل البشر، واتق الله في العلانية والسرة.

وقال بعض الملوك لحكيم وقد أراد سفرًا: فني على أشياء من حكمتك أعمل بها في سفري؛ فقال:

اجعل تأنيك أمام عجلتك، وحلمك رسول شدتك، وعفوك مالك قدرتك، وأنا ضامن لك قلوب رعيك، ما لم تخرجهم بالشفة عليهم، أو تبطّرهم بالإحسان إليهم.

وقال أبان بن تغلب: شهدت أعرابية توصي ولدًا لها أراد سفرًا وهي تقول: أي بني! اجلس أمتحك وصيتي، وبالله توفيقك، قال أبان: فوقفت مستمعا لكلامها، مستحسنا لوصيتها، فإذا هي تقول: أي بني! إياك والنميمة، فإنها ترزح الضغينة، وتفرق بين المحبين، وإياك والتعرض للعيوب فتخذ غرضًا، وخليقًا ألا يثبت الغرض على كثرة السهام؛ وقلما اعتورت السهام غرضًا إلا كلمته، حتى يهي ما اشتد من قوته؛ وإياك والجود بدينك، والبخل بمالك؛ وإذا هزرت فأهز كريمةا يلكن لمهزتك؛ ولا تهزز اللثيم فإنه صخرة لا يتفجر ماؤها، ومثل بنفسك مثال ما استحسنت من غيرك فاعمل به، وما استقبحت من غيرك فاجتنبه؛ فإن المرء لا يرى عيب نفسه؛ ومن كانت مودته بشره، وخالف منه ذلك فعله، كان صديقه منه على مثل الريح من تصرفها.

ثم أمسكت، فدنوت منها، فقلت لها: بالله يا أعرابية، إلا ما زدته في الوصية؛ قالت: أو قد أعجبك كلام العرب يا حضري؟ قلت: نعم! قالت: الغدر أقيح ما تعامل به الناس بينهم، ومن جمع الحلم والسخاء فقد أجاد الحلة ريطتها وسريالها.

فقر في مدح السفر

أبو القاسم بن عباد صاحب: الخبر المنقول أن المقبوض غريباً شهيد. وفي الحديث: سافروا تغنموا. السفر أحد أسباب العيش التي بها قوامه، وعليها نظامه. إن الله لم يجمع منافع الدنيا في الأرض؛ بل فرّقها وأحوج بعضها إلى بعض. المسافر يسمع العجائب، ويكسب التجارب، ويغلب المكاسب. الأسفار مما تزيدك علماً بقدره الله وحكمته، وتدعوك إلى شكر نعمته. ليس بينك وبين بلد نسب؛ فخير البلاد ما حملك.

السفرُ يُنفِرُ عن أخلاق الرجال. أَوْحِشْ أَهْلَكَ إِذَا كَانَ فِي إِحَاشِهِمْ أُتْسُكَ، وَاهْجُرْ وَطَنَكَ إِذَا نَبَتْ عَنْهُ نَفْسُكَ. ربما أَسْفَرَ السَّفَرُ عَنِ الظَّفَرِ، وَتَعَذَّرَ فِي الْوَطَنِ قَضَاءُ الْوَطَرِ، وَأَنْشُدْ:

لَيْسَ ارْتِحَالُكَ تَزْتَادُ الْغِنَى سَفَرًا بَلِ الْمَقَامُ عَلَى خَسْفٍ هُوَ السَّفَرُ^(١)
وهذا كقول الطائي^(٢):

وَمَا الْقَفْرُ بِالْيَدِ الْفَضَاءِ، بَلِ الَّتِي نَبَتْ بِي وَفِيهَا سَاكِنُوهَا هِيَ الْقَفْرُ
أخذه المتنبي فقال^(٣):

إِذَا تَرَحَّلْتَ عَنْ قَوْمٍ وَقَدْ قَدَرُوا أَلَّا تُفَارِقَهُمْ فَالرَّاحِلُونَ هُمْ^(٤)

نقيض ذلك في ذم السفر والغربة

في الحديث: إن المسافرَ وماله لَعَلَى، قلت: إلّا ما وعفى الله، أي على هلاك. شيثان لا يعرفهما إلّا من ابتلي بهما: السفرُ الشاسع، والبناءُ الواسع. السفرُ والسَّقْمُ والقتال ثلاث متقاربة؛ فالسفرُ سفينة الأذى، والسَّقْمُ حَرِيقُ الجسد، والقتالُ مَنِيَتُ المنايا. إِذَا كُنْتَ فِي غَيْرِ بِلَدِكَ فَلَا تَسْ نَصِيكَ مِنَ الذَّلِّ. الْغَرِبَةُ كَرْبَةُ. الثَّقَلَةُ مَثَلَةُ. الْغَرِيبُ كَالْغَرَسِ الَّذِي زَايِلُ أَرْضِهِ، وَقَدْ شَرِبَهُ؛ فَهُوَ ذَاوٍ لَا يُثْمِرُ، وَذَايِلٌ لَا يَنْضُرُ. الْغَرِيبُ كَالْوَحْشِ النَّائِي عَنِ وَطْنِهِ؛ فَهُوَ لِكُلِّ سَبْعٍ فَرِيَسَةٌ، وَلِكُلِّ رَامٍ رَمِيَةٌ؛ وَأَنْشُدْ:

لَقُرْبُ الدَّارِ فِي الْإِقْتَارِ خَيْرٌ مِنْ الْعَيْشِ الْمُوسَّعِ فِي اغْتِرَابٍ^(٥)
وقال أبو الفتح البُستِي^(٦):

- (١) الْخَسْفُ: الذَّلُّ أَوْ الظُّلْمُ.
- (٢) أَبُو تَمَامٍ، الدِّيَوَانُ: ٤٧٧/٢. وَالْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ يَفْخَرُ فِيهَا بِقَوْمِهِ عِنْدَ انْصِرَافِهِ مِنْ مِصْرَ. وَفِي الدِّيَوَانِ: «بِالْيَدِ الْفَوَاءِ».
- (٣) الْمَتْنَبِيُّ، الدِّيَوَانُ: ٩٧/٢. وَالْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ قَالَهَا فِي عِتَابِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ، وَالرَّدُّ عَلَى قَوْمٍ مِتْشَاعِرِينَ تَحَامَلُوا عَلَيْهِ.
- (٤) أَيُّ: إِذَا رَحَلْتَ عَنْ قَوْمٍ وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى إِرْضَائِكَ حَتَّى لَا تَضْطُرَّ إِلَى مَفَارِقَتِهِمْ، فَهَمْ الْمَخْتَارُونَ لِفِرَاقِكَ، فَكَأَنَّهُمْ هُمُ الرَّاحِلُونَ عَنْكَ.
- (٥) الْإِقْتَارُ: ضَيْقُ الْعَيْشِ.
- (٦) هُوَ أَبُو الْفَتْحِ، عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ يَوْسُفَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْبُسْتِيِّ: شَاعِرٌ وَلِدَ فِي بُسْتٍ قَرِبَ سَجِسْتَانَ، وَإِلَيْهَا نَسَبُهُ، وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ الدَّوْلَةِ السَّامَانِيَةِ فِي خِرَاسَانَ. مَاتَ غَرِيبًا =

لَا يَعْدَمُ الْمَرْءُ شَيْئاً يَسْتَعِينُ بِهِ وَمَنْ نَأَى عَنْهُمْ قُلْتُ مَهَابَّتُهُ
وَمَنْعُهُ بَيْنَ أَهْلِيهِ وَأَصْحَابِهِ كَاللَّيْثِ يَحْقُرُ لَمَّا غَابَ عَنْ غَايَةِ

[العزل والإبعاد والحجب بعد التقريب والمؤانسة]

بين المهدي وأبي عبيد الله

كتب أبو عبيد الله إلى المهدي بعد عزله إياه عن الدواوين: لم يُتَّكَرَ أمير المؤمنين حالي في قُرب المؤانسة وخصوص الخلطة، وحالي عنده قَبْلَ ذلك في قيامي بواجب خدمته، التي أَدْنَيْتَنِي من نعمته، فلم أُبَدَلْ - أعزَّ الله أمير المؤمنين - حال التباعد، ويقرَّب في محل الإقصاء، وما يعلم الله مني فيما قلت إلا ما علمه أمير المؤمنين، فإن رأى أكرمه الله أن يُعَارِضَ قولِي بعلمه بدءاً وعاقبةً فعل إن شاء الله.

فلما قرأ كتابه شهد بتصديقه قلبه، فقال: ظلمنا أبا عبيد الله، فيردَّ إلى حاله، ويُعَلِّمَ ما تجدد له من حُسن رأْيِي فيه.

بين المأمون والفضل بن الربيع

ولما أمر المأمون أن يُحَجَّبَ عنه الفضل بن الربيع لسبب تألَّم قلبه منه كتب إليه:

يا أمير المؤمنين! لم يُسْنِي التقريبُ حالي أيامَ التباعد، ولا أغفلتني المؤانسة عن شكر الابتداء؛ فعلى أيِّ الحالين أبعد من أمير المؤمنين، ويَلْحَقُنِي ذمُّ التقصير في واجب خدمته؟ وأمير المؤمنين أعدلُّ شهودي على الصِّدْقِ فيما وَصَفْتُ؛ فإن رأى أمير المؤمنين ألا يكتُمَ شهادتي فعَلْ إن شاء الله.

بين المنصور وأبي مسلم الخراساني

وقال أبو جعفر المنصور لأبي مسلم حين أُرْمِعَ قَتْلُهُ: هل كُنْتَ قَبْلَ قيامك بدولتنا جَائِزَ الْأَمْرِ عَلَى عَبْدَيْنِ؟ قال: لا، يا أمير المؤمنين. قال: فَلِمَ لَمْ تَعْرِضْ حَالِي عُمُرَتِكَ وَمَهَاتِكَ عَلَى أَيَّامِنَا، وَتَعْرِفَ لَنَا مَا يَعْرِفُ غَيْرُكَ من إجلالنا وإعظامنا، حتى لا يَنَازِعَكَ الْحَيْنَ عِتَانُ الطَّمَأِينَةِ؟ قال: قد كان ذلك يا أمير المؤمنين؛ ولكنَّ الزَّمانَ وإِسَاءَتَهُ قَلْبًا ما كان

= ببخارى سنة ٤٠١ هـ / ١٠١١ م. (الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: ٣٤٥/٤، الصفدي، الوافي بالوفيات: ١٦٨/٢٢).

من حُسْنِ صَنِيعَتِي، قال: فلا مرغوبَ فيكَ، ولا مأسوفَ عليك، وفي الله خَلْفٌ منك! وأمر بقتله.

جملة من شعر أبي الفتح كشاجم في الأوصاف

من قوله في وصف أجزاء من القرآن الكريم

قال يصف أجزاء من القرآن:

مَنْ يُثَبِّتُ خَشْيَةَ الْعِقَابِ فَلِنِي
بَعَثْتَنِي عَلَى الْقِرَاءَةِ وَالنُّشْدِ
حِينَ جَاءَتْ تَرَوْقَتِي بِاعْتِدَالِ
سَبْعَةٍ أَشْبَهَتْ لِي السَّبْعَةَ الْأَنْدِ
كُيِّتُ مِنْ أَدِيمِهَا الْحَالِكِ اللَّوْ
مُشِبِّهَا صِبْغَةَ الشَّبَابِ وَلَمَّا
وَرَأَتْ أَنَّهَا تَحْسُنُ بِالضَّدِّ
فَهِيَ مُنَوَّدَةُ الظُّهُورِ، وَفِيهَا
مُطَبَقَاتٌ عَلَى صَحَائِفَ كَالرَّيِّ
وَكَأَنَّ الْخُطُوطَ فِيهَا رِيَاضُ
وَكَأَنَّ الْبَيَاضَ وَاللُّحْطَ الشُّو
وَكَأَنَّ الْعُشُورَ وَالذَّهَبَ السَّ
وَهِيَ مَشْكُولَةٌ بِعِلَّةٍ أَشْكََا
فَإِذَا شِئْتَ كَانَ حَمْرَةً فِيهَا
خُضْرَةٌ فِي خِلَالِ حُمْرٍ وَصَفْرِ

(١) في رواية:

سَبْعَةٌ شَبَّهَتْ بِهَا الْأَنْدِ جُمُ السَّبْعَةِ ذَاتِ الْأَنْوَارِ وَالْأَضْوَاءِ

(٢) في رواية: «الحالك الجون».

(٣) الرِّيْطُ: جمع الرائطة: الملاءة كلها نسج واحد وقطعة واحدة، وكل ثوب لِيْن رقيق. والمسوك: جمع مَسَك، وهو الجلد. وفي رواية: «من متون الأطباء».

مِثْلُ مَا أَثَّرَ الدَّيْبُ مِنَ الذَّرِّ عَلَى جِلْدِ بَضَّةٍ عَذْرَاءٍ^(١)
 ضُمْنَتْ مُحَكَّمَ الْكِتَابِ كِتَابَ اللَّهِ ذِي الْمَكْرُمَاتِ وَالْآلَاءِ
 فَحَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فِيهِنَّ مُصْبِحِي وَمَسَائِي

من قوله في وصف تخت حساب

وقال يصفُ التخت الذي يُضْرَبُ عليه حِسَابُ الْهِنْدِ^(٢):

وَقَلَمٍ مِدَادُهُ تُرَابٌ فِي صُجُفٍ سَطُورُهَا حِسَابٌ^(٣)
 يَكْثُرُ فِيهَا الْمَحْوُ وَالْإِضْرَابُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسَوِّدَ الْكِتَابُ^(٤)
 حَتَّى يَبَيِّنَ الْحَقُّ وَالصَّوَابُ وَلَيْسَ إِعْجَامٌ وَلَا إِعْرَابُ
 فِيهِ وَلَا شَكٌّ وَلَا اِرْتِيَابُ

من قوله يصف بركاراً

وقال يصف بَرْكَاراً اسْتَهْدَاهُ^(٥):

جُدْ لِي بِبَرْكَارِكَ الَّذِي صَنَعْتَ فِيهِ يَدَا قَيْنِهِ الْأَعَاجِيَا^(٦)
 مُلْتَأَمُ الشُّعْبَتَيْنِ مُعْتَدِلٌ مَاشِينَ مِنْ جَانِبٍ وَلَا عِيَا^(٧)
 شَخْصَانِ فِي شَكْلٍ وَاحِدٍ قَدْرَا وَرُكْبَا بِالْعُقُولِ تَرْكِيَا
 أَشْبَهَ شَيْئَيْنِ فِي اشْتِكَا لِهَمَا بِصَاحِبٍ لَا يَزَالُ مَضْحُوبَا^(٨)
 أَوْثَقَ مِسْمَارُهُ وَغُيِّبَ عَنْ نَوَاطِرِ النَّاقِدِينَ تَغْيِيَا

(١) بَضُّ الْبَدَنِ بَضَاضَةً وَبُضُوضَةً: امْتَلَأَ وَنَضَرَ، وَيُقَالُ: بَشْرَةٌ بَضَّةٌ وَبَضِيضَةٌ: رَقِيقَةٌ نَضْرَةٌ.

(٢) الْأَبْيَاتُ فِي «الْعَمْدَةِ فِي مُحَاسِنِ الشَّعْرِ»: ٢٩٩/٢.

(٣) الْمِدَادُ: الْحَبْرُ.

(٤) الْإِضْرَابُ: مُصْدَرُ أَضْرَبَ، وَفِي الْعُرْفِ: الْكَفَّ عَنْ عَمَلٍ مَا.

(٥) أَنْظَرْ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ فِي «الْعَمْدَةِ»: ٢٩٩/٢ - ٣٠٠، مُضَافًا إِلَيْهَا سِتَّةُ أَبْيَاتٍ لَمْ تَرُدَّ أَعْلَاهُ.

(٦) الْبَرْكَارُ: الْبَرْجَلُ، وَهُوَ آلَةٌ مَرْكَبَةٌ مِنْ سَاقَيْنِ مُتَصِلَتَيْنِ تُنْبِتُ إِحْدَاهُمَا، وَتَدُورُ حَوْلَهَا الْأُخْرَى،

تُرَسَّمُ بِهَا الدُّوَائِرُ وَالْأَقْوَاسُ، وَهُوَ فِي الْفَارْسِيَّةِ: «بَرْكَار». وَالْقَيْنُ: الْحَدَّادُ.

(٧) فِي الْعَمْدَةِ: «مَلَامُ الشَّفَرَتَيْنِ».

(٨) فِي الْعَمْدَةِ: «فِي اشْتِبَاهِهِمَا»، وَ«لَا يَمَلُّ مَضْحُوبَا».

فَعَيْنٌ مَّنْ يَجْتَلِيهِ يَحْسِبُهُ
قَدْ ضَمَّ قَطْرِيهِ مُحْكِمًا لَهَا
يَزْدَادُ حِرْصًا عَلَيْهِ مُبْصِرُهُ
ذُو مُقْلَةٍ بَصَرْتُهُ مَذْهَبُهُ
يَنْظُرُ فِيهَا إِلَى الصَّوَابِ فَمَا
لَوْلَاهُ مَا صَحَّ خَطُّ دَائِرَةِ
[الْحَقُّ فِيهِ فَإِنْ عَدَلْتُ إِلَى
لَوْ عَيْنٌ إِقْلِيدِسٍ بِهِ بَصَرْتُ
فَابْعَثُهُ وَاجْتَنِبْهُ لِي بِمَسْطَرَةٍ
فِي قَالِبِ الْاِعْتِدَالِ مَصْبُورًا
ضَمَّ مُحِبٌّ إِلَيْهِ مَجْبُورًا^(١)
مَا زَادَهُ بِالْبَنَانِ تَقْلِيلًا
لَمْ تَأْلُهُ رِفْقَةً وَتَهْذِيبًا^(٢)
بِهَا يَزَالُ الصَّوَابُ مَطْلُوبًا^(٣)
وَلَا وَجَدْنَا الْحِسَابَ مُحْسُوبًا^(٤)
سِوَاهُ كَانَ الْحِسَابُ تَقْرِيًّا
خَرَّ لَهُ بِالسَّجُودِ مَكْبُورًا
تُلَفَّ الْهَوَىٰ بِالثَّنَاءِ مَجْجُوبًا^(٥)

من قوله يصف بيكاتا

وقال يصف بيكاتا^(٦):

رَوْحٌ مِنَ الْمَاءِ فِي جَنَمٍ مِنَ الصُّفْرِ
مُسْتَعْبِرٌ لَمْ يَغْبِ عَنْ طَرَفِهِ سَكَنٌ
لَهُ عَلَى الظَّهِيرِ أَجْفَانُ مُحَجَّرَةٌ
تُنْشَأُ لَهُ حَرَكَاتٌ مِنْ أَسَافِلِهِ
وَفِي أَعَالِيهِ حِسْبَانٌ يُفْصِّلُهُ
إِذَا بَكَى دَارَ فِي أَحْشَائِهِ فَلَكٌ
مُتَرْجِمٌ عَنْ مَوَاقِيتٍ يُخْبِرُنَا
مَوْلِدٍ بِلَطِيفِ الْحِسِّ وَالنَّظَرِ
وَلَمْ يَيْتَ مِنْ ذَوِي ضِغْنٍ عَلَى حَذَرٍ^(٧)
وَمُقْلَةٍ دَمْعُهَا جَارٍ عَلَى قَدَرٍ
كَأَنَّهَا حَرَكَاتُ الْمَاءِ فِي الشَّجَرِ
لِلنَّازِلِينَ بِلا ذِهْنٍ وَلَا فِكْرٍ
خَافِي الْمَسِيرِ وَإِنْ لَمْ يَبْكْ لَمْ يَدُرْ
بِهَا فَيُوجَدُ فِيهَا صَادِقُ الْخَبَرِ

(١) في العمدة: «وَضَمَّ شَطْرِيهِ».

(٢) في العمدة: «لَمْ تَأْلَهُ زِينَةً وَتَهْذِيبًا».

(٣) رواية العمدة:

(٤) ينظر منه إلى الصواب به
في العمدة: «شَكْلُ دَائِرَةٍ».

(٥) في العمدة: «تَلَقَّ الْهَوَى».

(٦) روى صاحب العمدة هذه القطعة (٢/٣٠٠)، وذكر أنه يصف فيها بنكاماً، وهو ساعة الرمل.

(٧) في العمدة: «عَنْ إِفْهِ» و «لَمْ يَيْتَ قَطُّ مِنْ طَعْنٍ عَلَى حَذَرٍ».

تُقَضَى به الخمسُ في وَقْتِ الوجوب وإن
وإن سَهَرْتُ لِأَوْقَاتِ تَوَرَّقَنِي
عَطَى على الشمسِ سِتْرُ الغَيْمِ وَالْمَطَرِ
عَرَفْتُ مقدارَ ما أَلْقَى من الشَّهْرِ^(١)
مَحْدَدُ كُلِّ مِيفَاتٍ تَخَيَّرُهُ^(٢)
ذَوو التَّخَيَّرِ لِلأَسْفَارِ والحَضَرِ
وَمُخْرِجُ لَكَ بالأجزاء الطَّفَهَا
من النهارِ وقوسُ الليلِ والسَّحَرِ
نَتِجَةُ العِلْمِ والتفكيرِ صُورَتُهُ^(٣)
يَا حَبْذا أَبْدَعَ الأفكارِ في الصورِ

من قوله يصف اسطرلاباً

وقال يصفُ اسطرلاباً^(٤):

وَمُسْتَدِيرِ كَجِزْمِ البَدْرِ مَسْطُوحِ
صُلْبِ يَدَارٍ على قُطْبٍ يُنْبِئُهُ
عن كُلِّ رافعةِ الأشكالِ مَصْفُوحِ^(٥)
تِمثالُ طرفِ بِشْكَرِ الحَذَقِ مَكْبُوحِ^(٦)
على الأقاليمِ من أَقْطَارِهَا الفَيْحِ^(٧)
بِالماءِ والنارِ والأَرْضَيْنِ والريحِ^(٨)
بِالشَّمْسِ طَوْرًا، وَطَوْرًا بِالمَصَابِيحِ^(٩)
عَرَفْتَ ذاكَ بعِلْمٍ فيه مَشْرُوحِ^(١٠)
لَكَ التَّشْكُّكُ جَلَاءَهُ بِتَصْحِيحِ
وإن تَعَرَّضَ في وَقْتِ يَقْدَرُهُ

- (١) في العمدة: «وإن سهرت لأسباب».
- (٢) في العمدة: «مُحَرَّرٌ».
- (٣) في العمدة: «نتيجة العلم والأفكار» و «يا حبذا بدع الأفكار».
- (٤) الاسطرلاب أو الاضطراب: جهاز استعمله المتقدمون في تعيين ارتفاعات الأجرام السماوية، ومعرفة الوقت، والجهات الأصلية. والآيات في العمدة: ٤٤٤/٢.
- (٥) مصفوح: يقال صَفَّحَ الشيء: كساه بالصفائح أو الفولاذ.
- (٦) في العمدة: «تمثال طرف بشكم الحذق مشبوح». وقد شكم الفرس ونحوه: وضع الشكيمة في فمه، والتشكُّم: العطاء على سبيل الجزاء والمكافأة. ومشبوح: مصلوب، وقد شبح الشيء شَبْحًا: بدا غير جلي.
- (٧) الفيح: جمع أفيح وفيحاء: الواسع أو الواسعة.
- (٨) في العمدة: «كأنما السبعة الأفلاك محدقة».
- (٩) في العمدة: «عن طالع الأبراج».
- (١٠) في العمدة: «بعلم منه».

- مُمَيِّزٌ فِي قِيَاسَاتِ الضُّلُوعِ بِهِ يَبِينُ الْمَثَائِمَ مِنْهَا وَالْمَنَاجِيحَ ^(١)
 لَهُ عَلَى الظَّهْرِ عَيْنًا حِكْمَةً بِهِمَا يَخْوِي الضِّيَاءَ وَتُنْجِيهِ مِنَ اللُّوْحِ ^(٢)
 وَفِي الدَّوَارَيْنِ مِنْ أَشْكَالِهِ حِكْمٌ تَنْقَحُ الْعَقْلُ فِيهَا أَيْ تَنْقِيحُ ^(٣)
 لَا يَسْتَقِلُّ لِمَا فِيهِ بِمَعْرِفَةٍ إِلَّا الْحَصِيفُ اللَّطِيفُ الْحِسِّ وَالرُّوحِ ^(٤)
 حَتَّى تَرَى الْغَيْبَ فِيهِ وَهُوَ مُتَغَلِّقُ الْ أَبْوَابِ عَمَّنْ سِوَاهُ جَدَّ مَفْتُوحِ ^(٥)
 نَتِيجَةُ الذَّهْنِ وَالتَّفَكِيرِ صَوْرُهُ ذَوُو الْعُقُولِ الصَّحِيحَاتِ الْمَرَاجِيحِ ^(٦)

* * *

أبو إسحاق الصابي

يَهْدِي اسْطِرْلَابًا إِلَى عَضْدِ الدَّوْلَةِ وَيُبْعَثُ مَعَهُ بِشْعَر

وكان أبو شجاع فَنَّاخَشَرُو عَضْدُ الدَّوْلَةِ قَدْ نَكَبَ أَبَا إِسْحَاقَ الصَّابِي، عَلَى تَقْدَمِهِ فِي
 الْكِتَابَةِ، وَمَكَانِهِ فِي الْبَلَاغَةِ، وَاسْتَصْنَى أَمْوَالَهُ مِنْ غَيْرِ إِيقَاعٍ بِهِ فِي نَفْسِهِ، فَأَهْدَى إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ
 مَهْرَجَانَ اسْطِرْلَابًا فِي دَوْرِ الدَّرْهِمِ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ:

أَهْدَى إِلَيْكَ بَنُو الْحَاجَاتِ وَاحْتَشَدُوا فِي مَهْرَجَانٍ عَظِيمٍ أَنْتَ تُغْلِيهِ
 لَكِنَّ عَبْدَكَ إِبْرَاهِيمَ حِينَ رَأَى سُمُو قَذْرِكَ عَنْ شَيْءٍ يُسَامِيهِ ^(٧)
 لَمْ يَرْضَ بِالْأَرْضِ يُهْدِيهَا إِلَيْكَ، فَقَدْ أَهْدَى لَكَ الْفَلَكَ الْأَعْلَى بِمَا فِيهِ

* * *

- (١) فِي الْعَمْدَةِ: «مُمَيِّزٌ فِي قِيَاسَاتِ النُّجُومِ لَنَا». وَالْمَنَاجِيحُ: يُقَالُ: أَنْجَحَ فُلَانٌ: صَارَ ذَا نَجَاحٍ،
 وَأَنْجَحَ اللَّهُ طَلِبَتَهُ: أَظْفَرَهُ بِهَا.
 (٢) فِي الْعَمْدَةِ: «وَيُنْجِيهِ مِنَ اللُّوْحِ». وَاللُّوْحُ: الْهَوَاءُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.
 (٣) فِي الْعَمْدَةِ:
 (٤) «وَفِي الدَّوَارَيْنِ مِنْ أَشْكَالِهِ حِكْمٌ» تَلَقَّحُ الْفَهْمَ مِنَّا أَيْ تَلْقِيحُ
 فِي الْعَمْدَةِ: «لَمَّا فِيهَا بِمَعْرِفَةٍ». وَالْحَصِيفُ: الْمُحْكَمُ الْعَقْلُ، الْجَيِّدُ الرَّأْيُ.
 (٥) فِي الْعَمْدَةِ: «حَتَّى تَرَى الْغَيْبَ عَنْهُ».
 (٦) الْمَرَاجِيحُ: جَمْعُ مَرَجَاحٍ: الْحَلِيمِ. وَفِي الْعَمْدَةِ: «نَتِيجَةُ الدَّهْرِ».
 (٧) يُسَامِيهِ: يُعَالِيهِ وَيُبَارِيهِ.

[من أوصاف النساء]

لابن الرومي

وقول أبي الفتح: «ملء البنان... البيت» نظير قول علي بن العباس الرومي يصف هن^(١) امرأة^(٢):

يَسْعُ السَّعَةُ الْأَقَالِيمَ طُرًّا وَهُوَ فِي أَصْبَعَيْنِ مِنْ إَقْلِيمِ
كَضَمِيرِ الْفَوَادِ يَلْتَهُمُ الدَّنْ يَا وَتَحْوِيهِ دَفْتًا حَيْرُومِ^(٣)

لبعض الشعراء يصف القلم

وإنما أخذه ابن الرومي من قول بعض الشعراء يذكر كاتباً:

فِي كَفِّهِ أَخْرَسُ ذُو مَنَاطِقِ بِقَافِهِ وَالْإِلَامِ وَالْمِيَمِ
شَبِيرٌ إِذَا قِيَسَ، وَلَكِنَّهُ فِي فِعْلِهِ مِثْلُ الْأَقَالِيمِ
مُحَذَفُ الرَّأْسِ وَمُسْوَدُّهُ كَابِرَةِ الرَّوْقِ مِنَ الرَّيْمِ^(٤)

قلب المعنى ليس من السرقة

وهذا البيت الأخير مقلوب من قول عدي بن الرقاع العاملي^(٥)، وقد وصف قرن ريم، وشبهه بقلم عليه مداد، وذكر ظبية:

تُرْجِي أَعْنَ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا

وقلب المعنى إذا تمكن الشاعر من إخفائه لا يجري مجرى السرقة.

(١) الهن: الفرج.

(٢) ابن الرومي، الديوان: ١١٦/٦. والبيتان من قصيدة طويلة قالها في ابن الخبازة وأمه بوران.

(٣) الحيزوم: الصدر.

(٤) روق الريم: قرن الظبي.

(٥) هو أبو داوود، عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع بن عاملة، ونسبه الناس إلى الرقاع جدّ

جدّه لشهرته، وهو شاعر مقدم عند بني أمية، واختص بالوليد بن عبد الملك. توفي بدمشق سنة

٩٥ هـ/٧١٤ م. (ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٥١٥/٢؛ الأصفهاني، الأغاني: ٣٠٠/٩؛

الآمدي، المؤلف والمختلف: ١٦٦).

وقد ترى تكثير الشعراء من تشبيه أورك النسوان بالرمل والكُثبان.

لشاعر يصف نساء بالعبالة والسمن

قال الشاعر:

وَبَيْضِ نَضِيرَاتِ الْوُجُوهِ كَأَنَّمَا تَأَزَّرْنَ دُونَ الْأَزْرِ رَمَلَاتٍ عَالِجٍ
خِدَالِ الشَّوَى لَا تَحْتَشَى غَيْرَ خَلْقِهَا إِذَا الرُّسْحُ لَمْ يَصْبِرَنَّ دُونَ الْمَنَافِجِ^(١)
يَنْزَوْنَ مُرَوِّطَ الْخَزِّ مَلَأَى كَأَنَّهَا قِصَارٌ وَإِنْ طَالَتْ بِأَيْدِي النَّوَاسِجِ

وهذا المعنى مُتداوِل مُتَنَاقِل في الجاهلية والإسلام، فأغرب ذو الرمة في قلبه وأحسن، فقال يصف رملا:

وَرَمَلٍ كَأُورَاكِ الْعِذَارَى قَطَعَتْهُ وَقَدْ جَلَلَتْهُ الْمُظْلِمَاتُ الْحَنَادِسُ^(٢)

لخالد بن يزيد بن معاوية

وكذلك مدحهم ضُمُورَ الْكَشْحِ، وجولان الْوُشْحِ، وضمُوت الْقُلْبِ والخلخال، وامتناع الْخِدَامِ مِنَ الْمَجَالِ؛ قال خالد بن يزيد بن معاوية، وذكر رملة بنت الزبير بن العوام:

تَجُولُ خَلَاحِيلُ النِّسَاءِ، وَلَا أَرَى لِرَمْلَةٍ خَلَخَالًا يَجُولُ وَلَا قُلْبًا^(٣)
أَحِبُّ بَنِي الْعَوَامِ طُرًّا لِحُبِّهَا وَمِنْ أَجْلِهَا أَحَبْتُ أَحْوَالَهَا كَلْبًا

للنابغة

وقال النابغة^(٤):

عَلَى أَنَّ حِجْلَيْهَا وَإِنْ قُلْتُ أَوْسَعَا صَمُوتَانِ مِنْ مَلْءٍ وَقَلَّةٍ مَنُطِقِ

(١) خدال الشوى: ممثلة الأطراف. والرسح: جمع رسحاء، وهي قليلة لحم العجز والفخذين. والمنافج: حشايا توضع فوق الأرداف.

(٢) الحنادس: جمع حندس: الظلمة، أو الليل الشديد الظلمة.

(٣) الْقُلْبُ: السوار.

(٤) لم نجد هذا البيت في ديوان النابغة، ولكن وجدنا بيتاً مفرداً يشبهه وزناً وقافية هو:
إِذَا غَضِبْتُ لَمْ يَشْعُرِ الْحَيُّ أَنَّهَا غَضُوبٌ وَإِنْ نَالَتْ رِضَى لَمْ تَرْهَقِ
ونظن أن البيتين قد قِلا في امرأة واحدة.

لأبي تمام الطائي

وقال الطائي^(١):

مَهَا الْوَحْشِ إِلَّا أَنْ هَاتَا أَوَانِسٍ قَنَا الْخَطَّ إِلَّا أَنْ تِلْكَ ذَوَابِلُ^(٢)
 مِنْ الْهَيْفِ لَوْ أَنَّ الْخَلَاخِيلَ صِيرَتْ لَهَا وَشُحاً جَالَتْ عَلَيْهَا الْخَلَاخِيلُ^(٣)

لابن أبي زرعة الدمشقي

وقال ابن أبي زرعة الدمشقي:

اسْتَكْنَمَتْ خَلْجَالَهَا وَمَشَتْ تَحْتَ الظَّلَامِ بِهِ فَمَا نَطَقَا
 حَتَّى إِذَا رِيحُ الصَّبَا نَسَمَتْ مَلَأَ الْعَيْرُ بِسَيْرِهَا الطُّرُقَا

للمتنبّي

وقال المتنبّي^(٤):

وَحْضَرِ تَفُتُّ الْأَبْصَارِ فِيهِ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ حَدَقٍ نِطَاقَا^(٥)

لأبي عثمان الناجم

قَلَبَ هَذَا كُلَّهُ أَبُو عَثْمَانَ النَّاجِمِ، فَقَالَ يَهْجُو قَيْتَةَ:

مَنْلُولَةُ الْكُلِّ غَيْرَ بَطْنٍ مُتَقَلِّلٍ فَهِيَ عَنكَ بَوْتُ
 حُجُولُهَا الدَّهْرَ فِي اضْطِحَابٍ وَوُشْجُهَا كُظْمٌ صُمُوتُ^(٦)
 وَقَالَ أَبُو عَثْمَانَ يَمْدَحُ قَيْتَةَ:

مُحْسِنَةٌ فِي كُلِّ أَلْحَانِهَا لَا كَالْتِي تُحْسِنُ فِي النَّدْرِ^(٧)

(١) لم نجد هذين البيتين في ديوانه (دار صادر).

(٢) قنا الخط: رماح مجلوبة من الخط، وهو موضع تنسب إليه الرماح. ورماح ذوابل: دقاق.

(٣) الوُشُجُ: جمع وشاح.

(٤) المتنبّي، الديوان: ٤٤/٢. والبيت من قصيدة قالها في سيف الدولة الحمداني، وقد أمر له بفرس وجارية.

(٥) أي لشدة استحسان العيون له، تشخص إليه دائرة حوله حتى يصير كالنطاق عليه.

(٦) كُظْمٌ: جمع كاظم، وهو الممسك على ما في نفسه عند الغضب.

(٧) النَّدْرَةُ: الأحيان القليلة.

ثم قلبه في هجاء، فقال:

عَجِبْتُ مِنْهَا وَنَحَهَا كَيْفَ لَا تُخْطِئُ بِالْإِحْسَانِ فِي النَّذْرِ

لمحمد بن منذر يهجو خالد بن طليق

وهذا مأخوذ من قول محمد بن منذر يهجو خالد بن طليق، وكان قد تقلد قضاء البصرة:

يَا عَجِباً مَنْ خَالِدٍ كَيْفَ لَا يُخْطِئُ فِينَا مَرَّةً بِالصَّوَابِ
كَانَ قِضَاءُ النَّاسِ فِيمَا مَضَى مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَهَذَا عَذَابٌ

لمسلم بن الوليد

وهذا أيضاً من قلب الهجاء مديحاً، والمديح هجاء؛ كما قال مسلم بن الوليد يهجو قوماً:

قَبَحْتُ مَنَاطِرَهُمْ فَحِينَ خَبَرْتُهُمْ حَسَنْتُ مَنَاطِرَهُمْ يَقْبَحُ الْمَخْبِرُ

للمتنبى

قلبه أبو الطيب المتنبى فقال^(١):

وَأُسْتُكْبِرُ الْأَخْبَارَ قَبْلَ لِقَائِهِ فَلَمَّا التَّقَيْنَا صَغَّرَ الْخَبَرَ الْخُبْرُ^(٢)

لأبي تمام

وقال أبو تمام^(٣):

عَبَأَ الْكَمِينَ لَهُ فَضْلٌ لِحَيْنِهِ وَكَمِينُهُ الْمُخْفَى عَلَيْهِ كَمِينٌ^(٤)

للبحري

قلبه البحري فقال^(٥):

- (١) المتنبى، الديوان: ٣٤٧/١. والبيت من قصيدة يمدح بها علي بن أحمد بن عامر الأنطاكي.
- (٢) في الديوان: «وأستكبر الأخبار». يقول: ما زلت استعظم ما يُذكر لي من أخباره حتى لقينته، فصغرت عندي تلك الأخبار بالنسبة إليه، لأنني وجدته أعظم مما وصفوا.
- (٣) أبو تمام، الديوان: ١٦٦/٢. والبيت من قصيدة يمدح بها الأفشين.
- (٤) عبأ: جهز. الكمين: القوم يستخفون في مكان ثم ينتهزون غرة العدو فينهضون عليه. حينه: هلاكه.
- (٥) البحري، الديوان: ٢٢٥/١. والبيت من قصيدة يمدح بها أبا العباس بن بسطام.

لَا يَأْسُ الْمَرْءُ أَنْ يَنْجِيَهُ مَا يَحَبُّ النَّاسُ أَنَّهُ عَطْبُهُ^(١)

لأبي تمام

وقال أبو تمام^(٢):

وَحُشِيَّةٌ تَرْمِي الْقُلُوبَ إِذَا غَدَتْ وَسَنَى فَمَا تَضْطَادُّ غَيْرَ الصَّيْدِ^(٣)

للبحري

قلبه البحري فقال^(٤):

عَلَى أَنَّنِي أَخْشَى عَلَى دَارِ أَمْنِهَا فَوَارِسَ يَضْطَادُّ الْفَوَارِسَ صَيْدُهَا^(٥)

لأبي تمام

وقال أبو تمام^(٦):

يُشْنَأُ الْغَيْثُ وَهُوَ جَدُّ حَبِيبٍ رَبِّ حَزْمٍ فِي بَغْضَةِ الْمَوْمُوقِ^(٧)

للبحري

قلبه البحري فقال^(٨):

- (١) الْعَطْبُ: الهلاك، والفساد.
- (٢) أبو تمام، الديوان: ٢١٩/١. والبيت من قصيدة يمدح بها أحمد بن أبي دؤاد، ويعتذر له، ويستشفع بخالد بن يزيد.
- (٣) وحشية: أراد أنها في حسنها كالوحشية، أو أنها تنفر من الريب. وسَنَى: ناعسة من النعمة. الصيد: جمع أصيد، وهو الذي يرفع رأسه، أو يميل به كِبْرًا.
- (٤) البحري، الديوان: ٧٦/٢. والبيت من قصيدة يمدح بها علي بن مرة.
- (٥) في الديوان:
- (٦) أبو تمام، الديوان: ٤٥٢/١. والبيت من قصيدة طويلة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف.
- (٧) في الديوان: «تَشْنَأُ الْغَيْثُ وَهُوَ حَقُّ حَبِيبٍ». وتشْنَأُ: تبغض. الغيث: المطر. أي: تبغض المطر لأجل البرد وصعوبة الطرق. والحزم: حسن التدبير. والموموق: المحبوب.
- (٨) البحري، الديوان: ٢٢٥/١.

يُسْرُنِي الشَّيْءَ قَدْ يَسُوءُكُمْ نَوَّةَ يَوْمًا بِخَامِلٍ لَقْبُهُ^(١)

قال أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر: المعنى في المصراع الأول أُتِيْنُ منه في الثاني؛ ألا ترى أنه لو قال: إنه ليسوءك الشيء قد يسر، كان مثل ذلك المعنى مستوياً، إلا أنه قلبه لحاجته.

لابن الرومي

قال ابن الرومي يهجو مغنية^(٢):

فَيْنَةً مَلْعُونَةً مِنْ أَجْلِهَا رَفَضَ اللَّهُوَ مَعَا مَنْ رَفَضَهُ
فَإِذَا غَنَّتْ نَرَى فِي حَلْقِهَا كُلَّ عِرْقٍ مِثْلَ بَيْتِ الْأَرْضِ^(٣)

لابن المعتز

فقلبته ابن المعتز فقال يصف أرضة أكلت له كتاباً.

تَشِي أَنَايِبَ لَهَا فِيهَا سَبَلٌ مِثْلَ الْعُرُوقِ لَا تَرَى فِيهَا خَلْلٌ
وهذا كثير يُكْتَمَى منه باليسير.

[من المعاني ما لا ينقلب]

بعض ما أخذ على أبي نواس

ومن المعاني ما لا ينقلب: ألا ترى أنك تقول: نام القوم حتى كأنهم موتى، ولا يحسن أن تقول: ماتوا حتى كأنهم نيام؛ وقد أخذ على أبي نواس قوله يصف داراً وقف بها: كأنها إذ خرسَتْ جَارْمٌ يَبْنِي يَدَيَّ تَفْنِيْدُهُ مُطَرِّقٌ^(٤)

(١) نَوَّةَ بفلان أو باسمه: شَهْرَهُ ورفع ذِكْرَهُ وَعَظَّمَهُ، وَنَوَّه بالحديث: أَشَادَ بِهِ وَأَظْهَرَهُ. والخامل: الْحَفِيُّ السَاقِطُ الَّذِي لَا نَبَاهَةَ لَهُ.

(٢) ابن الرومي، الديوان: ٥٢/٤.

(٣) في الديوان: «فَإِذَا غَنَّتْ بَدَأَ فِي جِيْدِهَا». والأرضة: دُوْبِيَّةٌ قَارِضَةٌ تَعِيشُ فِي مَخْتَرِنِ الثِّيَابِ وَالْوَرَقِ وَالْخَشَبِ.

(٤) الجارم: المَذْنِبُ، الَّذِي اقْتَرَفَ جُرْماً، أَوْ جَنَى جَنَابَةً. والتفنيْد: التَكْذِيبُ. وَالْمُطَرِّقُ: الَّذِي يُمِيلُ رَأْسَهُ إِلَى صَدْرِهِ وَيَسْكُتُ فَلَا يَتَكَلَّمُ، أَوْ هُوَ السَّاكِتُ لِحَيْرَةٍ أَوْ خَوْفٍ.

قالوا: إنما يجب أن يشبه الجارم إذا عدلوه فسكت وانقطعت حُجَّتُهُ بالدار الخالية التي لا تُجيب.

وأخذوا عليه قوله:

كَأَن نِيرَانَنَا فِي جَنْبِ حِصْنِهِمْ مُعْصِفَرَاتٌ عَلَى أَرْسَانِ قَصَارٍ^(١)
وقد تبعه أبو تمام الطائي فقال في الأفشين لما أحرق^(٢):

مَا زَالَ سِرُّ الْكُفْرِ يَنْ ضُلُوعِهِ حَتَّى اضْطَلَى سِرَّ الزُّنَادِ الْوَارِي^(٣)
نَارٌ يُسَاوِرُ جِئْمَهُ مِنْ حَرِّهَا لَهَبٌ كَمَا عَصَفَرَتْ شِنْ إِزَارٍ^(٤)
طَارَتْ لَهُ شَعْلٌ يَهْدِمُ لَفْحُهَا أَرْكَانَهُ هَذِمًا بِغَيْرِ غُبَارٍ^(٥)
فَصَلَّنَ مِنْهُ كُلَّ مَجْمَعٍ مَفْصِلٍ وَفَعَلْنَ فَاقِرَةً بِكُلِّ قَقَارٍ^(٦)
صَلَّى لَهَا حَيًّا، وَكَانَ وَقُودَهَا مِثًّا، وَيَدْخُلُهَا مَعَ الْكُفَّارِ^(٧)
وَكَذَلِكَ أَهْلُ النَّارِ فِي الدُّنْيَا هُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُلٌّ أَهْلُ النَّارِ^(٨)

أردت البيت الثاني، قالوا: وإنما تشبه الثياب المعصفرة بالنار؛ فهذا وما أشبهه لا يتوازن انعكاسه، وتتضاد قضاياه؛ وإنما يصح القلب فيما يتحقق تضاده أو يتقارب.

(١) الْقَصَارُ: المِيضُ للثياب.

(٢) أبو تمام، الديوان: ٣٣٩/١.

(٣) اصطلى: لقي النار. الواري: المشتعل.

(٤) في الديوان: «ناراً». ياور: يواكب. عصفت: صبغت بالعصفر، وهو نبت صبغه أصفر. شق إزار: أي نصف إزار. يقول: إن لهب النار كان يشب إلى الخشب المصلوب عليه الأفشين فيوقده طولاً، يُشَبُّ اشتعال الجانب الذي استند إليه الجسم بإزار عَصْفَرٍ أَحَدِ شِقَّتَيْهِ طَوْلًا.

(٥) في الديوان: «طارت لها». لفحها: إحراقها. بغير غبار: أي دون أن يثير تهدمها غباراً.

(٦) فَصَلَّنَ: الضمير يعود إلى الشعل. الفاقرة: الداهية تكسر الفقار، وهي خرزات الظهر. أي إن شعل النار فصلت مفاصله، وفككت فقرات ظهره.

(٧) صَلَّى لَهَا حَيًّا: أي للنار. وكان وقودها مِثًّا: أي وقوداً للنار التي أوقدت لحرقه. يدخلها مع الكفار: أي نار جهنم. وهذا نوع من البديع المعنوي، يقال له: الاستخدام، فقد استخدم النار ثلاث معانٍ: نار المجوس، ونار الإحراق، ونار جهنم. وفي الديوان: «مع الْفُجَّارِ».

(٨) أهل النار في الدنيا: أي المجوس وأهل النار وَعَبَادُهَا. جُلٌّ: أكثر. أهل النار الثانية: سكان جهنم.

قطعة من شعر أهل العصر في ذكر النجوم

لأبي الفتح البستي

قال أبو الفتح البستي:

قَدْ غَضَّ مِنْ أَمْلِي أَنِّي أَرَى عَمَلِي أَقْوَى مِنَ الْمُشْتَرِي فِي أَوَّلِ الْحَمَلِ
وَأَنْسِي رَاحِلٌ عَمَّا أَحَاوَلُهُ كَأَنَّنِي أَسْتَدِرُّ الْحِظَّ مِنْ زُحَلِ

وقال:

إِذَا غَدَا مَلِكٌ بِاللَّهِوِ مُشْتَغِلًا فَاحْكُمْ عَلَى مُلْكِهِ بِالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ
أَلَمْ تَرَ الشَّمْسَ فِي الْمِيزَانِ هَابِطَةً لَمَّا غَدَا بُرْجُ نَجْمِ اللَّهِوِ وَالطَّرَبِ

وقال:

وَقَدْ تُدْنِي الْمُلُوكُ لَدَى رِضَاهَا وَتُبْعِدُ حِينَ تَحْتَقِدُ احْتِفَادًا^(١)
كَمَا الْمَرِيخُ فِي الثَّلَاثِ يُعْطِي وَفِي الثَّرَيِّعِ يَسْلُبُ مَا أَفَادَا

وقال:

أَلَا فَتَقُوا بِي فَإِنِّي كَمَا تَمَدَّحْتُ فَلَيْمَتَحَنَ مَنْ يُحِبُّ
فَمَا كَوُكْبِي رَاجِعًا فِي الْوَفَاءِ وَلَا بُرْجُ قَلْبِي بِالْمُنْقَلَبِ^(٢)

وقال:

لَئِنْ كَسَفُونَا بِلَا عِلَّةٍ وَفَازَتْ قِدَاحُهُمْ بِالظَّفَرِ
فَقَدْ يَكْسِفُ الْمَرْءَ مَنْ دُونَهُ كَمَا يَكْسِفُ الشَّمْسَ جِرْمُ الْقَمَرِ

وقال:

شَرَفُ الْوَعْدِ بِوَعْدٍ مِثْلِهِ مِثْلُ مَا فِيهِ بِزَيْغٍ وَخَلَلِ^(٣)

(١) في «بيتمة الدهر» للشعالبي: «تحتفد احتفاداً»، والحفد: التسرع أو الاستخدام.

(٢) في البيتمة: «فلا كوكبي راجع في الوفا».

(٣) في البيتمة: «شرف الوعد بوعده مثله».

وَدَلِيلُ الصَّدَقِ فِيمَا قُلْتُهُ شَرَفُ الْمَرِيخِ فِي بَيْتِ زُحَلٍ
وقال:

قُلْ لِلَّذِي غَرَّتْهُ عِزُّهُ مُلْكُهُ حَتَّى أَخْلَلَ بِطَاعَةِ النَّصَحَاءِ
شَرَفُ الْمُلُوكِ بِعِلْمِهِمْ وَبِرَأْيِهِمْ وَكَذَلِكَ أَوْجُ الشَّمْسِ فِي الْجُوزَاءِ
وقال:

وَقَدْ يَفْسُدُ الْمَرْءُ بَعْدَ الصَّلَاحِ فَادَّ الْأَمَاكِنِ، وَالشَّرُّ يُعْدِي
كَمَا السَّعْدُ يَقْبَلُ طَبْعَ النُّحُوسِ إِذَا كَانَ فِي مَوْضِعٍ غَيْرِ سَعْدٍ
وقال:

مَا أَنْسُ ظِمَانٍ بِمَاءٍ بَارِدٍ مِنْ بَعْدِ طَوْلِ الْعَهْدِ بِالْمَوَارِدِ
إِلَّا كَأَنْسِي بِكِتَابٍ وَارِدٍ مِنْ سَيِّدِ مَحْضِ النَّجَارِ مَا جِدِ^(١)
كَأَنَّمَا اسْتَمْلَاهُ مِنْ عُطَارِدٍ

وقال:

يَا مَعْشَرَ الْكُتَّابِ لَا تَتَعَرَّضُوا لِرِيَّاسَةٍ، وَتَصَاغَرُوا وَتَخَادَمُوا
إِنَّ الْكَوَاكِبَ كُنَّ فِي أَشْرَافِهَا إِلَّا عُطَارِدَ حِينِ صُورِ أَدَمِ
وقال:

دَعَانِي إِلَى بَيْتِهِ سَيِّدٌ لَهُ الْخُلُقُ الْأَشْرَفُ الْأَظْرَفُ
فَلَا زَمْتُ بَيْتِي وَلَا طَفَقْتُهُ بِعُذْرٍ هُوَ الْأَظْرَفُ الْأَطْرَفُ
عُطَارِدُ نَجْمِي، وَلَا شَكَّ أَنَّ عُطَارِدَ فِي بَيْتِهِ أَشْرَفُ
وقال:

لَيْسَ تَقَلُّتُ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ وَصِرْتُ بَعْدَ ثَوَاءٍ رَهْنَ أَسْفَارِ^(٢)
فَالْحَرُّ حَرٌّ عَزِيزُ النَّفْسِ حَيْثُ ثَوَى وَالشَّمْسُ فِي كُلِّ بُرْجٍ ذَاتُ أَنْوَارٍ

(١) محض النجار: صافي الأصل.

(٢) الثواء: الإقامة.

وقال:

لِئِنْ صَدَّعَ الدَّهْرُ الْمُشْتَتَّ شَمَلْنَا وَلِلدَّهْرِ حُكْمٌ لِلْجَمِيعِ صَدُوعٌ^(١)
فَلِلنَّجْمِ مِنْ بَعْدِ الرَّجُوعِ اسْتِقَامَةٌ وَلِلشَّمْسِ مِنْ بَعْدِ الْغُرُوبِ طُلُوعٌ

وقال لمحبوس:

حُسِبْتَ وَمِنْ بَعْدِ الْكُسُوفِ تَبَلَّجٌ تُضِيءُ بِهِ الْآفَاقُ لِلْبَدْرِ وَالشَّمْسِ^(٢)
فَلَا تَعْتَقِدْ لِلْحَبْسِ غَمًّا وَوَحْشَةً فَأَوَّلُ كَوْنِ الْمَرْءِ فِي أَضْيَاقِ الْحَبْسِ

وقال أيضاً:

يَا مَنْ تَوَلَّى الْمُشْتَرِي تَذْيِيرَهُ حَاشَاكَ أَنْ تَنْقَادَ لِلْمَرِيخِ
وقال:

لَا تَفْزَعَنْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مُفْزِعٍ مَا كُلُّ تَذْيِيرِ الْبُرُوجِ بِضَائِرِ
وقال يرثي أبا القاسم الصاحب:

فَقَدْنَاهُ لَمَّا تَمَّ وَعَتَمَ بِالْعُلَا كَذَاكَ كُسُوفُ الْبَدْرِ عِنْدَ تَمَامِهِ

لابن دوست

وقال أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد بن دوست^(٣) لأبي الفضل الميكالي:

إِذَا مَا غَابَ وَجْهُ الْبَدْرِ عَنَّا فَوَجْهُكَ عِنْدَنَا الْبَدْرُ الْمُقِيمُ
فَإِنْ رَجَعْتَ نُجُومُ السَّعْدِ يَوْمًا فَوَجْهُكَ نَجْمٌ مَعْدٍ مُسْتَقِيمُ

لمسكويه

وقال مسكويه الخالدي:

لَا يُعْجِبُكَ حُسْنُ الْقَصْرِ تَزْلُهُ فَضِيلَةُ الشَّمْسِ لَيْسَتْ فِي مَنَازِلِهَا

(١) صدعهم الدهر: فرقهم.

(٢) التَّبَلُّجُ: الوضوح والإنارة، ومنه: بَلَجَ الصَّبحُ بُلُوجًا: أَسْفَرَ فَأَنَارَ.

(٣) هو أبو سعيد، عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عزيز، الحاكم، المعروف بـ «ابن دوست»:

عالم بالعربية من أهل خراسان. أخذ اللغة عن الجوهري، وأخذ عنه الواحدي. وكان أصم.

توفي سنة ٤٣١ هـ / ١٠٤٠ م. (الزركلي، الأعلام: ٣/ ٣٢٦).

لَوْ زِيدَتْ الشَّمْسُ فِي أَبْرَاجِهَا مَائَةً مَا زَادَ ذَلِكَ شَيْئاً فِي فَضَائِلِهَا

للخوارزمي

وقال أبو بكر الخوارزمي:

رَأَيْتُكَ إِنْ أَيْسَرْتَ خَيَّمْتَ عِنْدَنَا لِزَامَا، وَإِنْ أَعْسَرْتَ زُرْتَ لِمَامَا^(١)
فَمَا أَنْتَ إِلَّا الْبَدْرُ: إِنْ قَلَّ ضَوْؤُهُ أَغْبَى، وَإِنْ زَادَ الضِّيَاءُ أَقَامَا

للصولي

وهذا كقول إبراهيم بن العباس الصولي في محمد بن عبد الملك الزيات:

أَسَدٌ ضَارٍ إِذَا مَانَعَتْهُ وَأَبٌ بَرٌّ إِذَا مَسَّ قَلْبُهُ
يَعْرِفُ الْأَبْعَدَ إِنْ أَثَرَى، وَلَا يَعْرِفُ الْأَدْنَى إِذَا مَا افْتَقَرَا

لابن المعتز

وقال ابن المعتز:

إِذَا مَا أَرَادَ الْحَاسِدُونَ انْهِدَامَهُ بَنَاهُ إِلَهُ غَالِبُ الْعَزَّ قَاهِرُهُ
وَمَاذَا يُرِيدُ الْحَاسِدُونَ مِنْ أَمْرٍ تَزِينُهُمْ أَخْلَاقُهُ وَمَاثِرُهُ^(٢)
إِذَا مَا هُوَ اسْتَغْنَى اهْتَدَى لِافْتِقَارِهِمْ وَلَا تَهْدِي يَوْمًا إِلَيْهِمْ مَفَاقِرُهُ^(٣)
وَكَانُوا كَرَامٍ كَوَكْبًا يَبْصَاقِهِ فَرَدَّ عَلَيْهِمْ وَبْلُهُ وَمَوَاطِرُهُ^(٤)

وهذا البيت كما قال بعض العرب في إحدى الروايات:

رَمَانِي بِأَمْرِ كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِي بَرِيًّا وَمِنْ جَالِ الطُّوِيِّ رَمَانِي

الجَوْل والجَال: الناحية، والطوي: البئر؛ يريد رمانني بما عاد عليه، والرواية المشهورة: ومن أجل الطُّوِيِّ، فعلى هذا تسقط المناسبة بينه وبين قول ابن المعتز.

(١) اللَّامُ: اللقاء اليسير، وزار لِمَامًا: في الآحايين.

(٢) المآثر: جمع مأثرة، وهي المَكْرَمَةُ المتوارثة.

(٣) المفاقر: وجوه الفقر، يقال: سَدَّ اللهُ مَفَاقِرَهُ: أغناه.

(٤) الْوَيْلُ: المطر الشديد، الضخم القطر.

[الأصمعي وبعض الأعراب]

قال بعضُ الرواة: كنا مع أبي نصر رَاوِيَة الأصمعي في رياضٍ من المذاكرة نَجْتِي ثَمَارَهَا، وَنَجْتِي أَنْوَارَهَا، إِلَى أَنْ أَفْضْنَا فِي ذِكْرِ أَبِي سَعِيدِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ قُرَيْبِ الْأَصْمَعِيِّ؛ فَقَالَ: رَحِمَ اللَّهُ الْأَصْمَعِي! إِنَّهُ لَمَعْدُنُ حِكْمٍ، وَبَحْرُ عِلْمٍ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ نَرِ قَطُّ مِثْلَ أَعْرَابِي وَقَفَ بِنَا فَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَيَكُمُ الْأَصْمَعِيُّ؟ فَقَالَ: أَنَا ذَاكَ، فَقَالَ: أَتَأْذِنُونَ بِالْجُلُوسِ؟ فَأَذِنَّا لَهُ، وَعَجَبْنَا مِنْ حُسْنِ أَدَبِهِ مَعَ جَفَاءِ أَدَبِ الْأَعْرَابِ.

قال: يَا أَصْمَعِي، أَنْتَ الَّذِي يَزْعُمُ هَؤُلَاءِ النَّفَرُ أَنَّكَ أَتَقَبَّهُمْ مَعْرِفَةً بِالشَّعْرِ وَالْعَرَبِيَّةِ، وَحِكَايَاتِ الْأَعْرَابِ؟ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: فِيهِمْ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنِّي، وَمَنْ هُوَ دُونِي، قَالَ: تَشْدُونَنِي مِنْ بَعْضِ شَعْرِ أَهْلِ الْحَضَرِ حَتَّى أَقْبِسَهُ عَلَى شَعْرِ أَصْحَابِنَا؟ فَأَنْشَدَهُ شَعْرًا لِرَجُلٍ امْتَدَحَ بِهِ مُسْلِمَةَ بِنَ عَبْدِ الْمَلِكِ:

أَمْسَلَمَ أَنْتَ الْبَحْرُ إِنْ جَاءَ وَارِدٌ	وَلَيْتَ إِذَا مَا الْحَرْبُ طَارَ عَقَابُهَا
وَأَنْتَ كَسِيفُ الْهِنْدُونِيِّ إِنْ غَدَتْ	حَوَادِثُ مِنْ حَرْبٍ يَعْثُ عُبَابُهَا ^(١)
وَمَا خُلِقَتْ أَكْرُومَةٌ فِي امْرِئٍ لَهُ	وَلَا غَايَةٌ إِلَّا إِلَيْكَ مَابُهَا ^(٢)
كَأَنَّكَ دَيَّانٌ عَلَيْهَا مُوَكَّلٌ	بِهَا، وَعَلَى كَفَيْكَ يَجْرِي حِسَابُهَا ^(٣)
إِلَيْكَ رَحَلْنَا الْعَيْسَ إِذْ لَمْ نَجِدْ لَهَا	أَخَاثِقَةً يُرْجَى لَدَيْهِ ثَوَابُهَا

قال: فَتَبَسَّمَ الْأَعْرَابِيُّ، وَهَزَّ رَأْسَهُ، فَظَنَنَّا أَنَّ ذَلِكَ لِاسْتِحْسَانِهِ الشَّعْرَ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَصْمَعِي؛ هَذَا شَعْرٌ مُهْلَهْلٌ خَلَقَ الشَّجْعَ، خَطَّوْهُ أَكْثَرَ مِنْ صَوَابِهِ، يَغْطِي عَيْبَهُ حَسَنُ الرُّوْيِ، وَرَوَايَةُ الْمُنْشَدِ؛ يُشَبِّهُونَ الْمَلِكَ إِذَا امْتَدَحَ بِالْأَسَدِ، وَالْأَسَدُ أَبْخَرُ شَتِيمِ الْمَنْظَرِ^(٤)، وَرَبِّمَا طَرَدَهُ شَرْدِمَةٌ مِنْ إِمَائِنَا، وَتَلَاعَبَ بِهِ صَبِيَانُنَا، وَيُشَبِّهُونَهُ بِالْبَحْرِ، وَالْبَحْرُ صَعْبٌ عَلَى مَنْ رَكِبَهُ، مُرٌّ عَلَى مَنْ شَرِبَهُ، وَبِالسَّيْفِ وَرَبِّمَا خَانَ فِي الْحَقِيقَةِ، وَبَنَّا عِنْدَ الضَّرِيَّةِ! أَلَا أَنْشَدْتَنِي كَمَا قَالَ صَبِيٌّ مِنْ حِينَا! قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: وَمَاذَا قَالَ صَاحِبُكُمْ؟ فَأَنْشَدَهُ:

- (١) الثَّجَابُ: كَثْرَةُ الْمَاءِ وَالسَّيْلِ، وَارْتِفَاعُ الْمَوْجِ وَاصْطِخَابُهُ، وَعَبَّ الْبَحْرُ عُبَابًا: ارْتَفَعَ مَوْجُهُ وَاصْطَخَبَ، وَمِنْهُ يُقَالُ: عَبَّ عُبَابُهُ، لَمَنْ مَرَّ فِي كَلَامِهِ فَأَكْثَرَ.
- (٢) الْأَكْرُومَةُ: الْفَعْلَةُ الْكَرِيمَةُ. وَالْمَابُ: الْمَرْجِعُ.
- (٣) الدِّيَّانُ: الْقَاضِي أَوْ الْحَاكِمُ أَوْ الْحَاسِبُ، أَوْ الْمَجَازِي بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ. وَالدِّيَّانُ (فِي الْأَصْلِ): اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى.
- (٤) الْبَخْرُ: الرَّائِحَةُ الْكَرِيمَةُ مِنَ الْفَمِ. وَشَتِيمِ الْمَنْظَرِ: كَرِيهُهُ.

إِذَا سَأَلْتَ الْوَرَىٰ عَنْ كُلِّ مَكْرَمَةٍ
فَتَنَىٰ جَوَادَ أَذَابِ الْمَالِ نَائِلُهُ
الْمَوْتُ يَنْكُرُهُ أَنْ يَلْقَىٰ مَنِيَّتَهُ
وَزَا حِمَّ الشَّمْسِ أَبْقَىٰ الشَّمْسَ كَاسِفَةً
أَمْضَىٰ مِنَ النَّجْمِ إِنْ نَابَتْهُ نَائِبَةٌ
لَا يَسْتَرْيَحُ إِلَى الدُّنْيَا وَزَيْتِيهَا
يُقَصِّرُ الْمَجْدُ عَنْهُ فِي مَكَارِمِهِ
لَمْ يُعْزَ إِكْرَامُهَا إِلَّا عَلَى الْهَوْلِ^(١)
فَالنَّيْلُ يُشْكِرُ مِنْهُ كَثْرَةَ النَّيْلِ
فِي كَرِّهِ عِنْدَ لَفِّ الْخَيْلِ بِالْخَيْلِ^(٢)
أَوْ زَا حِمَّ الضُّمِّ أَلْجَأَهَا إِلَى الْمَيْلِ
وَعِنْدَ أَعْدَائِهِ أَجْرَىٰ مِنَ السَّيْلِ
وَلَا تَرَاهُ إِلَيْهَا سَاحِبَ الدَّيْلِ
كَمَا يُقَصِّرُ عَنْ أَعْمَالِهِ قَوْلِي!

قال أبو نصر: فَأَبْهَتَنَا وَاللَّهِ مَا سَمِعْنَا مِنْ قَوْلِهِ، قَالَ: فَتَأَنَّى الْأَعْرَابِي، ثُمَّ قَالَ لِلأَصْمَعِيِّ:
أَلَا تَتَشَدَّنِي شِعْرًا تَرْتَاخُ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَيَسْكُنُ إِلَيْهِ الْقَلْبُ؟ فَأَنشَدَهُ لَابِنِ الرَّقَّاعِ الْعَامِلِي:

وَنَاعِمَةٌ تَجْلُو بِعُودِ أَرَاكِ
كَأَنَّ بِهَا خَمْرًا بِمَاءِ عَمَامَةٍ
أَرَاكَ إِلَى نَجْدٍ تَحْنُ، وَإِنَّمَا
مُؤَشَّرَةٌ يَسْبِي الْمُعَانِقَ طِيْهَا^(٣)
إِذَا ارْتَشِفَتْ بَعْدَ الرِّقَادِ غُرُوبُهَا
مَتَى كُلِّ نَفْسٍ حَيْثُ كَانَ حَبِيْهَا

فَتَبَسَّمَ الْأَعْرَابِي وَقَالَ: يَا أَصْمَعِيُّ، مَا هَذَا بَدُونَ الْأَوَّلِ، وَلَا فَوْقَهُ، أَلَا أَنشَدْتَنِي كَمَا
قُلْتَ؟ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: وَمَا قُلْتَ؟ جَعَلْتَ فِذَاكَ! فَأَنشَدَهُ:

تَعَلَّقْتُهَا بِكَرٍّ، وَعَلَقْتُ حُبَّهَا
إِذَا احْتَجَبَتْ لَمْ يَكْفِكَ الْبَدْرُ ضَوْءَهَا
وَمَا الصَّبْرُ عَنْهَا، إِنْ صَبَرْتَ، وَجَدْتَهُ
[وَحَسْبُكَ مِنْ خَمْرٍ يَقُوتُكَ رِيْقُهَا
وَلَوْ أَنَّ جِلْدَ الْبَدْرِ لَا مَسَّ جِلْدُهَا
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْبَدْرِ ضِيَاءٌ جَمَالُهَا
فَقَلْبِي عَنْ كُلِّ الْوَرَىٰ فَارِعٌ بِكَرٍّ^(٤)
وَتَكْفِيكَ ضَوْءَ الْبَدْرِ إِنْ حُجِبَ الْبَدْرُ
جَمِيلاً، وَهَلْ فِي مِثْلِهَا يَحْسُنُ الصَّبْرُ؟
وَوَاللَّهِ مَا مِنْ رِيْقِهَا حَسْبُكَ الْخَمْرُ
لَكَانَ لِمَسِّ الذَّرِّ فِي جِلْدِهَا أَثَرٌ^(٥)
وَتَفْضُلُهُ فِي حُسْنِهَا لَصَفَا الْبَدْرِ

(١) لَمْ يُعْزَ: لَمْ يُسَبِّ.

(٢) الْكَرُّ: الرَّجُوعُ.

(٣) مؤشرة: فِي أَسْنَانِهَا أُثَرٌ، وَهُوَ التَّحْزِيزُ فِي الْأَسْنَانِ خِلْقَةً أَوْ صِنَاعَةً، وَقَدْ أَثَرَتْ أَسْنَانُهَا: حَزَّتْهَا وَرَقَّتْ أَطْرَافُهَا.

(٤) تَعَلَّقْتُهَا: أَحْبَبْتُهَا. وَالْبَكَرُ: الْعِذْرَاءُ.

(٥) الذَّرُّ: التَّمْلُّ.

قال أبو نصر: قال لنا الأصمعي: اكتبوا ما سمعتم ولو بأطراف المُدَى^(١) في رِقاق الأكباد!

قال: وأقامَ عندنا شهراً، فجمعَ له الأصمعيُّ خمس مائة دينار، وكان يتعاهدنا في الحين بعد الحين، حتى مات الأصمعي وتفرَّق أصحابنا!

فَقَرُّ من كلام الأعراب في ضروب مختلفة

قال الجاحظ: ليس في الأرض كلامٌ هو أَمْنَعُ، ولا أَفْغَعُ، ولا أَتَقُّ، ولا أَلْدُ في الأسماع، ولا أَشَدُّ اتِّصَالاً بالعقول السليمة، ولا أَفْثَقُ لِلِّسان، ولا أجود تقويماً للبيان، من طُولِ استماع حديث الأعراب العقلاء الفصحاء.

قال ابن المقفع، وقد جرى ذِكْرُ الشعرِ وفضيلته: أي حكمة تكون أبلغ، أو أحسن، أو أغرب، أو أعجب، من غلام بدويٍّ لم ير ريفاً، ولم يشبع من طعام؛ يستوحش من الكلام، ويَفْزَعُ من البشر، ويَأْوِي إلى القَفْرِ واليرابيع^(٢) والطَّباء، وقد خالط الغِيلَانَ، وأنَسَ بالجَانِ؛ فإذا قال الشعر وصف ما لم يره، ولم يُغَدِّ به ولم يعرفه، ثم يذكر محاسن الأخلاق ومساوئها، ويمدح ويهجو، ويدم ويعاتب، ويشبب ويقول ما يكتب عنه، ويروى له، ويبقى عليه.

وقال بعض الأعراب:

وَإِنِّي لِأَهْدَى بِالْأَوَانِسِ كَالدُّمَى وَإِنِّي بِأَطْرَافِ الْقَنَا لِلْعُوبِ^(٣)
وَإِنِّي عَلَى مَا كَانَ مِنْ عُنْجُهِتِي وَلَوْثَةَ أَعْرَابِيَّتِي لِأَدِيبِ^(٤)

كَانَ الْأَدَبَ غَرِيباً مِنَ الْأَعْرَابِ، فافتخر بما عنده منه.

وقال الطائي في فطنتهم، يستعطف مالك بن طوق على قومه بني تغلب^(٥):

- (١) المُدَى: جمع مُدْيَةٍ، وهي السُّكَيْن.
- (٢) اليرابيع: جمع يربوع، وهو حيوان صغير على هيئة الجرد الصغير، له ذنب طويل، ينتهي بخصلة من الشعر، وهو قصير اليدين طويل الرجلين.
- (٣) الأوانس: جمع آنسة، وهي الفتاة الجميلة التي يُؤنس بحديثها وجمالها. والقنا: الرماح. وقوله: «لأهدى» أي: لأعرف، أي لأشدُّ معرفة.
- (٤) العُنْجُهِتِي: الكِبَرُ والعظمة والجفاء. واللَّوْثَةُ: الحُمُقُ والهَجُج.
- (٥) أبو تمام، الديوان: ١٠٧/١.

لَا رِقَّةَ الْحَضَرِ اللَّطِيفِ غَذَّتْهُمْ وَتَبَاعَدُوا عَنْ فِطْنَةِ الْأَعْرَابِ^(١)
فَإِذَا كَشَفْتَهُمْ وَجَدْتُ لَدَيْهِمْ كَرَمَ النَّفُوسِ وَقِلَّةَ الْأَدَابِ

ووصف أعرابي رجلاً فقال: هو أطهر من الماء، وأرق طباعاً من الهواء، وأمضى من السيل، وأهدى من النجم.

ووصف أعرابي رجلاً فقال: ذاك والله من ينفع سلّمه، ويتوصف حِلْمه، ولا يُستمرأ ظَلْمه.

وقال أعرابي: جلستُ إلى قوم من أهل بغداد فما رأيتُ أرجح من أحلامهم، ولا أطيّش من أقلامهم.

وذكر أعرابي من بني كلاب رجلاً فقال: كان والله الفهم منه ذا أذنين، والجواب ذا لسانين؛ ولم أرَ أحداً أرتقَ لخللِ رأيي، ولا أبعد مسافة رويّة، ومَرَادَ طَرْفٍ منه؛ إنما كان يرمي بهمته حيث أشار إليه الكرم، وما زال يتحسّى مرارة أخلاق الإخوان، ويسقيهم عذوبة أخلاقه.

وذكر أعرابي رجلاً فقال: والله لكأن القلوب والألسن رِيضَتْ له، فما تُعقد إلا على وُدّه، ولا تنطق إلا بحمده.

وقال أعرابي: أقبح أعمال المقتدرين الانتقام، وما استنبط الصواب بمثل المشاورة، ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر.

قال الأصمعي: وخطبنا أعرابي بالبادية، فقال: أيّها الناس؛ إن الدنيا دارٌ مفرّ، والآخرة دارٌ مفرّ؛ فخذوا من مفرّكم لمفرّكم، ولا تهتكوا أسراركم عند من لا تخفى عليه أسراركم.

قال المعافر بن نعيم: وقفتُ أنا ومعبد بن طوق العنبري على مجلس لبني العنبري، وأنا على ناقه وهو على حمار، فقاموا فبدءوني فَسَلَّمُوا عليّ؛ ثم انكفئوا على معبد، فقبض يده عنهم؛ وقال: لا، ولا كرامة! بدأتم بالصغير قبل الكبير، وبالمولى قبل العربي، وبالمفحّم قبل الشاعر، فأسكت القوم، فانبرى إليه غلام، فقال: بدأنا بالكاتب قبل الأمي، وبالمهاجر قبل الأعرابي، وبراكِبِ الراحلة قبل راكب الحمار.

(١) يقول: إنهم لم يتغنوا بركة الحضر، ولم تكن لديهم فطنة الأعراب، فهم قليلو الخبرة بالأمور.

ووصف أعرابي قومه فقال: لِيُوثُ حَرْبٌ، وَغِيُوثُ جَذْبٌ، إِنْ قَاتَلُوا أَبْلَوْا، وَإِنْ بَذَلُوا أَعْنَوْا.

ووصف أعرابي قوماً فقال: إِذَا اصْطَفَوْا سَفَرَتْ بَيْنَهُمُ السَّهَامُ، وَإِذَا تَصَافَحُوا بِالسَّيُوفِ فَغَرَّ فَمَهُ الْجِحَامُ.

وسُئِلَ أعرابيٌّ عن صديق له، فقال: صَفِرَتْ عِيَابُ الْوَدِّ^(١) بَيْنِي وَبَيْنَهُ بَعْدَ امْتِلَانِهَا، وَاكْفَهَرَتْ وَجْوهُ كَانَتْ بِمَائِهَا.

وقال الأصمعي: وَسَمِعْتُ أعرابياً يقول: إِنَّ الْأَمَالَ قَطَعَتْ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ، كَالسَّرَابِ غَرَّ مَنْ رَأَاهُ، وَأَخْلَفَ مِنْ رَجَاهُ، وَمَنْ كَانَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَطِيَّةً أَسْرَعَ السَّيْرَ وَالبُلُوغَ بِهِ.

وَالْمَرْءُ يَفْرَحُ بِالْأَيَّامِ يَقْطَعُهَا وَكُلُّ يَوْمٍ مَضَى يُدْنِي مِنَ الْأَجَلِ
وذكر أعرابي مصيبة نالته، فقال: إِنَّهَا وَاللَّهِ مَصِيبَةٌ جَعَلَتْ سُودَ الرُّؤُوسِ بَيَضاً، وَبَيَضَ
الْوُجُوهِ سُوداً، وَهَوَّنَتْ الْمَصَائِبَ، وَثَبَّتَتْ الذُّوَابَ.

وهذا كقول عبد الله بن الرُّبَيْعِ الأَسَدِيِّ^(٢):

رَمَى الْجِدْثَانُ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ	بِمَقْدَارِ سَمَدَنْ لَهُ سُمُودَا ^(٣)
فَرَدَّ شُعُورَهُنَّ السُّودَ بَيَضاً	وَرَدَّ وُجُوهَهُنَّ الْبَيَضَ سُوداً
وَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ بُكَاءَ هُنْدٍ	وَرَمْلَةً إِذْ تَصْكُكُ الْخَسْدُودَا
بَكَيْتَ بُكَاءَ مُعْوَلَةٍ حَزِينٍ	أَصَابَ الدَّهْرُ وَاحِدَهَا الْفَقِيدَا

ونظيرُ هذا التطابق بين السواد والبياض، وإن لم يكن من هذا المعنى، قولُ ابن الرومي^(٤):

يَا بَيَاضَ الْمَثِيبِ سَوَّدَتْ وَجْهِي عِنْدَ بَيَاضِ الْوُجُوهِ سُودِ الْقُرُونِ^(٥)

(١) صَفِرَتْ: خَلَّتْ. وعِيَابُ الْوَدِّ: الصدور والقلوب.

(٢) هو أبو كثير، عبد الله بن الزبير بن الأشم الأسدي: شاعر مكثر مجيد، من شعراء الدولة الأموية. عَمِيَ فِي أَوَاخِرِ عَمْرِهِ، وَمَاتَ فِي خِلَافَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ سَنَةَ ٧٥ هـ/ ٦٩٥ م. (الأصفيهاني، الأغاني: ٢٠٨/١٤؛ فروخ، تاريخ الأدب العربي: ٤٦١/١).

(٣) سَمَدَنْ: تَلَوْتُ لَهُ رُؤُوسَهُنَّ، وَسَمَدُ فُلَانٍ: قَامَ مَتَحِيراً. وَهَذَا الْبَيْتُ وَالَّذِي يَلِيهِ فِي الْعَمَلَةِ: ٦/٢.

(٤) ابن الرومي، الديوان: ٢٣٠/٦.

(٥) أي عند النساء. والقرون: جمع قَرْنٍ، وهو من رأس المرأة: جانبها.

فَلَعَمْرِي لأَخْفِيَنَّكَ جَهَنَّمَ
عَنْ عِيَانِي وَعَنْ عِيَانِ الْعِيُونِ
وَلَعَمْرِي لَأَمْنَعَنَّكَ أَنْ تَضُرَّ
حَكَ فِي رَأْسِ آسَفٍ مَحْزُونٍ^(١)
بِسَوَادٍ فِيهِ ابْيَضَاضٌ لَوْجَهِي
وَسَوَادٌ لَوْجَهَكَ الْمَلْعُونِ^(٢)

سأل أعرابيان رجلاً، فحرمهما، فقال أحدهما لصاحبه: نزلت والله بوادٍ غير ممطور، وأتيت رجلاً بك غير مسرور، فلم تدرك ما سألت، ولا نلت ما أملت؛ فارتحل بندم، أو أقم على عدم.

قال الأصمعي: وسمعت أعرابياً يقول: غفلنا ولم يغفل الدهر عنا، فلم نتعظ بغيرنا حتى وُعِظَ غيرنا بنا، فقد أدركت السعادة من تنبه، وأدركت الشقاوة من غفل، وكفى بالتجربة واعظاً.

وقال أعرابي لرجل: أشكر للمنعم عليك، وأنعم على الشاكر لك، تستوجب من ربك زيادته، ومن أخيك مناصحته.

ومدح أعرابي رجلاً فقال: ذلك والله فسيح الأدب، مستحكم السبب، من أي أقطاره أتيته تشني عليه بكرم فعال، وحسن مقال.

وذم أعرابي رجلاً فقال: أفسد آخرته بصلاح دُنْيَاهُ، ففارق ما أصلح غير راجع إليه، وقدم على ما أفسد غير متقبل عنه، ولو صدق رجل نفسه ما كذبت، ولو ألقى زمامه أوطأه راحلته.

وقال أعرابي: خرجت حين انحدرت أيدي النجوم، وشالت أرجلها، فما زلت أصدع الليل حتى انصدع الفجر.

وقال أعرابي:

وَقَدْ تَعَالَلْتُ ذِمِيلَ الْعَنْسِ بِالسُّوْطِ فِي دَيْمُومَةٍ كَالْثَّرَسِ^(٣)
إِذْ عَرَجَ اللَّيْلُ بُرُوجَ الشَّمْسِ

(١) أن تضحك: أي أن تظهر، يقال: ضحك المشيب: برز.

(٢) في الديوان: «بخضاب». و«واسوداد لوجهك».

(٣) تعاللت: أعطيت أقصى ما عندك من السير. والذميل: ضرب من السير سريع، يقال: ذمل البعير دُمُولاً وَدَمِلَاناً: سار سيراً سريعاً لينا؛ فهو ذامل، وهي ذاملة. والعنس: الناقة القوية، شُبِّهَتْ بالصخرة لصلابتها. والديمومة: الصحراء الواسعة البعيدة الأطراف.

ومن مליح الاستعارة في نحو هذا قولُ الحسن بن وهب: شربت البارحة على وجهِ
الجُوزاء؛ فلما انتبه الفجرُ نِمْتُ، فما عقلت حتى لَحَفَنِي قَمِيصُ الشَّمْسِ.

وقال أعرابي لصاحبه في شيء ذكره: قل إن شاء الله، فإنها تُرْضِي الرَّبَّ، وتُسْخِطُ
الشيطان، وتُذهِبُ الحِنْتَ^(١)، وتَقْضِي الحاجة.

وروى العتبي عن أبيه قال: سمعت أعرابياً يقول لأخيه في معاتبة جرث بينهما: أما
والله لَرُبَّ يوم كَثُور الطاهي، رَقَاص بالحمامة، قد رميتُ نَفْسِي في أَجِيجِ سَمُومِهِ، أَحْتَمِلُ
منه لما أكره ما أَحَبُّ.

قال أبو العباس محمد بن يزيد: وأحسب العتبي صنع هذا الكلام، وأخذه من قول
بَشَّار^(٢):

وَيَوْمَ كَثُورِ الإِمَاءِ سَجَرْتُهُ وَأَوْقَذَنَ فِيهِ الْجَزَلَ حَتَّى تَضَرَّمَا^(٣)
رَمِيتُ بِنَفْسِي فِي أَجِيجِ سَمُومِهِ وَبِالْعِيسِ حَتَّى بَضَّ مِنْخَرُهَا دَمًا^(٤)
أخذ هذا المعنى بعضُ أصحاب أبي العباس ثعلب فقال يهجو المبرد:

وَيَوْمَ كَثُورِ الطَّهَاءِ سَجَرْتُهُ عَلَى أَنَّهُ مِنْهُ أَحَرُّ وَأَوْقَذُ
ظَلَلْتُ بِهِ عِنْدَ الْمَبْرَدِ جَالِسًا فَمَا زِلْتُ فِي أَلْفَاطِهِ أَتَبَرَّدُ

قال الأصمعي: حَجَّتْ أعرابيةٌ ومعهما ابنُ لها، فأصيبت به، فلما دُفِنَ قامت على
قبره، وهي مُوجَّعةٌ فقالت: والله يا بني لقد غَدَوْتُكَ رضيعاً، وفقدتُكَ سريعاً، وكأنه لم يكن
بين الحالين مدةٌ أَلْتَدُّ بعيشك فيها، فأصبحت بعد النَّصَارَةِ والغَضَارَةِ وروثِ الحياةِ والتَّسَمِّ في
طِيبِ روائحها، تحت أطباقِ الثَّرى جَسَداً هامداً، ورُفَاتاً سحيقاً، وصعيداً جُرْزاً^(٥)؛ أي بني!
لقد سَحَبَتِ الدنيا عليك أذيالَ الفناءِ، وأسكَّتِكَ دارَ البلى، ورميتي بعدك نَكْبَةً الرَّدَى، أي
بني! لقد أسفر لي وجهُ الدنيا عن صباحِ دَاجٍ ظلامه.

(١) تذهب الحنث: أي إذا حلفت وقلت «إن شاء الله» ثم لم تفعل ما حلفت عليه لم يحنث.

(٢) بَشَّار بن برد، الديوان: ١٦٢/٤.

(٣) النور: الفرن يخبز فيه. وسجر النور: ملأه حطباً وأحماء. والجزل: الحطب الغليظ.

(٤) الأجيح: التهاب النار، استعاره للسموم، وهي الريح الشديدة الحرارة. وبَصَّ: سال سيلاناً قليلاً.

(٥) الصعيد: التراب، قال تعالى: ﴿تَتِمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً﴾ (سورة المائدة، آية ٦). والجُرْز: الأرض

المجدبة، قال تعالى: ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ (سورة السجدة، آية

٢٧)، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً﴾ (سورة الكهف، آية ٨).

ثم قالت: أي رب ومنك العدل، ومن خلقت الجور، وهبته لي قوة عين، فلم تمتعني به كثيراً، بل سلبتني وشيكا؛ ثم أمرتني بالصبر، ووعدتني عليه الأجر، فصدقت وعدك، ورضيت قضاءك، فرحم الله من ترحم على من استودعته الرذم، ووسدته الثرى؛ اللهم ارحم غربته، وأنس وحشته، واستر عورته، يوم تكشف الهنات والسوءات.

فلما أرادت الرجوع إلى أهلها وقفت على قبره، فقالت! أي بني! إني قد تزودت لسفري، فليت شعري ما زادك لبعد طريقك، ويوم معادك؟ اللهم إني أسألك له الرضا برضائي عنه. ثم قالت: استودعتك من استودعنيك في أحشائي جنيئا؛ وأكل الوالدات! ما أمض حرارة قلوبهن، وأقلق مضاجعهن، وأطول ليلهن، وأقصر نهارهن، وأقل أنسهن، وأشد وحشتهن، وأبعدهن من السرور، وأقربهن من الأحزان.

لم تزل تقول هذا ونحوه حتى أبكت كل من سمعها. وحمدت الله عز وجل واسترجعت^(١) وصلت ركعات عند قبره وانطلقت.

وأشد المفضل الضبي لامرأة من العرب ترثي ابناً لها:

يا عمرو مالي عنك من صبر	يا عمرو يا أسفي على عمرو
الله يا عمرو، وأي فتى	كفنت يوم وضعت في القبر؟
أحشو التراب على مفارقه	وعلى غصارة وجهه النصير ^(٢)
حين استوى وعلا الشاب به	وبدا مئير الوجه كالبلدر
ورجسا أقاربهُ مافعه	ورأوا شمائل سيد عمرو ^(٣)
وأهمه همي فمأوره	وعنداً مع الغادين في السفر ^(٤)
تعدو به شقراء سامية	مرطى الجراء شديدة الأسر ^(٥)
ببت الجنان به، ويقدمها	فلج يقلب مقلتي صفر ^(٦)

(١) استرجعت: قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٢) حشا التراب ونحوه: هاله. المفارق: مواضع فرق الشعر من الرأس، الواحد مفرق.

(٣) الغمر: الجزيل العطاء.

(٤) ساوره: واثبه.

(٥) مرطى: سريعة. والأسر: القوة.

(٦) الجنان: القلب. فلج: حليف النصر.

رَبُّهُ دَهْرًا أَفْقُهُ
 حَتَّى إِذَا التَّامِمُ امْلَأُ امْكُنِّي
 وَجَعَلْتُ مِنْ شَغْفِي أَنْفَلَهُ
 أَدْعَ الْمَزَارِعَ وَالْحَصُونِ بِهِ
 مَا زِلْتُ أَصْعِدُهُ وَأُخْدِرُهُ
 هَرَبًا بِهِ وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ
 حَتَّى دَفَعْتُ بِهِ لِمَضْرَعِهِ
 مَا كَانَ إِلَّا أَنْ هَجَعْتُ لَهُ
 وَرَمَى الْكَرَى رَأْسِي وَمَالَ بِهِ
 إِذْ رَاعَنِي صَوْتُ هَبِثُ بِهِ
 وَإِذَا مَيَّيْتُهِ تُسَاوِرُهُ
 وَإِذَا لَهُ عَلِقَ وَحْشَرَجَّةُ
 وَالْمَوْتُ يَقْبِضُهُ وَيَسْطُطُهُ
 فَدَعَا لَأَنْصُرَهُ وَكُنْتُ لَهُ
 فَعَجِزْتُ عَنْهُ وَهِيَ زَاهِقَةٌ
 فَمَضَى وَأَيُّ فَتَى فُجِعْتُ بِهِ
 لَوْ فِيلَ تَفْدِيهِ بَذَلْتُ لَهُ
 أَوْ كُنْتُ مُقْتَدِرًا عَلَى عُمْرِي

فِي الْبُسْرِ أَغْذُوهُ وَفِي الْعُسْرِ
 فِيهِ قُيِّلَ تَلَا حُوقِ الثَّغْرِ
 فِي الْأَرْضِ بَيْنَ تَنَائِفِ غُبْرِ^(١)
 وَأُحِلَّهُ فِي الْمَهْمَةِ الْقَفْرِ
 مِنْ قُتْرِ مَسْوَمَاءٍ إِلَى قُتْرِ^(٢)
 حَيْثُ انْتَوَيْتُ بِهِ وَلَا أَذْرِي^(٣)
 سَوَوْقَ الْمَعِيزِ تُسَاقُ لِلْعُتْرِ^(٤)
 وَرَمَى فَأَغْفَى مَطْلَعِ الْفَجْرِ
 رَمَسَ يُسَاوِرُ مِنْهُ كَالثُّكْرِ
 وَذُعِرْتُ مِنْهُ أَيُّمَا ذُعْرِ
 قَدْ كَدَّحْتُ فِي الْوَجْهِ وَالْخَرِ^(٥)
 مِمَّا يَجِيئُ بِهِ مِنَ الصَّدْرِ^(٦)
 كَالثَّوْبِ عِنْدَ الطَّيِّ وَالنَّشْرِ
 مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ حَاضِرَ النَّصْرِ
 بَيْنَ الْوَرِيدِ وَمَدْفَعِ السَّحْرِ^(٧)
 جَلَّتْ مُصِيبَتُهُ عَنِ الْقَنْدَرِ
 مَالِي وَمَا جَمَعْتُ مِنْ وَفْرِ
 أَثَرْتُهُ بِالشُّطْرِ مِنْ عُمْرِي^(٨)

(١) التنايف: جمع تنوفة، وهي الصحراء، أو الففر من الأرض. والعُبْرُ: جمع غبراء، وأراد المظلمة.

(٢) القُتْرُ: الجانب. والمومة والموماء: المفازة الواسعة.

(٣) انتويت: قصدت.

(٤) العثر هنا: الذبح.

(٥) كَدَّحْتُ وجهه: خَدَّشْتُهُ.

(٦) الحشرجة: تردّد النَّفْسِ فِي الْحَلْقِ، يُقَالُ: حَشَرَجْتُ رُوحَهُ فِي صَدْرِهِ: أَوْشَكُ أَنْ يَمُوتَ.

(٧) زاهقة: خارجة، يُقَالُ: زَهَقَتْ نَفْسُهُ: خَرَجَتْ، وَالْأَصْلُ فِي الزَّهْوِ: الْخُرُوجُ بِصُعُوبَةٍ. وَالسَّحْرُ

وَالشُّحَارَةُ: كُلُّ مَا تَعْلُقُ بِالْحَلْقُومِ مِنْ قَلْبِ وَرْتَةٍ.

(٨) شطر الشيء: نصفه.

قَدْ كُنْتُ ذَا فَقْرٍ لَهُ، فَعَدَا
لَوْ شَاءَ رَبِّي كَانَ مَتَّعَنِي
بُنَيْتٌ عَلَيْكَ بُنْيَ، أَحُوجُ مَا
لَا يُعِدُّكَ اللَّهُ يَا عُمَرِي
هَذَا سَيْلُ النَّاسِ كُلِّهِمْ
أَوْ لَا تَرَاهُمْ فِي دِيَارِهِمْ
وَالْمَوْتُ يُورِدُهُمْ مَوَارِدَهُمْ
وقال أعرابي يمدح رجلاً:

يُمْدُ نِجَادِ السَّيْفِ حَتَّى كَأَنَّهُ
وَيُدْلِجُ فِي حَاجَاتِ مَنْ هُوَ نَائِمٌ
إِذَا اعْتَمَ بِالسُّبْرِ الْيَمَانِي حَسْبَتُهُ
يَزِيدُ عَلَى فَضْلِ الرِّجَالِ فَضِيلَةً
وأشد ابن أبي طاهر لأعرابي:

وَقَلِيلِي أَبْكَى كُلِّ مَنْ كَانَ ذَا هَوَى
وَهُنَّ عَلَى الْأَطْلَالِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
مُزَبَّرَجَةٌ الْأَعْنَاقِ تُنْمَرُ ظُهُورُهَا
تَرَى طُرْزاً بَيْنَ الْخَوَافِي كَأَنَّهَا
وَمَنْ قَطَعَ الْيَاقُوتَ صَيَغَتْ عِيُونُهَا
هَتُوفُ الْبَوَاكِي وَالْدِيَارُ الْبَلَاقِعُ^(١)
نَوَاحٍ مَا تَخْضَلُ مِنْهَا الْمَدَامِعُ
مُحْطَمَةٌ بِالذَّرِّ خُضِرَ رَوَائِعُ^(٢)
حَوَاشِي بُرْدِ زَيْتِهَا الْوَشَائِعُ^(٣)
خَوَاضِبُ الْبَلْحَاءِ مِنْهَا الْأَصَابِعُ

(١) القَسْرُ: القهر والغلبة.

(٢) فالج: اسم موضع. وتطوح: جاء وزهب في الهواء وغيره، وتطوح في البلاد: رمى بنفسه فيها وزهب ههنا وههنا.

(٣) البلاقع: جمع بلقع، وهي الأرض الخالية لا أنيس فيها.

(٤) مُزَبَّرَجَةٌ: مزينة بالزبرج، وهو الحلية والزينة من وشي أو جوهر أو نحو ذلك. وَنَمَرَ نَمْرًا وَنُمْرَةً: كان على شبه النمر، وهو أن تكون فيه بقعة بيضاء وبقعة أخرى على أي لون كان. مُحْطَمَةٌ: وُضِعَ عَلَى أَنْفِهَا الْخَطَامُ، وهو الزمام، يريد أن أخطمتها مرصعة بالدر.

(٥) الوشائع: جمع وشيعة، وهي الطريقة في البرد، وقد وَشَعَ الثوب: رقمه بعلم ونحوه.

ومن جيد ما قيل في الحمام قول ابن الرومي^(١):

وَقَفْتُ بِمِطْرَابِ الْعَشِيَّاتِ وَالضُّحَى فَظَلْتُ أَسْحُ الدَّمْعَ مِنِّي وَأَسْجِمُ^(٢)
حَلِيفَةَ شَجْوِ هَاجٍ مَا بِي وَمَا بَهَا تَبَارِيحُ شَوْقٍ يَشْتَكِيهَا الْمَتِمُّ
فَبَاحَ بِهِ فُوهَا وَأَخْفَتَهُ عَيْنُهَا وَبَاحَتْ بِهِ عَيْنِي وَكَتَمَهُ الْقَمُّ^(٣)

ودخل أعرابي على الرشيد، فأنشده أرجوزةً مدحه بها، وإسماعيل بن صبيح يكتب كتاباً بين يديه - وكان من أحسن الناس خطاً، وأسرعهم يداً - فقال الرشيد للأعرابي: صف الكاتب فقال:

رَقِيقُ حَوَاشِي الْعِلْمِ حِينَ تَبُورُهُ يُرِيكَ الْهُوَيْنَا وَالْأُمُورُ تَطِيرُ^(٤)
لَهُ قَلَمًا بُؤْسَى وَنُعْمَى كِلَاهُمَا سَحَابَتُهُ فِي الْحَالَتَيْنِ ذُرُورُ^(٥)
يُنَاجِيكَ عَمَّا فِي ضَمِيرِكَ خَطُهُ وَيَفْتَحُ بَابَ التُّجَحِّ وَهُوَ عَمِيرُ^(٦)

فقال الرشيد: قد وجب لك يا أعرابي عليه حق، كما وجب لك علينا يا غلام؛ ادفع له دية الحر، فقال إسماعيل: وعلى عبدك دية العبد.

وقال أعرابي من بني عقيل:

أَحِنُّ إِلَى أَرْضِ الْحِجَازِ، وَحَاجَتِي خِيَامٌ بَنَجِدْ دُونَهَا الطَّرْفُ يَقْصُرُ
وَمَا نَظَرِي نَحْوَ الْحِجَازِ بِنَافِعِي فَيَلَا، وَلَكِنِّي عَلَى ذَاكَ أَنْظُرُ
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ نَظْرَةً ثُمَّ عَبْرَةً لِعَيْنِكَ يَجْرِي مَاؤُهَا يَتَحَسَّرُ
مَتَى يَسْتَرِيحُ الْقَلْبُ إِذَا مُجَاوِرُ حَزِينٌ وَإِنَّمَا نَازِحٌ يَتَذَكَّرُ

وقال أعرابي:

وَإِنِّي لَأَغْضِي مُقْلَتِي عَلَى الْقَلْدِي وَالْبَسُّ ثَوْبَ الصَّبْرِ أَيْضُ أَبْلَجَا

(١) ابن الرومي، الديوان: ٤٤/٦.

(٢) في الديوان: «فَظَلْتُ أَسْحُ الدَّمْعَ وَهِيَ تُرْنَمُ».

(٣) في الديوان: «وَكَتَمَهُ الْقَمُّ».

(٤) تبوره: تختبره وتبلوه.

(٥) ذرور: كثيرة الهطل.

(٦) التُّجَحُّ: الطَّفَرُ.

وَإِنِّي لَأَدْعُو اللَّهَ وَالْأَمْرُ ضَيِّقٌ عَلَيَّ، فَمَا يُتَّقَلُ أَنْ يَنْفَرَجَا
وَكُفِّ مِنْ فِتْنَى ضَاقَتْ عَلَيْهِ وَجُوهُهُ أَصَابَ لَهَا مِنْ دَعْوَةِ اللَّهِ مَخْرَجَا
وقال آخر:

ذَكَرْتُكَ ذِكْرِي هَائِمٌ بِكَ تَنْهِي إِلَيْكَ أَمَانِيهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ وَضَلُ
وَلَيْسَتْ بِذِكْرِي سَاعَةٍ بَعْدَ سَاعَةٍ وَلَكِنَّهَا مَوْضُولَةٌ مَالَهَا فَضْلُ
وقال آخر:

أَرَيْتُكَ إِنْ شَطَطْتُ بِكَ الْعَامَ نِيَّةً وَعَالِكَ مُضْطَافُ الْحِمَى وَمَرَابِئُهُ^(١)
أَتَرَعَيْنَ مَا اسْتُدْعَيْتَ أَمْ أَنْتَ كَالَّذِي إِذَا مَا نَأَى هَانَتْ عَلَيْكَ وَدَائِعُهُ
أَلَا إِنْ حَسِبْنَا دُونَهُ قُلُوبُ الْحِمَى مَنَى النَّفْسِ لَوْ كَانَتْ تُنَالُ شَرَائِعُهُ^(٢)

أخذت أزد العتيك شاعراً من قيس بن ثعلبة اسمه المعدل في دم، فأتاه البهيس بن ربيعة فحمله، وأمره أن يتجو بنفسه، وأسلم نفسه مكانه، فقال له المعدل: أخيرك بين أن أمدحك أو أمدح قومك؛ فاختار مدح قومه فقال:

جَزَى اللَّهَ فِتْيَانُ الْعَتِيكِ، وَإِنْ نَأَتْ بِي الدَّارُ عَنْهُمْ، خَيْرَ مَا كَانَ جَارِيَا
هُمْ خَلَطُونِي بِالْأَنْفُسِ وَأَحْسَنُوا الصَّدَّ حَابَةَ لَمَّا حُمَّ مَا كَانَ آتِيَا^(٣)
مَتَاعُهُمْ فَوْضَى فَضاً فِي رِحَالِهِمْ وَلَا يُحْسِنُونَ الشَّرَّ إِلَّا تَبَادِيَا
كَأَنَّ دَنَانِيرًا عَلَى قَسَمَاتِهِمْ إِذَا الْمَوْتُ فِي الْأَبْطَالِ كَانَ تَحَامِيَا

وذكرت الرواة أن المهلب بن أبي صفرة عرض جندَه بخراسان، فعرض جيش بكر بن وائل، فمر به المعدل فقال: هذا المعدل القيسي الذي يقول، وأنشد الأبيات، فقالوا: أيها الأمير؛ احسبه علينا، فانطلق مائة منهم، فجاءوا بمائة وصيف ووصيفة، فقالوا: أعطه هذا وليعذرنا.

قوله: «كَأَنَّ دَنَانِيرًا عَلَى قَسَمَاتِهِمْ» نظير قول أبي العباس الأعمى:

(١) شَطَطْتُ: بعدت. النية: الوجهة والقصد.

(٢) الْحِمَى: السهل فيه ماء قليل. والشرائع: جمع شريعة، وهي مكان ورود الماء.

(٣) حُمَّ الْأَمْرُ: قُضِيَ، وَحُمَّ الشَّيْءُ: قُرِبَ.

لَيْتَ شِعْرِي مِنْ أَيْنَ رَائِحَةُ الْمُنَى لَكَ وَمَا إِنَّ إِخَالَ بِالْخَيْفِ إِنْسِي^(١)
 حِينَ غَابَتْ بَنُو أُمَيَّةَ عَنْهُ وَبِالْهَالِيلُ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ^(٢)
 خُطْبَاءُ عَلَى الْمَنَابِرِ، فُرْسَا نَ عَلَيْهَا، وَقَالَةُ غَيْرُ خُرْسِ
 فِي حُلُومٍ إِذَا الْحُلُومُ اسْتَفْرَزَتْ وَوُجُوهُ مِثْلِ الدَّنَانِيرِ مُلْسِ

[بعض أخبار أبي نواس]

المأمون يعير أخاه الأمين بصحبة أبي نواس

ولما خلع المأمون أخاه محمد بن زبيدة ووجه بطاهر بن الحسين لمحاربه، كان يعمل كتاباً يعيوب أخيه تقرأ على المنابر بخراسان؛ فكان مما عابه به أن قال: إنه استخلص رجلاً شاعراً ماجناً كافراً، يقال له الحسن بن هانئ، واستخلصه ليُشربَ معه الخمر، ويرتكب المآثم، ويهتك المحارم، وهو الذي يقول^(٣):

أَلَا فَاسْقِنِي خَمْرًا وَقُلْ لِي هِيَ الْخَمْرُ وَلَا تَسْقِنِي سِرًّا إِذَا أَمَكَنَّ الْجَهْرُ^(٤)
 وَبُخْ بِاسْمِ مَنْ تَهَوَّى وَدَعْنِي عَنِ الْكُنَى فَلَا خَيْرَ فِي اللَّذَاتِ مِنْ دُونِهَا سِرٌّ^(٥)

ويذكر أهل العراق فيقول: أهل فسوق وخمور، وماخور وفجور؛ ويقوم رجل بين يديه فيشيد أشعار أبي نواس في المجون؛ فاتصل ذلك بابن زبيدة؛ فنهى الحسن عن الخمر، وحبه ابن أبي الفضل بن الربيع؛ ثم كلمه فيه الفضل، فأخرجه بعد أن أخذ عليه ألا يشرب خمرًا، ولا يقول فيها شعراً، فقال: ^(٦)

مَا مِنْ يَدٍ فِي النَّاسِ وَاحِدَةٍ كَيْدِ أَبُو الْعَبَّاسِ مَوْلَاهَا^(٧)

(١) الخيف موضع بمئى قرب مكة، سمى بذلك لانحداره عن الغلظ، وارتفاعه عن السيل.

(٢) البهاليل: جمع بهلول، وهو السيد الجامع لصفات الخير.

(٣) أبو نواس، الديوان: ص ٢٨.

(٤) يريد أبو نواس من قوله: «وقل لي هي الخمر» استمتاع حواسه كلها بلذة الخمر، فيده تلمس، وفمه يذوق، وعينه ترى، ولم يبق إلا الأذن، فتريد اسم الخمر عليها لذة يطالب ساقيه بها.

(٥) يطلب من الساقى أن يسقيه جهرًا ما أمكن ليستمتع بلذة الحرية بشربها، ولذة رؤية تشهيقها في عيون الآخرين.

(٦) أبو نواس، الديوان: ص ٤٥٩.

(٧) اليد: النعمة. أبو العباس: كنية الفضل بن الربيع. مولاها: صاحبها وسيدها.

نَامَ الثَّقَاتُ عَلَى مَضَاجِعِهِمْ وَسَرَى إِلَى نَفْسِي فَأَحْيَاهَا^(١)
 قَدْ كُنْتُ خِفْتُكَ، ثُمَّ آمَنِي مِنْ أَنْ أَخَافَكَ، خَوْفُكَ اللَّهُ
 فَعَقَوْتُ عَنِّي عَفْوَ مُقْتَدِرٍ وَجَبَتْ لَهُ نِقَمٌ فَأَلْغَاهَا^(٢)
 ومن قوله في تَرْكِ الشَّرَابِ^(٣):

أَيْهَا الرَّائِحَانُ بِاللَّوْمِ لُومًا لَا أَذُوقُ الْمُسَدَّامَ إِلَّا شَمِيمًا^(٤)
 نَالِنِي بِالْمَلَامِ فِيهَا إِمَامٌ لَا أَرَى لِي خِلَافَهُ مُسْتَقِيمًا^(٥)
 فَاصْرِفَاهَا إِلَى سِوَايَ؛ فَإِنِّي لَسْتُ إِلَّا عَلَى الْحَدِيثِ نَدِيمًا^(٦)
 جُلُّ حَظِّي مِنْهَا إِذَا هِيَ دَارَتْ أَنْ أَرَاهَا وَأَنْ أَشَمَّ النَّسِيمًا^(٧)
 فَكَأَنِّي وَمَا أُرِيتُ مِنْهَا قَعْدِي يُزَيِّنُ التَّحْكِيمًا
 [كَلَّ عَنْ حَمْلِهِ السِّلَاحَ إِلَى الْحَرِّ بِ فَأَوْصَى الْمُطِيقَ إِلَّا يُقِيمًا]^(٨)

القَعْدِيَّة: فرقة من الخوارج، يأمرهم بالخروج ولا يخرجون؛ وزعم المبرد أنه لم يُسَبِّحْ إلى هذا المعنى.

وقال^(٩):

عَيْنُ الْخَلِيفَةِ بِي مُوَكَّلَةٌ عَقَدَ الْحِذَارُ بَطَرُفَهَا طَرْفِي^(١٠)
 صَحَّحْتُ عَلَانِيَتِي لَهُ، وَأَرَى دِينَ الضَّمِيرِ لَهُ عَلَى حَرْفِ^(١١)

(١) الثَّقَاتُ: الخُلَصَاءُ والأَصْدِقَاءُ.

(٢) أَلْغَاهَا: أَبْطَلَهَا.

(٣) أَبُو نَوَاسٍ، الدِّيَّانُ: ص ٢٩.

(٤) الشَّمِيمُ: الشَّم.

(٥) خِلَافُهُ: مَخَالَفَتُهُ.

(٦) اصْرِفَاهَا: رُدَّاهَا.

(٧) فِي الدِّيَّانِ: «كَبُرُ حَظِّي». وَكَبُرُ حَظِّي: مَعْظَمُهُ وَغَايَتُهُ.

(٨) كَلَّ: ضَعَفَ.

(٩) أَبُو نَوَاسٍ، الدِّيَّانُ: ص ٦٦.

(١٠) مُوَكَّلَةٌ بِي: مُرَاقَبَةٌ لِيَايَ. الْحِذَارُ: الْحَذَرُ.

(١١) عَلَانِيَتِي: ظَاهِرِي. عَلَى حَرْفٍ: عَلَى وَشَكٍّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ (سُورَةُ الْحَجِّ، آيَةُ ١١).

وَلْتَنْ وَعَدْتُكَ تَرْكُهَا عِدَّةً إِنِّي عَلَيْكَ لَخَاصِفٌ خُلْفِي^(١)
 سَلَبُوا قِنَاعَ الدَّنِّ عَنْ رَمَقِي حَتَّى الْحَيَاةِ مُثَارِفِ الْحَتَفِ^(٢)
 فَتَنَفَسْتُ فِي الْبَيْتِ إِذْ مُزِجْتُ كَتَنُفْسِ الرِّيحَانِ فِي الْأَنْفِ

* * *

أخذ قوله: «ولئن وعدتك تركها عدة» الحسن بن علي بن وكيع^(٣) فقال:

مَتَى وَعَدْتُكَ فِي تَرْكِ الصَّبَا عِدَّةً فَاشْهَدْ عَلَى عِدَّتِي بِالزُّورِ وَالْكَذِبِ
 أَمَا تَرَى اللَّيْلَ قَدْ وَلَّتْ عَسَاكِرُهُ وَأَقْبَلَ الصَّبَحُ فِي جَيْشٍ لَهُ لَجِبٌ^(٤)
 وَجَدَّ فِي أَثَرِ الْجَوَزَاءِ يَطْلُبُهَا فِي الْجَوِّ رَكُضاً هِلَالٌ دَائِمُ الطَّلَبِ
 كَصَوْلَجَانٍ لُجَيْنٍ فِي يَدَيِّ مَلِكٍ أَدْنَاهُ مِنْ كُرَّةٍ صَبِغَتْ مِنَ الذَّهَبِ^(٥)
 فَكُنْ بِنَا نَضْطَبِّحُ صَفَرَاءَ صَافِيَةٍ كَالنَّسَارِ لِكِنَّهَا نَارٌ بِلَا لَهَبِ
 عُروسٌ كَرِمٌ أَنْتَ تَخْتَالُ فِي حُلَيْلٍ صُفْرِ عَلَى رَأْسِهَا تَاجٌ مِنَ الْحَبَبِ^(٦)

وقال أبو الفضل الميكالي في اقتران الهلال بالزهرة:

أَمَا تَرَى الزُّهْرَةَ قَدْ لَاحَتْ لَنَا تَحْتَ هِلَالٍ لَوْنُهُ يَخْكِي اللَّهَبَ
 كَكُرَّةٍ مِنْ فِضَّةٍ مَجْلُوءَةٍ وَافَى عَلَيْهَا صَوْلَجَانٌ مِنْ ذَهَبٍ
 وعلى قول أبي نواس:

صَحَّحْتُ عَلَانِيَتِي لَهُ، وَأَرَى دِينَ الضَّمِيرِ لَهُ عَلَى حَرْفِ

- (١) الخُلْفُ: أَنْ تَعْدَ عِدَّةً وَلَا تَنْجِزَهَا.
- (٢) في الديوان: «قناع الطين» أي: الختم الذي تختم به. والرمق: بقية الحياة. مُثَارِفِ الحَتَفِ: مُثَرِّفٌ عَلَيْهِ، قَرِيبٌ مِنْهُ، وَالْحَتَفُ: الْمَوْتُ.
- (٣) هو أبو محمد، الحسن بن علي بن أحمد بن وكيع بن خلف التميمي: شاعر بارع ظريف، أصله من بغداد، ومولده في تنيس قرب دمياط بمصر. توفي في تنيس سنة ٣٩٣ هـ / ١٠٠٣ م. (فروخ، تاريخ الأدب العربي: ٥٨١/٢).
- (٤) لجب: ذو صياح وجلبة.
- (٥) الصولجان: عصا يحملها الملك ترمز إلى سلطانه.
- (٦) الْحَبَبُ وَالْحَبَابُ: طَرَائِقُ تَظْهَرُ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ تَصْنَعُهَا الرِّيحُ.

كتب أبو العباس بن المعتز إلى أبي الطيب القاسم بن محمد النميري:

يَا أَيُّهَا الْجَافِي وَسْتَجْفِي لَيْسَ تَجِيُّكَ مِنَ الظَّرْفِ
إِنَّكَ فِي الشَّوْقِ إِلَيْنَا كَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ عَلَى حَرْفٍ
مَحَوْتَ أَثَارَكَ مِنْ وَدْنَا غَيْرَ أَسَاطِيرِكَ فِي الصُّخْرِ
فَإِنْ تَحَامَلْتَ لَنَا زُورَةً يَوْمًا تَحَامَلْتَ عَلَى ضَعْفٍ

ضرب من الرياء

وحدث أبو عمر الزاهد قال: ذَكَكَ بعضُ الزهاد المرائين جَبْهَتَهُ بِثُومٍ وعصبتها، ونام ليُصْبِحَ بها كَأَثَرِ السَّجُودِ، فَانْحَرَفَتِ الْعَصَابَةُ إِلَى صُدْغِهِ، فَأَخَذَ الْأَثَرُ هُنَاكَ، فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ: مَا هَذَا يَا أَبْتَ؟ فَقَالَ: أَصْبَحَ أَبُوكَ مِمَّنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ!

* * *

من خمريات أبي نواس

وقال أبو نواس في الباب الأول^(١):

عَشْنَا بِالطَّلُولِ كَيْفَ بَلَيْنَا وَاسْقَيْنَا نُعْطِيكَ الشَّاءَ الثَّمِينَا
مِنْ سُلَافٍ كَأَنَّهَا كُلُّ شَيْءٍ يَتَمَنَّى مُخَيَّرٌ أَنْ يَكُونََا^(٢)
أَكَلَ الدَّهْرُ مَا تَجَمَّمَ مِنْهَا وَتَبَقَّى لُبَابُهَا الْمَكُونَا^(٣)
فَإِذَا مَا اجْتَلَيْتُهَا فَهَبَاءٌ يَمْنَعُ الْكَفَّ مَا يُبِيحُ الْعُيُونَا^(٤)
ثُمَّ شَجَّتْ فَاسْتَضْحَكَتْ عَنْ لَالٍ لَوْ تَجَمَّعْنَ فِي يَدٍ لَاقْتَيْنَا^(٥)
فِي كُؤُسٍ كَأَنَّهُنَّ نَجُومٌ دَائِرَاتٌ بُرُوجُهَا أَيْدِينَا
طَالَعَاتٌ مَعَ السُّقَاةِ عَلَيْنَا فَإِذَا مَا غَرَبْنَ يَغْرُبْنَ فِينَا

(١) أبو نواس، الديوان: ص ٣٠.

(٢) السلاف: الخمر، وسلاف كل شيء خالصة، وسلاف الخمر: أول ما يعصر منها.

(٣) اللباب: الخالص من كل شيء. والمکنون: المستور.

(٤) اجتليتها: نظرتها. الهباء: الغبار، أو ما يشبه الدخان منه متشراً في الهواء.

(٥) شج رأسه: كسره، وشج الشراب: مزجه. لال: أصلها لآلىء فحُفِّفَ.

لَوْ تَرَى الشَّرْبَ حَوْلَهَا مِنْ بَعِيدٍ قُلْتَ قَوْمًا مِنْ قِرَّةٍ يَصْطَلُونَا^(١)
وَعَزَالِ يُدِيرُهَا بَيَّانٍ نَاعِمَاتٍ يَزِيدُهَا الْعَمَزُ لَنَا
كُلَّمَا شِئْتُ عَلَنِي بِرُضَابٍ يَتْرُكُ الْقَلْبَ لِلْسُرُورِ قَرِينَا^(٢)
ذَاكَ عَيْشٌ، لَوْ دَامَ لِي، غَيْرَ أَنِّي عَفْنُهُ مَكْرَهَا وَخَفْتُ الْأَمِينَا
وقال^(٣):

أَعَاذَلْ أَعْنَيْتُ الْإِمَامَ وَأَعْتَبَا وَأَعْرَنْتُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ وَأَعْرَبَا^(٤)
وَقُلْتُ لِسَاقِيهَا: أَجْزَهَا فَلَمْ أَكُنْ لِيَأْبَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَشْرَبَا^(٥)
فَجَوَّزَهَا عَنِّي سُلَافًا تَرَى لَهَا لَدَى الشَّرَفِ الْأَعْلَى شُعَاعًا مُطَنَّبَا^(٦)
إِذَا عَبَّ فِيهَا شَارِبُ الْقَوْمِ خِلْنَهُ يَقْبَلُ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ كَوُكْبَا
تَرَى حَبْنَمَا كَانَتْ مِنَ الْبَيْتِ مَشْرِفًا وَمَا لَمْ تَكُنْ فِيهِ مِنَ الْبَيْتِ مَغْرِبَا
يَدُورُ بِهَا رَطْبُ الْبَنَانِ تَرَى لَهُ عَلَى مُسْتَدَارِ الْخَدِّ صُدْغًا مُعْقَرَبَا^(٧)
سَقَاهُمْ وَمَنَّا نِي بَعِينِهِ مُنِيَّةً فَكَانَتْ إِلَى قَلْبِي أَلَدًا وَأَطِيَا^(٨)

قال الحسين بن الضحاك الخليع: أنشدت أبا نواس قولِي:

وَشَاطِرِيَّ اللِّسَانِ مُخْتَلِقِ التَّدْ كَرِيهِ شَابَ الْمُجُونُ بِالشُّكِّ
فلما بَلَغْتُ فِيهِ:

- (١) الشَّرْبُ: جماعة الشاربين. قِرَّة: ما أصابك من البرد. يَصْطَلُونَ: يستدفئون.
- (١) عَلَنِي: سقاني، من العَلَّ وهو أول الشرب. والرضاب: الريق. وفي الديوان: «للسرور خدينا»، والخدين: الصاحب والرفيق.
- (٣) أبو نواس، الديوان: ص ٢٢.
- (٤) أَعْنَيْتُهُ واستعنته: طلبت إليه العتية، أو أعطيتها إياها، والعنيتي: الرضا. وأعربت: أفصحت وأبنت.
- (٥) أَجْزَهَا: جَزَّ بِهَا، وابتعد بها عني.
- (٦) الشرف: المرتفع. شعاعاً مطنَّباً: ممدوداً بأطنابه، والطنب: جبل طويل يُشَدُّ به سرادق البيت.
- (٧) ساقِ أَغْنَى: أي يخرج صوته من خياشيمه. والصدغ: ما بين العين والأذن، ويطلق على الشعر المتدلي في هذا الموضع. معقراً: معقوفاً على هيئة العقرب، لأن العقرب حين تسير ترفع ذيلها وتلويه.
- (٨) مَنَّا نِي: أعطاني مُنِيَّةً، وهي الأمانة.

كَأَنَّمَا نُضِبَ كَاسِهِ قَمَرٌ يَكْرَعُ فِي بَعْضِ أَنْجُمِ الْفَلَكَ
 نَعَرَ نَعْرَةً مَنَكْرَةً، فَقُلْتُ: مَالِكُ، فَقَدْ رَعَيْتَنِي؟ قَالَ: هَذَا الْمَعْنَى أَنَا أَحَقُّ بِهِ مِنْكَ؛
 وَلَكِنْ سَتَرِي لِمَنْ يُرَوَّى! ثُمَّ أَشَدُّ بَعْدَ أَيَّامٍ:
 إِذَا عَبَّ فِيهَا شَارِبُ الْقَوْمِ خِلَّتَهُ يَقْبَلُ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ كَوَكْبَا
 فَقُلْتُ: هَذِهِ مَطَالِبَةٌ^(١) يَا أَبَا عَلِيٍّ! فَقَالَ: أَتَظُنُّ أَنَّهُ يُرَوَّى لَكَ مَعْنَى مَلِيحٍ وَأَنَا فِي
 الْحَيَاةِ؟

وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ فَكَانَ أَحْسَنَ مِنْهُمَا^(٢):

وَمُهَفِّفٍ كَمَلْتُ مَحَاسِنُهُ حَتَّى تَجَاوَزَ مِثْلَةَ النَّفْسِ^(٣)
 تَصْبُو الْكُؤُوسُ إِلَى مَرَاثِفِهِ وَتَضِجُ فِي يَدِهِ مِنَ الْحَبْسِ^(٤)
 أَبْصَرْتُهَا وَالْكَاسُ بَيْنَ فَمٍ مِنْهُ وَيَبْنِ أَنْامِلُ خَمْسِ
 فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّ شَارِبَهَا قَمَرٌ يَقْبَلُ عَارِضَ الشَّمْسِ

وَقَالَ أَبُو الْفَتْحِ كَشَاجِمُ:

وَسَحَابٍ يَجْرُ فِي الْأَرْضِ ذَيْلِي مُطَرَفٍ زَرَّةٌ عَلَى الْأَرْضِ زَرَا^(٥)
 بَرَقَ لَمَحَةٌ، وَلَكِنْ لَهُ رَعْدٌ لَدَّ بَطِيءٍ يَكْسُو الْمَسَامِعَ وَقَرَا^(٦)
 كَخَلِيٍّ مِنْافِقٍ لِلَّذِي يَهْدِيهِ سَوَاهُ يَكِي جَهْرًا وَيَضْحَكُ سِرًّا
 قَدْ سَقَشِي الْمُدَامَ فِيهَا قَتَاةٌ سَحَرْتَنِي وَلَيْسَ تُحْسِنُ سِحْرًا
 فَإِذَا مَا رَأَيْتُهَا تَشْرَبُ الرَّأْيَ حَ ارْتَنِي شَمْسًا تُقْبَلُ بَلَدًا

(١) كَذَا، وَلَعَلَّهَا «مَغَالِبَةٌ».

(٢) ابْنُ الرُّومِيِّ، الدِّيَوَانُ: ٢٥٨/٣.

(٣) فِي الدِّيَوَانِ: «تَمَّتْ مَحَاسِنُهُ».

(٤) فِي الدِّيَوَانِ: «وَتَهْشُ فِي يَدِهِ». وَيُرَوَّى:

تَرْنُو الْكُؤُوسُ إِلَى مَرَاثِفِهِ

(الْبَغْدَادِي، تَارِيخُ بَغْدَادٍ: ٢٤/١٢).

(٥) الْمُطَرَفُ: رِدَاءٌ مِنْ خَزٍّ لَهُ أَعْلَامٌ.

(٦) الْوَقْرُ: الصَّمَمُ.

وَتَجُولُ بَيْنَ أَنْامِلِ خَمْسِ

[من أخبار بشار]

احتذاء أبي نواس على مثاله

وإنما احتذى أبو نواس في هذه الأشعار التي وصف فيها ترك الشراب وطاعته لأمر الأمين مثال بشار بن برد، وصب على قلبه؛ وذاك أن بشاراً لما قال^(١):

لَا يُؤْيِسُنْكَ مِنْ مُحَبَّاءٍ قَوْلٌ تَغْلُظُهُ وَإِنْ جَرَحَا^(٢)
عُسْرُ النِّسَاءِ إِلَى مُيَاسِرَةٍ وَالصَّغْبُ يُمَكِّنُ بَعْدَ مَا جَمَحَا^(٣)

بلغ ذلك المهدي فغاضه؛ وقال: يحرض النساء على الفجور، ويسهل السبيل إليه! فقال له خاله يزيد بن منصور الحميري: يا أمير المؤمنين؛ قد فتن النساء بشعره، وأي امرأة لا تصبؤ إلى مثل قوله^(٤):

عَجِبْتُ فَطْمَةً مِنْ نَعْتِي لَهَا
بُنْتُ عَشْرِ وَثَلَاثٍ قُسِمْتُ
دُرَّةً بِخَرِيرَةٍ مَكُونَةٍ
أَذْرَتِ الدَّمْعَ وَقَالَتْ: وَيْلَتِي
هَلْ يُجِيدُ النَّعْتَ مَكْفُوفُ النَّظَرِ^(٥)
بِئْسَ عُصْنٍ وَكَيْبٍ وَقَمَرِ^(٦)
مَازَهَا التَّاجِرُ مِنْ بَيْنِ الدُّرَرِ^(٧)
مِنْ وَلَوِيعِ الْكَفِّ رَكَابِ الْخَطَرِ^(٨)
وَوِشَاحِي حَلِّهِ حَتَّى اتَّشَرَ^(٩)

(١) بشار بن برد، الديوان: ٨٤/٢. والبيتان من قصيدة قالها في النسيب بمحبوبته «سعدى».

(٢) في الديوان: «من مُحَبَّرة»، والمخدرة: المرأة المصونة في خدرها عن الابتذال والخدمة.

(٣) في الديوان: «بعدها رَمَحَا»، وقد رمح الفرس: ضرب برجله، رفس.

(٤) بشار بن برد، الديوان: ٥٧/٤.

(٥) فطمة: جارية مغنية، سمعها بشار تغني فهورها. والنعت: خاص بوصف المحاسن والكمالات. ومكفوف البصر: أعمى.

(٦) يشبهها بالعصن قذاً، وبالكثيب رذفاً، وبالقمر وجهاً.

(٧) درة بحرية: منسوبة إلى البحر، أو إلى البحرين، وهي بلاد في بحرها أجود اللؤلؤ. والمكتونة: المخبوءة لنفاستها. ومازها التاجر: عزلها وفرزها.

(٨) أذرت الدمع: صَبَّه. الولوع: مبالغة في الوالع، والولع: الخفة، والمراد أنه خفيف اليد في اللعب. والخطر: الإشراف على الهلاك.

(٩) في الديوان: «أَمَّتَا». تخبر أمها أنه فرَّق لعبها، وحلَّ وشاحها، وهي غريرة لم تفتن لما يحاول استدراجها إليه.

فَدَعَيْنِي مَعَهُ يَا أُمِّي عَلْنَا فِي خَلْوَةٍ تَقْضِي الْوَطْرَ^(١)
 أَقْبَلْتُ فِي خَلْوَةٍ تَضْرِبُهَا وَاعْتَرَاهَا كَجُنُونٍ مُسْتَعِرٍ^(٢)
 بِأَبِي وَاللَّهِ مَا أَحْسَنَهُ دَمَعَ عَيْنَ غَسَلِ الْكُحْلِ قَطْرَ^(٣)
 أَيُّهَا اللُّؤَامُ هُبُّوا وَنَحْكُمْ وَسَلُونِي الْيَوْمَ مَا طَعَمُ السَّهَرِ^(٤)

المهدي يأمر بشاراً بترك الغزل

فأمره المهدي ألا يتغزل، فقال أشعاراً في ذلك، منها^(٥):

يَا مَنْظَرًا حَسَنًا رَأَيْتُهُ مِنْ وَجْهِ جَارِيَةٍ فَذَيْتُهُ
 لَمَعَتْ إِلَيَّ تَسْوَمُنِي ثَوْبَ الشَّابِّ وَقَدْ طَوَيْتُهُ^(٦)
 وَاللَّهِ رَبِّ مُحَمَّدٍ مَا إِنْ غَدَرْتُ وَلَا نَوَيْتُهُ
 أَمْسَكْتُ عَنْكَ، وَرِيماً عَرَضَ الْبَلَاءِ وَمَا ابْتِغَيْتُهُ^(٧)
 إِنَّ الْخَلِيفَةَ قَدْ أَبَى وَإِذَا أَبَى شَيْئاً أَبَيْتُهُ
 قَامَ الْخَلِيفَةُ دُونَهُ فَصَبَرْتُ عَنْهُ وَمَا قَلَيْتُهُ^(٨)
 وَنَهَانَنِي الْمَلِكُ الْهُمَامُ مُمْ عَنْ النِّسَاءِ فَمَا عَصَيْتُهُ^(٩)

- (١) قوله: «علنا في خلوة...» هو من كلام بشار، ويحتمل أن يكون هو قد سأل لها الخلوة، وكان استثنائها لأمرها من فرط غراتها.
- (٢) في الديوان: «أقبلت مغضبة». أي ضربتها لأنها خشيت عليها منه، وجئت من سذاجتها التي كادت توقعها في الخطر.
- (٣) يغسل الكحل: يزيله عن عينها. يذكر دمعها الذي سال فأزال الكحل من عينها، ويقسم أنه من أحسن ما يراه عاشق في محبوبته.
- (٤) اللؤام: جمع لائم، وليس لهذا البيت مناسبة مع ما سبق.
- (٥) بشار بن برد، الديوان: ٢١/٢.
- (٦) لمعت: يقال: لمع البرق والصبح وغيرهما - لمعاً ولمعاناً: برق وأضاء. وسأومه مساومة وسواماً: فإوضه في البيع والشراء، وسامم البائع بالسلعة: غالى بها. وطوى الشيء طياً: ضمّ بعضه إلى بعض، أو لفت بعضه فوق بعض، ويقال: طوى فؤاده على الأمر: لم يظهره. وفي الديوان: «لعب الشاب».
- (٧) عرض الشيء عرضاً وعروضاً: ظهر وأشرف. وفي الديوان: «وما بغيته».
- (٨) قلى فلاناً قلى: أبغضه وهجره. قال تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ (سورة الضحى، آية ٣).
- (٩) الهمام: السيد الشجاع السخي من الرجال.

بَلْ قَدْ وَفَيْتُ وَلَمْ أَضِغْ عَنْدًا، وَلَا رَأْيَا رَأَيْتُهُ^(١)
وقال أيضاً^(٢):

وَاللَّهِ لَوْ لَا رِضَا الْخَلِيفَةِ مَا أُعْطِيتُ ضَيْمًا عَلَيَّ فِي شَجَنِ^(٣)
قَدْ عِشْتُ بَيْنَ التَّدْمَانِ وَالرَّاحِ وَالْ مِزْهَرِ فِي ظِلِّ مَجْلِسِ حَسَنِ^(٤)
ثُمَّ نَهَانِي الْمَهْدِيُّ فَاَنْصَرَفْتُ نَفْسِي، صُنْعَ الْمُوفِيِّ اللَّقْنِ^(٥)
وقال^(٦):

أَفْنَيْتُ عُمْرِي وَتَقَضَّى الشَّبَابُ بَيْنَ الْحَمِيَّا وَالْجَوَارِي الْعَذَابِ^(٧)
فَالآنَ شَفَعْتُ إِمَامَ الْهُدَى وَرُبُّمَا طَبْتُ لِحُبِّ وَطَابِ
لَهَوْتُ حَتَّى رَاعَنِي دَاعِيَا صَوْتُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُجَابِ^(٨)
لَيْتَكَ لَيْتَكَ! هَجَرْتُ الصَّبَا وَنَامَ عُدَالِي وَمَاتَ الْعِتَابِ
أَبْصَرْتُ رُشْدِي وَتَرَكْتُ الْمُئَى وَرُبُّمَا ذَلْتُ لَهْنِ الرِّقَابِ^(٩)
في كلمة طويلة يقول فيها:

يَا حَامِدَ الْقَوْلِ، وَلَمْ يَلْهُ سُبِقْتُ بِالسَّيْلِ مَسَاكَ السَّحَابِ^(١٠)
الْفِعْلُ أَوْلَى بِشَاءِ الْفَتَى مَا جَاءَهُ مِنْ خَطَا أَوْ صَوَابِ^(١١)

- (١) في الديوان: «وَلَا رَأْيَا وَرَأَيْتُهُ»، والوأي: الوعد.
- (٢) بشار بن برد، الديوان: ١٩٨/٤؛ الأصفهاني، الأغاني: ٦٩/٣.
- (٣) الضيم: الظلم، وغمط الحق، وأعطيت ضيماً: التزمت به. والشجن: الحزن.
- (٤) في الديوان: «بين الريحان»، والريحان نبت طيب الرائحة. والراح: الخمر. والمزهر: العود.
- (٥) اللقن: الفهم، الحن التلقن لما يسمعه، وهو من لقن فلان إذا عقل وفهم.
- (٦) بشار بن برد، الديوان: ٦٦/١.
- (٧) في الديوان: «والجوارى الأواب»، والأواب: السقاء أو الساقى.
- (٨) في الديوان: «راعني غادياً».
- (٩) ذلت لهن الرقاب: خضعت.
- (١٠) لم يبله: لم يختبره أو يمتحنه. والمسك: بزنة السحاب: الموضع الذي يمسك فيه الماء. وفي الديوان: «انهلال السحاب».
- (١١) في الديوان: «من خطل أو صواب»، والخطل: الكلام القاسد المضطرب.

دَعَّ قَسُولَ وَاءٍ وَاَنْظَرُ فِعْلَهُ بُشِّي عَلَى اللَّقْحَةِ مَا فِي الْحِلَابِ^(١)
 إِذَا غَدَا الْمَهْدِيُّ فِي جُنْدِهِ وَرَاحَ فِي آلِ الرَّسُولِ الْغَضَابِ
 بَدَا لَكَ الْمَعْرُوفُ فِي وَجْهِهِ كَالظَّلْمِ يَجْرِي فِي الثَّنَايَا الْعِذَابِ^(٢)

من شعر بشار في الغزل

ومن شعر بشار في الغزل^(٣):

أَيُّهَا السَّاقِيَانِ صُبَّا شَرَابِي وَأَسْفِيَانِي مِنْ رِيْقٍ بِيضَاءَ رُودِ^(٤)
 إِنَّ دَائِي الصَّدَى، وَإِنَّ شَفَائِي شَرْبَةً مِنْ رُضَابٍ تُغْرِ بَرُودِ^(٥)
 عِنْدَهَا الصَّبْرُ عَنْ لِقَائِي، وَعِنْدِي زَفَرَاتٌ يَأْكُلْنَ قَلْبَ الْجَلِيدِ^(٦)
 وَلَهَا مَبْسَمٌ كَفَرُّ الْأَقَاحِي وَحَدِيثٌ كَالْوَشْيِ وَشْيِ الْبُرُودِ^(٧)
 نَزَلْتُ فِي السَّوَادِ مِنْ حَبَّةِ الْقَدِ سَبٍ وَنَالْتُ زِيَادَةَ الْمُتَنَزِّدِ
 ثُمَّ قَالَتْ: نَلَقَّاكَ بَعْدَ لَيْالٍ وَاللَّيَالِي يُبْلِسْنَ كُلَّ جَدِيدِ
 لَا أَبَالِي مَنْ ضَنَّ عَنِّي بِوَصْلٍ إِنَّ قَضَى اللَّهِ مِنْكَ لِي يَوْمَ جُودِ^(٨)

- (١) واءٍ: واعد، من وأى بمعنى وعد. اللقحة: الناقة الحلوب الغزيرة اللبن. وفي الديوان: «ما في العلاب»، والعلاب: جمع عُلْبَةٍ: قَدَح ضَخْم من خشب أو من جلود الإبل، وقد يكون لها طوق من خشب، يحلب به. والحلاب: الوعاء الذي يحلب فيه اللبن.
- (٢) الظَّلْمُ: ماء الأسنان وبريقها. الثنايا: جمع الثنية، وهي إحدى الأسنان الأربع التي في مقدم الفم، ثنتان من فوق وثنان من تحت. وفي الديوان: «في ثنايا الكعاب»، والكعاب: جمع كاعب، وهي الفتاة التي نهذ ثديها.
- (٣) بشار بن برد، الديوان: ٢/ ٢٤٥. والأبيات من قصيدة في محبوبته «عبدة».
- (٤) صفراء: لون المرأة، وفي الديوان: «بيضاء». والرود: الشابة الناعمة الحسناء.
- (٥) في الديوان:
- (٦) في الديوان: «قلب الحديد». والحديد والجليد: المتصبر المتجلد.
- (٧) في الديوان: «لها مضحك»، والمبسم والمضحك: الثغر. والبرود: جمع برد، وهو ثوب مخطط موشى.
- (٨) ضَنَّ: بخل، وفي الديوان: «ضَنَّ عَنِّي بَيْتِل».

وقال^(١):

تَلَقَّى بِسَيْحَةٍ مِنْ حُنَيْنٍ مَا خُلِقَتْ وَتَسْتَفِزُّ حَشَا الرَّائِي بِإِرْعَادٍ
كَأَنَّمَا صُوِّرَتْ مِنْ مَاءٍ لَوْلُؤَةٍ فَكُلُّ جَارِحَةٍ وَجْهٌ بِمِرْصَادٍ^(٢)

وقال^(٣):

وَهَبَتْ لَهُ عَلَى الْمِسْوَكِ رِيْقاً فَطَابَ لَهُ بِطِيْبِهِ ثِيَابُكَ
أَقْبَلُهُ عَلَى الذِّكْرِى كَأَنِّي أَقْبَلُ فِيهِ فَأَكْ وَمُقَلَّتِيكَ^(٤)

وقال^(٥):

لَا أَسْتَطِيعُ الْهَوَى وَهَجَرَتَهَا قَلْبِي ضَعِيفٌ وَقَلْبُهَا حَجَرٌ
كَأَنَّ وَجْدِي بِهَا وَقَدْ حُجِبَتْ فِي الرَّأْسِ وَالْعَيْنِ وَالْحَشَا سُكْرٌ

وأنشد له أبو تمام، وكان يقول: ما رأيت شعراً أغزل منه^(٦):

زَوَّدِنَا يَا عَبْدَ قَبْلِ الْفِرَاقِ بِتَلَاقٍ، وَكَيْفَ لِي بِالتَّلَاقِ^(٧)
أَنَا وَاللَّهِ أَشْتَهِي سِحْرَ عَيْنَيْهِ كِ وَأَخْشَى مَصَارِعَ الْعِشَاقِ
أُمْتِي مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ بَنِ كَعْبٍ مَوْضِعَ السَّلَكِ فِي طَلَا الْأَعْنَاقِ^(٨)

(١) بشار بن برد، الديوان: ٢٢٣/٢، والبيتان من قصيدة في محبوبته «سلمى».

(٢) في الديوان:

كَأَنَّمَا خُلِقَتْ فِي قِشْرِ لَوْلُؤَةٍ فَكُلُّ أَكْنَفِهَا وَجْهٌ بِمِرْصَادٍ
والأكناف: النواحي والأجزاء.

(٣) بشار بن برد، الديوان: ١٣٠/٤.

(٤) في البيت إشارة إلى أن تقبيل العين لم يكن مشؤوماً في عصر بشار، وذلك بخلاف ما يزعم البعض من أنه يورث الفراق. وقد بنى ابن زيدون الأندلسي على معنى هذا البيت فأبدع وأجاد بقوله:

يُذْنِي خَيَالِكَ حِينَ شَطَّ بِهِ النَّوَى وَهُمْ أَكَاذُ بِهِ أَقْبَلُ فَأَكْ

(٥) بشار بن برد، الديوان: ٢٥٩/٣ و ٧٥/٤.

(٦) المصدر نفسه: ١٢٥/٤.

(٧) في الديوان: «عَبْدَ إِنِّي إِلَيْكَ بِالْأَشْوَاقِ».

(٨) في الديوان:

إِنِّي مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ بَنِ كَعْبٍ مَوْضِعَ السَّيْفِ مِنْ طَلَى الْأَعْنَاقِ
والطلّى: جمع طليّة، وهي أصل العنق. يريد أنه من عقيل، وأنه في منتهى الشرف والعزة فيهم.

وقال^(١):

لَقَدْ عَشِقْتُ أَذْنِي كَلَاماً سَمِعْتُهُ رَحِيماً، وَقَلْبِي لِلْمَلِيحَةِ أَغَشَقْتُ^(٢)
وَلَوْ عَايَنُوهَا لَمْ يَلُومُوا عَلَى الْبُكْيِ كَرِيماً سَقَاهُ الْخَمْرَ بَذْرٌ مُحَلَّقٌ^(٣)
وَكَيْفَ تَنَاسِي مَنْ كَانَ حَدِيثُهُ بِأَذْنِي وَإِنْ عُيْتُ قُرْطٌ مُعَلَّقٌ^(٤)
وقال^(٥):

وَقَدْ كُنْتُ فِي ذَاكَ الشَّبَابِ الَّذِي مَضَى أَزَارُ وَيَدْعُونِي الْهَوَى فَأَزُورُ
فَإِنْ فَاتَنِي الْإِسْفُ ظَلَلْتُ كَأَنَّمَا يُدِيرُ حَيَاتِي فِي يَدَيْهِ مُدِيرُ
وَمُرْتَجَةِ الْأَرْدَافِ مَهْضُومَةِ الْحَشَا تَمُورُ بِسِحْرِ عَيْنَيْهَا وَتَدُورُ^(٦)
إِذَا نَظَرْتُ صَبَّتْ عَلَيْكَ صَبَابَةٌ وَكَادَتْ قُلُوبُ الْعَالَمِينَ تَطِيرُ^(٧)
خَلَوْتُ بِهَا لَا يَخْلُصُ الْمَاءُ بَيْنَنَا إِلَى الصُّبْحِ دُونِي حَاجِبٌ وَسُورُ^(٨)

لعلي بن الجهم

ومن هذا أخذ علي بن الجهم قوله:

رَعَى اللَّهُ دَهْرًا ضَمَّنَا بَعْدَ فُرْقَةٍ وَأَذْنَى فُؤَادًا مِنْ فُؤَادِ مُعَذِّبٍ
عِنَاقًا وَضَمًّا وَالتَّزَامًا كَأَنَّمَا يُرَى جَسَدَانَا جِسْمَ رُوحٍ مُرَكَّبٍ
فَبِتْنَا وَإِنَّا لَوُ تُرَاقُ زُجَاجَةٌ مِنَ الْخَمْرِ فِيمَا بَيْنَنَا لَمْ تَسْرَبِ

- (١) بشار بن برد، الديوان: ١٢٣/٤.
- (٢) رخم الكلام والصوت رَخْمًا: لان وسهل.
- (٣) بدر محلق: يقال: حَلَقَ الْبَدْرُ إِذَا دَارَتْ حَوْلَهُ هَالَةً، وذلك من شدة نوره.
- (٤) القرط: حلي تعلقه المرأة في أذنها. عُيْتُ: أُتْعِيتُ، وفي الديوان: «عُيْتُ».
- (٥) بشار بن برد، الديوان: ٦٧/٤.
- (٦) الأرداف: جمع ردف: العجز، الكفل. مهضومة الحشا: ضامرة البطن، لطيفة الكشحين. تمور: تتحرك وتضطرب.
- (٧) الصبابة: رقة الشوق وحرارته.
- (٨) أي: بتنا متلاصقين، لا يمر الماء بيننا من شدة الالتحام.

منزلة شعر بشار ومقداره

وشعره في هذا المعنى كثير.

وَرُوِيَ أَنَّهُ قَالَ: أَنَا أَشْعَرُ النَّاسِ؛ لِأَنَّ لِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ قَصِيدَةٍ، فَلَوْ اخْتِيرَ مِنْ كُلِّ قَصِيدَةٍ بَيْتٌ لَاسْتَنْدَرْتُ، وَمَنْ نَدَرْتُ لَهُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ بَيْتٍ فَهُوَ أَشْعَرُ النَّاسِ؛ وَقَدْ نَثَرْتُ نَظْمَهُ فِي أَضْعَافِ الْكِتَابِ اسْتِدْعَاءً لِنَشَاطِ الْقَارِئِ وَكَرَاهَةً فِي إِمْلَالِهِ.

وكان بشار أرقَّ المُحدثين ديباجةً كلام، وسُمِّيَ أبا المُحدثين؛ لأنه فَتَقَ لَهُمْ أَكْمامَ المعاني، ونَهَجَ لَهُمْ سَبِيلَ البديع، فَاتَّبَعُوهُ؛ وكان ابن الرومي يُقَدِّمُهُ، ويزعمُ أنه أَشْعَرُ مَنْ تَقَدَّمَ وَتَأَخَّرَ.

ولأوه

وهو يتعلق في شعره بولاء عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، ويفتخرُ بالمضرية. قال له المهدي: فيمن تَعَتَّرِي؟ قال: أُمَّا اللسانُ فِعَرَبِي، وَأُمَّا الْأَصْلُ فَكَمَا قُلْتُ فِي شِعْرِي! قال: وما قُلْتُ؟ فَأَنشَدَهُ^(١):

وَنُبِّئْتُ قَوْمًا لَهُمْ إِحْنَةٌ	يَقُولُونَ مَنْ ذَا وَكُنْتُ الْعَلَمَ ^(٢)
أَلَا أَيُّهَا السَّائِلِي جَاهِلًا	لِيُعْرِفَنِي أَنَا إِلْفُ الْكَرَمِ ^(٣)
نَمَتُ فِي الْمَكَارِمِ بِي عَامِرٌ	فُرُوعِي وَأَصْلِي قُرَيْشُ الْعَجَمِ ^(٤)
وَأَنِّي لِأُغْنِي مَقَامَ الْفَتَى	وَأُضْبِي الْفَتَاةَ فَلَا تَعْتَصِمُ ^(٥)

البيت الأول من هذه الأبيات ينظرُ إلى قول جميل^(٦):

- (١) بشار بن برد، الديوان: ١٥٨/٤، الأصفهاني، الأغاني: ٢١/٣، ٣٢، ٤٦.
- (٢) في الديوان: «بِهِمْ جِنَّةٌ». والإحنة: الحقد والبغض، والجِنَّة: الجنون.
- (٣) في الديوان: «أَنَا أَنَفُ الْكَرَمِ».
- (٤) أراد بقريش العجم: أهل خراسان، ووجه الشبه بينهم وبين قريش، أنهم لم يؤدوا إتاوة ولا خراجاً مثلها.
- (٥) إصباة الفتاة: جعلها تصبو، أو تقبل على الحب. لا تعتصم: أي لا تَتَعَفَّفُ. وفي الديوان: «ما تعتصم».
- (٦) جميل بن معمر، الديوان: ص ١٢٥.

إذا ما رأوني طالعاً من ثِيَّةٍ يقولون مَنْ هذا وقد عَرَفُونِي^(١)
وفي هذه القصيدة يقول بشار^(٢):

وَبَيَّضَاءُ يَضْحَكُ مَاءُ الشَّبَا ب فسي وَجْهَهَا لَكَ إِذْ تَبَسَّيْمُ^(٣)
دُورُ الْعَذَارَى إِذَا زُرْنَهَا أَطْفَنَ بِحُورَاءٍ مِثْلَ الصَّنَمِ^(٤)
بَرْحُنَ فَيَمْسَحُنَ أَرْكَانَهَا كَمَا يَمْسَحُ الْحَجَرُ الْمُسْتَلِمَ^(٥)
أَصْفَرَاءُ لَيْسَ الْفَتَى صَخْرَةً وَلَكِنَّهُ نُضْبٌ هَمٌّ وَغَمٌ^(٦)
صَيَّيْتُ هَوَاكَ عَلَى قَلْبِهِ فَضَاقَ وَأَعْلَنَ مَا قَدْ كَنَّمُ

ويقال: إنه مولى لأم الظباء السدوسية، ولذلك قال أبو حذيفة واصل بن عطاء الغزال رئيس المعتزلة لما هجاه بشار: أما لهذا الأعمى المُلْحِدُ المَشْتَفُ المكتني بأبي معاذ مَنْ يَقْتُلُهُ؟ والله لولا أَنَّ الْغِيْلَةَ من سَجَايَا الْغَالِيَةِ، لبعثتُ إليه من يَبْعِجُ بطنه في جوف منزله، ولا يكون إلا سَدُوسِيًّا، أو عُقِيلِيًّا.

شيء من خبر واصل بن عطاء المعتزلي

وكان واصل بن عطاء أحد أعاجيب الدنيا؛ لأنه كان أُلْشِعَ في الرءاء؛ فأسقطها من جميع كلامه وخطبه؛ إذ كان إماماً مَذْهَبٍ، وداعياً نَحْلَةً، وكان محتاجاً إلى جَوْدَةِ الْبَيَانِ، وفصاحةِ اللَّسَانِ. قال الجاحظ: فانظر كثرة ترداد الرءاء في هذا الكلام وكيف أسقطها؟ قال: الأعمى، ولم يقل الضرير، وقال: المُلْحِدُ، ولم يقل الكافر، وقال: المَشْتَفُ، ولم يقل المَرَعَثُ، وقال: المكتني: بأبي معاذ، ولم يقل بشاراً ولا ابن برد، وقال: الغالية، ولم يقل المغيرة، ولا المنصورية، وهم الذين أراد، وقال: لبعثت، ولم يقل لأرسلت، وقال: يبعج، ولم يقل ينفّر، وقال: في جوف منزله، ولم يقل في داره، وأراد بذكر عُقَيْلٍ وَسَدُوسٍ ما ذكر من اعترائه إليهم.

- (١) الثنية: العقبة في الجبل، وطلّاحُ الثنايا: كناية عمّن يقدم على مشاق الأمور.
- (٢) هذه الأبيات، والأبيات التي سبقتها من قصيدة قالها بشار في مدح الأمير عمرو بن العلاء.
- (٣) ماء الشباب: حسنه ونضارته.
- (٤) الدوار: الكعبة، البيت الحرام، المنزل. والهوراء: البيضاء.
- (٥) في الديوان: «يَطْلُنُ يُمَسِّحُنَ أَرْكَانَهَا».
- (٦) صفراء: اسم المحبوبة أو لونها. والنصب: الشيء المنسوب. والهم: الحزن، والغم: الكرب.

عود إلى أخبار بشار بن برد

وزعم الجاحظ أن بشاراً كان يدين بالرجعة، ويكفر جميع الأمة؛ وأنشد له أشعاراً صوب بها رأي إبليس في تقديم النار على الطين، منها قوله^(١):

الأرض مُظْلِمَةٌ، والنار مُشْرِقَةٌ والنارُ مَعْبُودَةٌ مُذْ كَانَتِ النَّارُ

وقال داود بن رزين: أتينا بشاراً، فأذن لنا والمائدة بين يديه، فلم يدعنا إلى الطعام، ثم جلسنا فحضر الظهر والعصر والمغرب فلم يصل، ودعا بطست فبال بحضرتنا، فقلنا له: أنت أستاذنا، وقد رأينا منك أشياء أنكرناها، قال: ما هي؟ قلنا: دخلنا والطعام بين يديك فلم تدعنا، قال: إنما أذنت لتأكلوا، ولو لم ترد ذلك لم تأذن لكم، قلنا له: ودعوت بالطست ونحن حضور، قال: أنا مكفوف، وأنتم مأمورون بغض الأبصار دوني، قلنا: وحضرت الصلاة فلم تصل! قال: الذي يقبلها تفارق يقبلها جملة! هذا وهو القائل^(٢):

كَيْفَ يَكِي لِمَحْبَسٍ فِي طُلُولٍ مِنْ سَيْفِضِي لِحَبْسٍ يَوْمٍ طَوِيلٍ
إِنَّ فِي الْبُعْثِ وَالْحِسَابِ لَشُغْلًا عَنْ وَقُوفٍ بِرَسْمِ دَارٍ مُحِيلٍ^(٣)

وقال^(٤):

ذَكَرْتُ بِهَا عَيْشًا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي: كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ مَا كَانَ حِينَ يَزُولُ
وَمَا حَاجَتِي لَوْ سَاعَدَ الدَّهْرُ بِالْمُنَى كَعَابٍ عَلَيْهَا لَوْلَوْ وَشُكُوكُ^(٥)
بَدَا لِي أَنَّ الدَّهْرَ يَقْدَحُ فِي الصَّفَا وَأَنَّ بَقَائِي إِنْ حَيِّتُ قَلِيلُ
فَعِشْ خَائِفًا لِلْمَوْتِ أَوْ غَيْرَ خَائِفٍ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ لِلْحَمَامِ دَلِيلُ
خَلِيلُكَ مَا قَدَّمْتَ مِنْ عَمَلٍ الثَّقَى وَلَيْسَ لِأَيَّامِ الْمُنُونِ خَلِيلُ

بين بشار وعقبة بن روبة بن العجاج

وكان بشار حاضراً الجواب، سجعاً، خطيباً، صاحب مشور ومزدكج ورجز ورسائل

(١) بشار بن برد، الديوان: ٧١/٤؛ الأصفهاني، الأغاني: ٢٤/٣.

(٢) بشار بن برد، الديوان: ١٥٣/٤.

(٣) في الديوان: «إن في الحشر»، و«بكل رسم محيل». والمحيل: الذي غاب عنه أهله منذ أحوال.

(٤) بشار بن برد، الديوان: ١٤٣/٤.

(٥) الكعاب: العجارية التي نهد ثديها. والشكول من النساء: ذات الشكّل، وهو الغنيج والدلال.

مختارة على كثير من الكلام، ودخل على عُبَّة بن مسلم بن قتيبة، فأنشده مديحاً وعنده عُبَّة بن رُوْبَة، فأنشده أرجوزة، ثم أقبل على بشار فقال: هذا طِرَازٌ لا تحسنه يا أبا معاذ! فقال: والله لأنا أرجز منك ومن أبيك! ثم غدا على عُبَّة من الغد، فأنشده أرجوزته^(١):

يَا طَلَّلَ الْحَيَّ بِذَاتِ الصَّمَدِ بِاللَّهِ خَبِرُ كَيْفَ كُنْتَ بَعْدِي
يقول فيها:

صَدَّتْ بِخَدٍّ وَجَلَّتْ عَنْ خَدٍّ ثُمَّ انْثَنَتْ كَالْتَقَسِ الْمُرتَدَّ^(٢)
وَصَاحِبِ كَالذَّمَلِ الْمُمِيدِ حَمَلْتُهُ فِي رُقْعَةٍ مِنْ جِلْدِي^(٣)
حَتَّى اغْتَدَى غَيْرَ فَقِيدِ الْفَقْدِ وَمَا دَرَى مَا رَغَبْتِي مِنْ زُهْدِي^(٤)
وهذا كقول الآخر:

يَوَدُّونَ لَوْ خَاطُوا عَلَيْكَ جُلُودَهُمْ وَلَا يَدْفَعُ الْمَوْتَ النُّفُوسُ الشَّحَائِحُ
وفيها يقول:

الْحَرُّ يُلْحَى وَالْعَصَا لِلْعَبْدِ وَلَيْسَ لِلْمُلْحِفِ مِثْلُ الرَّدِّ^(٥)
أَسْلَمَ وَحَيَّيْتُ أَبَا الْمِلْدِ مِفْتَاحَ بَابِ الْحَدَثِ الْمُتَسَدِّ^(٦)
وَالْبَسَمِ طِرَازِي غَيْرَ مُسْتَرَدِّ لِلَّهِ أَيَامُكَ فِي مَعَسَدِّ

وهي طويلة، فأجزَلَ صلته، فلما سمع ابن رُوْبَة ما فيها من الغريب قال: أنا وأبي وجدِّي فَكَحْنَا الْغَرِيبَ لِلنَّاسِ، وإني لخليق أن أسدّه عليهم، فقال بشار: ارحمهم رحمتك الله! قال: تستخف بي، وأنا شاعر ابن شاعر ابن شاعر؟ قال: إذا أنت من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرَّجْسَ وطهَّرهْم تطهيراً! فضحك كلٌّ مَنْ حضر.

(١) بشار بن برد، الديوان: ٢٢٧/٢.

(٢) في الديوان: «صَنَّتْ بِخَدٍّ».

(٣) في الديوان:

وَصَاحِبِ كَالذَّمَلِ الْمُمِيدِ أَرُقُبُ مِنْهُ مِثْلَ يَوْمِ الْوَرْدِ
المُتَدِّ: الذي تخرج منه المدة أي القَيْح. ويوم الورد: يوم نوبة الحمى.

(٤) في الديوان: «حتى انطوى».

(٥) في الديوان: «الْحَرُّ يُوصَى». وَيُلْحَى: يُشْتَم، يُعَاب. والملحف: الذي يلح في المسألة.

(٦) أبو المِلْد: عُبَّة بن مسلم. والمِلْد: سيف عمرو بن عبد ود، كني به عُبَّة.

بين بشار ويزيد بن منصور الحميري عند المهدي

ودخل على المهدي وعنده خاله يزيد بن منصور الحميري، فأنشده قصيدة، فلما أتمها قال له يزيد: ما صناعتك يا شيخ؟ قال: أَقْبَبُ اللَّؤْلُؤَ، فقال له المهدي: أَتَهْزَأُ بِخَالِي؟ فقال: يا أمير المؤمنين، فما يكون جَوَابِي لِمَنْ يَرَى شَيْخاً أَعْمَى يُنْشِدُ شِعْراً فَيَسْأَلُهُ عَنْ صِنَاعَتِهِ؟

بشار وجواري المهدي

وقالت جَوَارِي المهدي للمهدي: لو أَذِنْتَ لبَّشَّارٍ يَدْخُلُ إلَيْنَا يُوَاسِنَا وَيُنْشِدُنَا فهو محجوب البَصَرِ، لا غيرة عليك منه، وأمره فدخل إليهن واستظرفنه، وقلن له: ودنا والله يا أبا معاذ أنك أبونا حتى لا نفارقك، قال: ونحن على دين كسرى^(١)! فأمر المهدي ألا يدخل عليهن.

وكان المتنبي نظر إلى هذا فقال^(٢):

يَا أُخْتَ مُعَتِّقِ الْفَوَارِسِ فِي الْوَعَى لِأُخْوِكَ ثَمَّ أَرْقُ مِنْكَ وَأَرْحَمُ^(٣)
يَرْتَوِ إِلَيْكَ مَعَ الْعَفَافِ وَعِنْدَهُ أَنَّ الْمَجُوسَ تُصِيبُ فِيمَا تَحْكُمُ^(٤)

[كلمات مأثورة]

قال علي بن عبيدة الرياحي: المودَّةُ تَعَاطَفُ الْقُلُوبَ، وَاتِّلَافُ الْأَرْوَاحِ، وَحَيْنَ الْنَفُوسِ إِلَى مَثَابَةِ السَّرَائِرِ؛ وَالْأَسْتِرَاحُ بِالمُسْتَكْنَاتِ فِي الْغَرَائِزِ، وَوَحْشَةُ الْأَشْخَاصِ عِنْدَ تَبَايُنِ اللَّقَاءِ، وَظَاهَرُ السَّرُورِ بِكَثْرَةِ التَّرْوَارِ، وَعَلَى حَسَبِ مَشَاكِلَةِ الْجَوَاهِرِ يَكُونُ اتِّفَاقُ الْخِصَالِ.

وقال: الْعِتَابُ حَدَائِقُ الْمُتَحَابِّينَ، وَثَمَارُ الْأَوْدَاءِ، وَدَلِيلُ الظَّنِّ، وَحَرَكَاتُ الشُّوقِ، وَرَاحَةُ الْوَاجِدِ، وَلِسَانُ الْمُشْفِقِ.

- (١) كان كسرى مجوسياً يستبيح زواج البنات والأخوات.
- (٢) المتنبي، الديوان: ٣٧/١.
- (٣) الوعى: الحرب. يقول: أنت قاسية القلب، وأخوك على بسالته إذا لقي عدواً في الحرب، كان أرق على عدوه وأرحم منك على العائق.
- (٤) سقط هذا البيت من الديوان.

قال بعض الكتاب: العتاب علامةُ الوفاء، وخاصّةُ الجَفَاء، وسلاحُ الأَكْفَاء.

وقال علي بن عبيدة: التجني رسولُ القطيعة، وداعي القلي، وسبب السلو، وأولُ التجافي، ومترل التهاجر.

وقال: الصدقُ ربيعُ القلب، وزكاةُ الخلق، وثمرّةُ المروءة، وشُعاعُ الضمير وعن جلالَةِ القدر عبارته، وإلى اعتدالِ وَزْنِ العقلِ يُنسبُ صاحبه، وشهادتهُ قاطعةٌ في الاختلاف، وإليه ترجع الحكومات.

وقال: الكذبُ شعارُ الخيانة، وتحريفُ العلم، وخواطرُ الزور، وتسويلُ أضغاث النفس، واعوجاجُ التركيب، واختلافُ البنية، وعن خمولِ الذكر ما يكون صاحبه. وعلي بن عبيدة كثيرُ الإغارة على ما كان غيره قد استناره.

فقر في الكذب لغير واحد

بعض الفلاسفة: الكذاب والميتُ سواء؛ لأن فضيلة الحيّ النطق، فإذا لم يُوثق بكلامه فقد بطلت حياته.

الحسن بن سهل: الكذاب لصّ؛ لأن اللصّ يسرقُ مالك، والكذاب يسرقُ عقلك، ولا تأمن من كذب لك أن يكذب عليك، ومن اغتاب غيرك عندك فلا تأمن أن يغتابك عند غيرك.

قال إبراهيم بن العباس في هذا النحو.

إِنِّي مَتَى أَحْقِذُ بِحَقِّكَ لَيْدِكَ لَا أَضْرِبُ بِهِ سِوَاكَ
وَمَتَى أَطْعُمُكَ فِي أَحَدٍ يَكْ أَطْعُمْتُ فِيكَ غَدًا أَخَاكَ
حَتَّى أُرَى مُتَقَسِّمًا يَوْمِي لَذَا، وَغَدًا لَذَاكَ

حَسِبُ الكاذب بعقله سَقَمًا وبقلمه خصما.

ابن المعتز: علامةُ الكذاب جوده باليمين لغير مستحلف، وقال:

وَفِي اليمينِ عَلَى مَا أَنْتَ فَاعِلُهُ مَا دَلَّ أَنَّكَ فِي المِعَادِ مُتَّهِمُ

وقال: اجتنِبْ مُصَاحَبَةَ الكَذَّابِ، فإن اضطررت إليه فلا تصدّقه، ولا تُعلمه أنك تكذبه، فيستقل عن وُدّه، ولا يتنقل عن طبعه. يَغْتَرِي حديثُ الكَذَّابِ من الاختلاف ما لا

يعتري الجبان من الارتعاد عند الحرب. لا تصح للكذاب رؤيا؛ لأنه يُخبر عن نفسه في اليقظة بما لم ير، فتريه في النوم ما لا يكون، وأنشد:

لا يكذب المرء إلا من مهاتته أو عادة السوء، أو من قلة الأدب

ولأهل العصر: فلان مُنغمس في عيبه، يكذب لذيله على جيبه، يقول بهتاً، وزوراً وبحتاً، قد ملأ قلبه رثناً، وقوله ميثناً؛ يدين بالكذب مذهباً، ويستثير الزور مركباً. أقاويلُ يتمشى الزور في مناكبها، ويبرز البهتان في مذهبها.

وقال أعرابي لابنه وسمعه يكذب: يا بني، عجبْتُ من الكذاب المُشيد بكذبه، وإنما يدلُّ على عيبه، ويتعرض للعقاب من ربه؛ فالآثام له عادة، والأخبارُ عنه متضادة، إن قال حقاً لم يُصدق، وإن أراد خيراً لم يوقَّ؛ فهو الجاني على نفسه بفعله، والدالُّ على فضيحته بمقاله. فما صغ من صدقه نسب إلى غيره، وما صغ من كذب غيره نسب إليه، فهو كما قال الشاعر:

حَنَبُ الكَذُوبِ مِنَ المَهَا نة بَعْضُ ما يُحْكِي عليه
ما إِن سَمِعْتُ بِكَذِبَةٍ مِنْ غَيْرِهِ نُسِبَتْ إِلَيْهِ

[جزاء الشكر]

بين الحسن بن سهل والمأمون

كتب الحسن بن سهل إلى المأمون، بعد أن رُفِّت إليه بوران وتوهم القواد أن هذا التزويج قد أنسى الحسن حاله قبل ذلك: قد تولَّى أمير المؤمنين من تعظيم عبده في قبول أمته شيئاً لا يتسع له الشكرُ عنه إلا بمعونة أمير المؤمنين، أدام الله عزَّه، في إخراج توقيعه بترين حالي في العامة والخاصة، بما يراه فيه صواباً إن شاء الله.

فخرج التوقيع: الحسن بن سهل زمام على ما جمع أمور الخاصة، وكفَّ أسباب العامة، وأحاط بالنفقات، ونفذ بالولاة، وإليه الخراج والبريد واختيار القضاة، جزاءً بمعرفته بالحال التي قرَّبته منا، وإثابة لشكره إيانا على ما أولينا.

[من خطب النكاح]

خطبة للمأمون

قال يحيى بن أكثم: أراد المأمون أن يزوج ابنته من الرضا فقال: يا يحيى؛ تكلم،

فأجللته أن أقول: أنكحت، فقلت: يا أمير المؤمنين، أنت الحاكم الأكبر، والإمام الأعظم، وأنت أولى بالكلام، فقال:

الحمد لله الذي تصاغرت الأمور بمشيئته، ولا إله إلا هو إقراراً بربوبيته، وصلى الله على محمد عند ذكره.

أما بعد، فإن الله قد جعل النكاح ديناً، ورَضِيَهُ حُكْماً، وأنزله وَحْياً؛ ليكون سبب المناسبة؛ ألا وإني قد زوجت ابنة المأمون من علي بن موسى، وأمهرتها أَرْبَعَمِائَةِ درهم، اقتداءً بسنة رسول الله ﷺ، وانتهاءً إلى ما دَرَجَ إليه السلفُ، والحمد لله رب العالمين.

ما يستحب من الخاطب والمخطوب إليه

قال الأصمعي: كانوا يستحبون من الخاطب إلى الرجل حُرْمَةَ الإطالة؛ لتدل على الرغبة، ومن المخطوب إليه الإيجاز، ليدل على الإجابة.

وخطب رجل من بني أمية إلى عمر بن عبد العزيز أخته، فأطال؛ فقال عمر: الحمد لله ذي الكبرياء، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء؛ أما بعد فإن الرغبة منك دَعَتْكَ إلينا، والرغبة منا فيك أجابَتْ وقد زوجناك على كتاب الله: إمساكٌ بمعروف، أو تسريحٌ بإحسان.

وخطب رجل إلى قوم فأتى بمن يَخْطُبُ له، فاستفتح بحمد الله وأطال، وصلى على النبي عليه السلام وأطال، ثم ذكر البدء وَخَلَقَ السموات والأرض، واقتصر ذِكْرَ القرون حتى ضَجَرَ مَنْ حضر، والتفت إلى الخاطب، فقال: ما اسمُكَ أَعَزَّكَ اللهُ؟ فقال: الله قد أنسيت اسمي من طول خطبتك، وهي طالَتْ إن تزوجتها بهذه الخطبة؛ فضحك القوم، وعَقَدُوا في مجلس آخر.

[الكتب والأقلام والخط]

لابن المعتز

وقال ابن المعتز: الكتاب وَالْحُجُّ الأبواب، جريءٌ على الحجاب، مُفْهِمٌ لا يَقْهَمُ، وناطقٌ لا يتكلم، به يشخص المشتاق، إذا أقعده الفراق، والقلم مجهزٌ لجيوش الكلام، يخدم الإرادة، ولا يملُ الاستزادة، ويسكتُ واقفاً، وَيَنْطِقُ سائراً، على أرض بياضها مُظْلِمٌ، وسوادها مُضِيءٌ، وكأنه يقبلُ بِسَاطِ سلطان أو يفتحُ نُورَ بُسْتَان.

وله في القاسم بن عبيد الله

وهذا كقوله في القاسم بن عبيد الله، قال الصولي: لما عُرِضَ القاسم بن عبيد الله ليخلف أباه، قال ابن المعتز:

قَلَمٌ مَا أَرَاهُ أَمْ فَلَكَ يَجْ	رِي بِمَا شَاءَ قَاسِمٌ وَيَسِيرُ
خَاشِعٌ فِي يَدَيْهِ يَلْتَمُ قِرْطَا	سَاءَ كَمَا قَبْلَ الْبَاطِ شُكُورُ
وَلَطِيفُ الْمَعْنَى جَلِيلٌ نَحِيفُ	وَكَبِيرُ الْأَفْعَالِ وَهُوَ صَغِيرُ
كَمْ مَنَايَا وَكَمْ عَطَايَا وَكَمْ حَتَّ	بِفِ وَعَيْشٍ تَضُمُّ تِلْكَ الشُّطُورُ
نَقَشْتُ بِالْدُّجَا نَهَارًا فَمَا أَذْ	رِي أَخْطُ فِيهِنَّ أَمْ تَصْوَيرُ
هَكَذَا مَنْ أَبَوْهُ مِثْلُ عُيَيْدِ الْ	لَّهُ يُنْمَى إِلَى الْعُلَا وَيَصِيرُ
عَظَمْتُ مِثْلَهُ الْإِلَهِ عَلَيْهِ	فَهُنَاكَ الْوَزِيرُ وَهُوَ الْوَزِيرُ

لبعض البلغاء

وقال بعض البلغاء: صورة الخط في الأبصار سواد، وفي البصائر بياض.

للمتنبى

وقال أبو الطيب المتنبى^(١):

دَعَانِي إِلَيْكَ الْعِلْمُ وَالْحِلْمُ وَالْحِجَى	وَهَذَا الْكَلَامُ النَّظْمُ وَالنَّائِلُ الشَّرُّ ^(٢)
وَمَا قُلْتُ مِنْ شِعْرِ تَكَادُ يَبُوتُهُ	إِذَا كُتِبَتْ يَبْيِضُ مِنْ نُورِهَا الْحَبْرُ

لابن المعتز

وقال ابن المعتز في عبيد الله بن سليمان بن وهب:

عَلِمَ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ، كَأَنَّهُ	بِمُخْتَلَسَاتِ الظَّنِّ يَسْمَعُ أَوْ يَرَى
إِذَا أَخَذَ الْقِرطَاسَ خِلَتْ يَمِينُهُ	يُفْتَحُ نَوْرًا أَوْ يُنْظَمُ جَوْهَرًا

(١) المتنبى، الديوان: ٣٤٨/١. والبيتان من قصيدة يمدح بها علي بن أحمد بن عامر الأنطاكي.

(٢) الحجى: العقل. والنائل: العطاء. يقول: دعاني إلى زيارتك ما عندك من هذه الفضائل، ومالك من الشعر المنظوم والعطايا المثورة. وقيل: أراد بالنظم شعر نفسه.

مفاخرة بين صاحب سيف وصاحب قلم

فاخَرَ صاحبُ سيفٍ صاحبَ قلمٍ، فقال صاحب القلم: أنا أَقْتُلُ بلا غَرَرٍ، وأنت تقتلُ على خَطَرٍ. فقال صاحب السيف: القلمُ خادِمُ السيف، إن تَمَّ مرأده وإلا فإلى السيف معاده؛ أما سمعت قول أبي تمام^(١):

السيفُ أَصْدَقُ إنباءٍ من الكُتُبِ في حَدِّه الحدُّ بينَ الجِدِّ واللَّعِبِ^(٢)
يَبِضُ الصَّفائحُ لا سُوْدُ الصَّحائفِ في مُؤنِهِنَّ جَلَاءُ الشُّكِّ والرَّيْبِ^(٣)

للمتنبي

وقال أبو الطيب^(٤):

مَا زِلْتُ أَضْحِكُ إِيَّلي كُلِّمَا نَظَرْتُ إلى مَنْ اخْتَضَنْتُ أَخْفافُهَا بِدَمٍ^(٥)
أَسِيرُهَا بَيْنَ أَصْنَامٍ أَشَاهِدُهَا ولا أَشَاهِدُ فِيهَا عِقَّةَ الصَّنَمِ^(٦)
حَتَّى رَجَعْتُ وَأَقْلَامِي قَوَائِلُ لي المجدُّ لِلسَّيفِ لَيْسَ المجدُّ لِلْقَلَمِ
أُكْتُبُ بِنَا أَبَدًا بَعْدَ الْكِتَابِ بِهِ فَإِنَّمَا نَحْنُ لِأَسْيَافٍ كَالْخَدَمِ

للنوبختي

هذا مقلوبٌ من قول علي بن العباس النوبختي، وقد رواه أبو القاسم الزجاجي لابن الرومي، وإنما وهم لاتفاق الاسمين:

- (١) أبو تمام، الديوان: ٩٦/١. والبيتان من قصيدة طويلة يمدح بها المعتصم، ويذكر انتصاره على الروم في موقعة عمورية سنة ٢٢١ هـ / ٨٣٧ م.
- (٢) الكتب: أي كتب السحر والتنجيم. الحد: الفاصل. يقول: حد السيف يفصل بين الجد واللعب لأنه أصدق من المنجمين ورواياتهم.
- (٣) الصفائح: جمع الصفيحة: السيف العريض. والصحائف: جمع الصحيفة: القرطاس المكتوب.
- (٤) أبو الطيب المتنبي، الديوان: ٣١٥/٢. والأبيات من قصيدة يرثي بها أبا شجاع فاتك، ويذكر مسيره من مصر.
- (٥) في الديوان: «من اختضبت».
- (٦) يقول: أسيرها بين أناس كالأصنام يُطاعون وَيُعْظَمون، ولا فهم لهم، ولكنهم ليسوا كالأصنام في العفة واجتناب المحرمات والمنكرات.

إِنْ يَخْدُمُ الْقَلَمُ السِّيفَ الَّذِي خَضَعَتْ
لَهُ الرِّقَابُ وَدَانَتْ خَوْفَهُ الْأُمَمُ
فَالْمَوْتُ - وَالْمَوْتُ لَا شَيْءٌ يُغَالِبُهُ -
مَا زَالَ يَتَّبِعُ مَا يَجْرِي بِهِ الْقَلَمُ
بِذَا قَضَى اللَّهُ لِلْأَقْلَامِ مَذْبُورِيَّتَ
أَنْ السِّیُوفَ لَهَا - مُذْ أُزْهِفَتْ - خَدَمٌ^(١)

لابن الرومي

وقال ابن الرومي^(٢):

لَعَمْرُكَ مَا السِّيفُ سَيْفُ الْكَمِيِّ
بَأَخْوَفَ مَنْ قَلَمِ الْكَاتِبِ^(٣)
لَهُ شَاهِدٌ إِنْ تَأَمَّلْتَهُ
ظَهَرَتْ عَلَى سِرِّهِ الْغَائِبِ
أَدَاةُ الْمَنِيَّةِ فِي جَانِبِهِ
فَمِنْ مِثْلِهِ رَهْبَةُ الرَّاهِبِ^(٤)
سِنَانُ الْمَنِيَّةِ فِي جَانِبِ
وَحَدُّ الْمَنِيَّةِ فِي جَانِبِ^(٥)
أَلَمْ تَرَ فِي صَدْرِهِ كَالْمَنَانِ
وَفِي الرَّذْفِ كَالْمُرْهَفِ الْقَاضِبِ^(٦)

للبيستي

وقال أبو الفتح البيستي:

إِذَا أَقْسَمَ الْأَبْطَالُ يَوْمًا بِسَيْفِهِمْ
وَعَدَوْهُ مِمَّا يُكْسِبُ الْمَجْدَ وَالْكَرَمَ
كَفَى قَلَمُ الْكِتَابِ مَجْدًا وَرَفْعَةً
مَدَى الدَّهْرِ أَنَّ اللَّهَ أَقْسَمَ بِالْقَلَمِ

وقد قيل: صريرُ الأقلامِ، أشدُّ من صليلِ الحُسامِ.

طلحة بن عبيد الله

قال الصولي: أنشدني طلحة بن عبيد الله:

- (١) أُزْهِفَتْ: رُقِّقَتْ.
- (٢) ابن الرومي، الديوان: ١٦٩/١.
- (٣) الكمي: الشجاع، أو لابس السلاح، لأنه يكمي نفسه، أي يسترها بالدرع والبيضة، والجمع كُماة.
- (٤) أداة المنية في جانبه: آلة الهلاك في طرفه.
- (٥) في الديوان: «وسيف المنية».
- (٦) المرهف القاضب: السيف المُرَقَّقُ القاطع.

وَإِذَا أَمَرَ عَلَى الْمَهَارِقِ كَفَّهُ
مُتَقَاصِرًا مُتَطَاوِلًا وَمُقَصِّلًا
تَرَكَ الْعُدَاةَ رَوَاجِفًا أَحْشَاؤُهَا
كَالْحِيَةِ الرَّقْشَاءِ إِلَّا أَنَّهُ
يَزْمِي بِهِ قَلَمًا يَمُجُّ لُعَابَهُ
بِأَنَامِلٍ يَحْمِلْنَ شَخْتًا مُرْهَفًا^(١)
وَمُوصِّلًا وَمُشْتَتَاً وَمُؤَلِّفًا
وَقِلَاعَهَا قِلْعًا هِنَالِكَ رُجْفًا
يَسْتَنْزِلُ الْأَرَوَى إِلَيْهِ تَلْطُفًا^(٢)
فَيَعُودُ سَيْفًا صَارِمًا وَمُتَقَفًّا^(٣)

لمحمود الأصبهاني

وقال محمود بن أحمد الأصبهاني:

أَخْرَسُ يُنْبِيكَ بِإِطْرَاقِهِ
يُنْذِرِي عَلَى قِرْطَاسِهِ دَمْعَةً
كَعَاشِقٍ أَخْفَى هَوَاهُ وَقَدْ
تُبْصِرُهُ فِي كُلِّ أَحْرَالِهِ
يُرَى أَسِيرًا فِي دَوَاةٍ وَقَدْ
أَخْرَقَ لَوْلَمْ تَبْرِهْ لَمْ يَكُنْ
كَالْبَحْرِ إِذْ يَجْرِي، وَكَاللَّيْلِ إِذْ
عَنْ كُلِّ مَا شِئْتَ مِنَ الْأَمْرِ
يُسْهِدِي بِهِ السَّرَّ وَمَا يَنْذِرِي
نَمَتْ عَلَيْهِ عَبْسَرَةٌ تَجْرِي
عُرْيَانٌ يَكُفُّو النَّاسَ أَوْ يُعْرِِي
أُطْلِقَ أَقْوَامًا مِنَ الْأَسْرِ
يَرْشُقُ أَقْوَامًا وَمَا يَبْرِي
يَغْشَى، وَكَالْصَّارِمِ إِذْ يَفْرِي^(٤)

لأحمد بن جرار

وقال أحمد بن جرار:

أَهْيَفُ مَمْشُوقٌ بِتَحْرِيكِهِ
لَهُ لِسَانٌ مُرْهَفٌ حَادُّهُ
تَرَى بَسِيطَ الْفِكْرِ فِي نَظْمِهِ
يَحُلُّ عَقْدَ السَّرِّ إِعْلَانُ
مِنْ رِيْقَةِ الْكُرْشُفِ رِيَانُ^(٥)
شَخْصًا لَهُ حَادُّ وَجْهَانُ

(١) المهارق: الصحائف البيضاء، واحدها مهرق. والشخت: الضامر الدقيق من غير هزال.

(٢) الأروى: جمع أروبة، تقع على الذكر والأنثى من الوعل، وهو تيس الجبل.

(٣) صارم: بائر، قاطع. مُتَقَفٌّ: مُقَوِّمٌ، مُسَوِّى.

(٤) يفرى: يَشُقُّ، يقطع.

(٥) الكُرْشُفُ: القطن.

كَأَنَّمَا يَسْحَبُ فِي إِشْرِهِ ذَيْلًا مِنَ الْحِكْمَةِ سُحْبَانُ
لَوْلَاهُ مَا قَامَ مَنَارُ الْهَدَى وَلَا سَمًا لِلْمُلُوكِ دِيوَانُ

لأبي تمام

ومن أجود ما قيل في صفة القلم قول أبي تمام لمحمد بن عبد الملك الزيات^(١):
لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي يَشْبَاهُهُ تُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلَى وَالْمَفَاصِلُ^(٢)
لَهُ رِيقَةٌ طَلٌّ وَلَكِنَّ وَقَعَهَا بَأَثَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَابِلُ^(٣)
لُعَابِ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ وَأَرَى الْجَنَى اشْتَارَتْهُ أَيْدِ عَوَاسِلِ^(٤)
لَهُ الْخُلُوتُ الْبَلَاءُ لَوْلَا نَجِيئُهَا لَمَا اخْتَلَفَتْ لِلْمُلُوكِ تِلْكَ الْمَحَافِلُ^(٥)

لتميم بن المعز الفاطمي

وقال الأمير تميم بن المعز^(٦):

وَذِي عَجَبٍ مِنْ طُولِ صَبْرِي عَلَى الَّذِي أَلَا قِي مِنَ الْأَرْزَاءِ وَهُوَ جَلِيلُ
يَقُولُونَ: مَا تَشْكُو؟ فَقُلْتُ: مَتَى شَكَا شَبَا السِّيفِ عَضْبُ الشُّفْرَتَيْنِ صَقِيلُ^(٧)

- (١) أبو تمام، الديوان: ٥٧/٢.
- (٢) شباهته: حدّه، أي رأس القلم. شبهه حدّ قلمه بحدّ السيف، وجعله يفتك بالأمر المفصل فيفصله ويذلل صعابه، وينال منه ما لا ينال الحسام.
- (٣) الطل: الندى أو المطر الخفيف. والوابل: المطر الغزير الضخم القطر. يقول: إن ما يجري من ريق هذا القلم على القرطاس تافه يحكي الندى في قلته، ولكنه يشبه المطر الغزير بقوته إذا نظرت إلى خيره، ووقع آثاره في الشرق والغرب.
- (٤) لعاب الأفاعي: سُمّها. لعابه: ريقه، أي مداده. والأري: العسل. والجنى: كل ما يجنى ويقطف. اشتارته: جته. عواسل: مفردها عاسلة: التي تجني العسل. يقول: مداد قلمه في تهديد الأعداء قاتل كسُمّ الأفاعي، وفي التلطف للإخوان كالعسل.
- (٥) نجيئها: حديثها السري. احتفلت: أحسنت القيام بالأمور. المحافل: المجالس، الواحد محفل. يقول: لولا سرّ هذه الأقلام لما انتظم الملك.
- (٦) هو أبو علي، تميم بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي الفاطمي: شاعر ماهر، لطيف، ظريف. توفي سنة ٣٧٤ هـ/ ٩٨٥ م بمصر. (ابن خلكان، وفیات الأعيان: ٣٠١/١).
- (٧) العَضْبُ: القاطع. صَقِيلُ: أي مصقول. مَجْلُؤٌ.

وَأَشْكُو بِمَا فِي نَفْسِهِ لَجَهْلٍ
عَلِيلٍ وَمَنْ أَشْكُو إِلَيْهِ عَلِيلٌ
بِجُمْلَةٍ مَا أَلْقَاهُ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ
أَرَى الصَّبْرَ سَيْفًا لَيْسَ فِيهِ فُلُورٌ^(١)

وَأَشْكُو إِلَى غَيْرِ نَافِعٍ
عَذَابِي أَنْ أَشْكُو إِلَى النَّاسِ أَنِّي
وَيَمْنَعُنِي الشُّكُورُ إِلَى اللَّهِ عِلْمُهُ
سَأَسْكُتُ صَبْرًا وَاحْتِسَابًا فَإِنِّي
وَقَالَ:

يَا دَهْرُ مَا أَقْسَاكَ مِنْ مُتْلُونَ
أَتَرْوَحُ لِلنَّكَسِ الْجَهْلُورِ مُمَهَّدًا
وَإِذَا صَفَوْتُ كَدَّرْتَ، شِيْمَةً بَاخِلٍ،
لَا أَرْضِيكَ، وَإِنْ كَرُمْتَ؛ لِأَنِّي
زَمَنْ إِذَا أُعْطِيَ اسْتَرَدَّ عَطَاءَهُ.
مَا قَامَ خَيْرُكَ يَا زَمَانُ بِشِرِّهِ

فِي حَالَتِكَ، وَمَا أَقْلَكَ مُنْصِفًا
وَعَلَى اللَّيْبِ الْحَرِّ سَيْفًا مُرْهَفًا^(٢)؟
وَإِذَا وَفَيْتُ تَقَضَّتْ أَسْبَابُ الْوَفَا
أُذْرِي بِأَنَّكَ لَا تَدُومُ عَلَى الصَّفَا
وَإِذَا اسْتَقَامَ بَدَأَ لَهُ فَتَحَرَّفَا
أُولَى بِنَا مَا قَلَّ مِنْكَ وَمَا كَفَى

[الصدق في النصيحة]

بين أحمد بن يوسف وغسان بن عباد

وكان أحمد بن يوسف منصرفاً عن غسان بن عباد، وجرت بينهما هنأت بحضرة المأمون، فقال يوماً بحضرة خاصة أصحابه: أخبروني عن غسان بن عباد؛ فإني أريده لأمرٍ جسيم؛ وكان قد عزم على تقليده السند مكان بشر بن داود؛ فتكلم كل فريق بما عنده في مدحه؛ فقال أحمد بن يوسف: هو يا أمير المؤمنين رجلٌ محاسنه أكثر من مساويه، لا يتطرف به أمرٌ إلا تقدّم فيه، ومهما تخوف عليه فإنه لن يأتي أمراً يعتذر منه؛ لأنه قسم أيامه بين أفعال الفضل؛ فجعل لكل خلق نوبة، إذا نظرت في أمره لم تدر أي حالاته أعجب؛ ما هداه إليه عقله أم ما اكتسبه بأدبه؟

فقال له المأمون: لقد مدحته على سوء رأيك فيه! قال: لأنني في أمير المؤمنين كما قال الشاعر:

كَفَى ثَمَنًا لِمَا أَسْدَيْتُ أَنِّي
نَصَحْتُكَ فِي الصَّدِيقِ وَفِي عِدَائِي

(١) فُلُورٌ: ثُلُومٌ.

(٢) النَّكَسُ: الضعيف، أو الرذل المُقَصِّرُ عن غاية النجدة والكرم. وَسَيْفٌ مُرْهَفٌ: مُرَقَّقٌ.

وَأَنِّي حِينَ تَسْدُبُنِي لِأَمْرِ يَكُونُ هَوَاكَ أَغْلَبَ مِنْ هَوَائِي

قال الصولي: وقد رُوي هذا لغير أحمد، ولعل أحمد استعاره؛ فأعجب المأمون ذلك منه، وشكره غسان بن عباد له، وتأكدت الحال بينهما.

من ترجمة أحمد بن يوسف ومنزلته في البلاغة

وكان أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح مولى عجل بن لجيم عالي الطبقة في البلاغة، ولم يكن في زمانه أكتب منه، وله شعرٌ جيد مرتفع عن أشعار الكتاب، ووَزَرَ للمأمون بعد أحمد بن أبي خالد، وكان أول ما ارتفع به أحمد أن المخلوع محمد بن الرشيد لما قُتل أمر طاهر بن الحسين الكتاب أن يكتبوا إلى المأمون؛ فأطالوا، فقال طاهر: أريد أخصر من هذا، فوصف له أحمد بن يوسف وموضعه من البلاغة، فأحضره لذلك، فكتب: أمّا بعد فإن كان المخلوع قَسَمَ أمير المؤمنين في النَّسَبِ واللَّحْمَةِ، فقد فرَّق بينهما حُكْمُ الكتاب في الولاية والخدمة، بمفارقتها عصمة الدين، وخروجه عن الأمر الجامع للمسلمين؛ لقول الله عزَّ وجل فيما اقتص [علينا] من نَبَأِ نوح وابنه: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾^(١)، ولا طاعة لأحدٍ في معصية الله، ولا قطيعة ما كانت القطيعة في ذات الله؛ وكناي إلى أمير المؤمنين وقد أنجز الله له ما كان ينتظر من سابق وعده، والحمد لله الراجع إلى أمير المؤمنين معلوم حقه، الكائد له فيمن ختر^(٢) عهده، ونَقَضَ عَقْدَهُ، حتى ردَّ به الألفة بعد فرقتها، وجَمَعَ به الأمة بعد شتاتها، وأضاء به أعلام الدين بعد دُروسها؛ وقد بعثت إليك بالدنيا وهي رأس المخلوع، وبالأخرة وهي البردة والقصب؛ والحمد لله الآخذ لأمر المؤمنين حقه، الراجع إليه تُراث آبائه الراشدين.

وكان أحمد بن أبي خالد كثيراً ما يصف أحمد للمأمون ويحثه عليه، فأمره المأمون بإحضاره، فلما وقف بين يديه قال: الحمد لله يا أمير المؤمنين الذي استخصك فيما استحفطك من دينه، وقلدك من خلافته، بسوانغ نعمه، وفضائل قسمه، وعرفك من تيسير كلِّ عسير حاولك عليه متمرّد، حتى ذلَّ لك ما جعله تكملة لما حبّاك به من موارد أموره بِنُجْحِ مصادرها، حمداً نامياً زائداً لا يَنْقَطِعُ أولاه، ولا يَنْقُضِي أُخْرَاه، وأنا أسأل الله يا أمير

(١) سورة هود، آية: ٤٦.

(٢) ختر: غدر، وقيل: الختر: أقبح الغدر، قال تعالى: ﴿وَمَا يَجْعَلُ أَيْمَانَنَا إِلَّا كُلَّ خَتَارٍ كَفُورٍ﴾ (سورة لقمان، آية: ٣٢).

المؤمنين من إتمام بلائه لديك، وَمِنْهُ عَلَيْكَ، وكفائته ما ولأك واسترعاك، وتحصين ما حازَ لك، والتمكين من بلادِ عدوك، ما يمنعُ به بِيضَةُ الإسلام^(١)، ويُعزُّ بك أهله، وَيُسِيحُ بك حِمَى الشُّرِكِ، ويجمعُ لك مُبَايِن الأُلُفَّة، ويُجِز بك في أهل العِتَادِ والضلالة وَعُدَّة؛ إنه سميع الدعاء، فعَّال لما يشاء.

فقال المأمون: أحسنت، بورك عليك ناطقاً وساكناً! ثم قال بعد أن بلاه واختبره: يا عجباً لأحمد بن يوسف! كيف استطاع أن يَكْتُمَ نَفْسَهُ!

وكتب إلى المأمون يَسْتَجِدِّي لزوار على بابه: إن داعي نَدَاكَ، ومُنَادِي جَدْوَاكَ، جَمَعَا بِيَابِكَ التُّوفُودَ، يرجون نَائِلَكَ الْعَتِيدَ، فمنهم من يَمُتُّ بِحُرْمَةٍ، ومنهم من يُدْلِي بِسَالِفِ خِدْمَةٍ، وَقَدْ أَجْجَفَ بهم المقام؛ فَإِنْ رَأَى أميرُ المؤمنين أن يَنْعَشَهُمْ بِسَيِّئِهِ، ويَحَقِّقَ ظَنَّهُمْ بِطَوْلِهِ، فَعَلَّ^(٢).

فوقع المأمون في عرض كتابه:

الخيرُ مَتَّعَ، وأموالُ الملوك مَطَانٌ لَطَلَّابِ الحاجات؛ فَاكْتُبْ أَسْمَاءَهُمْ، وَبَيِّنْ رُتَبَهُ كُلَّ واحدٍ منهم، ليصيرَ إليه على قَدَرِ استحقاقه؛ وَلَا تُكْذِرَنَّ معروفنا بِالْمَطْلِ والحجاب؛ فقد قال الشاعر:

فَإِنَّكَ لَنْ تَسْرَى طَرْدًا لِحُرٍّ كَالصَّاقِ بِهِ طَرَفَ الْهَوَانِ
وَلَمْ تُجْلِبْ مَوَدَّةَ ذِي وَفَاءٍ بِمَثَلِ الْوُدِّ أَوْ بَذْلِ اللَّسَانِ

قال أحمد بن يوسف: أمرني المأمون أن أَكْتُبَ في زيادة قناديل شهر رمضان؛ فَأَعْيَا عَلِيَّ، ولم أَجِدْ مثلاً أَحْتَدِي عليه؛ فَبِتْ مَغْمُومًا، فَأَتَانِي آتٍ فِي النُّومِ فَقَالَ: اكْتُبْ: فَإِنْ فِيهَا إِضَاءَةٌ لِمُتَهَجِّدِينَ، وَنَفِياً لِمَكَانِ الرَّيْبِ، وَأَنْسَاءً لِلْسَابِلَةِ^(٣)، وَتَزِيهًا لِبُيُوتِ اللَّهِ مِنْ وَحْشَةِ الظلم، فَأَخْبِرْتَ بِذَلِكَ المأمون، فاستظرفه، وأمر أن تَمْضِيَ الْكُتُبُ عَلَيْهِ.

وأهدى إلى المأمون في يوم نوروز طبقَ جَزَعٍ عليه ميل من ذهب، فيه اسمه منقوش، وكتب إليه:

(١) بيضة الإسلام: أصله.

(٢) التَّيْبُ: العطاء، المعروف. وَالطَّوْلُ: الفضل والغنى واليسر.

(٣) السابِلَةُ: المارة.

هذا يوم جَرَتْ فيه العادة، بإلطاف العبيد السادة، وقد بعثتُ إلى أمير المؤمنين طبق جزع فيه ميل^(١).

فلما قرأ المأمون الرقعة قال: أ جاءت هدية أحمد بن يوسف؟ قالوا: نعم. قال: هي في داري أم داري فيها؟ فلما رفع المنديل استظرف الهدية واسترجع مُهْدِيَهَا.

وأهدى إلى إبراهيم بن المهدي هدية وكتب إليه: الثقة بك قد سهّلت السبيل إليك؛ فأهْدَيْتُ هدية من لا يَحْتَسِبُ إلى من لا يَعْتَمِبُ.

وكتب إلى بني سعيد بن سلم: لولا أن الله عزَّ وجل ختم نبوته بمحمد ﷺ، وكتبه بالقرآن، لنزل فيكم نبيّ نَقَمَةً، وأنزل فيكم قرآنَ غَدْرٍ؛ وما عَسَيْتُ أن أقولَ في قوم محاسنهم مساوئ الشُّفْل، ومساوئهم فَضَائِحُ الأَمَم، وألستهم معقولة بالعِي، وأيديهم معقودة بالبُخْل، وهم كما قال الشاعر:

لَا يَكْبُرُونَ وَإِنْ طَالَتْ حَيَاتُهُمْ وَلَا تَيْدُ مَخَازِيهِمْ وَإِنْ بَادُوا

وغنى مُعَنَّ بحضرة أحمد بن يوسف ولم يكن مُحَسَّنًا، فلم يُنصِتُوا له، وتحدّثوا مع غِنائه، فغضب المغني؛ فقال أحمد بن يوسف: أنت عافاك الله تُحْمِلُ الأَسْمَاع ثَقْلًا، والقلوب مَلَلًا، والأَعْيُن قَبَاحَةً، والأنف تَنَاقَةً، ثم تقول: اسمعوا مني، وأنصِتُوا إليّ! هذا إذا كانت أفهامنا مُقْفَلَةً، وأذاننا صَدِثَةً، فإما رَضِيت بالعَفْو منا، وإلا قمت مذمومًا عنا.

الفاظ لأهل العصر في ذم المغنين

يَتَرَنَّمُ فَيَتَعَبُ وَلَا يُطْرِب. إذا غَنَى عَنِّي، وإذا أَدَى آدَى. يَمِيت الطَّرَب، ويحيي الكُرْب. ضَرْبُهُ يُوجِبُ ضَرْبَهُ. من عجائب غِنائه أنه يُورِدُ الشتاء في الصيف. ما رُؤِيَ قط في دارٍ مرتين. وحضر جحظة مجلساً فيه علي بن بسام^(٢)، ففترَّق القوم المخاذ، فقال جحظة: فما لي لم تعطوني مخدّة؟ فقال علي بن بسام: غنَّ فالمخاذ كلها إليك تصير! وفيه يقول ابن بسام:

(١) الجَزْعُ: ضرب من العقيق، يُعْرَفُ بخطوط متوازية، مستديرة، مختلفة الألوان.

(٢) هو أبو الحسن، علي بن محمد بن نصر بن بسام، المعروف بالشاعر البتامي: شاعر لسن، مطبوع، هجاء، هجا أباه وإخوته وسائر أهل بيته، ولم يسلم من لسانه أمير ولا وزير. وكان عالماً بالآداب والأخبار. توفي سنة ٣٠٢ هـ/ ٩١٤ م. (البغدادى، تاريخ بغداد: ١٢/٦٣، ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٣/٣٦٣).

يَا مَنْ هَجَوْنَاهُ فَغَنَانَا أَنْتَ، وَيَّتِ اللهُ، أَهْجَانَا
سَيِّئَانِ إِنْ غَنَى لَنَا جَحْظَةً أَوْ مَرَّ مَجْثُونٌ فَزَنَانَا

وكان خالد يُستَبَرَد، فبعث بعض الظرفاء غلامه يشتري له خمسة أرطال ثلج، فأتاه بخالد وقال: يا مولاي، طلبت خمسة أرطال، وهذا حِمْل!

وتغنى بِحَضْرَةِ محمود، فقال: ويحك! دَعْنَا نَعْرِق!

وقال بعض المحدثين في قريس المغني:

أَلَا فَسَاسِقِنِي قَدَحاً وَافِراً يُعِينُ عَلَى الْبَلْغَمِ الْهَائِجِ
أَكَلْنَا قَرِيساً وَغَنَى قَرِيْسٌ فَتَحْنُ عَلَى شَرَفِ الْفَالَجِ^(١)

ولقي أبو العباس المبرد برد الخيار المغني في يوم ثَلَجٍ بالجسر، فقال: أنت المبرد وأنا برد الخيار، واليوم كما ترى، اغْبُرْ بنا لا يهلك الناس بالفالج بسببنا.

وقال ابن عباد الصاحب في مغنٍ يعرف بابن عذاب:

أَقُولُ قَوْلًا بَلَا احْتِشَامَ يَعْقِلُهُ كُلُّ مَنْ يَعِيهِ
ابْنُ عَذَابٍ إِذَا تَغَنَّى فَإِنِّي مِنْهُ فِي أَبِيهِ

* * *

[عود إلى أحمد بن يوسف]

ومن شعر أحمد بن يوسف:

ضَمِيرٌ وَجَدَ بِقَلْبٍ صَبِّ تَرَجَمَ دَمْعِي بِهِ فَشَاعَا
فَصَارَ دَمْعِي لِسَانٌ وَجَدِي ضَيَّعَ سِرِّي بِهِ فَذَاعَا
لَوْلَا دُمُوعِي وَفَرَطُ حُبِّي مَا كَانَ سِرِّي كَذَا مُضَاعَا

وقال:

وَعَامِلٍ بِالْفَجْورِ يَأْمُرُ بِالْ جِرِّ كَهَادٍ يَخُوضُ فِي الظُّلَمِ

(١) الْقَرِيْسُ (من الطعام): المبرد الجامد، ويقال: سمك قريس: طُبَخَ وَاتَّخَذَ لَهُ صِبَاغٌ وَتُرِكَ فِيهِ حَتَّى جَمَدَ.

أَوْ كَطِيبٍ قَدْ شَفَّهَ سَقَمٌ وَهُوَ يُدَاوِي مِنْ ذَلِكَ السَّقَمِ^(١)
يَا وَاعِظَ النَّاسِ غَيْرَ مُتَعِظٍ ثَوْبَكَ طَهَّرَ أَوْ لَا فَلَا تَلَمِّ
وقال:

إِذَا مَا التَّقِينَا وَالْعِيُونَ نَوَاطِرُ فَأَلْسُنَا حَرْبٌ وَأَبْصَارُنَا سَلَمٌ
وقال في الحزن:

كَثِيرُ هُمُومِ الْقَلْبِ حَتَّى كَأَنَّمَا عَلَيْهِ سُرُورُ الْعَالَمِينَ حَرَامٌ
إِذَا قِيلَ مَا أَضْنَاكَ! أَسْبَلَ دَمْعُهُ فَأَخْبَرَ مَا يَلْقَى وَلَيْسَ كَلَامٌ
وقال:

كَرِيمٌ لَهُ نَفْسٌ يَلِينُ بِلِينِهَا لِيَرُدَّ عَنْ سُلْطَانِهِ سُنَنَ الْكِبَرِ
إِذَا ذَكَرَتْهُ نَفْسُهُ عَظُمَ قَدْرُهَا دَعَاهُ إِلَى تَسْكِينِهَا عِظَمُ الْقَدْرِ

ووقع في كتاب رجل يحثه على استتمام صنائعه عنده: مستتم الصنعة من عدل زيعها، وأقام أودها، صيانة لمعروفه، ونصرة لرأيه؛ فإن أول المعروف مستخف، وآخره مستقل، يكاد أول الصنعة يكون للهوى، وآخرها للرأي، ولذلك قيل: رب الصنعة أشد من ابتدائها^(٢).

وكان أبو العتاهية له صديقاً قبل ارتفاع حاله، فأحسن منه في حين وزارته تغييراً، فكتب إليه:

أَمِنْتَ إِذِ اسْتَعْنَيْتَ مِنْ سَوْرَةِ الْفَقْرِ فَصِرْتَ تَرَى الْإِخْوَانَ بِالنَّظَرِ الشَّرِّ^(٣)
أَبَا جَعْفَرٍ إِنَّ الشَّرِيفَ يَهِينُهُ تَكَايُهُ دُونَ الْأَخْلَاءِ بِالْوَفْرِ^(٤)
فَإِنْ تَهْتَ يَوْمًا بِالَّذِي نَلْتَ مِنْ غَنَى فَإِنْ غِنَائِي بِالتَّجْمُلِ وَالصَّبْرِ

(١) شَفَّهَ السَّقَمَ: أنحله وأهزله.

(٢) الرُّبُّ: التعهد بالإصلاح.

(٣) السورة: الوثبة، ومن المعجذ: أثره وعلامته، ومن الشراب أو البرد: شدته وحدته وهياجه. والشَّرُّ: نظرة الإعراض، أو الغضب أو الاستهانة.

(٤) الْوَفْرُ: الغنى.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفَقْرَ يُرْجَى لَهُ الْغِنَى وَأَنَّ الْغِنَى يُخْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْفَقْرِ

وروى أبو بكر يموت بن المزروع عن خاله الجاحظ قال: حجب أحمد بن يوسف أبا العتاهية، ثم عاد، فقبل: هو نائم، فكتب إليه:

لِئِنْ عُدْتُ بَعْدَ الْيَوْمِ إِنِّي لَطَالَمٌ سَأَصْرِفُ وَجْهِي حَيْثُ تُبْغَى الْمَكَارِمُ
مَتَى يَظْفِرِ الْغَادِي إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ وَنِصْفُكَ مَحْجُوبٌ وَنِصْفُكَ نَائِمٌ

وقال:

فِي عِدَادِ الْمَوْتَى وَفِي سَاكِنِي الدُّنَى يَا أَبُو جَعْفَرٍ أَحْسَنِي وَخَلِيلِي
مَيِّتٌ مَاتَ وَهُوَ فِي وَرَقِ الْعَيْنِ شَيْءٌ مُقِيمًا فِي ظِلِّ عَيْشٍ ظَلِيلٍ
لَمْ يَمُتْ مَيِّتَةَ الْوَفَاةِ، وَلَكِنْ مَاتَ عَنْ كُلِّ صَالِحٍ وَجَمِيلٍ

وخاصم أحمد بن يوسف رجلاً بين يدي المأمون، وكان صَعَا المأمون إليه^(١) على أحمد، ففطن لذلك، فقال: يا أمير المؤمنين، إنه يَسْتَمْلِي من عينيك ما يَلْقَانِي به، ويستبين بحركته ما تُجَنِّه له^(٢)، وبلوغ إرادتك أحب إلي من بلوغ أمني، ولذّة إجابتك أمتع عندي من لذّة ظفري؛ ولقد تركتُ له ما نازعني فيه، وسلمتُ له ما طالبني به. فاستحسن ذلك المأمون.

ومن كلام أحمد بن يوسف: مجالسةُ البُغْضَاءِ تُبْرِئُ الهمومَ، وتَجْلِبُ الغمومَ، وتؤلم القلبَ، وتقذح في النشاط، وتطوي الانبساط.

ألفاظ لأهل العصر في صفات الثقلاء

فلان ثَقِيلُ الطَّلَعَةِ، بَعْضُ التَّفْصِيلِ وَالْجُمْلَةِ، بَارِدُ السَّكُونِ وَالْحَرَكَةِ؛ قد خرج عن حدِّ الاعتدال، وذهب من ذات اليمين إلى ذات الشمال. يحكي ثقل الحديث المعاد، ويمشي في القلوب والأكباد، ولا أدري كيف لم تحمل الأمانة أرضَ حملته؟ وكيف احتاجت إلى الجبال بعد ما أقلته؟ كأن وجهه أيمُ المصائب، وليالي النوائب، وكأنما قرّبه فَقْدُ الحبايب، وسوء العواقب. وكأنما وصله عُدْمُ الحياة، وموتُ الفجأة، وكأنما هَجَرَهُ قُوَّةُ المنة، وريحُ الجنة. يا عجبِي من جِسْمٍ كالخيال، وروحٍ كالجبال. كأنه ثقل الدّين، على

(١) صغى إليه: مال.

(٢) تُجَنِّه لي: تكتمه وتخفيه.

وَجَعِ الْعَيْنَ. هُوَ ثَقِيلُ السَّكُونِ، بَغِيضُ الْحَرَكَةِ، كَثِيرُ الشَّوْمِ، قَلِيلُ الْبَرَكَةِ. هُوَ بَيْنَ الْجَفَنِ وَالْعَيْنِ قَدَاةٌ، وَبَيْنَ الْأَخْمَصِ وَالتَّغْلِ حَصَاةٌ. مَا هُوَ إِلَّا غَدَاةُ الْفِرَاقِ، وَكِتَابُ الطَّلَاقِ، وَمَوْتُ الْحَبِيبِ، وَطُلُوعُ الرَّقِيبِ. مَا هُوَ إِلَّا أَرْبَعَاءٌ لَا تَدُورُ فِي صَفَرٍ، وَالْكَابُوسُ فِي وَقْتِ السَّحَرِ، وَأَثْقَلُ مِنْ خَرَّاجٍ بِلَا غَلَّةٍ، وَدَوَّاءٍ بِلَا عِلَّةٍ، وَأَبْغَضُ مِنْ مِثْلٍ غَيْرِ سَائِرٍ، وَأَجْمَعُ لِلْعُيُوبِ مِنْ بَغْلَةِ أَبِي دُلَامَةِ، وَحِمَارِ طَيَّارٍ، وَطِيلَسَانَ ابْنِ حَرْبٍ، وَأَبِي أَبِي حَكِيمَةٍ، وَأَنْشُد:

مَشَى فَدَعَا مِنْ ثِقْلِهِ الْحَوْتَ رَبَّهُ وَقَالَ: إِلَهِي زِيدَتِ الْأَرْضُ ثَانِيَةً^(١)

وَأَنْشُد:

تَحْمِلُ مِنْهُ الْأَرْضُ أَضْعَافَ مَا يَحْمِلُهُ الْحَوْتَ مِنَ الْأَرْضِ

وَأَنْشُد:

مُسْتَمِلٌ بِالْبُغْضِ لَا تَنْثَنِي إِلَيْهِ لَحْظاً مُفْلَسَةً السَّرَامِقِ^(٢)
يَظُلُّ فِي مَجْلِسِنَا قَاعِداً أَثْقَلُ مِنْ وَاشٍ عَلَى عَاشِقٍ

وقال الحمدوني:

سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ إِلَّا صَدَقْتَ وَعَلِمَ بِي بِأَنَّكَ لَا تَصْدُقُ
أَتُبْغِضُ نَفْسَكَ مِنْ ثِقْلِهَا وَإِلَّا فَأَنْتَ إِذَا أَحْمَقُ

وكتب أبو عبد الرحمن العطوي^(٣) إلى بعض إخوانه:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُرْسِلْ وَجِئْتَ فَلَمْ أَصِلْ مَلَأْتَ بِعُذْرٍ مِنْكَ سَمْعَ لَيْبٍ
أَنْيُوكَ مُشْتَقاً فَلَمْ أَرِ حَاجِباً وَلَا صَاحِباً إِلَّا بِوَجْهِ قَطُوبٍ
كَأَنِّي غَرِيمٌ مُقْتَضٍ، أَوْ كَأَنَّنِي طُلُوعُ رَقِيبٍ أَوْ نُهُوضُ حَبِيبٍ

(١) في هذا البيت والبيت الذي يليه إشارة إلى الخرافة التي تزعم أن الأرض يحملها حوت!

(٢) مشتمل: يقال: اشتمل بشيء: أداره على جسده كله حتى لا تخرج منه يده، واشتمل بسيفه: تقلده. والرامي: اسم فاعل من رمقه رمقاً إذا نظر إليه، أو أتبعه بصره مُتَعَهِّداً مُرَاقِباً.

(٣) هو أبو عبد الرحمن، محمد بن عبد الرحمن بن أبي عطية، مولى بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة: أحد المتكلمين المتقدمين. ولد ونشأ بالبصرة، وفاق بالشعر جميع نظرائه، وخفَّ شعره على كل لسان، واستعمله الكُتَّاب. توفي نحو ٢٥٠ هـ / ٨٦٥ م. (ابن المعتز، طبقات الشعراء: ٣٩٤؛ الأصفهاني، الأغاني: ٥٧٢/٢٢).

وكان أبو عبيدة معمر بن المثنى يستثقل جليساً اسمه زنباع، فقال له رجل يوماً: ما الزنبعة في كلام العرب؟ قال: الثاقل، ولذلك سُمِّيَ جليساً زنباعاً.

وقد كثر الناس في الثقلاء، وأنا أستحسن قول جحظة، وإن كان غيره قد تقدّمه في مثله:

يا لَفْظَةَ النَّعْيِ بِمَوْتِ الْخَلِيلِ	يا وَقْفَةَ التَّوْدِيْعِ بَيْنَ الْحُمُولِ
يا شَرْبَةَ الْيَارِجِ يَا أَجْرَةَ الدِّ	مَنْزِلِ يَا وَجْهَ الْعَذُولِ الثَّقِيلِ
يا طَلْعَةَ النَّعْشِ وَيَا مَنْزِلًا	أَقْفَرٍ مِنْ بَعْدِ الْأَيْسِ الْخُلُولِ
يا نَهْضَةَ الْمَحْبُوبِ عَنْ غَضْبَةٍ	يا نِعْمَةً قَدْ آذَنْتِ بِالرَّحِيلِ
يا كِتَابًا جَاءَ مِنْ مُخْلِيفٍ	لِلوَعْدِ مَمْلُوءًا بِعَذْرِ طَوِيلِ
يا بُكْرَةَ التَّكَلَّى إِلَى حُفْرَةٍ	مُسْتَوْدِعٍ فِيهَا عَزِيزُ التُّكُونِ
يا وَثْبَةَ الْحَافِظِ مُسْتَعْجِلًا	بِصَرْفِهِ الْقَيْنَاتِ عِنْدَ الْأَصِيلِ
ويا طَيِّبًا قَدْ أَتَى بَاكِرًا	عَلَى أَخِي سُقْمٍ بِمَاءِ الْبُقُولِ
يا شَوْكَةً فِي قَدَمِ رَحْصَةٍ	لَيْسَ إِلَى إِخْرَاجِهَا مِنْ سَبِيلِ
يا عِشْرَةَ الْمَجْذُومِ فِي رَحْلِهِ	ويا صُعوْدَ السَّعْرِ عِنْدَ الْمُعِيلِ
يا رَدَّةَ الْحَاجِبِ عَنْ قَسْوَةٍ	وَنَكْسَةً مِنْ بَعْدِ بُرءِ الْعَلِيلِ

* * *

من ترجمة جحظة البرمكي ومن شعره

وَجَحْظَةُ هَذَا هُوَ أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مُوسَى بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ، وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُقَلَّةِ الْوَزِيرِ: سَأَلْتُ جَحْظَةَ مَنْ لَقَّبَهُ بِهَذَا اللَّقَبِ؟ فَقَالَ: ابْنُ الْمَعْتَرِ، لَقَّبَنِي يَوْمًا، فَقَالَ لِي: مَا حَيَوَانٌ إِنْ نَكَّسُوهُ أَتَانَا آلَةً لِلْمَرَاقِبِ الْبَحْرِيَّةِ، فَقُلْتُ: عَلَقٌ، إِذَا نَكَّسَ صَارَ قِلْعًا، قَالَ: أَحْسَنْتَ يَا جَحْظَةُ؟ فَلَزَمَنِي هَذَا اللَّقَبُ، وَكَانَ نَاتِيءَ الْعَيْنَيْنِ جَدًّا، قَبِيحَ الْوَجْهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ^(١):

نُبِّئْتُ جَحْظَةَ يَسْتَعِيرُ جُحُوظَهُ مِنْ فِيلٍ شَطْرُنْجٍ وَمِنْ سَرَطَانٍ^(٢)

(١) ابن الرومي، الديوان: ٢٥٦/٦.

(٢) السرطان: حيوان من القشريات، عشاري الأقدام، قصير الدليل، يعيش على شواطئ البحر، أو في المياه العذبة، وتسميه العامة: اللطعون.

يَا رَحْمَتِي لِمُنَادِمِيهِ تَحَمَّلُوا أَلَمَ الْعِیُونَ لِلنَّذَةِ الْآذَانِ^(١)

وكان طيب الغناء، ممتد النفس، حسن المسموع؛ إلا أنه كان ثقیل اليد في الضرب؛ وكان حلو النادرة، كثير الحكاية، صالح الشعر؛ ولا تزال تندر له الأبيات الجيدة، وهو القائل:

جَانِبْتُ أَطِيبَ لَذَّتِي وَشَرَابِي وَهَجَرْتُ بَعْدَكَ عَامِداً أَصْحَابِي
فَإِذَا كَتَبْتُ لِكَيْ أَنْزَهُ نَاطِرِي فِي حُسْنٍ لَفْظِكَ لَمْ تَجِدْ بِجَوَابِ
إِنْ كُنْتُ تُكِرُّ ذِلَّتِي وَتَذَلِّلِي وَنُحُولَ جِسْمِي وَامْتِدَادَ عَذَابِي
فَانْظُرْ إِلَى بَدَنِي الَّذِي مَوَّهَتْهُ لِلنَّاطِرِينَ بِكَثْرَةِ الْأَنْوَابِ

وقال:

وَإِذَا جَفَّانِي صَاحِبٌ لَمْ أَسْتَجِزْ مَا عِشْتُ قَطْعَهُ
وَتَرَكْتُهُ مِثْلَ الْقُبُو رِ أَزُورَهَا فِي كُلِّ جُمُعَةٍ

وقال:

ضَاقَتْ عَلَيَّ وَجْوهُ الرَّأْيِ فِي نَفَرٍ يَلْقَوْنَ بِالْجَحْدِ وَالْكَفَرَانِ إِحْسَانِي
أَقْلَبَ الطَّرْفَ تَضَعِيداً وَمُنْحَدِراً فَمَا أَقْبَلُ إِنْسَاناً بِإِنْسَانِي

وقال:

لَقَدْ مَاتَ إِخْوَانِي الصَّالِحُونَ فَمَالِي صَدِيقٌ وَمَالِي عِمَادُ
إِذَا أَقْبَلَ الصَّبْحُ وَلَّى السُّرُورُ وَإِنْ أَقْبَلَ اللَّيْلُ وَلَّى الرِّقَادُ

وقال يهجو رجلاً:

لَا تَعْذِلُونِي إِنْ هَجَرْتُ طَعَامَهُ خَوْفاً عَلَى نَفْسِي مِنَ الْمَأْكُولِ
فَمَتَى أَكَلْتُ قَتَلْتُهُ مِنْ بُخْلِهِ وَمَتَى قَتَلْتُ قَتَلْتُ بِالْمَقْتُولِ

ومن حكاياته ما حَدَّثَنِي خَالِدُ الْكَاتِبُ قَالَ: جَاءَنِي يَوْمًا رَسُولُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ، فَصَرْتُ إِلَيْهِ، فَرَأَيْتُ رَجُلًا أَسْوَدَ عَلَى فُرْشٍ قَدْ غَاصَ فِيهَا، فَاسْتَجَلَسَنِي وَقَالَ: أَنَشِدْنِي مِنْ شَعْرِكَ، فَأَنَشِدْتُهُ:

(١) يهجو به بقبحه، ويمدحه بفنائه.

رَأَتْ مِنْهُ عَيْنِي مَنَظَرَيْنِ كَمَا رَأَتْ
عَشِيَّةَ حَيَّانِي بِوَرْدٍ كَأَنَّهُ
وَنَازَعَنِي كَأَسَا كَأَنَّ حَبَابَهَا
وَرَّاحَ وَفِعْلُ الرَّاحِ فِي حَرَكَاتِهِ
مِنَ الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ الْمَنِيرِ عَلَى الْأَرْضِ
خُدُودٌ أَضْيَفَتْ بَعْضُهُنَّ إِلَى بَعْضٍ
دُمُوعِي لَمَّا صَدَّ عَنْ مَقْتَلِي غُمُضِي^(١)
كَفَعَلِ نَسِيمِ الرِّيحِ بِالْغُصْنِ الْغَضِّ^(٢)

فزحف حتى صار في ثلثي الفراش، وقال: يا فتى، شبهوا الخدود بالورد، وأنت
شبهت الورد بالخدود، زدني فأنشده:

عَاتَبْتُ نَفْسِي فِي هَوَا
وَأَطَعْتُ دَاعِيَهَا إِلَى
لَا وَالَّذِي جَعَلَ الْوُجُوهَ
لَا قُلْتُ إِنَّ الصَّبْرَ عِنْدَ
كَ فَلَمْ أَجِدْهَا تَقَبَّلُ
كَ فَلَمْ أَطْعُ مِنْ يَنْذِلُ
هَ لِحُسْنِ وَجْهِكَ تَمَثَّلُ
كَ مِنَ النَّصَابِي أَجْمَلُ

فزحف حتى انحدر عن الفرش ثم قال لي: زدني، فأنشده:

عِشْ فَحَيِّكَ سَرِيعاً قَاتِلِي
ظَفَرَ الْحُبِّ بِقَلْبٍ دَنَفِ
فَهُمَا بَيْنَ أَكْتَابٍ وَضُنَى
وَبِكَى الْعَاذِلِ لِي مِنْ رَحْمَةٍ
وَالضَّنَى إِنْ لَمْ تَصِلْنِي وَاصِلِي
فِيكَ وَالسُّقْمُ بِجِسْمٍ نَاحِلِ
تَرَكَانِي كَالْقَضِيبِ الذَّابِلِ
فَبَكَائِي لِكِبَاءِ الْعَاذِلِ

فَنَعَرَ طَرِباً^(٣) وقال: يَا يَلْبَقِ^(٤)؛ كم معك لنفقتنا؟ قال: ثمانمائة وخمسون ديناراً.
قال: أقسمها بيني وبين خالد، فدفعت إلي نصفها.

وأنشد جحظة أو غيره ولم يسم قائله:

لَا يُبْعِدُ اللَّهُ إِخْوَانَنَا سَلَفُوا
نُمِذُّهُمْ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ بَقِيَّتِنَا
أَفَنَاهُمْ حَدَثَانَ الدَّهْرِ وَالْأَبَدِ
وَلَا يَوُوبُ إِلَيْنَا مِنْهُمْ أَحَدٌ

(١) نازعني: جاذبني. الحباب: الفقاقيع التي تطفو على وجه الشراب. والغمض: النوم.

(٢) الراح: الخمر. والغض: الطري.

(٣) نعر فلان نعرأ ونعرأ ونعيراً: صاح وصوت بخيشومه.

(٤) يلبق: لعله أراد الظريف اللبيب، من اللبى، وهو الظرف والرفق. ومنه اللبى: الحلو اللين الأخلاق.

[السكاكين]

بين المأمون وأحمد بن يوسف

وكان أحمد بن يوسف جالساً بين يدي المأمون، فسأل المأمون عن السكين فناوله أحمد السكين، وقد أمسك بنصابها، وأشار إليه بالحد، فنظر إليه المأمون نظر مُكْرٍ؛ فقال: لعل أمير المؤمنين أنكر عليّ أخذي النصاب؛ وإشارتي إليه بالحد؛ وإنما تفاعلت بذلك أن يكون له الحد على أعدائه، فعجب المأمون من سرعة فطته، ولطيف جوابه.

وقال بعضُ الكتاب: السكين مسُّ الأقالام يشحذها إذا كلت، ويصقلها إذا نبت، ويُطْلَقُها إذا وقفت، ويلمها إذا شعثت، وأحسنها ما عرّض صدره، وأرهف حده، ولم يفصل على القبضة نصابه.

وقال أبو الفتح كشاجم يرثي سكيناً سرقت له:

يا قَاتِلَ اللَّهِ كُتَّابَ الدَّوَاوِينِ	مَا يَسْتَحِلُّونَ مِنْ أَخَذِ السَّكَائِينِ
لَقَدْ دَهَانِي لَطِيفٌ مِنْهُمْ خَتَلٌ	فِي ذَاتِ حَدٍّ كَحَدِّ السِّيفِ مَسْنُونٍ ^(١)
فَأَقْفَرْتُ بَعْدَ عُمْرَانٍ بِمَوْقِعِهَا	مِنْهَا دَوَاةٌ فَتَى بِالْكَتَبِ مَقْتُونِ
تَبْكِي عَلَى مُدِيَّةٍ أودَى الزَّمَانُ بِهَا	كَانَتْ عَلَى جَائِرِ الْأَقْلَامِ تُعْدِينِي
كَانَتْ تُقَدِّمُ أَقْلَامِي وَتَنْحَنُّهَا	نَحْتاً وَتُسَخِّطُهَا بَرِيّاً فَتَرْضِينِي
وَأُضْحِكُ الطَّرْسَ وَالْقِرْطَاسَ عَنْ حَلِي	يُتَوُّبُ لِلْعَيْنِ مِنْ نَوْرِ الْبَسَاتِينِ
فَإِنْ قَشَرْتَ بِهَا سُودَاءَ مَنْ صُحْفِي	عَادَتْ كَبَعْضِ خُدُودِ الْخُرْدِ الْعَيْنِ ^(٢)
جُرْعُ النَّصَابِ لَطِيفَاتٌ شَعَائِرُهَا	مُحَسَّنَاتٌ بِأَصْنَافِ الثَّحَاسِينِ
هَيْفَاءُ مُرْهَقَةٍ يَبْضَاءُ مُذْهَبَةٌ	قَسَالُ الْإِلَهِ لَهَا سَبْحَانَهُ: كُونِي
لَكِنْ مِقْطَئِي أَمْسَى شَامِتاً جَذِلاً	وَكَانَ فِي ذِلَّةٍ مِنْهَا وَفِي هُونٍ ^(٣)
فَصِينَ حَتَّى يُضَاهِيَ فِي صَيَانَتِهِ	جَاهِي لِصَوْنِهِ عَمَّنْ لَا يُدَانِينِي

(١) الختل: المخادع، الماكر.

(٢) الخرد: جمع الخريدة، وهي الفتاة البكر. والعين: جمع عينا، وهي الواسعة العينين.

(٣) المقطة والمقط: ما يقط عليه القلم، وقيل: هو عظيم يكون مع الوراقين يقطون عليه أطراف أقالامهم، والقط: القطع.

وَلَسْتُ عَنْهَا بِسَالٍ مَا حَيِّتُ، وَلَا بِوَاجِدٍ عَوْضاً مِنْهَا يُسَلِّينِي
وَلَوْ يَرُدُّ فِدَاءً مَا فُجِعْتُ بِهِ مِنْهَا فِدَيْنَاهُ بِالدُّنْيَا وَبِالدِّينِ

ألفاظ لأهل العصر في صفات السكاكين

سَكِينٌ كَأَنَّ الْقَدَرَ سَائِقُهَا، أَوْ الْأَجَلَ سَابِقُهَا، مُرْهَفَةُ الصَّدْرِ، مُخْطَفَةُ الْخَصْرِ، يَجُولُ عَلَيْهَا فَرِنْدُ الْعِتْقِ، وَيَمُوجُ فِيهَا مَاءُ الْجَوْهَرِ؛ كَأَنَّ الْمَنِيَّةَ تَبْرُقُ مِنْ حَدِّهَا، وَالْأَجَلَ يَلْمَعُ مِنْ مَتْنِهَا، رَكَبْتُ فِي نِصَابِ آبِنُوسٍ، كَأَنَّ الْحَدَقَ نَفَضَتْ عَلَيْهِ صِبْغَهَا، وَحَبَّ الْقُلُوبَ كَسَتَهُ لِبَاسُهَا. أَخَذَ لَهَا حَدِيدَهَا النَّاصِحَ بِحِطٍّ مِنَ الرُّومِ، وَضَرَبَ لَهَا نِصَابَهَا الْحَالِكُ بِسَهْمٍ مِنَ الزُّنْجِ، فَكَانَهَا لَيْلٌ مِنْ تَحْتِ نَهَارٍ، أَوْ مَجْمَرٌ أَبَدَى سَنَا نَارٍ، ذَاتُ غِرَارٍ مَاضٍ، وَذُبَابٌ قَاضٍ. سَكِينٌ ذَاتُ مَنَسَرٍ بَازِيٍّ، وَجَوْهَرٌ هَوَائِيٍّ، وَنِصَابٌ زَنْجِيٍّ، إِنْ أَرْضِيَتْ أُولَتْ مَتْنًا كَالِدَّهَانِ، وَإِنْ أَسْخِطَتْ أَتَقَتْ بِنَابِ الْأَفْعَوَانِ. سَكِينٌ أَحْسَنُ مِنَ التَّلَاقِ، وَأَقْطَعُ مِنَ الْفِرَاقِ، تَفْعَلُ فِعْلَ الْأَعْدَاءِ، وَتَنْفَعُ نَفْعَ الْأَصْدِقَاءِ. هِيَ أَمْضَى مِنَ الْقَضَاءِ، وَأَنْفَذُ مِنَ الْقَدَرِ الْمُتَّاحِ، وَأَقْطَعُ مِنْ ظُبَةِ السِّيفِ الْحُسَامِ، وَالْمَعُ مِنْ الْبَرَقِ فِي الْغَمَامِ. جَمَعَتْ حُسْنَ الْمَنْظَرِ، وَكَرَّمَ الْمَخْبِرَ، وَتَمَلَّكَتْ عِنَانَ الْقَلْبِ وَالْبَصَرَ، وَلَمْ يُخَوِّجْهَا عِتْقُ الْجَوْهَرِ إِلَى إِمْهَاءِ الْحَجَرِ^(١).

[السَّوَرُ وَالْمَنَادِمَةُ]

بين محمد بن أنس والقاسم بن صبيح

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَنَسٍ لِلْقَاسِمِ بْنِ صَبِيحٍ: مَا زِلْنَا فِي سَمَرٍ نَصِلُ فُصُولَهُ بِتَشَوُّفِكَ، فَيَذْهَبُ ذِكْرُكَ مَلَكَ السَّامِرِ، وَنَعْسَةُ السَّاهِرِ. فَقَالَ الْقَاسِمُ: مِثْلُكَ ذَكَرَ صَدِيقَهُ فَأَطْرَاهُ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَأَرْضَاهُ، وَلَوْ كُنْتُمْ أَذْنَتُمُونِي كُنْتُ أَحَدَكُمْ، مَسْرُورًا بِمَا بِهِ سُرُورَتِي، مُفِضًا فِيهِ أَفْضَتِي.

شروط المنادمة

قَالَ بَعْضُ الظُّرَفَاءِ: شَرُطُ الْمَنَادِمَةِ قِلَّةُ الْخِلَافِ، وَالْمَعَامَلَةُ بِالْإِنْصَافِ، وَالْمَسَامَحَةُ فِي الشَّرَابِ، وَالتَّغَافُلُ فِي رَدِّ الْجَوَابِ، وَإِدْمَانُ الرِّضَا، وَاطِّرَاحُ مَا مَضَى، وَإِسْقَاطُ التَّحِيَّاتِ، وَاجْتِنَابُ اقْتِرَاحِ الْأَصْوَاتِ، وَأَكْلُ مَا حَضَرَ، وَإِحْضَارُ مَا تَسَّرَ، وَسَرُّ الْعَيْبِ، وَحِفْظُ الْغَيْبِ.

(١) إِمْهَاءُ: مُصَدَّرٌ مِنْ أَمْهَى السَّلَاحِ: أَحَدُهُ. وَالْحَجَرُ: الْمِسْنَرُ.

وقد أحسن أبو عبد الرحمن العطوي في قوله :

حُقُوقُ الكاس والنَّدَمَانِ خمسٌ فأولُها التَّزَيُّنُ بالوَقَارِ^(١)
 وثانيها مُسَامَحَةُ النَّدَامَى فَكَمْ حَمَتِ السَّمَاحَةَ مِنْ ذِمَارِ^(٢)
 وثالثها، وإن كُنْتَ ابنَ خَيْرِ آلٍ بَرِيَّةَ مُحْتَدَأٍ، تَرُكُ الفَخَارِ^(٣)
 ورابعها وَلِلنَّدَمَانِ حَقٌّ سِوَى حَقِّ القَرَابَةِ وَالْجَوَارِ
 إذا حَدَّثْتُهُ فَاكُسُ الحديثَ الَّ لذي حَدَّثْتُهُ ثُوبَ اختصارِ
 فما حُكِّ النِّيذُ بمثلِ حُسْنِ آلٍ أغَانِي والأَحَادِيثِ الْقِصَارِ
 وخامسةٌ يَدُلُّ بها أخوها على كَرَمِ الطَّبِيعَةِ وَالتَّجَارِ^(٤)
 حَدِيثُ الأَمْسِ نَسَاهُ جميعاً فَإِنَّ الذَّنْبَ فِيهِ لِلْعُقَارِ^(٥)
 وَمَنْ حَكَمْتَ كَاسَكَ فِيهِ فاحْكُمْ له بِإِقَالَةٍ عِنْدَ الْعِثَارِ^(٦)

وقال حسان بن ثابت :

نُؤْلِيهَا المَلَامَةَ إِنْ أَلَمْنَا إِذَا مَا كَانَ مَغْتٌ أَوْ لِحَاءٌ^(٧)

بين اليزيدي والمأمون

وشرب اليزيدي عند المأمون فلما أخذت منه الكأس أقبل يعتز عليه بتعليمه إياه،
 وأساء مخاطبته؛ فلما أفاق من سُكْرِهِ عُرِفَ ما جرى، فليس أكفانه، ووقف بين يدي المأمون
 فأنشده :

أنا المُذْنِبُ الخَطَاءُ والعَفْوُ واسعٌ وَلَوْلَمْ يَكُنْ ذَنْبٌ لِمَا عُرِفَ العَفْوُ
 ثَمَلْتُ فَأَبَدْتُ مَنِي الكَاسِ بعضَ ما كَرِهْتَ وما إن يستوي السُّكْرُ والصَّحْوُ

(١) النَّدَمَانُ: الصاحب على الشراب.

(٢) الذِّمَارُ: ما ينبغي حياطته والذود عنه كالأهل والعرض.

(٣) المحتد: الأصل.

(٤) التَّجَارُ: الأَصْلُ والحَسَبُ.

(٥) العقار: الخمر، سُمِّيَتْ بذلك لأنها تعقر صاحبها.

(٦) العثار: الرُّزْلُ.

(٧) المَغْتُ: الشرُّ والقتال. واللحاء: الملاحة: المنازعة والملاومة.

وَلَا سِيمَا إِنْ كُنْتُ عِنْدَ خَلِيفَةٍ وَفِي مَجْلِسٍ مَا إِنْ يَجُوزُ بِهِ اللَّغْوُ^(١)
فَإِنْ تَعَفُّ عَنِّي أَلْفَ خَطْوِيٍّ وَاسِعًا وَإِلَّا يَكُنْ عَفْوٌ قَدَّ قَصَرَ الْخَطْوُ^(٢)
فَقَالَ الْمَأْمُونُ: لَا تَتْرِبْ عَلَيْكَ، فَالْتَبِذْ بِسَاطِ يَطْوِي بِمَا عَلَيْهِ.

بين كوران والشريف الرضي

وشرب كوران المغني عند الشريف الرضي، فافتقد رداءه، وزعم أنه سُرِق. فقال له الشريف: ويحك! مَنْ تَتَّهَمُ مَنْ؟ أما علمتَ أَنَّ النِّبَذَ بِسَاطِ يَطْوِي بِمَا عَلَيْهِ؟ قال: انشروا هذا البساط حتى آخذ ردائي وأطووه إلى يوم القيامة!

بين أحمد بن جدار وعمر بن أيوب

وكان أبو جعفر أحمد بن جدار كاتب العباس بن أحمد بن طولون يتقل أخبار أبي حفص عمر بن أيوب كاتب أحمد بن طولون على الشراب إلى العباس، فصار إليه أبو حفص فقال: يا أبا جعفر؛ إنما مجلس المُلْدَامِ مجلس حُرْمَةٍ، وداعيةُ أُنْسٍ، ومسرحةُ لُبَانَةٍ، ومَدَادُ هَمٍّ، ومَرْتَعٌ لِهَوٍّ، ومَعَهْدٌ سرور، وإنما توسطته عند من لَا يُتَّهَمُ عَيْبُهُ، وَلَا يُخْشَى عَيْبُهُ، وقد اتصل بي ما تُنْهِيه إلى أميرنا أبي الفضل أعز الله أمره، من أخبار مجالستي، فلا تَفْعَلْ، وأنشده:

وَلَقَدْ قُلْتُ لِأَخِيَاءٍ يَوْمًا قَوْلَ سَاعٍ بِالنُّصْحِ لَوْ سَمِعُوهُ
إِنَّمَا مَجْلِسُ الْمُلْدَامِ بِسَاطٌ لِلْمُودَاتِ بَيْنَهُمْ وَضَعُوهُ
فَإِذَا مَا انْتَهَوْا إِلَى مَا أَرَادُوا مِنْ نَعِيمٍ وَلِسَدَةٍ رَفَعُوهُ
وَهُمْ أَحْرِيَاءُ، إِنْ كَانَ مِنْهُمْ حَافِظٌ، مَا أَتَوْهُ أَنْ يَمْنَعُوهُ

فاعتذر ابن جدار وحلف ما فعل، وقام من مجلسه.

وأنشد أبو حفص:

كَمْ مِنْ أَخٍ أَوْجَسْتُ مِنْهُ سَجِيَّةً فَأَنْسْتُ بَعْدَ وَدَائِهِ بِفِرَاقِهِ
لَمْ أَحْمَدِ الْإِيَّامَ مِنْهُ خَلِيقَةً فَتَرَكْتُهُ مُسْتَمْتِعًا بِخِلَاقِهِ^(٣)

(١) اللَّغْوُ: ما لَا يُعْتَدُّ بِهِ مِنْ كَلَامٍ وَغَيْرِهِ، وَلَا يُحْصَلُ مِنْهُ عَلَى فَائِدَةٍ وَلَا نَفْعٍ.

(٢) قَصَرَ الْخَطْوُ: أَيِ دَنَا الْأَجَلَ.

(٣) الْخِلَاقُ: الْحِطُّ وَالنَّصِيبُ مِنَ الْخَيْرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ (سورة البقرة، آية: ١٠٢). وَالْخِلَاقُ (بِالْكَسْرِ): ضَرْبٌ مِنَ الطَّيْبِ، أَكْثَرُ أَجْزَائِهِ الزَّعْفَرَانُ.

عَوَّلَ أَبُو حَفْصٍ فِي أَكْثَرِ كَلَامِهِ عَلَى نَقْلِ كَلَامِ أَبِي الْعَبَّاسِ النَّاشِئِ فِي الشَّرَابِ،
وَالْأَيَّاتِ الَّتِي أَنشَدَ أَوَّلًا لَهُ.

أَبُو الْقَاسِمِ الصَّاحِبُ: قَدَمًا حُمِلَتْ أَوْزَارُ الشُّكْرِ، عَلَى ظُهُورِ الْخَمْرِ، وَطَوَّيَ بَسَاطُ
الشَّرَابِ، عَلَى مَا فِيهِ مِنْ خَطَأٍ أَوْ صَوَابٍ. مُتَابِعَةُ الْعُقَارِ، تَعَذُّرٌ فِي خَلْعِ الْعِذَارِ، وَتَغْنِي عَنْ
الْإِعْتِذَارِ. مُتَابِعَةُ الْأَرْطَالِ، تَبْطُلُ سُورَةُ الْأَبْطَالِ، وَتَدْعُ الشُّيُوخَ كَالْأَطْفَالِ.

من إسحاق الموصلي إلى بعض الجلة

كُتِبَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيُّ إِلَى بَعْضِ الْجِلَّةِ يَسْتَدْعِيهِ: يَوْمُنَا يَوْمٌ لَيْنُ الْحَوَاشِي،
وَطَيُّ النَّوَاحِي؛ وَسَمَاؤُنَا قَدْ أَقْبَلَتْ، وَرَعْدَتْ بِالْخَيْرِ وَبَرَّقَتْ، وَأَنْتَ قُطْبُ السَّرُورِ، وَنِظَامُ
الْأُمُورِ؛ فَلَا تُفَرِّدُنَا فَنَقْلَ، وَلَا تَفَرِّدْ عَنَّا فَنَذَلَّ.

للسري الموصلي

وَكُتِبَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَصْرِ - وَهُوَ السَّرِيُّ الْمَوْصِلِيُّ ^(١) - إِلَى أَخٍ لَهُ يَسْتَدْعِيهِ إِلَى مَوَاسِيهِ:
خِلَالُكَ، مَا اخْتَلَّ الصَّدِيقُ، سَحَابُ
وَأَنْتَ شَقِيقُ الرُّوحِ تُؤَسِّرُ وَضَلَهَا
وَنَحْنُ خِلَالُ الْقَصْفِ وَالْعَزْفِ نَجْتَنِي
وَعِنْدِي لَكَ الرِّيحَانُ زَيْنَ بَسَاطَةٍ
وَجَيْشٌ كَمَا انْجَرَّتْ ذُبُولُ غَلَائِلِ
وَقَدْ أُطْلِقَتْ فِيهِ الشَّمَائِلُ، وَانْتَبَتْ
وَحَافِظَةُ مَاءِ الْحَيَاةِ لِفَتْيَةٍ
نُسْرِبُهَا أَخْفَى اللِّبَاسِ، وَإِنَّمَا
وَيَشْرُكَ، مَا هَبَّتْ رِيحُ، مَوَاهِبُ
إِذَا رَأَعَهَا بِالْهَجْرِ خِلٌّ وَصَاحِبُ
ثِمَارٍ مَلَأَهُ كُلُّهُنَّ أَطَايِبُ ^(٢)
بَزْهَرٍ كَمَا زَانَتْ سَمَاءٌ كَوَاكِبُ
مُصْنَدَلَةٌ تَخْتَالُ فِيهَا الْكَوَاكِبُ ^(٣)
مُفْنَسِدَةٌ عَنْ جَانِبَيْهَا الْجَنَائِبُ
حَبَاتُهُمْ أَنْ تُسْتَلَذَّ الْمَشَارِبُ
يُلَفُّ بِهَا أَقْوَاهُ وَالسَّبَائِبُ

(١) هو أبو الحسن، السري بن أحمد بن السري الكندي الموصلي: شاعر ظريف، مليح المأخذ،
كثير الافتنان في التشبيهات والأوصاف. توفي سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م. (ياقوت الحموي، معجم
الأدباء: ١٨٢/١١؛ التعالبي، يتيمة الدهر: ١٣٧/٢).

(٢) الْقَصْفُ: اللُّهُو واللَّعِبُ والافتنان في الطعام والشراب.

(٣) مُصْنَدَلَةٌ: ضُمَّخَتْ بِالصَّنَدَلِ، وَهُوَ شَجَرٌ خَشِيبُهُ طَيِّبُ الرَّائِحَةِ، يَظْهَرُ طَيِّبُهُ بِالذَّلِكَ وَالْإِحْرَاقِ.
وَالْكَوَاكِبُ: جَمْعُ كَاكِبٍ، وَهِيَ الْفَتَاةُ الَّتِي نَهَدَ ثَدْيُهَا.

على جَسَدٍ مِثْلِ الزَّبَرَجَدِ لَمْ تَزَلْ تُشَاكِلُهُ فِي لَوْنِهِ وَتُنَاسِبُ
إِذَا اسْتَوْدَعْتَ حُرَّ اللَّجَيْنِ سَبَائِكَ تَصَوَّبَ فِي أَحْشَائِهَا وَهُوَ ذَائِبُ
وَفَوْقَ رُؤُوسِ الْقَوْمِ غَيْمٌ مُعَلَّقٌ مِنَ النَّدَى لَا يَجْرِي وَلَا هُوَ ذَاهِبُ^(١)
بَوَارِقُهُ خَمَرُ الْكُؤُوسِ وَرَعْدُهُ أَنَامِلٌ بِيضٌ لِلطُّبُولِ تُلَاعِبُ
وَلَا عَائِقٌ يَشْنِي عِنَانَكَ عَنْ هَوَى رَغَى جَانِبٍ مِنْهُ وَأَوْمَضَ جَانِبُ^(٢)
فَبَادِرُ؛ فَإِنَّ الْيَوْمَ صَافٍ مِنَ الْقَدَى، وَيَارُبُّ يَوْمٍ بَادَرْتَهُ النَّوَائِبُ

لابن المعتز

وقال ابن المعتز:

لَا شَيْءَ هَمَّي سِوَى قَدَحٍ تَذَمَّى عَلَيْهِ أَوْدَاجُ إِنْرِيْقِ
فِي غَيْمٍ نَدَى يُزْجِي سَحَابَهُ بَرَقَ انْتِسَامٌ وَرَعْدٌ تَصْفِيْقِ

للحسن بن محمد الكاتب

وقال الحسن بن محمد الكاتب يصف طبلاً:

يَا حَبَّذَا يَوْمَنَا نَلْهُو بِمُلْهِيَةٍ تُلْهِى بِشَيْءٍ لَهُ رَأْسَانٍ فِي جَدٍ
قَدْ شُدَّ هَذَا إِلَى هَذَا كَأَنَّهُمَا مِنْ شِدَّةِ الشَّدِّ مَقْرُونَانِ فِي صَفْدِ^(٣)
نَظْلٍ نَلْطِمُ خَدْيِهِ إِذَا ضَرَبَتْ بِكُلِّ طَاقَتِهَا لَطْمًا بِلَا حَرْدِ^(٤)
فَتَسْمَعُ الصَّوْتَ مِنْهُ حِينَ تَضْرِبُهُ كَأَنَّهُ خَارِجٌ مِنْ مَاضِغِي أَسَدٍ

ومن ألفاظهم في الاستدعاء

نحن في مَجْلِسٍ قَدْ أَبَتْ رَاحَةُ أَنْ تَصْفُوَ لَنَا أَوْ تَتَوَلَّاهَا يُمْنَاكَ، وَأَقْسَمُ غِنَاؤُهُ لَا طَابَ
أَوْ تَعِيَهُ أَذْنَاكَ، فَأَمَّا حَدُودُ نَارِنَجِهِ فَقَدْ احْمَرَّتْ خَجَلًا لِإِبْطَاثِكَ، وَعَيُونَ نَرَجِسِهِ قَدْ حَدَقَتْ
تَأْمِيلًا لِلْقَائِكَ، فَبِحَيَاتِي عَلَيْكَ إِلَّا تَعَجَّلْتُ، وَمَا تَمَهَّلْتُ.

(١) النَّدَى: ضرب من النبات يُسْبَخَرُ بِعُودِهِ.

(٢) رَغَا رَغَوًا: صَوَّتَ وَضَجَّ.

(٣) الصَّفْدُ: القيد والوثاق.

(٤) الحرد: الغضب.

نحن بغيتك كَعَقْدٍ تَغِيَتْ وَاسِطَتُهُ، وشبابٍ قد أَخْلَقَتْ جَدَّتُهُ؛ وَإِذْ قد غابت شمسُ
السَّماءِ عَنَّا، فلا بد أن تَدْنُو الأرضُ منا. أنت من يتنظم به شَمْلُ الطَّرَبِ، وبلقائه يُبْلَغُ كُلُّ
أَرْب. طَرِ إلينا طَيْرَانِ السَّهْمِ، واطلُعُ علينا طُلُوعُ النَّجْمِ. ثَبَّ إلينا وَثُوبَ الغَزَالِ، واطلُعُ علينا
طُلُوعُ الهِلَالِ، في غُرَّةِ شَوَّالٍ. كن إلينا أَسْرَعُ من السَّهْمِ إلى مَمَرِهِ، والماءِ إلى مَقَرِّهِ. جشمُ
إلينا قَدَمِكَ، واخْلَعْ علينا كَرَمَكَ، وإن رَأَيْتَ أن تحضرنا لِتَصِلَ الوَاسِطَةُ بِالْعَقْدِ، وَنَحْصِلَ
بِقُرْبِكَ في جَنَّةِ الْخُلْدِ، وَتُسْهِمَ لنا في قُرْبِكَ الَّذِي هو قُوَّةُ النَّفْسِ، ومَادَّةُ الْأَنْسِ.

ولهم في استدعاء الشراب

قد تَأَلَّفَ لي شَمْلُ إِيْخْوَانٍ كَادَ يَفْتَرِقُ لِعَوَازِ المَشْرُوبِ، واعندنا فَضْلَكَ المَعْهُودِ، وَوَرَدْنَا
بَحْرَكَ المُرُودِ، وَأَنَا وَمَنْ سَامَحَنِي الدهرُ بِزيارته من إِيْخْوَانِي وَأَوْلِيَائِكَ وَقُوفٌ بِحَيْثُ بَقِفُ بِنَا
اخْتِيَارُكَ من النِّشَاطِ وَالْفَتُورِ، وَيُرْتَضِيهِ لَنَا إِثَارُكَ من الهمِّ والسُّرُورِ، وَالْأَمْرُ في ذَلِكَ إِلَيْكَ،
وَالاعْتِمَادُ في جَمْعِ شَمْلِ الْمَسْرَةِ عَلَيْكَ؛ فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَكَلِّفَنِي إِلَى أَوْلَى الظَّنِّ بِكَ فَعَلْتُ.
الطُّفُ الْمُنَنِ مَوْقِعًا، وَأَجَلُّهَا في النُّفُوسِ مَوْضِعًا، مَا عَمَرَ أَوْطَانَ الْمَسْرَةِ، وَطَرَدَ عَوَارِضَ
الْهَمِّ وَالْفِكْرَةِ، وَجَمَعَ شَمْلَ الْمُودَةِ وَالْأُلْفَةِ. قد انتظمتُ في رُفْقَةٍ لِي في سِمْطِ الثَّرِيَا، فَإِنْ لَمْ
تحفظ علينا النظامَ بِإهداءِ الْمُدَامِ عُدْنَا كِبَنَاتِ نَعَشٍ، وَالسَّلَامِ. فَرَأَيْكَ في إِرْوَاءِ غَلَّتْنَا بِمَا
يَنْقَعُهَا، وَالطُّولِ عَلَى جَمَاعَتِنَا بِمَا يَجْمَعُهَا.

ولهم في الكناية عن الشراب

قد نَشِطَ لَتَنَاوُلِ مَا يَسْتَمِدُّ الْبِشْرَ، وَيُشْرِحُ الصَّدْرَ. قد اسْتَمَطَرَ سَحَابَةُ الْأَنْسِ، وَاسْتَدَرَّ
حَلُوبَةُ السُّرُورِ، وَقَدَحَ زَنْدَ اللُّهُو، فَهُوَ يَمْرِي دِمَاءَ الْعِنَاقِيدِ، وَيَقْصِدُ عُرُوقَ الدَّنَانِ، وَيَنْظُمُ
عَقْدَ النَّدْمَانِ.

من الحسن بن سهل إلى الحسن بن وهب

كتب الحسن بن سهل إلى الحسن بن وهب وقد اصطبَحَ في يومٍ دَجَنٍ لَمْ يَمَطْرَ: أما
تَرَى تَكَافؤَ هَذَا الطَّمَعِ وَالْيَأْسِ في يَوْمِنَا هَذَا بِقُرْبِ المَطَرِ وَبَعْدِهِ، كَأَنَّهُ قَوْلُ كَثِيرٍ:

وَإِنِّي وَنَهْيَا مِي بَعْرَةً بَعْدَمَا تَخَلَّبْتُ مِمَّا بَيْنَنَا وَتَخَلَّتْ^(١)

(١) التَّهْيَامُ: شِدَّةُ الْهَيْامِ، الْعُشْقُ الَّذِي يُؤَدِّي بِصَاحِبِهِ إِلَى الْوَسْوَسةِ وَالْجُنُونِ. وَتَخَلَّتْ: تَرَكَتْ.

لَكَالْمُرْتَجِي ظِلَّ الْغَمَامَةِ، كُلَّمَا تَبَوَّأَ مِنْهَا لِلْمَقِيلِ اضْمَحَلَّتِ^(١)

وما أصبحت أمنيته إلا في لقائك، فليت حجاب النأي هتك بيني وبينك! رُقعتي هذه وقد دارت زجاجات أوقعت بعقلي ولم تتحيفه، وبعثت نشاطاً حرّكتني للكتاب؛ فرأيت في إمطاري سروراً بشاراً خبرك؛ إذ حرّمت السرور بمطر هذا اليوم، موقفاً إن شاء الله.

من الحسن بن وهب إلى الحسن بن سهل

وكتب الحسن بن وهب: وصل كتاب الأمير أيده الله وفمي طاعمٌ ويدي عاملة؛ ولذلك تأخر الجواب قليلاً، وقد رأيت تكافؤ إحسان هذا اليوم وإساءته، وما استوجب ذنباً استحق به دماً؛ لأنه إذا أشمس حكي حُسنك وضيائك، وإن أمطر حكي جودك وسخائك، وإن غام أشبه ظلك وفناءك، وسؤال الأمير عني نعمة من نعم الله عز وجل أعفني بها آثار الزمان السيء عندي؛ وأنا كما يُحبُّ الأمير صرف الله الحوادث عنه، وعن حظي منه.

وذم رجل رجلاً فقال: دعواته ولآئمه، وأقداحه محاجم، وكؤوسه محابر، ونوادره

بوادر.

لكشاجم

وقال أبو الفتح كشاجم: كان عندي بعض المُجَانِّ من النُبَيْذِيْنَ، فسمعتني وأنا أحمدُ الله جلَّ ذِكْرُهُ في وسط الطعام لشيءٍ خطر بيالي من نِعَمِ الله التي لا تُحصى، فنهض وقال: أُعْطِيَ اللَّهُ عَهْدًا إِنْ عَاوَدْتُ! وما معنى التَّحْمِيدِ هنا؟ كأنك تُعَلِّمُنَا أَنَا قَدْ شَبَعْنَا. ثم مال إلى الدواة والقرطاس، وكتب ارتجالاً:

وَحَمْدُ اللَّهِ يَحْسُنُ كُلَّ وَقْتٍ وَلَكِنْ لَيْسَ فِي أَوْلَى الطَّعَامِ
لَأَنَّكَ تُحَسِّنُ الْأَضْيَافَ فِيهِ وَتَأْمُرُهُمْ بِإِسْرَاعِ الْقِيَامِ^(٢)
وَتُؤَدِّئُهُمْ، وَمَا شَبِعُوا، بِشَبْعٍ وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْ خُلُقِ الْكِرَامِ

وكتب المريمي إلى بعض إخوانه وقد ترك النبذ:

(١) الغمامة: السحابة. تبوأ: نزل. المقيل: النوم نصف النهار. اضمحلت: انقشعت. يقول: أنا في حبها مثل الذي يريد أن يستظل من حرّ الشمس بظل الغيمة المارة، كلما جلس في ظلها تابعت سيرها، وظل هو في حرّ الشمس.

(٢) أحشم الضيف وحشمه: أخجله، ويقال للمنبض على الطعام: ما الذي أحشمك: نفرك.

إِنْ كُنْتَ تُبْتَ عَنِ الصَّهْبَاءِ تَشْرِبُهَا تُسْكَأُ فَمَا تُبْتَ عَنْ بِرٍّ وَإِحْسَانٍ
تُبُّ رَاشِدًا، وَاسْقِنَا مِنْهَا، وَإِنْ عَذَلُوا فِيمَا فَعَلْتَ فَقُلْ مَا تَابَ إِخْوَانِي

وقال بعض النبذيين، وقد ترك الشرب:

تَحَامُونِي لِتَرْكِي شُرْبِ رَاحٍ أَقَمْتُ مَكَانَهَا الْمَاءَ الْقَرَّاحَا
وَمَا أَنْفَرَدُوا بِهَا دُونِي لِفَضْلِ إِذَا مَا كُنْتُ أَكْثَرَهُمْ مِرَاحَا
وَأَرْفَعُهُمْ عَلَى وَتَرٍ وَصَنَجٍ وَأُظَرِفُهُمْ وَأُظَرِفُهُمْ مُرَاحَا
إِذَا شَقُّوا الْجُيُوبَ شَقَقْتُ جَيْسِي وَإِنْ صَاحُوا عَلَوْتُهُمْ صِيَاحَا

فقر للنبذيين

ما جُمِشت الدنيا^(١) بِأُظَرَفٍ مِنَ النِّبْذِ، مَا لِلْعُقَارِ وَالْوَقَارِ. إِنَّمَا الْعَيْشُ مَعَ الطَّيِّشِ، الرَّاحِ تَرِياقِ سَمِّ الْهَمِّ. النِّبْذُ سِتْرٌ فَانْظُرْ مَعَ مَنْ تَهْتِكُهُ. اشْرَبِ النِّبْذَ مَا اسْتَبَشَعْتَهُ، فَإِذَا اسْتَطَبَّتَهُ قَدَعَهُ. لَوْلَا أَنَّ الْمَخْمُورَ يَعْلَمُ قَصَّتَهُ لَقَدِمَ وَصِيَّتَهُ. الصَّاحِي بَيْنَ السَّكَارَى كَالْحَيِّ بَيْنَ الْمَوْتَى، يَضْحَكُ مِنْ عَقْلِهِمْ، وَيَأْكُلُ مِنْ نَقْلِهِمْ. أَحْمَقُ مَا يَكُونُ السَّكْرَانُ إِذَا تَعَاوَلَ. التَّبَدُّلُ عَلَى النِّبْذِ ظَرْفٌ، وَالْوَقَارُ عَلَيْهِ سُخْفٌ، حَدِّ السَّكْرَانِ أَنْ تَغْرُبَ الْهَمُومُ، وَيُظْهِرَ السَّرَّ الْمَكْتُومُ.

وقال الحسن بن وهب لرجل رآه يَعْبُسُ عِنْدَ الشَّرَابِ: مَا أَنْصَفَتْهَا، تَضَحَّكَ فِي وَجْهِكَ، وَتَعَبَسُ فِي وَجْهِهَا.

وقال الطائي^(٢):

إِذَا ذَاقَهَا، وَهِيَ الْحَيَاةُ، رَأَيْتَهُ يُعْبَسُ تَعْبِيسَ الْمُقَدَّمِ لِلْقَتْلِ

وقد أحسن الشيخ صدر الدين حيث قال:

وَأَنْ أَقْطَبَ وَجْهِي حِينَ تَبَسُّمِي فَعِنْدَ بَسْطِ الْمَوَالِي يُحْفَظُ الْأَدَبُ

وترك رجلُ النِّبْذِ، فقليل له: لم تركته، وهو رسولُ السرورِ إلى القلب؟ قال: ولكنه رسولُ بأسٍ يُبْعَثُ إِلَى الْجَوْفِ فَيُزِيلُ إِلَى الرَّأْسِ.

(١) الْجَمِشْتُ: الْمُغَازَلَةُ بِقَرْصٍ أَوْ مَلَاعِبَةٍ.

(٢) أَبُو تَمَامٍ، الدِّبْيَانُ: ٣٨٦/٢. وَالْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ يَصِفُ فِيهَا تَعَدُّرَ الرِّزْقِ عَلَيْهِ بِمِصْرٍ.

وقيل لبعضهم: ما أصبَكَ بالخمِر! فقال: إنها تُنرج في يدي بنورها، وفي قلبي بسرورها كأنَّ الناشئَ نظر إلى هذا الكلام فقال:

رَاحٌ إِذَا عَلَتِ الْأَكْفُ كُؤُوسُهَا فَكَأَنَهَا مِنْ دُونِهَا فِي الرَّاحِ^(١)
وَكَأَنَّمَا الْكَاسَاتُ مِمَّا حَوَّلَهَا مِنْ نُورِهَا يَسْبَحْنَ فِي ضَحْضَاحِ^(٢)
لَوْ بُتَّ فِي غَسَقِ الظَّلَامِ ضِيَاؤُهَا طَلَسَعَ الْمَسَاءُ بِغُرَّةِ الْإِصْبَاحِ
نَفَضْتُ عَلَى الْأَجْسَامِ نَاصِعَ لَوْنِهَا وَسَرَتْ بِلَذَّتِهَا إِلَى الْأُرُوحِ
البيت الأول كقول البحري^(٣):

يُخْفِي الزَّجَاجَةُ ضَوْءُهَا، فَكَأَنَهَا
فِي الْكَفِّ قَسَائِمَةٌ بَغَيْرِ إِنَاءٍ
وللناشئ في هذا المعنى:

وَمُدَامِيَّةٌ يَخْفَى النَّهَارُ لِنُورِهَا وَتَذِلُّ أَكْنَافُ الدُّجَا لِضِيَائِهَا
صُبَّتْ فَأَخَذَقَ نُورُهَا بِزَجَاجِهَا فَكَأَنَهَا جُعِلَتْ إِنَاءٌ إِنَائِهَا
وَتَرَى إِذَا صُبَّتْ بَدَتْ فِي كَأْسِهَا مُتَقَاصِرَ الْأَرْجَاءِ عَنْ أَرْجَائِهَا
وَتَكَادُ أَنْ مُزِجَتْ لِرَقَّةٍ لَوْنِهَا تَمْتَازُ عِنْدَ مِرَاجِهَا مِنْ مَائِهَا
صَفَرَاءُ تُضْجِي الشَّمْسُ، إِنْ قِيسَتْ بِهَا فِي ضَوْئِهَا، كَاللَّيْلِ، فِي أَضْوَائِهَا
وَإِذَا تَصَفَّحَتْ الْهَوَاءَ رَأَيْتُهُ كَدَرَ الْأَدِيمَةِ عِنْدَ حُسْنِ صَفَائِهَا
تَزْدَادُ مِنْ كَرَمِ الطَّبَاعِ بِقَسْرِ مَا تُودِي بِهِ الْأَيَّامُ مِنْ أَجْزَائِهَا
لَا شَيْءَ أَعْجَبُ مِنْ تَوَلَّدَ بُرْنِهَا مِنْ سُقْمِهَا، وَدَوَائِهَا مِنْ دَائِهَا
وقال:

إِنْ رُمْتَ وَصَفَ الرَّاحِ فَأَتِ بِمَا
هِيَ مَاءٌ يَاقُوتٌ، وَإِنْ مُزِجَتْ
فَكَأَنُّهَا وَجَبَابُهَا ذَهَبٌ
فيها مِنَ الْأَوْصَافِ مِنْ قُرْبٍ
فِي كَأْسِهَا بِالْبَارِدِ الْعَذْبِ
كَلَّتُهُ بِاللُّؤْلُؤِ الرُّطْبِ

(١) الرّاح (الأولى): الخمر، والراح (الثانية): الكفّ.

(٢) الضحضاح: الماء القليل.

(٣) البحري، الديوان: ٢/ ٣٨٢. والبيت من قصيدة يمدح بها أبا سعيد.

ولأهل العصر: الدنيا معشوقة ريقها الراح. أخذ هذا المعنى من قول ابن الرومي في صاعد بن مخلد^(١):

فَتَى هَاجَرَ الدُّنْيَا وَحَرَّمَ رِيْقَهَا وَهَلْ رِيْقَهَا إِلَّا الرِّحِيقُ الْمُوَرَّدُ
وَلَوْ طَمِعَتْ فِي عَطْفِهِ وَوَصَالِهِ أَبَاحَتْهُ مِنْهَا مَرَشَفًا لَا يَصْرَدُ^(٢)

الخمُرُ أشبهُ شيءٍ بالدنيا؛ لاجتماع اللذات والمرارة فيها. الخمر مصباح السرور، ولكنها مفتاح الشرور. لكل شيء سرٌّ، وسرُّ الراح السرور. لا يطيبُ المُدَامُ الصافي، إلا مع النديم المُصَافِي.

ومن ألفاظهم في صفات مجانس الأنس وآلات اللهو وذكر الخمر

مَجْلِسٌ رَاحُهُ يَاقُوتٌ، وَنَوْرُهُ وَرْدٌ، وَنَارَنْجُهُ ذَهَبٌ، وَنَرَجِسُهُ دِينَارٌ وَدِرْهَمٌ، يَحْمِلُهَا زَبَرْجَدٌ. عِنْدَنَا أُتْرُجٌ كَأَنَّهُ مِنْ خُلُقِكَ خُلُقٌ، وَمِنْ شَمَائِلِكَ^(٣) سُرْقٌ، وَنَارَنْجٌ كَكُرَاتٍ مِنْ سَفَنِ ذُهَبٍ^(٤)، أَوْ ثَنَدِي أَبْكَارٍ خُلِقَتْ. مَجْلِسٌ أَخَذَتْ فِيهِ الْأَوْتَارُ تَتَجَاوَبُ، وَالْأَقْدَاحُ تَتَنَاقَبُ. أَعْلَامُ الْأُنْسِ خَافِقَةٌ، وَالسُّنُّ الْمَلَاهِي نَاطِقَةٌ. وَنَحْنُ بَيْنَ بَدُورٍ، وَكَاسَاتٍ تَدُورُ، وَبُرُوقٍ رَاحٍ، وَشَمُوسٍ أَقْدَاحٍ. قَدْ نَشَأَتْ غَمَامَةُ النَّدِّ، عَلَى بَسَاطِ الْوَرْدِ. مَجْلِسٌ قَدْ تَفَتَّحَتْ فِيهِ عَيُونُ النَّرْجِسِ، وَفَاحَتْ مَجَامِيرُ الْأُتْرُجِ، وَفَتَقَتْ فَارَاتُ النَّارَنْجِ، وَنَطَقَتْ أَلْسُنُ الْعِيدَانِ، وَقَامَتْ خُطَبَاءُ الْأَوْتَارِ، وَهَبَّتْ رِيَاحُ الْأَقْدَاحِ، وَطَلَعَتْ كَوَاكِبُ النَّدْمَانِ، وَامْتَدَّتْ سَمَاةُ النَّدِّ. مَجْلِسٌ مِنْ رَأَى حَسْبِ الْجِنَانِ قَدْ اضْطَلَّتْ عَيُونُهَا، فَجَعَلَتْ فِي قَدَرٍ مِنَ الْأَرْضِ، وَتَخَيَّرَتْ فَصُوصَهَا، فَتَقَلَّتْ إِلَى مَجْلِسِ الْأُنْسِ وَاللَّهُوِ. قَدْ فَضَّ اللَّهُوُ خَتَامَهُ، وَنَشَرَ الْأُنْسُ أَعْلَامَهُ. قَدْ هَبَّتْ لِلْأُنْسِ رِيحٌ بَرَّقَها الرِّاحُ، وَسَحَابُهَا الْأَقْدَاحُ، وَرَعُودُهَا الْأَوْتَارُ، وَرِيَاضُهَا الْأَقْمَارُ. قَدْ فَرَعْنَا لِلَّهُوِ وَالْدهْرُ عَنَا فِي شَغْلٍ.

(١) ابن الرومي، الديوان: ١٢٤/٢. والبيتان من قصيدة طويلة يمدح بها صاعد بن مخلد، وهو وزير من أهل بغداد، أسلم على يد الموفق العباسي، واستكنه الموفق سنة ٢٦٥ هـ، ووجهه في المهمات، ولقب بذي الوزارتين. سجنه الموفق سنة ٢٧٢ هـ، ثم نقل إلى دارٍ في الجانب الغربي من بغداد، وتوفي فيها سنة ٢٧٦ هـ.

(٢) لَا يُصْرَدُ: لَا يَقْطَعُ، وَمِنْهَا الشَّرَابُ الْمُصْرَدُ: الَّذِي يُؤْخَذُ عَلَى جَرَعَاتٍ مُتَابَعَةٍ.

(٣) الشَّمَائِلُ: السَّجَايَا وَالطَّبَاعُ.

(٤) التَّفَنُّ: جَلْدٌ سَمِيكَ خَشَنٌ، يَسْفَنُ بِهِ الْخَشَبُ حَتَّى تَذْهَبَ عَنْهُ آثَارُ الْمِرْبَاةِ.

جُلُّ هذا من قول بعض أهل العصر:

كَمْ جَوَى مَثْلَهُ رَسْمٌ مَثَلُ وَدَمٌ قَدْ طَلَّ أَثْنَاءَ طَلَلٍ^(١)
وَلَا لِي كُلُّ لَلِ الْخَدُّ بِهَذَا لَعِبَ الْيَمِينُ بِرَبَّاتِ الْكَلَلِ^(٢)
حَبْنًا عَيْشُ اللَّيَالِي بِاللَّوَى لَوْ تَجَافَى الدَّهْرُ عَنَّا وَغَفَلَ
إِذْ فَرَعْنَا فِيهِ لِلَّهِوْ وَقَدْ بَاتَتْ الْأَقْدَارُ عَنَّا فِي شُغْلٍ
وَأَذَرْنَا ذَهَبًا فِي لَهَبٍ كَلِمَا أُخْمِدَ بِالمَاءِ اشْتَعَلَ

قد اقتعدنا غارب الأنس، وجربنا في ميدان اللهو. عمدنا إلى أقذاح اللهو فأجلناها، ولمراكب السرور فامتطيناها. قد امتطينا غوارب السرور بالأقذاح. مُدَامَةُ تَوَرَّدَ رِيحُ الْوَرْدِ، وَتَحَكَّى نَارُ إِبْرَاهِيمَ فِي اللَّوْنِ وَالْبَرْدِ، وَلَسْتُ أَدْرِي أَشَقِيقُ أَمْ عَقِيقُ، أَمْ رَحِيقُ أَمْ حَرِيقُ. رَاحَ كَأَنَّ الدُّيُوكَ صَبَّتْ أَحْدَاقَهَا فِيهَا. رَاحَ كَأَنَّمَا اشْتَقَّتْ مِنَ الرُّوحِ وَالرَّاحَةِ.

قال ابن الرومي^(٣):

وَالله مَا نَذَرِي لِأَيَّةٍ عَلَّيْ يَدْعُونَهَا فِي الرَّاحِ بِاسْمِ الرَّاحِ^(٤)
الْسَّرِيحِهَا أَمْ رَوْحِهَا تَحْتَ الْحَشَى أَمْ لِارْتِيَاحِ نَدِيمِهَا الْمُرتَاحِ^(٥)

رَاحٌ كَالنَّارِ وَالنُّورِ وَالنُّورِ، أَصْفَى مِنَ الْبُكُورِ، وَمَنْ دَمَعَ الْمَهْجُورُ. رُوحٌ نَورٌ لَهَا مِنَ الْكَأْسِ جَسَمٌ، كَأَنَّهَا شَمْسٌ فِي غِلَالَةِ سَرَابٍ. شَرَابٌ أَكَادُ أَقُولُ: هُوَ أَصْفَى مِنْ مَوَدَّتِي لَكَ، وَمِنْ نَعَمِ اللَّهِ عِنْدِي فَيْكَ، وَأَطْيَبُ مِنَ إِسْعَافِ الزَّمَانِ بِلِقَائِكَ. مُدَامَةُ قَدْ سَبَكَ الدَّهْرُ تَبَرَّهَا فَصْفًا. كَأَسُّ كَأَنَّهَا نُورٌ ضَمِيرُهُ نَارٌ. رَاحَ كَيَاقُوتَةٌ فِي دُرَّةٍ، أَصْفَى مِنْ مَاءِ السَّمَاءِ، وَدَمَعَ الْعَاشِقَةُ الْمَرْهَاءُ^(٦)، أَحْسَنُ مِنَ الدُّنْيَا الْمُقْبِلَةِ، وَالنَّعْمِ الْمَكْمَلَةِ. أَحْسَنُ مِنَ الْعَافِيَةِ فِي الْبَدَنِ، وَأَطْيَبُ مِنَ الْحَيَاةِ فِي السَّرُورِ. أَرْقٌ مِنْ نَسِيمِ الصَّبَا، وَعَهْدِ الصَّبَا. أَرْقٌ مِنْ دَمْعِ مُحَبِّ، وَشَكْوَى صَبٍّ. أَرْقٌ مِنْ دَمْعِ الْعَشَّاقِ، مَرَّتَهَا لَوْعَةُ الْفِرَاقِ. مُرَجٌّ نَارُ الرَّاحِ بِنُورِ الْمَاءِ. رَاحٌ

(١) طَلَّ دَمٌ فَلَانٍ: أَهْلِدِرْ، فَهُوَ مَطْلُولٌ.

(٢) الْكَلَلُ: جَمْعُ كَلَّةٍ، وَهِيَ سِتْرٌ رَقِيقٌ يُتَوَقَّى بِهِ مِنَ الْبَعُوضِ وَغَيْرِهِ.

(٣) ابْنُ الرُّومِيِّ، الدِّيَوَانُ: ٨٢/٢. وَالْيَتَانُ مِنْ قَصِيدَةِ يَمْدَحُ بِهَا أَحْمَدُ بْنُ عِيْسَى بْنِ شَيْخٍ.

(٤) فِي الدِّيَوَانِ: «تَالله مَا أَدْرِي».

(٥) فِي الدِّيَوَانِ: «أَلْرِيحِهَا وَلِرَوْحِهَا».

(٦) الْمَرْهَاءُ: الْبَيْضَاءُ.

كانها معصورة سن وَجَنَةِ الشمس، في كَأْسٍ كأنها مخروطة من فِلَقَةِ الْبَكْرِ. كَأْسُهَا مِلءُ الْبَدَنِ، وريحها ملء الْبَلَدِ، تصبُّ على الليل ثَوْبُ النَّهَارِ، كأنها في الكَأْسِ معنى دقيق في ذَهْنٍ لطيف. كأنَّ الرّاح من خَدِّه معصورة، وملاحَةُ الصُّورَةِ عليها مقصورةٌ. وهذا من قول الطائي:

كَأْنَهَا مِنْ خَدِّه تُعْصَرُ

وقال عبد السلام بن رَغْبَان الملقب بديك الجن الشاعر المشهور^(١):

مُعْتَقَةٌ مِنْ كَفِّ ظَنِّي كَأَنَّمَا تَنَاولَهَا مِنْ خَدِّه فَأَدَارَهَا

تمثَّلت الصَّهْبَاءُ فِي عِظَامِهِمْ، وَتَرَقَّتْ إِلَى هَامِيهِمْ، وَمَاسَتْ فِي أَعْطَافِهِمْ، وَمَالَتْ بِأَطْرَافِهِمْ. سَارَتْ فِيهِمُ الْكُؤُوسُ، وَنَالَتْ مِنْهُمْ سُورَةُ الْخَنْدَرِيسِ^(٢). شَرِبْتَ عَقُولَهُمْ، وَمَلَكَتْ قُلُوبَهُمْ.

وقال أبو نُوَاس، وهو أستاذ الناس في هذا الشأن^(٣):

صِفَةُ الطُّولِ بِلَاغَةُ الْفَذَمِ فَاجْعَلْ صِفَاتِكَ لَابِنَةَ الْكَرَمِ
تَصِفُ الطُّلُولَ عَلَى السَّمَاعِ بِهَا أَفْذُو الْعِيَانِ كَتَابَتِ الْعِلْمِ
وَإِذَا وَصَفْتَ الشَّيْءَ مُثْبِعاً لَمْ تَخْلُ مِنْ غَلَطٍ وَمِنْ وَهْمٍ

وقال^(٤):

الْكَأْسُ أَهْوَاهَا وَإِنْ رَزَاكَ بُلَغَ الْمَعَاشِ وَقَلَّلْتَ فَضْلِي^(٥)
صَفْرَاءُ مَجْدِهَا مَرَازِبُهَا جَلَّتْ عَنِ النَّظَرَاءِ وَالْمَثَلِ^(٦)
ذُخِرَتْ لَادَمَ قَبْلَ خَلْقِنَاهُ فَتَقَدَّمَتْهُ بِخَطْوَةِ الْقَبْلِ^(٧)

(١) هو أبو محمد، عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن تميم الكلبي، الملقب بـ «ديك الجن»: شاعر ماجن خليع، من شعراء الدولة العباسية. ولد بحمص، ولم يفارق الشام، ولا رحل متجعاً بشعر، ولا متصدياً لأحد. توفي سنة ٢٣٥ هـ/٨٥٠ م. (الأصفهاني، الأغاني: ٤٩/١٤؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ٧٧/٢).

(٢) الخندريس: من أسماء الخمر.

(٣) أبو نواس، الديوان.

(٤) أبو نواس، الديوان: ص ٤٢.

(٥) رزأت: أصابت بالرزيفة، وهي المصيبة. بلغ المعاش: جمع بلغة، وهي ما يُبْلَغُ به من العيش.

(٦) المرازب: رؤساء الفرس.

(٧) ذخرت: اتخذت واختيرت ذخيرةً.

فَاعْلِرْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ رَجُلٌ مَرَنْتَ مَسَامِعُهُ عَلَى الْعَذْلِ
وقال^(١):

فَتَسَلَّيْتُ بِشَرْبِ عُقَارٍ فَتَنَاسَاهَا الْجَدِيدَانِ حَتَّى
وَأَفْتَرَعْتُ مِرَّةَ الطَّعْمِ بِهَا وَاحْتَسَيْنَا مِنْ رَحِيقِ عَتِيقٍ
لَمْ يُجِفْهَا مِزْكُ الْقَوْمِ حَتَّى أَوْ كَعِرْقِ السَّامِ تَشْتَقُّ مِنْهُ
وقال^(٨):

وَحَدِيدِنِ لَذَاتِ مُعَلِّلٍ صَاحِبٍ قَالَ: أَبْغِنِي الْمَصْبَاحَ، قُلْتُ لَهُ: ائْتِدْ
يَقْتَاتُ مِنْهُ فُكَاهَةٌ وَمُزَاحَا حَسْبِي وَحَسْبُكَ ضَوْءُهَا مِصْبَاحَا^(١٠)

(١) أبو نواس، الديوان: ص ١٨.

(٢) في الديوان: «فَعَزَّيْتُ بِصَرْفِ عُقَارٍ».

(٣) الجديدان: الليل والنهار. شطور: جمع شطر، وهو من كل شيء نصفه.

(٤) افترع البكر: اقتض بكارتها، يريد بذلك أنه أول من أزال خواتم الدنان وشرب منها. وفي الديوان: «مِرَّةَ الطَّعْمِ»، أي: فيها حموضة. ونزق البكر: طيشها. والعوان من النساء: التي كان لها زوج.

(٥) في الديوان:

وَاحْتَسَيْنَا مِنْ عَتِيقِ عُقَارٍ حُسْرَوِيٍّ كَامِنٍ فِي لِيَانٍ
والعقار: الخمر، سميت بذلك لعقرها شاربها عن المشي. والخروي: نوع من الثياب الحريرية، لين المس، مَخِيَّه، وقد تُسَمَّى به الخمر على التشبيه.

(٦) أطفته الطعنة: بلغت بها جوفه. والميزل: المثقب. ونجمت ظهرت.

(٧) عرق السام: السام: جمع سامة: الذهب والفضة أو عروقهما في الحجر. شَعْبٌ: جمع شعبة، وهي الصدع. انفراج البنان: تباعد ما بينهما قصداً لا طبيعة.

(٨) أبو نواس، الديوان: ص ١.

(٩) الخدين: الصاحب. معلل: التعلة والعلة والعلالة: ما يُعْمَلُ به، وتَعْمَلُ بالشيء: تشاغل به وتلهي، فَمُعْمَلٌ معناها: ملهى، فهي اسم مكان. ويقتات: يطعم.

(١٠) ابغني: اطلب لي. ائتد: تأن.

فَسَكَبْتُ مِنْهَا فِي الزَّجَاجَةِ شَرِبَةً كَانَتْ لَهُ حَتَّى الصَّبَاحِ صَبَاحًا
وهذا كقوله^(١):

وَحَمَّارٍ أَنْخَسْتُ عَلَيْهِ لَيْلًا قَلَائِصَ قَدْ تَعَبْنِ مِنَ السَّفَارِ^(٢)
فَتَرْجَمَ وَالْكَرَى فِي مُقْلَتَيْهِ كَمَحْمُورٍ شَكَا أَلَمَ الْخُمَارِ^(٣)
أَبْنُ لِي كَيْفَ صِرْتَ إِلَى حَرِيمِي وَجَفَنُ اللَّيْلِ مُكْتَحِلٌ بِقَسَارِ^(٤)
فَقُلْتُ لَهُ: تَرَفَّقْ بِي؛ فَإِنِّي رَأَيْتُ الصُّبْحَ مِنْ خَلَلِ الدِّيَارِ^(٥)
فَكَانَ جَوَابُهُ أَنْ قَالَ: كَلَّا وَمَا صُبْحٌ سِوَى ضُوءِ الْعَقَارِ^(٦)
وَقَامَ إِلَى الدُّنَانِ فَسَدَّ فَاهَا فَعَادَ اللَّيْلُ مَسْدُولَ الْإِزَارِ^(٧)
وقال بعض المُحَدِّثِينَ:

مَا زَالَ يَشْرِبُهَا وَتُشْرِبُ عَقْلَهُ خَبَلًا، وَتُؤْذِنُ رُوحَهُ بِرَوَاحِ^(٨)
حَتَّى اثْنَى مِئُوْسَدًا يَمِينِهِ سَكْرًا، وَأَسْلَمَ رُوحَهُ لِلرَّاحِ
وقال الصنوبري وذكر شرباً^(٩):

نَازَعْتُهُمْ كَأْسًا تَخَالُ نَسِيمَهَا مِسْكَاً تَضَوَّعَ فِي الْإِنَاءِ عَتِيقَا
شَقَقْتُ قِنَاعَ الْفَجْرِ لَمَّا غَادَرْتُ كَفُّ النَّدِيمِ قِنَاعَهَا مَشْقُوقَا
صَبَغْتُ سَوَادَ دُجَاهُ حُمْرَةَ لَوْنِهَا فَكَأَنَّهُ سَبَّحَ أُعْيِدَ عَقِيقَا^(١٠)

(١) أبو نواس، الديوان: ص ٧٧.

(٢) القلائص: جمع قلوص، وهي الفتية من النوق، القوية على المسير. وفي الديوان: «وَيْنَ» أي تعين. والسفار: السفر.

(٣) في الديوان: «فَجُمُجَمَ»: أي تكلم بكلام غير واضح. والخمار: صدام الخمر.

(٤) في الديوان: «وتجم الليل». والقار: الزفت.

(٥) خَلَّلُ الدِّيَارِ: خلالها.

(٦) في الديوان: «فكان جوابه أن قال صُبْحٌ. . ولا صُبْحٌ».

(٧) في الديوان: «وقام إلى العقار»، و «مُسَوَّدُ الْإِزَارِ».

(٨) الْحَبْلُ: الفساد.

(٩) الشَّرْبُ: القوم يجتمعون على الشراب.

(١٠) السَّبَّحُ: خرز أسود.

وقال أبو الشَّيص^(١):

وَكَأْسُ كَسَا السَّاقِي لَنَا بَعْدَ هَجْعَةٍ
كَأَنَّ أَطْرَادَ الْمَاءِ فِي جَنَابَتِهَا
سَقَانِي بِهَا، وَاللَّيْلُ قَدْ شَابَ رَأْسُهُ،
وقال أبو عدي الكاتب:

لَيْسَ لَهَا حَدٌّ تُحِيطُ بِوَصْفِهِ
وَلَكِنَّهُ كَالْبَرْقِ أَوْ مَضَى مَاضِيًا
وقال ابن المعتز:

أَلَا فَاسْقِنِيهَا قَدْ مَشَى الصَّبْحُ فِي الدُّجَى
فَنَاوَلَنِي كَأْسًا أَضَاءَتْ بَنَانَهُ
وَلَمَّا أَرَيْنَاهَا الْمِزَاجَ تَسَعَّرَتْ
يَطُوفُ بِهَا ظَبْيٌ مِنَ الْإِنْسِ شَادِنٌ
عَلَيْهِمْ بِأَسْرَارِ الْمُحْيِيْنَ حَاذِقُ
فَظَلَّ يُنَاجِنِي يَقْلِبُ طَرْفَهُ
وقال:

أَلَا عُجْ عَلَى دَارِ السَّرُورِ فَسَلِّمْ
وَقُلْ: مَا حَلَّتْ بِالْعَيْنِ بَعْدَكَ لَذَّةٌ
وَصَفْرَاءَ مِنْ صَبَغِ الْمِزَاجِ بِرَأْسِهَا،
قَطَعْتُ بِهَا عُمْرَ الدُّجَى وَشَرِبْتُهَا
وَقُلْ: أَيْنَ لِدَاتِي وَأَيْنَ تَكَلَّمِي^(٤)؟
سِوَاكِ، وَإِنْ لَمْ تَعْلَمِي ذَاكَ فَاعْلَمِي
إِذَا مُزِجَتْ، إِكْلِيلُ دُرٍّ مَنْظَمٍ
ظِلَامِيَّةَ الْأَحْشَاءِ نُورِيَّةَ الدَّمِ

(١) هو أبو جعفر، محمد بن عبد الله بن رزين بن سليمان بن تميم الخزاعي، المعروف بابي الشيص: شاعر مطبوع، سريع الخاطر. انقطع إلى أمير الرقة جعفر بن الأشعث الخزاعي، ومدحه بأكثر شعره. قتله بعض علمائه وهو سكران سنة ١٩٦ هـ / ٨١١ م. (ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٧٢١/٢؛ ابن المعتز، طبقات الشعراء: ٧٢).

(٢) القرقف: الخمر.

(٣) المدنف: الذي يراه المرض حتى أشفى على الموت.

(٤) عاج: مال.

[من رسائل بديع الزمان الهمداني]

إلى أبي عدنان بن محمد الضبي

كتب أبو الفضل بديع الزمان إلى أبي عدنان بن محمد الضبي يعزيه عن بعض أقاربه :

إذا ما الدهرُ جَرَّ على أناسٍ حَوَادِثُهُ أَنَاخَ بِآخِرِينَا^(١)
فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفَقُوا سَيَلَقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا

أَحْسَنُ ما في الدهرِ عمومه بالنوائب، وخصوصه بالرغائب، فهو يَدْعُو الْجَفَلَى^(٢) إذا ساء، ويخصُّ بالنعمة إذا شاء، فليفكر الشامت؛ فإن كان أفلت، فله أن يَشْمَت، ولينظر الإنسان في الدهرِ وصُروفه، والموتِ وصنوفه، من فاتحة أمره، إلى خاتمة عُمُرِه؛ هل يجدُ لِنَفْسِه، أثراً في نَفْسِه؟ أم لتدبيره، عَوْناً على تصوُّيره، أم لعلمه، تقديماً لأمله، أم لِحِيلِه، تأخيراً لأجلِه؛ كلا، بل هو العَبْدُ لم يكن شيئاً مذكوراً؛ خُلِقَ مَقْهُوراً، ورُزِقَ مَقْدُوراً، فهو يَحْيَا جَبِراً، ويهلك صَبْراً، وليتأمل المرء كيف كان قَبْلاً؛ فإن كان العَدَمُ أصلاً، والوجودُ فضلاً، فليعلم الموت عَدْلاً؛ فالعاقل من رَفَعَ من جوانب الدهر ما ساء بما سرَّ، ليذهب ما نَفَعَ بما ضرَّ؛ فإن أحبَّ ألاَّ يحزن فليُنْظِرْ يَمَنَةً، هل يرى إلا مِخْنَةً، ثم ليعطف يَسْرَةً، هل يرى إلا حَسْرَةً؟ ومثلُ الشيخ الرئيس - أطال الله بقاءه! - من فَطِنَ لهذه الأسرار، وعَرَفَ هذه الديار، فأَعَدَّ لنعيمها صَدْرًا لا يملؤه فرحاً، ولبؤسها قَلْبًا لا يطيره ترحاً؛ وصحب البرية برأي من يعلم أن للمتعة حدًّا، وللعارية رَدًّا، ولقد نُعِيَ إليَّ أبو قبيصة قدس الله روحه، وبرَّد ضريحه، فَعَرَضْتُ عليَّ آمالي فَعُودًا، وأمانِيَّ سودًا، وبِكَيْت، والسخيَّ جوْدُه بما يملك، وضحكت، وشرُّ الشدائد ما يُضْحِكُ، وعضضت الأصبع حتى أَذْمَيْتُهُ، وذممت الموت حتى تَمَيَّنْتُهُ؛ والموتُ أطال الله بقاء الشيخ الرئيس خَطْبُ قد عَظُمَ حتى هان، وأمر قد خشن حتى لَانَ، ونُكِرَ قد عَمَّ حتى عادَ عُرْفًا؛ والدنيا قد تنكَّرت حتى صار الموت أخفَّ خطوبها، وقد خبثت حتى صار أقلَّ عيوبها، ولعل هذا السهم قد صاب آخر ما في كِنَانَتِها، وأنكأ ما في

(١) أَنَاخَ بِالْمَكَانِ: أَقام، ويقال: أَنَاخَ بِهِ الْبَلَاءُ وَالذُّلُّ: حَلَّ بِهِ وَلَزِمَهُ.

(٢) الْجَفَلَى: الدَّعْوَةُ الْعَامَّةُ الَّتِي لَا يُخَصُّ بِهَا وَاحِدٌ دُونَ أُخَرَ.

قال طرفة بن العبد:

نَحْنُ فِي الْمَشْتَاةِ نَدْعُو الْجَفَلَى لَا تَرَى الْآدِيبَ فِينَا يَنْتَقِرُ
(ديوانه: ص ٥٥).

خزانتها، ونحن معاشر التبع نتعلم الأدب من أخلاقه، والجميل من أفعاله، فلا نحته على الجميل وهو الصبر، ولا نرغبه في الجزيل وهو الأجر؛ فليَر فيهما رأيه إن شاء الله.

كتاب منه لبعض إخوانه

وله إلى بعض إخوانه جواباً عن كتاب كتبه يهني بمرض أبي بكر الخوارزمي وكانت بينهما مقارعة، ومنازعة، ومنافرة، ومهاترة؛ ولهما مجالس مستظرفة قهره البديع فيها وبهره، وبكته حتى أسكته، ليس هذا موضعها، لكني أذكر بعد هذه الرسالة بعض مكاتبات جرت بينهما؛ إذا كان ما لهما من الابتداء والجواب أخذاً بوصل الحكمة وفصل الخطاب:

الحرُّ أطل الله بقاءك - لا سيما إذا عرف الدهر معرفتي، ووصف أحواله صفتي - إذا نظر علم أن نعم الدهر ما دامت معدومة فهي أمانتي، وإن وجدت فهي عواري، وأن محن الأيام وإن طالست فستنفد، وإن لم تُصب فكان قد، فكيف يشمت بالمحنة من لا يأمنها في نفسه، ولا يعدُّها في جنبه، والشامت إن أفلت فليس يئوت، وإن لم يمت فسيموت؛ وما أقبح الشماتة، بمن أمن الإمامة، فكيف بمن يتوقَّعها بعد كل لحظة، وعقب كل لفظه، والدَّهرُ غرثان طعمه الخيار^(١)، وظمان شرُّه الأحرار، فهل يشمت المرء بأنياب آكله، أم يُسرُّ العاقل بسلاح قاتله؟ وهذا الفاضل شفاه الله وإن ظاهرناه بالعداوة قليلاً، فقد باطنَّاه وُدّاً جميلاً، والحرُّ عند الحمية لا يصطاد، ولكنه عند الكرم يتقاد، وعند الشدائد تذهب الأحقاد، فلا تتصور حالتي إلا بصورتها من التوجُّع لعلته، والتحرُّن لمرضته، وقاه الله المكروه، ووقاني سماع المحذور فيه، بمنته وحوله، ولطفه وطوله.

قال البديع في سياقة أخباره مع أبي بكر الخوارزمي:

أولها أنا وطئنا خراسان، فما اخترنا إلا نيسابور داراً، وإلا جوار السادة جواراً، لا جرم أنا حططنا بها الرُّحل؛ ومددنا عليها الطُّنب، وقديماً كنا نسمعُ بحديث هذا الفاضل فتشوقه، وبخبره على الغيب فتعشقه، ونقدّر أنا إذا وطئنا أرضه، ووردنا بلدَه، يخرج لنا في العشرة عن القشرة، وفي المودة عن الجلدة، فقد كانت كلمة الغربة جمعتنا، ولحمة الأدب نظمتنا، وقد قال شاعر القوم غير مدافع^(٢):

(١) غرثان: جوعان. والطعم: المطعوم.

(٢) هو امرؤ القيس بن حجر الكندي، أمير الشعراء في الجاهلية. والبيت في ديوانه: ص ٧٩، من أبيات قالها حين رأى قبر امرأة في سفح جبل عيب الذي مات عنده.

أَجَارَتَنَا إِنَّا غَرِيبانِ هَاهُنَا وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبٌ

فأخلف ذلك الظن كل الإخلاف، واختلف ذلك التقدير كل الاختلاف، وكان قد اتفق علينا في الطريق من العرب اتفاق، لم يوجهه استحقاق، من بزة بزوها، وفضة فضوها، وذهب ذهبوا به، ووردنا نيسابور براحة، أنقى من الراحة، وكيس أخلى من جوف حمار^(١)، وزر أوحش من طلعة المعلم، بل اطلاعة الرقيب، فما حللنا إلا قصبة جواره، ولا وطئنا إلا عتبة داره؛ وهذا بعد رُقعة قدمنها، وأحوال أنس نظمناها.

ونسخة الرقعة: أنا يقرب الأستاذ أطل الله بقاء كما طرب النشوان مالت به الخمر، ومن الارتياح لبقائه كما انتفض العصفور بلله القطر، ومن الامتزاج بولائه كما التقت الصهباء والبارد العذب، ومن الابتهاج لمزازه كما اهتزت تحت البارح الغصن الرطب، فكيف نشاط الأستاذ سيدي لصديقي طراً إليه مما بين قصبتي العراق وخراسان، بل عتبتي نيسابور وجرجان؟ وكيف اهتزازه لضيف:

رَثَ الشَّمَائِلَ مُخْلَقِي الْأَنْوَابِ بَكَرَتْ عَلَيْهِ مُغِيرَةُ الْأَعْرَابِ^(٢)

وهو - أيده الله! - ولي إناعمه، بإنفاذ غلامه، إلى مُستَقَرِّي، لِأُفْضِي إليه بما عندي - إن شاء الله -.

فلما أخذتنا عينه سقانا الدُرْدِي^(٣) من أوّل دنة، وأجنانا سوء العشرة من باكورة فته، من طرف نظر بشره، وقيام دفع في صدره، وصديقي استهان بقلده، وضيف استخف بأمره؛ لكننا أقطعناه جانب أخلاقه، وولينا خطة نفاقه؛ فواصلناه إذ جانب، وقاربناه إذ جاذب، وشربناه على كدورته، وليناه على خشوته، ورددنا الأمر في ذلك إلى زبي استغته، ولباس استرته، وكتبناه نستمدّ وداده، ونستلين قياده، ونقيم مُنَادَه، بما هذه نسخته:

الأستاذ أبو بكر، واللّه يطيل بقاءه، أزرى بضيفه أن وجده يضرب إليه آباط القلة، في

(١) الحمار: الحيوان المعروف، وخلو جوفه كناية عن كونه لا ينتفع منه بشيء، وقيل: الحمار رجل من عاد، وجوفه: واد كان يحل فيه، وكان ذا ماء وشجر، فكفر بنعم الله عليه، فأهلكه الله وأقفر واديه.

(٢) مغيرة الأعراب: أي كتيبة مغيرة (مقاتلة).

(٣) الدُرْدِي: ما رسب أسفل العسل والزيت ونحوهما من كل شيء مائع كالأشربة والأدهان.

أطمار الغربة^(١)، فأعمل في رُبَّتِهِ أعمالَ المصارفة، وفي الاهتزاز إليه أصناف المضايقة، من إيماء بنصف الطرف، وإشارة بشطر الكفت، ودفع في صدر القيام عن التمام، ومضغ للكلام، وتكليف لرد السلام؛ وقد قبلت تربيته صَعراً^(٢)، واحتملته وزراً، واحتضنته نكراً، وتابطته شراً، ولم آله عذراً؛ فإن المرأة بالمال وثياب الجمال، ولست مع هذه الحال وفي الأسمال^(٣)، أتقرز من صف النعال، فلو صدقته العتاب، وناقشته الحساب، لقلت: إن بوادينا ثاغية صباح، وراغية رَواح^(٤)، وناساً يجرون المطارف، ولا يمتعون المعارف:

وَفِيهِمْ مَقَامَاتٌ حَسَنٌ وَجُوهُهُمْ وَأُنْدِيَسَةٌ يَتَابَهَا الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ

فلو طوحت بأبي بكر - أيده الله - إليهم مطارحُ الغربة، لوجد منزلَ البشرِ رحباً، ومحطَ الرُّحلِ قريباً، ووجهَ المضيفِ خصيباً؛ فرأي الأستاذ أبي بكر أيده الله في الوقوف على هذا العتاب الذي معناه وُدٌ، والمر الذي يتلوه شهد، موفق إن شاء الله.

فأجاب بما نسخته: وصلت رُفعةُ سيدي ورئيسي أطال الله بقاه إلى آخر السكبا^(٥)، وعرفت ما تضمنته من خشن خطابه، ومؤلم عتابه، وصرفت ذلك منه إلى الصَّجْرة التي لا يخلو منها من مته عسر أو نبا به دهر؛ والحمد لله الذي جعلني موضع أنسه، ومظنة مشكي ما في نفسه، أما ما شكاه سيدي ورئيسي من مضايقتي إياه في القيام، فقد وفيته حقه - أيده الله - سلاماً وقياماً، على قدر ما قدرت عليه، ووصلت إليه، ولم أرفع عليه إلا السيد أبا البركات [العلوي] أدام الله عزه، وما كنت لأرفع أحداً على من أبوه الرسول، وأثنى البتول، وشاهداه الثوراة والإنجيل، وناصراه التأويل والتزويل، والبشير به جبريل وميكائيل؛ فأما القوم الذين صدر عنهم يدي فكما وصف: حسن عشرة، وسداد طريقة، وجمال تفصيل وجملة، ولقد جاورتهم فأحمدت المراد، ونلت المراد:

فَإِنْ كُنْتُ قَدْ فَارَقْتُ نَجِداً وَأَهْلَهُ فَمَا عَهْدُ نَجْدٍ عِنْدَنَا بِذَمِيمٍ

والله يعم نيتي للأحرار كافة، ولسيدي من بينهم خاصة؛ فإن أعانني الدهر على ما في

(١) يقال: ضرب أباط الأمور: عرف بواطنها. والأطمار: جمع طمر، وهو الثوب الخلق البالي.

(٢) الصَّعْر: داء في العنق لا يستطيع معه الالتفات، وصَعَرَ فلان صَعراً: أعرض بوجهه كبراً.

(٣) الأسمال: جمع سَمَل، وهو الثوب الخلق البالي.

(٤) ثغت الشاة ونحوها ثغاء: صاحت، ورغا البعير رغواً ورغاء: صَوَّت وضج، ومنه يقال: ما له

ثاغية ولا راغية، أي ما له شاة ولا بعير.

(٥) السكبا: طعام يتخذ من اللحم والخل والمرق، والمراد هنا: ألوان العتاب الذي قدمه.

نفسى بلغتْ له ما فى النية، وجاوزتْ به مسافةَ القدرِ والأمنية، وإن قطعَ عليّ طريقَ عَزْمِي بالمعارضة، وسوء المناقضة، صرفتْ عَنانِي عن طريق الاختيار، بيد الاضطرار.

فَمَا النَّفْسُ إِلَّا نَظْفَةٌ بِقَرَارَةٍ إِذَا لَمْ تُكْثَرْ كَانَ صَفْوَاً غَدِيرُهَا

وبعد، فحبذا عتابُ سيدي إِذَا استَوْجَبْنَا عَتَاباً، وَأَقْرَفْنَا ذَنْباً؛ فَأَمَا أَنْ يَسْلِفْنَا الْعَرَبْدَةَ فنحن نَصُونُهُ عن ذلك، وَنَصُونُ أَنْفُسَنَا عن احتماله، وَلَسْتُ أَسْأَلُهُ أَنْ يَقُولَ: ﴿أَسْتَغْفِرُكَ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾^(١)، وَلَكِنْ أَسْأَلُهُ أَنْ يَقُولَ: ﴿لَا تَقْرِبْ عَلَيْنَا يَوْمَ يُغْفَرُ لَكُمْ أَلْيَوْمَ يُغْفَرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٢).

فحين وَرَدَ الجواب وَعَيَّنَ العُذرَ رَمَدَةَ تركناه بِعُرْهِ، وَطَوَيْنَاهُ عَلَى غَرِّهِ، وَعَمَدْنَا إِلَى ذِكْرِهِ فَسَحَوْنَاهُ^(٣)، وَمِنْ صَحِيفَتِنَا مَحَوْنَاهُ، وَصَرْنَا إِلَى اسْمِهِ فَأَخَذْنَاهُ وَبَذْنَاهُ، وَتَنَكَّبْنَا خَطَّتَهُ، وَتَجَنَّبْنَا حِطَّتَهُ^(٤)، فَلَا طَرْنَا إِلَيْهِ، وَلَا صَرْنَا بِهِ، وَمَضَى عَلَى ذَلِكَ الْأُسْبُوعِ، وَدَبَّتِ الْأَيَّامُ، وَدَرَجَتِ اللَّيَالِي، وَتَطَاوَلَتِ الْمُدَّةُ، وَتَصَرَّمَ الشَّهْرُ، وَصَرْنَا لَا نُعِيرُ الْأَسْمَاعَ ذِكْرَهُ، وَلَا نُوَدِّعُ الصَّدُورَ حَدِيثَهُ؛ وَجَعَلْنَا هَذَا الْفَاضِلَ يَسْتَزِيدُ، وَيَسْتَعِيدُ، بِالْفَافِظِ تَقْطَعُهَا الْأَسْمَاعُ مِنْ لِسَانِهِ، وَتُؤَدِّيهِا إِلَيْيَ، وَكَلِمَاتُ تَحْفَظُهَا الْأَلْسَنَةُ مِنْ فَمِهِ، وَتُعِيدُهَا عَلَيَّ؛ فَكَاتِبْنَاهُ بِمَا هَذِهِ نَسَخَتِهِ:

أَنَا أَرُدُّ مِنَ الْأَسَازِ سَيِّدِي - أَطَالُ اللَّهُ بَقَاةً - شِرْعَةً وَدَّةً وَإِنْ لَمْ تَصَفْ، وَأَلْبَسْ خَلْعَةً بَرَّةً وَإِنْ لَمْ تَصَفْ، وَقَصَارَايَ أَنْ أَكِيلَهُ صَاعاً عَنْ مَدٍّ؛ فَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ فِي الْأَدَبِ دَعِيَّ النَّسَبِ، ضَيْقُ الْمُضْطَرَبِّ، سَمِيُّ الْمُتَقَلِّبِ، أُمْتُ إِلَى عَشْرَةِ أَهْلِهِ بِنِيقَةٍ^(٥)، وَأَنْزِعْ إِلَى خِدْمَةِ أَصْحَابِهِ بِطَرِيقَةٍ، وَلَكِنْ بَقِيَ أَنْ يَكُونَ الْخَلِيطُ مُنْصِيفاً فِي الْوَدَادِ، إِذَا زَرْتُ زَاراً، وَإِنْ عُدْتُ عَاداً، وَسَيِّدِي - أَبْقَاهُ اللَّهُ - نَاقَشْنِي فِي الْقَبُولِ أَوَّلًا، وَصَارَمْنِي فِي الْإِقْبَالِ آخِرًا؛ فَأَمَا حَدِيثُ الْإِسْتِقْبَالِ، وَأَمْرُ الْإِنْزَالِ وَالْأَنْزَالِ^(٦)، فَنِطَاقُ الطَّمَعِ ضَيْقُ عَنِّهِ، غَيْرُ مُتَمَعِّعٍ لَتَوَقُّعِهِ مِنْهُ، وَبَعْدَ فَكَلْفَةِ الْفَضْلِ بَيْتُهُ، وَفَرُوضُ الْوَدِّ مُتَعِينُهُ، وَأَرْضُ الْعَشْرَةِ لَيْتُهُ، وَطَرَقُهَا هَيْتُهُ، فَلِمَ اخْتَارَ قَعُودَ

(١) سورة يوسف، آية: ٩٧.

(٢) سورة يوسف، آية: ٩٢.

(٣) سحا الشيء سَحَوًا: جرفه وقشره، وسحا من القرطاس: أخذ منه شيئاً.

(٤) وفي رواية: «وتجنبنا خلطته».

(٥) النِّيقَةُ: المبالغة في التجويد، يقال: خرقاء ذات نيقة، يضرب للجاهل بالأمر، وهو مع جهله يدعي المعرفة، ويتأنق في الإرادة.

(٦) الْإِنْزَالُ (بكسر الهمزة): مصدر أنزله، وَالْأَنْزَالُ (بفتح الهمزة): جمع نزل، وهو ما يُقدَّم للضيف.

التَّعَالِيَّ مَرْكَبًا، وَصُعُودَ النِّغَالِيَّ^(١) مَذْهَبًا؛ وَهَلَا ذَاكَ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرِ الْعِشْرَةِ، وَذَاقَ الْحُلُومَ مِنْ ثَمَرِهَا؛ فَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّ شَوْقِي إِلَيْهِ قَدْ قَدَّ الْفَوَادَ بَرَحًا إِلَى بَرَحٍ، وَنَكَاهَ قَرَحًا إِلَى قَرَحٍ، وَلَكِنَّهُ مِرَّةً مِرَّةً، وَنَفْسٌ حَرَّةً، لَمْ تُقَدِّ إِلَّا بِالْإِعْظَامِ، وَلَمْ تُتَّقِ إِلَّا بِالْإِجْلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَإِذَا اسْتَعْفَانِي مِنْ مَعَاتِبِهِ، فَأَعْفَى نَفْسَهُ مِنْ كُلِّ الْفَضْلِ يَتَجَشَّمُهَا، فَلَيْسَ إِلَّا غَصَصَ الشَّوْقِ أَتَجَرَّعُهَا، وَحُلِّلَ الصَّبْرَ أَتَدْرَعُهَا، وَلَمْ أَعْرِهِ مِنْ نَفْسِي، وَأَنَا لَوْ أُعْرِتُ جَنَاحِي طَائِرٌ لَمَا طَرْتُ إِلَّا إِلَيْهِ، وَلَا وَقَعْتُ إِلَّا عَلَيْهِ:

أَحِبُّكَ يَا شَمْسَ النَّهَارِ وَبَذَرَهُ وَإِنْ لَأَمْنِي فِيكَ السُّهَى وَالْفَرَاقُ
وَذَاكَ لَأَنَّ الْفَضْلَ عِنْدَكَ بَاهِرٌ وَلَيْسَ لَأَنَّ الْعَيْشَ عِنْدَكَ بَارِدٌ

فلما وردت عليه الرُّقعة حَشَدَ تَلَامِيذَهُ وَخَدَمَهُ، وَجَشِمَ لِلْإِجَابِ قَدَمَهُ، وَطَلَعَ عَلَيْنَا مَعَ الْفَجْرِ طُلُوعُهُ، وَنَظَمْتَنَا حَاشِيَتَا دَارِ الْأَمِيرِ أَبِي الطَّيْبِ؛ فَقُلْنَا: الْآنَ تُشْرِقُ الْحَشْمَةُ وَتُنُورُ، وَتُنَجِدُ فِي الْعِشْرَةِ وَنُغُورُ، وَقَصْدُنَا شَاكِرِينَ لِمَا أَنَا، وَانْتَظَرْنَا عَادَةً بَرَّهُ، وَتَوَقَّعْنَا مَادَّةَ فَضْلِهِ؛ فَكَانَ خُلْبًا شِمْتَاهُ، وَالْأَوْرَدَانَهُ^(٢)، وَصَرَفْنَا فِي تَأَخُّرِهِ وَتَأَخَّرْنَا عَنْهُ إِلَى مَا قَالَهُ ابْنُ الْمَعْتَرِ:

إِنَّا عَلَى الْبَعَادِ وَالتَّفَرُّقِ لَنَلْتَقِيَ بِالذِّكْرِ إِنْ لَمْ نَلْتَقِ
وَأَنشَدْنَا قَوْلَ ابْنِ عَصْرِنَا:

أَحَبُّكَ فِي الْبَتُولِ وَفِي أَيْهَا وَلَكِنِّي أُحِبُّكَ مِنْ بَعِيدٍ
وَبَقِينَا نَلْتَقِي خِيَالًا، وَنَفْتَحُ بِالذِّكْرِ وَصَالًا، حَتَّى جَعَلْتَ عَوَاصِفَهُ تَهَبُّ، وَعَقَارِبَهُ تَدَبُّ. وَالْمَجْلِسُ طَوِيلٌ جَدًّا.

قلت: إِنْ كُنْتُ خَرَجْتُ بِطُولِ هَذَا الْكَلَامِ عَنْ ضَبْطِ الشَّرْطِ، فَلَعَلِّي أَسَامَحُ فِيهِ لِفَضْلِهِ، وَعَدَمُ مِثْلِهِ، وَهُوَ وَإِنْ كَانَ فِي بَابِ الْإِتِّصَالِ، فَهُوَ بِتَقْدِيرِ الْإِنْفِصَالِ، لِقِيَامِ كُلِّ رِسَالَةٍ بِذَاتِهَا، وَانْفِرَادِهَا بِصِفَاتِهَا.

كتاب منه لرئيس هراة

وكتب إلى رئيس هراة عدنان بن محمد يصف ما جرى بينه وبين الخوارزمي:
ما أَلُومَ هَذَا الْفَاضِلَ عَلَى بَسَاطِ شَرِّ طَوَاهٍ، وَمَوْقِدِ حَرْبٍ اجْتَوَاهُ، وَلَكِنِّي أَلُومُهُ عَلَى مَا

(١) نَغَلَ قَلْبَهُ عَلَى فُلَانٍ: ضَغَنَ، وَنَغَلَ بَيْنَ الْقَوْمِ: نَمَّ وَأَفْسَدَ، وَالتَّغَلُّ: وَلَدَ الزَّيْنَى.

(٢) الْخُلْبُ: الْبَرْقُ الَّذِي لَا يَعْقِبُهُ مَطَرٌ. وَالْأَوَّلُ: السَّرَابُ.

نواه؛ ثم لم يتبع هواه، ورامه، ثم لم يبلغ آثامه، وأقول: قد ضرب فأين الإيحاء؟ وأنذر فأين الإيقاع؟ وهذه بوارقه، فأين صواعقه؟ وذلك وعيده، فأين عديده؟ وتلك بُنوده^(١)، فأين جُنوده؟ وأنشد:

هَـذِي مَعَاهِدُهُ فَأَيْنَ عُهُودُهُ؟

وما أهول رَعْدَه، لو أمطر بعده! اللهم لا كُفْرَانَ، ولعن الله الشيطان، فإنه أشفق لغريب أن يُظْهِرَ عَوَارَه، وإن طَارَ طَوَارَه^(٢)، وإن كان قصد هذا القصد فقد أساء إلى نفسه من حيث أحسن إليّ، وأجحفَ بفضله من حيث أبقي عليّ، وأوهم الناس أنه هاب البحر أن يخوضه، والأسد أن يروضه، وشجّعني على لقائه، بعد ما برّعني بإيمائه^(٣)، فيينا كنت أنشد:

إِنْ جَنَّبِي عَلَى الْفَرَاشِ لَنَابٍ

إذ أنشدت:

طَابَ لَيْلِي وَطَابَ فِيهِ شَرَابِي

وبينا أنا أقول^(٤):

مَا لِقَلْبِي كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنِّي

إذ قلت:

أَيْنَ مَنْ كَانَ مُوعِدًا لِي بِأَتِي

فلو أن هذا الفاضل قضى حقنا بالزيارة عند قدومنا أو الاستزارة، لكان في الضرب أحسن، وفي طريق المعاشرة أذهب، لا، ولكنه وعد بالمباراة أولاً، وهددنا بالمسائل ثانياً، وأخلف بالتخلف ثالثاً؛ فأبلغ وجددي إليه، وأعرض شوقي عليه، وقل له إن كنت ندمت على النضال، فلا تتقدم على الإفضال، فإن طويّتنا حيث الجهاد،

(١) البنود: الأعلام والرايات.

(٢) العوار: العيب. والطوار: الحوْم حول الشيء.

(٣) برعني: غلبي. والإيماء: الإشارة.

(٤) هو صدر بيت لعمر بن أبي ربيعة، والبيت بتمامه:

مَا لِقَلْبِي كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنِّي وَعَظَامِي أَخَالُ فِيهِنَّ فَتْرَا

(ديوانه) ٢٢٣/١.

فانشُرنا حيثُ الوداد، وإن لم تَلَقْنَا في باب المكاشره^(١)، فَأَتِنَا من بابِ المعاشرة.

كتاب منه للإمام سهل بن محمد

وله إلى الإمام أبي الطيب سهل بن محمد: قد كان الشيخُ يَعُدُّني عن هذه الحضرة عِدَاتٍ أَشَمَّ لها الأنف، لا ذهاباً بتلك الفواضل عنها، لكن استحالةً من هذا الزمان أنْ يجودَ بها؛ فحين أَسْرَفْتُ على الحَضرةِ ما جَت إليّ أمواجُ الشرف منها، وخلص إليّ نسيمُ الكرم عنها، وأتَحَفَّنِي على رسم الإجلال بمركوبِ شامخ، ومركب ذهبٍ سابغ، وجَنِبِ^(٢) شرف زائد؛ وسرْتُ بحمد الله محفوظاً بأعيانِ الكتاب، وعيون الرجال، حتى شافَهُتُ بِسَاطِ العزِّ، مستقبلاً مَلِكَ الشرق أَدَامَ الله عُلُوَّهُ، فجذب بَضْبَعِيَّ عن أَرْضِ الخدمة، إلى جوارِ وليِّ النعمة، حرس الله مكانه، فاهتَزَّ اهتزازاً فَاتِ سِمَةِ الإكرام، وتجاوز اسمَ الإعظام إلى القيام، فقبلت من يُنْهَاهُ مِفْتَاحَ الأرزاق، وفتَّاح الآفاق، ولحقت منه بقاب العقاب^(٣)، وخاطبني بِمُخَاطَبَاتٍ نَشَدْتُ بها ضالَّةَ الكرام، وهلمَّ جَرَا إلى ما تبعها من جميل الإنزال، وسِنِّي الأجزاء^(٤).

وطرأت من الشيخ العميد على شَخْصٍ يَسَعُهُ الخاتم، ولا يَسَعُهُ العالم، ويهتَزُّ عند المكارم كالغصن، وثبت عند الشدائد كالرُكْن، وسلطانٍ يحلم حِلْمَ السيفِ مُغْمِداً، ويغضب مجرداً، فهو عند الكرم لَيِّنٌ كَصَفْحَتِهِ، وعند السياسة خَشِنٌ كَشَفَرَتِهِ، وملك يأتي الكرم نيةً، والفضل سحابةً، ويفعل الشرَّ كُلُّفَةً أو خطيئةً، فهو ضَرُورٌ بِآلاتِهِ، نَفُوعٌ بِذَاتِهِ، عطارِد قَلَمِهِ ودَوَاتِهِ، والمريخ سَبْقُهُ وَقَنَاتُهُ؛ عَيْبُهُ أَنْ لَا عَيْبَ فِيهِ، فيصرف عَيْنَ الكمال عن معاليه.

وصادفت من الشيخ الموفق أَيْدَهُ الله مَلَكاً يُشَاهِدُ عَيْنَانَا، وجبلاً قد سُمِّيَ إنساناً، وحسنًا قد مُلِيَءَ إحساناً، وأسدًا قد لُقِّبَ سلطاناً، وبَحْرًا قد أَمْسَكَ عِنَاناً، وَحَطَطْتُ رَحْلِي بفناء الأمير الفاضل أبي جعفر أَدَامَ الله عِزَّهُ، فوجدت حكمي في ماله أَنْفَذَ من حكمه، وقَسَمِي من غِنَاهُ أَوْفَرَ من قَسَمِهِ، واسمِي في ذاتِ يده مُقَدِّمًا على اسمِهِ؛ وَيَدِي إلى خزانته أَسْرَعَ من يَدِهِ، وإن قصدت أَنْ أَفْرِدَ لَكَ مدحاً، وأعير الجملة شرحاً، أَطَلْتُ، فَهَلُمَّ جَرَا إلى ما افتتحت الكتاب لأجله.

(١) المكاشره: من كاشره إذا ضحك في وجهه وبأسطه.

(٢) الجنب (في الأصل): الفرس تجنبه مع الذي تركبه، لتركه إذا تعب المركوب.

(٣) قاب العقاب: هو ييضه الذي يُضرب به المثل في عِزَّة المنال.

(٤) الأجزاء: النعم الجزيلة، وَسَيِّئُهَا: شريفها.

ورد للخوارزمي كتاب يتقلب فيه على جنب الحرد^(١)، ويتقلب على جمر الضجر، ويتأوه من خمار الخجل^(٢)، ويتعثر في أذيال الكلل، ويذكر أن الخاصة قد علمت لأينا كان الفلج^(٣)، فقلت: است البائن أعلم، والخوارزمي أعرف، والأخبار المتظاهرة [أعدل، والآثار الظاهرة] أصدق، وحلبة السباق أحكم، وما مضى بيننا أشهد، والعود إن نشط أحمد، ومتى استزاد زدنا، وإن عادت العقرب عُدنا، وله عندي إذا ما شاء، كل ما شاء!

وهي طويلة فيها هنات صُنْتُ الكتاب عنها، وقد أعادَ البديع معنى قوله في صدر حكايته مع الخوارزمي، فقال في رقعة كتبها إلى سعيد الإسماعيلي، وقد وقفت به الضرورة على تلك الصورة من سلب العرب ماله:

كتاب منه للإسماعيلي

كتابي، بل رُفعتي، أطال الله بقاء الشيخ، وقد بكرت عليّ مُغِيرَةُ الأعراب، كمهلل، وربيعة بن مُكْدَم، وعتيبة بن الحارث بن هشام، وأنا أحمد الله إلى الشيخ الفاضل، وأذمُّ الدهر؛ فما ترك من فِضَّةٍ إلَّا فَضَّها، ولا ذهبٍ إلَّا ذَهَبَ به، ولا عِلْقٍ إلَّا عَلَقَه^(٤)، ولا عَقَارٍ إلَّا عَقَرَه، ولا ضَيْعَةٍ إلَّا أَضَاعَها، ولا مالٍ إلَّا مالَ إليه، ولا سَبَدٍ إلَّا اسْتَبَدَّ به، ولا لَبَدٍ إلَّا لَبَدَ فيه، ولا بَرَّةٍ إلَّا بَرَّها^(٥)، ولا عاريةٍ إلَّا ارتجعها، ولا وِدِيعَةٍ إلَّا انتزعها، ولا خِلْعَةٍ إلَّا خلعها، وأنا داخلٌ نيسابور ولا حِلْيَةٍ إلَّا الجلدة، ولا بُرْدٌ إلَّا القِشْرَةُ، والله وليُّ الخلف يُعَجِّلُه، والفرج يُسَهِّلُه، وهو حَسْبِي ونعم الوكيل.

وليس البديع بأبي عذرة هذا الخطاب، وسترى نظير هذا المعنى في هذا الكتاب.

- (١) الحَرْدُ: الغَضَبُ، وقيل: هو داء يصيب عصب الإبل، فيضطرب مشيها. وانحرد فلان وتحرد: انفرد أو تنحى.
- (٢) الخُمَار (من الناس): خَمَارُهُم، أي جماعتهم وكثرتهم، وخُمَار الخمر: ما يصيب شاربها من ألمها وصداعها.
- (٣) الفَلَجُ: الظفر والغلبة.
- (٤) العِلْقُ: الشيء النفيس الذي يَضُنُّ به، وعلقه: أي أخذه.
- (٥) بَرَّها: سلبها وغلب عليها.

ومن إنشائه في مقامات أبي الفتح الإسكندري

المقامة الفزارية للبديع

قال: حَدَّثَنِي عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: كُنْتُ فِي بَعْضِ بِلَادِ بَنِي فَزَارَةَ مَرْتَحِلاً نَجِيَّةً، وَقَائِداً جَنِيَّةً، يَسْبَحَانِ سَبْحاً، وَأَنَا أَهِيْمُ بِالْوَطَنِ، فَلَا اللَّيْلُ يَكْتِنِي بِوَعِيدِهِ، وَلَا الْبُعْدُ يُدْنِي بِيَدِهِ، وَظَلَلْتُ أَخْطِ رِيقَ النَّهَارِ، بِعَصَا التَّسْيَارِ، وَأُخَوِّضُ بَطْنَ اللَّيْلِ، بِحَوَافِرِ الْخَيْلِ، فَبَيْنَا أَنَا فِي لَيْلَةٍ يَضِلُّ بِهَا الْعَطَاطُ^(١)، وَلَا يُضَيَّرُ بِهَا الْوَطُوطُ، أَسْبَحُ وَلَا سَاحُ إِلَّا السَّيْعُ، وَلَا بَارِحُ إِلَّا الضُّيْعُ، إِذْ عَنِ لِي رَاكِبٌ تَامَ الْآلَاتِ، يَطْوِي مَشُورَ الْقَلَوَاتِ، فَأَخْذَنِي مِنْهُ مَا يَأْخُذُ الْأَعَزَّكَ مِنْ شَاكِي السَّلَاحِ، لَكِنِّي تَجَلَّدْتُ فَقُلْتُ: أَرْضَكَ لَا أُمُّ لَكَ! فَدُونَكَ شَرُّطُ الْحِدَادِ، وَخَرُّطُ الْقَتَادِ^(٢)، وَخَصْمُ ضَخَمٍ، وَحِمِيَّةُ أَزْدِيَّةٍ، وَأَنَا سَلِمٌ إِنْ شِئْتُ، وَحَرْبٌ إِنْ أَرَدْتُ، مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: سَلَمًا أَصَبْتُ، قُلْتُ: خَيْرًا أَجَبْتُ، قُلْتُ: فَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: نَصِيحٌ إِنْ شَاوَرْتُ، فَصِيحٌ إِنْ حَاوَرْتُ، وَدُونُ اسْمِي لِنَامٍ، لَا تُصِيطُهُ الْأَعْلَامُ. قُلْتُ: فَمَا الطُّعْمَةُ؟ قَالَ: أَجُوبُ جُيُوبَ الْبِلَادِ، حَتَّى أَقَعَ عَلَى جَفَنَةِ جَوَادٍ، وَلِي فُؤَادٌ يَخْدُمُهُ لِسَانٌ، وَبَيَانٌ يَرْقُمُهُ بَنَانٌ، وَقَصَارَايَ كَرِيمٍ يَنْفُضُ إِلَيَّ حَقِيَّتَهُ، وَيَخَفِّفُ لِي جَنِيَّتَهُ، كَابِنُ حُرَّةٍ طَلَعَ إِلَيَّ بِالْأَمْسِ، طُلُوعُ الشَّمْسِ، وَغَرَبُ عَنِي بِغُرُوبِهَا؛ لَكِنَّهُ غَابَ وَلَمْ يَغِبْ تَذْكَارُهُ، وَوَدَّعَ وَشِيعَتُنِي آثَارُهُ، وَلَا يَنْبُتُكَ عَنْهَا أَقْرَبُ مِنْهَا، وَأَوْمَأَ إِلَيَّ مَا كَانَ يَلْبَسُهُ، فَقُلْتُ: شَحَاذُ رَبِّ الْكَعْبَةِ أَخَاذُ، لَهُ فِي الصَّنْعَةِ نَفَازٌ، بَلْ هُوَ فِيهَا أَسْتَازُ، وَلَا بَدَّ أَنْ تَرُشَّحَ لَهُ وَتَسَحَّ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ لَهُ: يَا فَتَى، قَدْ أَجَلَيْتُ عِبَارَتَكَ، فَأَيْنَ شِعْرُكَ مِنْ كَلَامِكَ؟ فَقَالَ: وَأَيْنَ كَلَامِي مِنْ شِعْرِي! ثُمَّ اسْتَمَدَّ غَرِيظَتَهُ، وَرَفَعَ عَقِيرَتَهُ، بِصَوْتِ مَلَأِ الْوَادِي، وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

وَأَرْوَعَ أَهْدَاهُ لَيْلِي اللَّيْلُ وَالْفَلَا وَخَمَسُ تَمَسُّ الْأَرْضُ لَكِنْ كَلَا وَلَا^(٣)
عَرَضْتُ عَلَى نَسَارِ الْمَكَارِمِ عُدُوَّهُ فَكَانَ مُعَمَّاً فِي السَّوَابِقِ مُخَوِّلاً
وَحَادَعْتُهُ عَنْ مَالِهِ فَخَدَعْتُهُ وَسَاهَلْتُهُ فِي بَرِّهِ فَتَسَهَّلَا

(١) الغطاط: القطا، وهو مضرب المثل في الهداية، فيقال: «أهدى من قطاة» (الميداني، مجمع الأمثال: ٤٠٩/٢).

(٢) القتاد: نبات صلب له شوك كالإبر.

(٣) كلا ولا: يريد في غاية السرعة، كسرعة النطق بلفظ «لا».

وَلَمَّا تَجَالَيْنَا وَأَحْمَدَ مَنْطِقِي بَلَانِي فِي نَظْمِ الْقَرِيضِ بِمَا بَلَا^(١)
فَمَا هَزَّ إِلَّا صَارِمًا حِينَ هَزَّنِي وَلَمْ يَلْقَنِي إِلَّا إِلَى السَّبْقِ أَوَّلًا^(٢)
فَلَمْ أَرَهُ إِلَّا أَعْرَّ مُحَجِّبًا وَمَا تَحْتَهُ إِلَّا أَعْرَّ مُحَجَّلًا

فقلت: على رسلك يا فتى، ولك مما يصحبني حكمك. فقال: الجنية، قلت: إن^(٣) وما عليها. ثم قبضت بجُمُعِي عليه، وقلت: لا والله الذي ألهمها لَمْسًا، وشقها من واحدة خَفْسًا، لا تُزِيلُنَا أَوْ نَعْلَمَ عِلْمُكَ، فَحَدَّرَ لِثَامَهُ عَنْ وَجْهِهِ، فإِذَا وَاللَّهِ شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ الْإِسْكَندَرِي، فَمَا لَبِثْتُ أَنْ قُلْتُ:

تَوَشَّحْتَ أَبَا الْفَتْحِ بِهَذَا السِّيفِ مُخْتَالًا^(٤)
وَمَا تَصْنَعُ بِالسِّيفِ إِذَا لَمْ تَكُ قَتَّالًا؟
[فَصُغْ مَا أَنْتَ حَلِيَّتَ بِهِ سَيْفَكَ خُلْخَالًا]

[من طرف الأدب]

بين عبد الله بن الزبير بن العوام وشاعر

وعلى ذكر قوله: «إِنَّ وَمَا عَلَيْهَا» قال أبو عبيدة: وَفَدَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرِ الْأَسَدِي^(٥) على عبد الله بن الزَّبِيرِ بن العوام فقال: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ رَحِمًا مِنْ قَبْلِ فَلَانَةِ الْكَاهِلِيَّةِ؛ هِيَ أُخْتُنَا، وَقَدْ وَلَدْتَكُمْ، وَأَنَا ابْنُ فَلَانٍ؛ فَلَانَةُ عَمَّتِي. فقال ابنُ الزَّبِيرِ: هَذَا كَمَا ذَكَرْتُ، وَإِنْ فَكَّرْتُ فِي هَذَا أَصَبْتُ، النَّاسُ كُلُّهُمْ يَرْجِعُونَ إِلَى أَبِي وَاحِدٍ، وَأُمٍّ وَاحِدَةٍ. فقال: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ نَفَقَتِي قَدْ ذَهَبَتْ. قال: مَا كُنْتَ ضَمَنْتَ لِأَهْلِكَ أَنَّهَا تَكْفِيكَ إِلَى أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِمْ. قال: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ إِنْ نَاقَتِي قَدْ نَقِبْتُ وَدَبَّرْتُ^(٦). فقال له:

(١) بلاني: اختبرني، امتحنني.

(٢) الصارم: السيف القاطع.

(٣) إن، هنا بمعنى نعم.

(٤) تَوَشَّحَ بِالسِّيفِ: تَقَلَّدَهُ.

(٥) هو أبو كثير، عبد الله بن الزبير بن الأشم بن أسد بن خزيمة: شاعر مكثر مجيد، من شعراء الدولة الأموية، ومن المتعصبين لها. عُمي آخره عمره، ومات في خلافة عبد الملك بن مروان سنة ٧٥ هـ / ٦٩٥ م. (الأصفهاني، الأغاني: ٢٠٨/١٤؛ البغدادى، خزنة الأدب: ٢٦٤/٢).

(٦) نقبت: رَقَّ خُفُّهَا. ودبرت: أصابتها قرحة.

أُنْجِدْ بِهَا يَبْرُذُ خَفْهَآ، وَارْقَعْهَا سِبْتٌ، وَاخْصِفْهَا بِهْلَبٍ^(١)، وَسِرِّ عَلَيْهَا الْبَرِيدِينَ. قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّمَا جِئْتُكَ مُسْتَحْمِلًا، وَلَمْ أَتِكَ مُسْتَوْصِفًا^(٢)، لَعَنَ اللَّهُ نَاقَةَ حَمَلْتَنِي إِلَيْكَ. قَالَ ابْنُ الزَّيْبِرِ: إِنَّ وَرَاكِهَهَا! فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ:

أَرَى الْحَاجَاتِ عِنْدَ أَبِي خُبَيْبٍ نَكِيدُنَ، وَلَا أُمِّيَّةَ فِي الْبِلَادِ^(٣)
مِنَ الْأَعْيَاصِ أَوْ مِنْ آلِ حَرْبٍ أَغْرَ كَغُرَّةِ الْفَرَسِ الْجَوَادِ
وَمَالِي حِينَ أَقْطَعُ ذَاتَ عِرْقٍ إِلَى ابْنِ الْكَاهِلِيَّةِ مِنْ مَعَادِ^(٤)
وَقُلْتُ لِصُحْبَتِي أَذْنُوا رِكَابِي أَفَارِقُ بَطْنَ مَكَّةَ فِي سَوَادِ

فبلغ شعره هذا عبد الله بن الزبير، فقال: لو علم أن لي أمًا أحسن من عمته الكاهلية لنسبني إليها، وكان ابن الزبير يكنى أبا بكر وأبا خبيب.

فرس ابن الزيات

قال الصولي: أخذ المعتصم من محمد بن عبد الملك الزيات فرساً أشهب أحتم، كان عنده مكيناً، وكان به ضنيناً، فقال يرثيه:

قَالُوا: جَزَعْتَ، فَقُلْتُ: إِنَّ، مُصِيَّةٌ جَلَّتْ رَزِيئَتُهَا، وَضَاقَ الْمَذْهَبُ
قَالَ أَبُو بَكْرٍ: هَكَذَا أَتَشْدِيهِ ابْنُ الْمُعْتَرِ عَلَى أَنْ (إِنَّ) بِمَعْنَى نَعَمْ، وَأُنْشِدَ النُّحَوِيُّونَ:
قَالُوا: كَبُرْتَ، فَقُلْتُ: إِنَّ، وَرُبَّمَا ذَكَرَ الْكَبِيرُ شَبَابَهُ فَتَطَرَّبَا

* * *

كَيْفَ الْعَزَاءُ وَقَدْ مَضَى لِسِيلِهِ عَنَّا فَوَدَعْنَا الْأَحْمُ الْأَشْهَبُ^(٥)
دَبَّ الْوُشَاةُ فَبَاعَدُوهُ، وَرُبَّمَا بَعْدَ الْفَتَى وَهُوَ الْحَبِيبُ الْأَقْرَبُ^(٦)

(١) السبت: الجلد المدبوغ. والهلب: الشعر، وقيل: شعر الخنزير خاصة.

(٢) مستحماً: طالباً أن تحملني بأن تعطيني ركوبة، ومستوصفاً: أي طالباً منك أن تصف الدواء.

(٣) نكد الأمر: عسر، ونكد عيشه: اشتد، ونكد الشيء: نزر.

(٤) ذات عرق: موضع.

(٥) الأحم: الأسود. والأشهب: الذي يخالط بياض شعره سواد.

(٦) دبّ الوشاة: سعوا بالنميمة ونحوها، يقال: دبّت عقاربها، أي: سرت نائمته.

اللَّهُ يَوْمَ غَدَوْتُ فِيهِ ظَاعِنًا وَسَلَيْتُ قُرْبَكَ، أَيَّ عَلَيَّ أَسْلَبُ^(١)؟
 نَفْسِي مُقْتَنِمَةٌ أَقَامَ فَرِيقُهَا وَمَضَى لِطَيْئِهِ فَرِيقٌ يُجْنَبُ^(٢)
 الْآنَ إِذْ كَمَلْتُ أَدَاتَكَ كُلَّهَا وَدَعَا الْعُيُونُ إِلَيْكَ حَسَنٌ مُعْجَبُ^(٣)
 وَغَدَوْتُ طَنَانِ اللَّجَامِ كَأَنَّمَا فِي كُلِّ غُضْبٍ مِنْكَ صَنْجٌ يَضْرَبُ^(٤)
 وَكَأَنَّ سَرَجَكَ، إِذْ عَلَاكَ، غَمَامَةٌ وَكَأَنَّمَا تَحْتَ الْغَمَامَةِ كَوَكَبُ
 أَنْسَاكَ؟ لَا زَالَسْتُ إِذَا مَسْبِيَةٌ نَفْسِي، وَلَا بَرَحْتُ بِمِثْلِكَ تُنَكَّبُ
 أَضْمَرْتُ مِنْكَ الْيَأْسَ حِينَ رَأَيْتَنِي وَقُوَى حِبَالِي مِنْ حِبَالِكَ تُقْضَبُ
 يَا صَاحِبِي لِمِثْلٍ ذَا مِنْ أَمْرِهِ صَحِبَ الْفَتَى فِي دَهْرِهِ مِنْ يَصْحَبُ
 إِنْ تُسْعِدَا فَصْنِيعَةٌ مُشْكُورَةٌ أَوْ تَخْذُلَا فَصْنِيعَةٌ لَا تَذْهَبُ
 عَوْجًا فَقُولَا: مَرْحَبًا، وَتَزُودَا نَظْرًا، وَقَلَّ لِمَنْ تُحِبُّ الْمَرْحَبُ
 مَنَعَ الرِّقَادَ جَوَى تَضَمَّنَهُ الْحَشَى مِمَّا أَكَابَدُهُ وَهَمُّ مُنْصَبُ^(٥)

[المزاح]

بين الحجاج وابن القرية

قال الحجاج بن يوسف لابن القرية: ما زالت الحكماء تَكَرَّهُ الْمُزَاحَ، وَتَنْهَى عَنْهُ،
 فَقَالَ: الْمُزَاحُ مِنْ أَذْنَى مَنَازِلِهِ إِلَى أَفْصَاهَا عَشْرَةُ أَبْوَابٍ: الْمُزَاحُ أَوَّلُهُ فَرَحٌ، وَآخِرُهُ تَرْحٌ.
 المزاح نقاض السفهاء، كالشعر نقاض الشعراء. والمزاح يُوغِرُ صَدْرَ الصديق، وينقِرُ
 الرفيق. والمزاح يُبْذِي السرائر؛ لأنه يظهر المعايير. والمزاح يُسْقِطُ المروءة، ويُبْذِي
 الخنى^(٦). لَمْ يَجَرَّ الْمَزْحَ خَيْرًا، وَكَثِيرًا مَا جَرَّ شَرًّا. الغالب بالمزاح وَاتِرٌ، والمغلوب به
 ناثِر. والمزاح يجلب الشتمَ صغيره والحربَ كبيره، وليس بعد الحرب إلا عفوٌ بعد قدرة.

فَقَالَ الْحَجَّاجُ: حَسْبُكَ، الْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ عَفْوٍ مَعَهُ قُدْرَةٌ.

- (١) العَلَقُ: النفيس.
- (٢) الطَّيَّةُ: الجهة، أو الناحية البعيدة، والطَّيَّةُ: النِّيَّةُ، والحاجة.
- (٣) الأداة: الآلة، وأداة السرج: عُدَّتُهُ.
- (٤) الصَّنَجُ: آلة موسيقية ذات أوتار.
- (٥) الجوى: شدة الوجد في عشقٍ أو حزن. أكابده: أقاسيه، أعانيه. والمُنْصَبُ: المُتْعِبُ.
- (٦) الخنى: الفحش في الكلام.

خالد بن صفوان يبين مساوئ المزاح للوراق في هذا المعنى

وذكر المزاح بحضرة خالد بن صفوان فقال: يُنْشِقُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ مِثْلَ الْخَرْدَلِ، وَيُفْرَغُ عَلَيْهِ مِثْلَ الْمِرْجَلِ^(١)، وَيَرْمِيهِ بِمِثْلِ الْجَنْدَلِ^(٢). ثم يقول: إنما كنت أمزح!

أخذ هذا المعنى محمود بن الحسين الوراق فقال:

تَلَقَّى الْفَتَى يَلْقَى أَخَاهُ وَخِذْنَهُ فِي لَحْنٍ مُنْطِقِهِ بِمَا لَا يُغْفَرُ
وَيَقُولُ: كُنْتُ مُمَازِحاً وَمُتَلَاعِباً هَيْهَاتَ نَارِكَ فِي الْحَشَى تَتَسَعَّرُ!
أَوْ مَا عَلِمْتُ وَكَانَ جَهْلُكَ غَالِباً أَنَّ الْمُزَاحَ هُوَ السَّبَابُ الْأَصْفَرُ

فقر في هذا النحو لأهل العصر وغيرهم

المزاحمة تذهب بالمهابة، وتورث الضغينة. الإفراط في المزاح مجون، والاقتصاد فيه ظرف، والتقصير عنه ندامة. أوكد أسباب القطيعة المرء والمزاح.

لابن المعتز

ابن المعتز - من كثر مُزَاحُهُ لم يَخُلْ من استخفاف به أو حقدٍ عليه.

لابن القرية

قال أيوب بن القرية: الناس ثلاثة: عاقل، وأحمق، وفاجر؛ فالعاقل الدِّينُ شريعته، والحلم طبيعته، والرأي الحسنُ سجيته؛ إن سُئِلَ أَجَابَ، وإن نَطَقَ أَصَابَ، وإن سَمِعَ الْعِلْمَ وَعَى، وإن حَدَّثَ رَوَى. وأما الأحمق فإن تَكَلَّمَ عَجِلَ، وإن حَدَّثَ وَهَلَ^(٣)، وإن اسْتَنْزَلَ عَنْ رَأْيِهِ نَزَلَ، فإن حُمِلَ عَلَى الْقَبِيحِ حَمَلَ. وأما الفاجر فإن اتَّصَمَتْهُ خَانِكُ، وإن حَدَّثَتْهُ شَانِكُ، وإن وثقت به لم يَرْعَكَ، وإن استُكِّمَ لم يَكْتُمَ، وإن عَلِمَ لم يعلم، وإن حَدَّثَ لم يفهم، وإن فُكَّه لم يفقه.

[الطيرة والزجر]

في التفاؤل لأبي حية النميري

قال أبو حية النميري^(٤):

(١) المِرْجَلُ: القِدْرُ من الطين المطبوخ أو النحاس، ومنه يقال: جاشت مراحله: اشتد غضبه.

(٢) الجندل: الصخرة.

(٣) وهل: غلط ونسي.

(٤) هو أبو حية، الهيثم بن الربيع بن زرارة، من بني نمير بن عامر: شاعر فصيح، مقصد راجز، من =

جَرَى يَوْمَ رُحْنَا عَامِدِينَ لِأَرْضِنَا
 فَهَابَ رَجَالٌ مِنْهُمْ فَتَعَيَّوْا
 عُقَابَ بِأَعْقَابٍ مِنَ الدَّارِ بَعْدَمَا
 وَقَالُوا: حَمَامَاتٍ، فَحُمَ لِقَاؤُهَا
 وَقَالَ صَحَابِي: هُذُودٌ فَوْقَ بَانِيَّةٍ،
 وَقَالُوا: دَمٌ، دَامَتْ مَوَائِقُ بَيْنَنَا
 لَعَيْنَاكَ يَوْمَ الْبَيْنِ أَسْرَعُ وَكَفَأُ
 وَنِسْوَةٌ شَحْشَاحٍ غَيُورٍ يَخْفَنُهُ
 يَقُلْنَ، وَمَا يَذْرِيْنِ أَتَى سَمْعُهُ
 أَهَذَا الَّذِي غَنَى بِسَمَرَاءَ مَوْهِنًا
 إِذَا مَا تَغَنَّى أَنَّ مِنْ بَعْدِ زَفَرَةٍ
 وَقَائِلَةٍ: يَا دَهْمَ وَيَحَاكِ! إِنَّهُ
 فَلَوْ أَنَّ قَوْلًا يَجْرَحُ الْجِلْدَ قَدْ بَدَا
 وَهَذَا مِنْ غَرِيبِ الزَّجْرِ مَلِيحِ التَّفَاوُلِ.

مما ينسب لذي الرمة

قال أبو العباس محمد بن يزيد: أنشدني أعرابي في قصيدة ذي الرمة التي أولها:

- = أهل البصرة، ومن مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. أخذ عن الفرزدق، وتعصب له، ومدح الخلفاء جميعاً في عصره. واشتهر بالكذب والبخل. توفي نحو ١٨٣ هـ / ٨٠٠ م. (ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٦٥٨/٢؛ ابن المعتز، طبقات الشعراء: ١٤٣).
- (١) السنيحُ والسانح: الطائر أو الظبي يَمُرُّ من ميسرك إلى ميامنك، والعرب يتيمنون به.
 - (٢) حُمُ اللقاء: دنا، قَرَّبَ. والطليحُ: المُعْنَى، والمهزول، والمجهود (على وزن فعيل بمعنى مفعول).
 - (٣) الفنن: الغصن.
 - (٤) أشاح وجهه أو بوجهه عنه: أعرض مُبْدِئاً كُرْهاً أو ازدراءً.
 - (٥) عُنَّةٌ: لعله أراد «عُنَّةً»، وهي صوت يخرج من الخيشوم.
 - (٦) قُروح: جُروح.

أَلَا يَا أَسْلَمِي يَا دَارَمِي عَلَى الْبَلَى وَلَا زَالَ مُنْهَلًا بِجَرَعَائِكَ الْقَطْرِ^(١)

بيتين لم يروهما الرواة في ديوانه، وهما:

رَأَيْتُ غُرَابًا سَاقِطًا فَوْقَ قَضْبَةٍ من القَضْبِ لَمْ يَبْتِ لَهَا وَرَقٌ خُضِرُ^(٢)
فَقُلْتُ: غُرَابٌ لِإِغْتِرَابٍ، وَقَضْبَةٌ لِقَضْبِ النَّوَى هَذَا الْعِيفَةُ وَالزَّجَرُ

وقال آخر:

دَعَا صُرْدٌ يَوْمًا عَلَى غُضْنٍ بَانَةٍ وَصَاحَ بِذَاتِ الْبَيْنِ مِنْهَا غُرَابُهَا^(٣)
فَقُلْتُ: أَتَصْرِيدُ وَشَحَطٌ وَغُرْبَةٌ؟ فَهَذَا لَعْمَرِي نَأْيُهَا وَاعْتِرَابُهَا^(٤)

عادة الجاهلية والنهي عنها

وقد أكرت العرب من ذكر الطيرة، والزجر، وكانت تقتدي بذلك وتجري على حكمه، حتى ورد النهي في سنة رسول الله ﷺ فقال: لَا عَدْوَى وَلَا طِيرَةَ، وقد قال الأول:

لَعْمَرُكَ مَا تَذْرِي الصُّوَارِبُ بِالْحَصَى وَلَا زَاجِرَاتُ الطَّيْرِ مَا اللَّهُ صَانِعُ
وقال ضابئ بن الحارث البرجمي^(٥):

وَمَا عَاجِلَاتُ الطَّيْرِ، تُذْنِي مِنَ الْفَتَى نَجَاحًا وَلَا عَنْ رَيْثِهِنَّ يَخِيبُ
وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُوطِّنُ نَفْسَهُ عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنُوبُ
وَرُبَّ أُمُورٍ لَا تَضِيرُكَ ضَيْرَةٌ وَلِلْقَلْبِ مِنْ مَحْشَاتِهِنَّ وَجِيبُ^(٦)

(١) مُنْهَلًا: متساقطًا. الجرعاء: الرملة المستوية، لا تنبت شيئاً.

(٢) القَضْب: كل شجرة طالت وبسطت أغصانها.

(٣) الصُّرْدُ: طائر أكبر من العصفور، ضخم الرأس والمنقار، يصيد صغار الحشرات، وكانوا ينشأمون به.

(٤) التصريد: مصدر من صَرَدَ الشيء إذا قَلَّله، وَصَرَدَ شُرْبَةً: تناوله جرعات متفرقة، ومنه: صَرَدَ الإناء: وضع فيه ماء لا يكفي الري. والشحط: البعد.

(٥) هو ضابئ بن الحارث بن أوطاة البرجمي: شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وكان مولعاً بالصيد. حبسه عثمان بن عفان لخبث لسانه، وكثرة شروره. وفي سجنه قال أشعاراً كثيرة، فيها حكم وعبر، وتهديد ووعيد لعثمان، وبقي في السجن إلى أن مات نحو ٣٠ هـ/ ٦٥٠ م. (ابن سلام، طبقات الشعراء: ٢٦٧/١؛ البغدادي، خزنة الأدب: ٨٠/٤).

(٦) تضيره: تضر به، تؤذيه. والوجيب: الخفقان والاضطراب.

للكميت بن زيد

وقال الكميت بن زيد الأسدي^(١):

وَلَا أَنَا مِمَّنْ يَزْجُرُ الطَّيْرَ هُمُهُ أَصَاحُ غُرَابٍ أَمْ تَعْرِضُ ثَعْلَبُ
وَلَا السَّانِحَاتُ الْبَارِحَاتُ عَثِيَّةُ أَمْرٌ سَلِيمُ الْقَرْنِ أَمْ مَرٌّ أَعْضَبُ
وقال شاعر قديم:

لَا يَمْنَعُكَ مِنْ بُغَا ۞ الْخَيْرُ تَعْقَادُ الثَّمَائِمِ
وَلَا التَّشَاوُؤُ بِالْعُطَا سَ وَلَا الثِّيَامُنُ بِالْمَقَاسِمِ
فَلَقَدْ غَدَوْتُ وَكُنْتُ لَا أَغْدُو عَلَى وَاقٍ وَحَاتِمِ^(٢)
فَإِذَا الْأَشَائِمُ كَالْأَيَا مِنْ وَالْأَيَامُنُ كَالْأَشَائِمِ
وَكُنْتُ لَا خَيْرَ وَلَا شَرٌّ عَلَى أَحَدٍ بِدَائِمِ
قَدْ خُطَّ ذَلِكَ فِي الزُّو رِ الْأَوَّلِيَّاتِ الْقَدَائِمِ

لابن كناسة

ولقد أحسن ابن كناسة في رثاء ولده يحيى، أنشده أبو العباس ثعلب:

تَيَمَّمْتُ فِيهِ الْفَالَ حَتَّى رُزْتُهُ وَلَمْ أَذِرْ أَنَّ الْفَالَ فِيهِ يَغِيلُ^(٣)
فَسَيِّئُهُ يَحْيَى لِحَيَا؛ فَلَمْ يَكُنْ إِلَى رَدِّ أَمْرِ اللَّهِ فِيهِ سَيْلُ

بين كثير ورجل نهدي

وروى المدائني قال: خرج كثير من الحجاز يريد مصر، فلما قَرَّبَ منها نزل بمَزل، فإذا هو بِغُرَابٍ عَلَى شَجَرَةٍ بَانَ يَنْتِفِ رِيشُهُ وَيَنْعَبُ؛ فَأَسْرَعَ الرَّحِيلَ، وَمَضَى لَوَجْهِهِ؛ فَلَقِيَهُ

(١) هو أبو المستهل، الكميت بن زيد بن الأخنس الأسدي: شاعر مقدم وخطيب مفوه، وفارس شجاع، وعالم بلغات العرب، وخبير بأيامها وأسابها. عاش في أيام بني أمية، وتشجع لبني هاشم، وقصائده «الهاشميات» من أجود شعره. قتل جند يوسف بن عمر الثقفي سنة ١٢٦ هـ/ ٧٤٤ م، ودفن في موضع يقال له «مكران». (ابن قتيبة، الشعر والشعراء ٢/ ٤٨٥؛ الأصفهاني، الأغاني: ١٠١/ ٢١، ٣٣٨/ ١٦ - ٣٦٠).

(٢) الواقي: الضرد. والحاتم: الغراب.

(٣) الفال: قول أو فعل يُسْتَبْرَ به. وقال رأيُه يَغِيلُ فَيَلًا وَقِيْلًا: أخطأ وضعف.

رجلٌ من بني نَهْد، فقال: يا أخا الحجاز؛ مالي أراك كاسِفَ اللون؟ قال: لا والله إلا في منزلي هذا، فإني رأيتُ غراباً يَتَفَّ ريشه على بانه ويتعَب. قال: أما إنك تطلب حاجة لا تدركها.

فقدم مصر والناس منصرفون من جنازة عزة، فقال:

رَأَيْتُ غُرَاباً سَاقِطاً فَوْقَ بَانِسَةٍ يَتَفُّ أَعْلَى رِيشِهِ وَيُطَايِرُهُ
فَقُلْتُ - وَلَوْ أَنِّي أَشَاءُ زَجَرْتُهُ يَنْفُسِي - لِلنَّهْدِيِّ: هَلْ أَنْتِ زَاجِرُهُ؟
فَقَالَ: غُرَابٌ لَا غُرَابَ مِنَ النَّوَى وَفِي الْبَانِ يَبْنَ مِنْ حَبِيبِ تُجَاوِرُهُ
فَمَا أَعْيَفَ النَّهْدِيُّ، لَا دَرَّ دَرُّهُ! وَأَزْجَرَهُ لِلطَّيْرِ، لَا عَزَّ نَاصِرُهُ

ثم أتى قبر عزة فأناخ به ساعة ثم رحل، وهو يقول:

أَقُولُ وَنَضُّوِي وَاقِفٌ عِنْدَ رَأْسِهَا عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَالْعَيْنُ تَنْفَحُ
فَهَذَا فِرَاقُ الْحَقِّ لَا أَنْ تُزِيرَنِي بِلَادِكَ فَتَلَاءُ الذَّرَاعِيمِ صَيَدَحُ^(١)
وَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي مِنْ فِرَاقِكَ حَيَّةً وَأَنْتِ لَعْمَرِي الْيَوْمَ أَنْأَى وَأُنْزَحُ

لجريت

وقال جريت^(٢):

بَانَ الْخَلِيطُ بِرَامَتَيْنِ فَوَدَّعُوا أَوْ كُلَّمَا نَعَبُوا لِيَيْنِ تَجَزَّعُ^(٣)
إِنْ السَّوَانِحَ بِالضُّحَى هَيَّجْتَنِي فِي دَارِ زَيْنَبَ وَالْحَمَامِ الْوُقْعُ^(٤)

لعوف الراهب

وقال عوف الراهب خلاف هذا:

غَلَطَ الَّذِينَ رَأَيْتَهُمْ بِجَهَالَةٍ يَلْحَوْنَ كُلَّهُمْ غُرَاباً يَنْعَقُ^(٥)

(١) فتلاء الذراعين: قويتهما. وصليح: فرس شديد الصوت.

(٢) جريت بن الخطفي، الديوان: ص ٢٦٧. والبيتان من قصيدة طويلة يهجو بها الفرزدق.

(٣) الخليط: القوم أو الجماعة الذين أمرهم واحد.

(٤) في الديوان: «إِنَّ الشَّوَاهِجَ»، والشوايح: الغربان، من شحج الغراب: صَوَّت.

(٥) يلحون: يُقْبَحُونَ، يشتمون.

ما الذنبُ إِلَّا لِلْأَبَاعِرِ؛ إِنَّهَا مِمَّا يُشْتَبِهُ جَمِيعُهُمْ وَيُفَرَّقُ^(١)
 إِنَّ الْغُرَابَ يُؤْمِنُ بِهِ تَدْنُو النَّوَى وَتُشْتَبِهُ الشَّمْلُ الْجَمِيعَ الْآيُنُقُ^(٢)

لأبي الشيص

وقد تبعه في هذا المذهب أبو الشيص فقال:

مَا فَرَّقَ الْأَجْبَابَ بَعْدَ سَدِّ اللَّوْهِ إِلَّا الْإِبْسِلُ وَالنَّاسُ يَلْحَقُونَ غُرَا
 بَ الْبَيْنِ لَمَّا جَهِلُوا وَمَا عَلَى ظَهْرِ غُرَا
 بَ الْبَيْنِ تُطَوَّى الرَّحْلُ وَلَا إِذَا صَاحَ غُرَا
 بٌ فِي الدِّيارِ احْتَمَلُوا وَمَا غُرَابُ الْبَيْنِ إِلَّا
 سَلَا نَاقَةً أَوْ جَمَلُ

وما أملح ما قال القائل:

زَعَمُوا بَأْنَ مَطِيَّهِمْ عَوْنُ النَّوَى وَلَهَا بِهِمْ سَبَبٌ مِنَ الْأَسْبَابِ
 وَلَوْ أَنَّهَا حَتَفِي لَمَا أَبْغَضْتُهَا

ابن الرومي كان شديد الطيرة

وكان علي بن العباس الرومي مُفْرِطَ الطَّيْرَةِ، شديد الغلو فيها. قال علي بن عبد الله بن المسيب: وكان يحتجُّ لها، ويقول: إن النبي ﷺ كان يُحِبُّ الْفَأَلَ، وَيَكْرَهُ الطَّيْرَةَ؛ أَفْتَرَاهُ كَانَ يَتَفَأَلُ بِالشَّيْءِ، وَلَا يَتَطَيَّرُ مِنْ ضِدِّهِ؟ ويقول: إن النبي ﷺ مرَّ برجل وهو يَرْحَلُ نَاقَةً ويقول: يا ملعونة، فقال: لَا يَصْحَبُنَا مَلْعُونٌ، وَإِنْ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ لَا يَغْزُو غَزَاةً وَالْقَمَرُ فِي الْعَقْرَبِ، وَيَزْعَمُ أَنَّ الطَّيْرَةَ مَوْجُودَةٌ فِي الطَّبَاعِ قَائِمَةٌ فِيهَا، وَأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ هِيَ فِي طَبَاعِهِمْ أَظْهَرَ مِنْهَا فِي بَعْضٍ، وَأَنَّ الْأَكْثَرَ فِي النَّاسِ إِذَا لَقِيَ مَا يَكْرَهُهُ قَالَ: عَلَى وَجْهِهِ مِنْ أَصْبَحَتِ الْيَوْمَ؟

فدخل علينا يوم مهرجان سنة ثمان وسبعين وقد أهدى إلَيَّ عِدَّةً مِنْ جَوَارِي الْقِيَانِ، وَكَانَ فِيهِنَّ صَبِيَّةٌ حَوْلَاءٌ، وَعَجُوزٌ فِي إِحْدَى عَيْنَيْهَا نَكْتَةٌ، فَتَطَيَّرُ مِنْ ذَلِكَ، وَلَمْ يُظْهِرْ لِي

(١) الأباعر: جمع البعير.

(٢) الأيُنُق: جمع الناقة.

أمره، وأقام باقي يومه؛ فلما كان بعد مدة يسيرة سقطت ابنة لي من بعض السطوح، وجفاه القاسم بن عبيد الله؛ فجعل سبب ذلك المعنيين المغنيتين، وكتب إلي^(١):

أَيُّهَا الْمُنْتَحِفِي بِحَوْلٍ وَعُورٍ
قَدْ لَعَمْرِي رَكِبْتَ أَمْرًا مَهِينًا
فَتَحُكَّ الْمَهْرَجَانُ بِالْحَوْلِ وَالْعُورِ
كَانَ مِنْ ذَلِكَ فَقَدْكَ ابْتَنَكَ الْحُدُ
وَتَجَافِي مُؤَمِّلٍ لِي جَلِيلٍ
وَعَزِيزٍ عَلَيَّ تَقْرِيعُ حِلٍّ
غَيْرَ أَنِّي رَأَيْتُ إِذْكَارَهُ الْحَزْ
لَا تَهَاوَنَ بِطَيِّرَةِ أَيُّهَا النَّظُّ
قِفْ إِذَا طَيِّرَةٌ تَلَقَّتْكَ وَانْظُرْ
قَلَمَّا غَابَ مِنْ أُمُورِكَ غُنُورَا
لَا تُكُنْ بِالْهَوَى تُكَذِّبُ بِالْأَخْ
لَا يَقْدُكَ الْهَوَى إِلَى نَصْرَةِ الْأَخْ
إِنَّ عُقْبَى الْهَوَى هُوِيٌّ، وَعُقْبَى
لَا تُصَلِّقْ عَنِ النَّبِيِّينَ إِلَّا
خَبَّرَ اللَّهُ أَنَّ مَشَأَمَةً كَا
أَفْزُورَ الْحَدِيثِ تَقْبُلُ أَمْ مَا
أَنْتَرَى مِنْ يَرَى الْبَشِيرُ بِشِيرًا

أَيْنَ كَانَتْ عَنْكَ الْوُجُوهُ الْحَسَانُ^(٢)
سَاءَنِي فِيكَ أَيُّهَا الْخُلَصَانُ
رِأَانَا مَا أَغْقَبَ الْمَهْرَجَانُ
رَّةً مَصْبُوعَةً بِهَا الْأَكْفَانُ
لَجَّ فِيهِ الْجَفَاءُ وَالْهَجْرَانُ
لَا يُدَانِيهِ عِنْدِي الْخُلَانُ^(٣)
مَ وَإِشْعَارُهُ شِعَارًا بِضَانُ
سَارُ وَاعْلَمَ بِأَنَّهَا عُثْوَانُ^(٤)
وَاسْتَمَعَ ثُمَّ مَا يَقُولُ الزَّمَانُ
نُ مِيسَنُ وَلِلزَّمَانِ لِسَانُ
بَارِ حَتَّى تُهَيِّنَ مَا لَا يُهَانُ
بَارِ حَتَّى يُقَدِّمَ الْبَرْهَانُ^(٥)
طُولَ نَلِكِ الْمَهْوَنَاتِ هَوَانُ^(٦)
بِحَدِيثٍ يَلُوحُ فِيهِ الْبَيَانُ
نَتَ لِقُومٍ وَخَبَّرَ الْقَرَّانُ
قَالَهُ ذُو الْجَلَالِ وَالْفُرْقَانُ؟
يَمْتَرِي فِي النَّذِيرِ يَا وَسْنَانُ^(٧)

(١) ابن الرومي، الديوان: ٢٠٢/٦.

(٢) حول عور: جمع حولاء وعوراء: من كان فيها عيب في عينيها أو في عينيها.

(٣) التقريع: اللوم والتأنيب.

(٤) الطيرة: ما يتشاءم به.

(٥) في الديوان:

قَدْ أَتَى عَنْ نَبِيٍّ حُبُّهُ الْفَأْ
لَ مُضِيئًا بِذَلِكَ الْبُرْهَانُ

(٦) هويٌّ: سقوط.

(٧) يمتري: يئسك. وسنان: نعان.

فَدَعَ الْهَزْلَ وَالتَّضاحَكَ بِالطَّيْرَةِ وَالنَّصْحُ مُثْمَنٌ مَجَّانٌ^(١)

الفرق بين الطيرة والغال

وقد فرَّق حُذَّاقُ أَهْلِ النَّظَرِ فِي الْمَقَالِ، بَيْنَ الطَّيْرَةِ وَالْغَالِ، فَقَالُوا: الطَّيْرَةُ كَانَتْ الْعَرَبُ تَرْجِعُ إِلَى مَا تَمْضِيهَا، وَتَجْرِي عَلَى تَقْضِيهَا، وَكَانَ الَّذِي يَهْتُمُّ بِهِمْ إِذَا مَا رَأَى مَا يَطِيرُ مِنْهُ رَجَعَ عَنْهُ؛ وَفِي ذَلِكَ مَا يَصْرِفُ عَنِ الْإِحَالَةِ عَلَى الْمَقَادِيرِ الْجَارِيَةِ بِيَدِ مُمْضِيهَا، النَّازِلَةِ عَلَى حَكْمِ قَاضِيهَا، وَالْغَالُ لَا يَرِدُّ الْمُرِيدَ عَمَّا يَرِيدُ إِنَّمَا يُقَوِّى مُتَّهَهُ، وَيُسَرُّ مَهْجَتَهُ؛ وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ تَطْوِيلٍ، فِي إِمْرَادِ الدَّلِيلِ.

* * *

من ابن الرومي للقاسم بن عبيد الله

وفي جفاء القاسم بن عبيد الله إياه يقول معاتباً^(٢):

أَلَمْ تَرْنِي أَفْرَضْتُكَ الْوَدَّ طَائِعاً وَلَمْ تَرَ قَلْبِي مُعْسِراً قَطُّ أَفْرَضاً^(٣)
لَعَمْرِي لَقَدْ صَوَّرْتُ أَيْضَ مُشْرِقاً فَلَمْ لَا تُرِينِي وَجْهَ نُعْمَاكَ أَيْضاً
فِيَا وَنَحْ مَوْلَاكَ اسْتَغَاثَ بِمُشْرِبٍ فَأَشْرَقَ فَاسْتَشْفَى شِفَاءً فَأَفْرَضاً^(٤)
وَلَوْ لَا اعْتِقَادِي أَنَّكَ الْخَيْرُ كُلُّهُ لِأَزْمَعْتُ تَوْدِيْعاً، قَضَى اللَّهُ مَا قَضَى^(٥)
وَلِإِنِّي وَإِنْ دَارَتْ عَلَيَّ دَوَائِرُ لِأُعْرِضُ عَمَّنْ صَدَّ عَنِّي وَأَعْرَضاً^(٦)
وَمَا زِلْتُ عَرَّافاً إِذَا الزَادَ رَابِتِي بِخُبْثٍ وَعَيْافاً إِذَا الْمَاءُ عَرْمَضاً^(٧)

وهذا البيت كقول الآخر:

وَإِنِّي لِلْمَاءِ الْمَخَالِطِ لِلْقَذَى إِذَا كُتِّرَتْ وَرَادَهُ لَعِيٌّ—وُفٍّ

(١) أي: أن النصيح ثمين، وهو بلا ثمن.

(٢) ابن الرومي، الديوان: ٢٧/٤ - ٣٢.

(٣) الود والوداد: المحبة والإخلاص.

(٤) أفرض: شرب من المشرع، والمشرع يُسمى الفرضة. وفي الديوان: «فأمرضا».

(٥) في الديوان: «لأجمعت توديعاً»، وأجمعت: صممت وعزمت.

(٦) دارت عليه الدوائر: أحيط به، هُزم.

(٧) عرمض الماء: خبث وعلاه الطحلب. يصف إِبَاءَهُ، فهو يُعرض عن الطعام إن رابه فيه أمر، ويعاف الماء إن أصابه فساد.

ابن الرومي يرثي ابنة المسيبي

وفي ابنة المسيبي يقول ابن الرومي يعزيه^(١):

أَخَا ثِقَتِي أَعَزُّ عَلَيَّ بِنَكْبَةٍ مَنَّاكَ بِهَا صَرَفُ الْقَضَاءِ الْمُقَدَّرِ^(٢)
أُصِيبْتُ، وَمَا لِلْمَرءِ مِنْ حُكْمِ رَبِّهِ مَحِيدٌ، وَأَمْرُ اللَّهِ أَعْلَى وَأَقْهَرُ^(٣)
وَقَدْ مَاتَ مَنْ لَا يَخْلِفُ الدَّهْرُ مِثْلَهُ عَلَيْكَ مِنَ الْأَسْلَافِ وَالْحَقُّ يَهْرُ
تَعَزَّيْتُ عَمَّنْ أَثْمَرْتُكَ حَيَاتُهُ وَوَشَّكَ التَّعَزِّيَ عَنْ ثِمَارِكَ أَجْدَرُ
لِأَنَّ اخْتِيَالَ الدَّهْرِ فِي ابْنٍ وَفِي ابْنَةٍ يَسِيرٌ وَكَرُّ الدَّهْرِ شَيْخِيكَ أَغَرُ^(٤)
تَعَذَّرَ أَنْ نَعْتَاضَ مِنْ أُمَهَاتِنَا وَأَبَائِنَا، وَالنَّسْلُ لَا يَتَعَذَّرُ
فَلَا تَهْلِكُنْ حُزْنًا عَلَى ابْنَةِ جَنَةٍ مَضَتْ وَهِيَ عِنْدَ اللَّهِ تَحِيًّا وَتُحْبَرُ^(٥)
لَعَلَّ الَّذِي أَعْطَاكَ سِنْرَ حَيَاتِهَا كَسَاهَا مِنَ اللَّحْدِ الَّذِي هُوَ أَسْتَرُ
فَكُمُ مِنْ أَخِي حَرِيَةٍ قَدْ رَأَيْتُهُ بِنَارِ ذَوِي الْأَصْهَارِ يَكْوَى وَيُصْهَرُ
فَلَا تَتَّهَمُ اللَّهَ فِيهَا وَلَا يَتَّهَمُ وَلَا نَظَرًا فَاللَّهُ لِلْعَبْدِ أَنْظَرُ
وَأَنْتَ وَإِنْ أَبْصَرْتَ رُشْدَكَ مَرَّةً فَذُو النَّظَرِ الْأَعْلَى بِرُشْدِكَ أَبْصَرُ^(٦)

وله يعزي علي بن يحيى في ابنته

ومن مליح تعازيه عن ابنته قوله لعلي بن يحيى المنجم^(٧):

لَا تَبْعِدَنَّ كَرِيمَةً أَوْدَعْتَهَا صِهْرًا مِنَ الْأَصْهَارِ لَا يُخْزِيكََا
إِنِّي لَا رَجُو أَنْ يَكُونَ صَدَاقُهَا مِنْ جَنَّةِ الْفَرْدَوْسِ مَا يُرْضِيكََا
لَا تَيَاسَنَّ لَهَا فَقَدْ زَوَّجْتَهَا كُفُوا وَضُمَّتِ الصَّدَاقُ مَلِيكََا

(١) ابن الرومي، الديوان: ٥٥/٣.

(٢) في الديوان: «أعز علي بنوثة».

(٣) في الديوان: «محيص». ومحيص: مهرب، محيد.

(٤) في الديوان: «لأن احتيال الدهر».

(٥) في الديوان: «غدثت وهي عند الله تحي وتُحبر». وتُحي: تفضل. وتُحبر: تُسر.

(٦) في الديوان: «فذو المنظر الأعلى».

(٧) ابن الرومي، الديوان: ١٤/٥.

[الرغبة في موت البنات]

لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

لِكُلِّ أَبِي بِنْتٍ يُرْجَى بَقَاؤُهَا ثَلَاثَةُ أَصْهَارٍ إِذَا ذُكِرَ الصُّهْرُ
فَبِنْتُ يُعْطِيهَا، وَبَعْلٌ يَصُونُهَا، وَقَبْرٌ يُوَارِيهَا، وَخَيْرُهُمَا الْقَبْرُ

لعقيل بن علفة

وقال عقيل بن علفة وكان أغير العرب :

إِنِّي وَإِنْ سِيقَ إِلَيَّ الْمَهْرُ أَلْفٌ وَعُبُودَانٌ وَذَوْدُ عَشْرٍ
أَحَبُّ أَصْهَارِي إِلَيَّ الْقَبْرِ

لابن خلف البهراني

ومنه أخذ عبيد الله، قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: دخل علينا ابن خلف

البهراني فأنشدنا :

لَوْ لَا أُمِيمَةٌ لَمْ أَجْزَعْ مِنَ الْعَدَمِ وَلَمْ أَجُبْ فِي اللَّيَالِي حِنْدِسَ الظُّلَمِ^(١)
وَزَادَنِي رَغْبَةً فِي الْعَيْشِ مَعْرِفَتِي أَنَّ الْيَتِيمَةَ يَحْفُوها ذُوو الرَّحِمِ
أَحَاذِرُ الْفَقْرَ يَوْمًا أَنْ يُلَمَّ بِهَا فَيَهْتِكَ السِّتْرَ عَنْ لَحْمٍ عَلَى وَضَمِ^(٢)
تَهْوَى حَيَاتِي وَأَهْوَى مَوْتَهَا شَفَقًا وَالْمَوْتُ أَكْرَمُ نَزَالٍ عَلَى الْحُرَمِ^(٣)

وكانت أُميمة بنت أختها، وكان قد تبناها، ثم غابت غيبة، فسألناه عنها، فأنشد:

أَمَسَتْ أُمِيمَةٌ مَعْمُورًا بِهَا الرَّجَمُ لَدَى صَعِيدٍ عَلَيْهِ الثَّرْبُ مُرْتَكِمِ^(٤)

(١) الحندس: الظلمة، وقيل: الليل الشديد الظلمة.

(٢) الوضم: كل ما يوضع عليه اللحم من خشب أو حصر أو نحو ذلك، يُوقى به من الأرض.

(٣) شَفَقَ منه وعليه شَفَقًا: خاف وحذر، فهو شَفِيقٌ، وَشَفِيقٌ عليه: رَقَ له وعطف عليه، فهو شَفِيقٌ، وَالشَّفِيقُ وَالشَّفِيقَةُ: الرحمة والحنان والخوف من حلول مكروه.

(٤) الرَّجَمُ: الحجارة التي تُوضع على القبر، وقيل: القبر. وارتكمت: اجتمعت.

يَا شِقَّةَ النَّفْسِ، إِنَّ النَّفْسَ وَالْهَةَ
قَدْ كُنْتُ أَخْشَى عَلَيْهَا أَنْ يُؤْخَرَهَا
فَالآنَ نِمْتُ فَلَا هَمَّ يُؤَزِّقُنِي
فَالآنَ نِمْتُ، فَلَا هَمَّ يُؤَزِّقُنِي
لِلْمَوْتِ عِنْدِي أَيَادٍ لَسْتُ أَنْكَرَهَا
حَرَى عَلَيْكَ، وَدَمْعُ الْعَيْنِ مُنْسَجِمٌ^(١)
عَنِي الْحِمَامُ فَيُيَدِّي وَجْهَهَا الْعُدْمُ^(٢)
تَهَذَا الْعَيُونُ إِذَا مَا أَوَدَّتِ الْحُرْمُ^(٣)
بَعْدَ الْهَدْوِ؛ وَلَا وَجْدٌ وَلَا حُلْمٌ
أَحْيَا سُرُوراً وَبِي مِمَّا أَتَى أَلْمُ

[عَوْدٌ إِلَى تَطْيِيرِ ابْنِ الرُّومِيِّ]

بين ابن الرومي وأبي الحسن الأخفش

عادَ ذكر ابن الرومي - وكان أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش غلام أبي العباس المبرّد في عصر ابن الرومي شائباً مترفاً، ومليحاً مستظرفاً، وكان يعبث به، فيأتيه يسحر؛ فيقرع الباب، فيقال له: مَنْ؟ فيقول: قولوا لأبي الحسن مرّة بن حنظلة، فيتطير لقوله، ويقيم الأيام لا يخرج من داره، وذلك كان سبب هجائه إياه، فمن أول ما عاتبه به^(٤):

قُولُوا لِلنَّحْوِينَا أَبِي حَسَنِ
وإِنَّ نَبْلِي إِذَا هَمَمْتُ بِأَنْ
لَا تَحْسِبَنَّ الْهَجَاءَ يَحْفِلُ بِالِ
وَلَا تَحُلْ عَوْدَتِي كَبَادِيَتِي
أَعْرِفْ فِي الْأَشْقِيَاءِ بِي رَجُلًا
يُلِيحُ لِي صَفْحَةَ السَّلَامَةِ وَالسَّ
إِنْ حُسَامِي مَتَى ضَرَبْتُ مَضَى
أُرْمِي نَصَلْتُهَا بِجَمْرِ عَصَا^(٥)
رَفَعَ وَلَا خَفَضَ خَافِضٍ خَفَضَا
سَأَسْعِطُ السَّمَّ مِنْ أَبِي الْحُضَضَا^(٦)
لَا يَنْتَهِي أَوْ يَصِيرُ لِي غَرَضَا
لَسِمَ وَيُخْفِي فِي قَلْبِهِ مَرَضَا^(٧)

(١) انجم الدمع والماء ونحوهما: انصب.

(٢) الحمام: الموت.

(٣) أودت: هلكت.

(٤) ابن الرومي، الديوان: ٥٥/٤.

(٥) نصلتها: جعلت لها نصلاً. والغضا: شجر صلب، يضرب المثل بجمره. وفي الديوان: «متى هَمَمْتُ بِأَنْ».

(٦) الحَضَضُ: دواء يُتَّخَذُ مِنْ أَبْوَالِ الْإِبِلِ.

(٧) المرض هنا: الضغينة والحقد.

أُضْحَى مَغِظاً عَلَيَّ أَنْ غَضِبَ الـ
وَلَيْسَ تُجِدِي عَلَيَّ مَوْعِظَتِي
كَأَنِّي بِالشَّقِيِّ مُعْتَذِراً
يُشْدَنِي الْعَهْدَ يَوْمَ ذَلِكَ وَالـ
لَا يَأْمَنُ السَّفِيهَ بِإِدْرَتِي
عِنْدِي لَهُ السَّوْطُ إِنْ تَلَوَّمْ فِي السـ
أَسْمَعْتُ إِنْ بَاضَتِي أَبَا حَسَنِ
وَهُوَ مُعَافَى مِنَ السَّهَادِ فَلَا
أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ لَا غَفَرْتُ لَهُ

لَهُ عَلَيْهِ، وَنَلْتُ مِنْهُ رِضَا
إِنْ قَدَّرَ اللَّهُ حَيَاتَهُ وَقَضَى
إِنْ الْقِسْوَافِي أَذَقْتُهُ الْمَضْضَا^(١)
عَهْدُ خِضَابٍ إِذَا لَهُ قَبْضَا^(٢)
فَإِنِّي عَارِضٌ لِمَنْ عَارِضَا
يَرِ وَعِنْدِي اللَّجَامُ إِنْ رَكَضَا^(٣)
وَالصَّفْحُ لَا شَكَّ نَصْعُ مِنْ مَحْضَا^(٤)
يَحْمِلُ فَيُمْسِي فِرَاشُهُ قَضْضَا^(٥)
إِنْ وَاحِدٌ مِنْ عُرُوقِهِ نَبْضَا

فاعتذر إليه، وتشفع عنده بجماعة من أهل بغداد - وكان الأخفش أكثر الناس إخواناً -
فقبل عذره، ومدحه بقصيدته التي يقول فيها^(٦):

ذَكَرَ الْأَخْفَشُ الْقَدِيمُ قُلْنَا:
وَإِذَا مَا حَكَمْتُ - وَالرُّومُ قَوْمِي -
أَنَا بَيْنَ الْخُصُومِ فِيهِ غَرِيبٌ
وَمَتَى قُلْتُ بِاطِلًا لَمْ أَلْقُبْ

إِنْ لِأَخْفَشِ الْحَدِيثِ لَفْضًا
فِي كَلَامٍ مُعَرَّبٍ كُنْتُ عَدْلًا
لَا أَرَى الزُّورَ لِلْمُحْسَابَةِ أَهْلًا
فَيَلْسُوفًا وَلَمْ أَسْمَ هِرْقَلًا

* * *

الأخفش القديم هو أبو الخطاب، وكان أستاذ سيويه، وهو من المتقدمين في النحو،

- (١) المضض: الألم.
- (٢) يشدني: يسألني. وفي الديوان: «خِضَابٌ أَذَالَهُ قَضَا». وأذاله: لم يحسن القيام عليه. ونضا: ضعف ونصل لونه.
- (٣) تلوَّمْ: تمهل وتمكث. وركض: أسرع. يقول: إنه يلبس لكل حالة لبوسها، فهو يستعمل السوط لمن أبطأ في سيره، وشدَّ اللجام لمن جمع.
- (٤) إنباضتي: من أبض السهم: أطلقه وله رنين، والمراد هنا: صوتي. ومَحْضٌ فلاناً النصح أو الوذ: أخلصه إياه.
- (٥) القفض: التراب أو صغار الحصى. ويمسي فراشه قَضْضًا: أي لا ينام.
- (٦) ابن الرومي، الديوان: ١٠٧/٥.

وَيُعْرَفُ بِالْأَخْفَشِ الْكَبِيرِ، وَكَانَ فِي عَصْرِ سَيُوبِهِ [أَيْضاً] أَبُو الْحَسَنِ سَعِيدُ بْنُ مَسْعُودَةَ، وَهُوَ الْأَخْفَشُ الصَّغِيرُ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ: كَانَ سَيُوبِيهِ يَعْزِضُ مَا وَضَعَ مِنَ النَّحْوِ عَلَيَّ، وَيَرَى أَنِّي أَعْلَمُ مِنْهُ، وَكَانَ فِي وَقْتِهِ ذَلِكَ أَعْلَمُ مِنِّي.

ثم عاد علي بن سليمان إلى أذاه، واتصل به أن رجلاً عرض عليه قصيدة من شعره فَطَعَنَ عَلَيْهَا، فَقَالَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا^(١):

أَعْتَقْتُ عَبْدِيَّ فِي الْقَرِيضِ مَعَا	عَبْدَةَ وَالْفَحْلَ مِنْ بَنِي عَبْدَةَ
إِن أَنَا لَمْ أَرْمِ بِالْإِسَاءَةِ مَنْ	زَاغَ عَنِ الْقَصْدِ أَوْ أَبَى سُودَةَ ^(٢)
قُلْتُ لِمَنْ قَالَ لِي عَرَضْتُ عَلَى الْ	أَخْفَشِ مَا قُلْتُهُ فَمَا حَمِدَهُ
قَصَّرْتُ بِالشَّعْرِ حِينَ تَعْرِضُهُ	عَلَى مُبِينِ الْعَمَى إِذَا انْتَقَدَهُ
أَشَدَّتْهُ مَنَاطِقِي لِشَهْهَدَهُ	فَغَابَ عَنْهُ عَمَى وَمَا شَهِدَهُ
مَا بَلَغَتْ بِي الْخُطُوبُ رُبَّةَ مَنْ	تَفَهَّمُ عَنْهُ الْكِلَابُ وَالْقِرْدَةُ
وَلَا أَنَا الْمُفْهِمُ الْبَهَائِمَ وَالطَّ	يُرُ سُلَيْمَانُ قَاهِرُ الْمَسْرَدَةِ
فَإِنْ يَقُلْ إِنِّي حَفَظْتُ فَكَالِدِ	فَتَرِ جَهْلًا بِكُلِّ مَا اعْتَقَدَهُ ^(٣)
سَأَسْمِعُ النَّاسَ ذَمَّهُ أَبَدًا	مَا سَمِعَ اللَّهَ حَمْدًا مِنْ حَمِدَةِ

عَبْدَةُ بْنُ الطَّبِيبِ، وَعَلَقْمَةُ بْنُ عَبْدِ الْفَحْلِ، وَكَانَا شَاعِرَيْنِ مَجِيدَيْنِ^(٤)، وَقَالَ عَلَقْمَةُ بْنُ عَبْدِ لَرَجُلٍ وَرَأَى آخَرَ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ وَهُوَ مَعْبَسٌ فِي وَجْهِهِ: إِذَا اعْتَذَرَ إِلَيْكَ الْمَعْتَذِرُ فَتَلْقَهُ بِوَجْهِهِ مُشْرِقٍ، وَيُشْرِ مَطْلَقٌ؛ لِيَنْبَسِطَ الْمَتَذَلِّلُ، وَيُؤْتَمَنَ الْمَتَنَصِّلُ.

ولابن الرومي في الأخفش إفحاش صُنْتُ الْكِتَابَ عَنْهُ.

(١) ابن الرومي، الديوان: ٢/ ٢٤٨.

(٢) في الديوان: «أَوْ أَيْ رَشَدَةَ».

(٣) في الديوان: «إِنِّي رَوَيْتُ».

(٤) عبدة بن الطبيب: شاعر فحل مجيد، من تميم. أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم، وترفع عن الهجاء، لما في تركه من مروءة وشرف. توفي نحو ٢٥ هـ/ نحو ٦٤٥ م. وعلقمة بن عبدة: شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى، ولقب بالفحل تمييزاً له عن علقمة بن سهل الذي كان يطلق عليه «الخصي». صاحب امرأ القيس، وله معه مساجلات، وكان يدوياً لا يآلف الحضر. توفي سنة ٢٠ ق. هـ/ ٦٠٣ م. (الهواري، الشعر والشعراء في كتاب العمدة: ص ١٧٥ و ١٨٨).

من آثار تطير ابن الرومي

قال عليُّ بن إبراهيم كاتب مسروق البلخي: كنت بداري جالساً فإذا حجارة سقطت بالقرب مني، فبادرتُ هارباً، وأمرتُ الغلام بالصعود إلى السطح، والنظر إلى كل ناحية؛ من أين تأتي الحجارة، فقال: امرأةٌ من دارِ ابن الرومي الشاعر! قد تشوّفتُ وقالت: اتقوا الله فينا، واسقونا جرّة من ماء، وإلا هلكنا، فقد مات من عندنا عطشاً.

فتقدّمتُ إلى امرأةٍ عندنا ذات عقل ومعرفة أن تصعدَ إليها وتخطبها، ففعلتُ وبادرتُ بالجرّة، وأتبعْتُها شيئاً من المأكول؛ ثم عادت إليّ فقالت: ذكرت المرأة أن الباب عليها مُقفلٌ من ثلاث بسببِ طيرة ابن الرومي، وذلك أنه يلبس ثيابه كل يوم، ويتعوّذ ثم يصيرُ إلى الباب، والمفتاحُ معه، فيضعُ عينه على ثقب في خشب الباب، فتقعُ عينه على جارٍ له كان نازلاً بإزائه، وكان أحدب يقعد كل يومٍ على بابه، فإذا نظر إليه رجع وخلع ثيابه، وقال: لا يفتح أحدُ الباب.

فعجبتُ لحديثها، وبعثتُ بخادم كان يعرفه، فأمرته بأن يجلس بإزائه - وكانت العينُ تَمِيلُ إليه - وتقدّمتُ إلى بعض أعواني أن يدعُو الجار الأحدب؛ فلما حضر عندي أرسلتُ وراء غلامي؛ لينهض إلى ابن الرومي، ويستدعيه الحضور؛ فإني لجالسٌ ومعِيَ الأحدب إذ وافى أبو حذيفة الطرسوسيّ ومعه برْدعة الموسوس صاحبُ المعتضد، ودخل ابن الرومي، فلما تخطى عتبة باب الصحن عثرَ فانقطع شئعُ نعليه، فدخل مذعوراً؛ وكان إذا فاجأه الناظر رأى منه منظراً يدلُّ على تغيير حال؛ فدخل وهو لا يرى جاره المتطير منه، فقلت له: يا أبا الحسن، أيكون شيءٌ في خروجك أحسن من مخاطبتك للخادم، ونظرك إلى وجهه الجميل؟ فقال: وقد لحقني ما رأيت من العثرة، لأنني فكرت أن به عاهة! وهي قطع أنثيته، قال برْدعة: وشيخنا يتطير؟ قلت: نعم ويقرط، قال: ومن هو؟ قلت: علي بن العباس، قال: الشاعر؟ قلت: نعم، فأقبل عليه وأنشده:

ولَمَّا رَأَيْتُ الدَّهْرَ يُؤْذِنُ صَرْفُهُ بِتَقْرِيقِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْحَبَائِبِ^(١)
رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي فَوَطَّنْتُهَا عَلَى رُكُوبِ جَمِيلِ الصَّبْرِ عِنْدَ النَّوَائِبِ^(٢)

(١) صرف الدهر: حدثانه.

(٢) وطن نفسه على الأمر وله: حملها عليه. والنوائب: المصائب.

وَمَنْ صَحِبَ الدُّنْيَا عَلَى جَوْرِ حُكْمِهَا فَأَيَّامُهُ مَحْفُوفَةٌ بِالمَصَائِبِ^(١)
فَخُذْ خُلْسَةً مِنْ كُلِّ يَوْمٍ تَعِيشُهُ وَكُنْ حَذِيراً مِنْ كَامِنَاتِ العَوَاقِبِ^(٢)
وَدَعْ عَنْكَ ذِكْرَ الفَالِ والزَّجْرِ وَاطْرَحْ تَطْيِيرَ جَارٍ أَوْ تَفَاوُلَ صَاحِبِ

فبقي ابن الرومي باهتاً ينظرُ إليه ولم أدرِ أنه شغل قلبه بحفظ ما أنشده، ثم قام أبو حذيفة وبردعة معه، فحلف ابن الرومي لا يتطير أبداً من هذا ولا من غيره، وأوماً إلى جاره، فقلت: وهذا الفكر أيضاً من التطير، فأمسك، وعجب من جودة الشعر ومعناه، وحسن مأثاه، فقلت له: ليتنا كتبناه؟ قال: اكتبه فقد حفظته، وأملاه عليّ.

من ابن الرومي إلى ابن ثوابة في التطير

ومن شدة حذره، وعظيم تطيره، قوله لأبي العباس بن ثوابة^(٣)، وقد ندبته إلى الخروج إليه وركوب دجلة^(٤):

حَضَضْتُ عَلَى حَطِيي لِتَارِي فَلَا تَدَعْ لَكَ الْخَيْرُ، تَحْذِيرِي شُرُورَ المَحَاطِبِ
وَمَنْ يَلْقَ مَا لَاقَيْتُ فِي كُلِّ مُجْتَمَعِي مِنَ الشُّوكِ يَزْهَدْ فِي الثَّمَارِ الْأَطْيَابِ^(٥)
أَذَاقْتَنِي الْأَسْفَارَ مَا كَرِهَ الْغَنَى إِلَيَّ، وَأَغْرَانِي بِرَفْضِ المَطَالِبِ^(٦)
وَمِنْ نَكْبَةٍ لَاقَيْتُهَا بَعْدَ نَكْبَةٍ رَهْبْتُ اعْتِسَافَ الْأَرْضِ ذَاتِ المَنَاقِبِ^(٧)
فَصَبَّرِي عَلَى الْإِقْتَارِ أَيْسَرُ مَطْلَباً عَلَيَّ مِنَ التَّغْيِيرِ بَعْدَ التَّجَارِبِ^(٨)

- (١) الجور: الظلم. محفوفة بالمصائب: مُحاطة بها، من حف الشيء: استدار حوله وأحذق به، ومنه في الحديث: «حُفَّتِ الجَنَّةُ بالمَكَارِهِ».
- (٢) الخُلْسَةُ: الفُرْصَةُ، أو ما يُخْتَلَسُ.
- (٣) هو أبو العباس، أحمد بن محمد بن ثوابة الكاتب النصراني الأصل. كتب للمعتضد، وكان من الثقلاء البغضاء، وله كلام مُتَهَجَّنٌ مُسْتَقَلٌّ. توفي سنة ٢٧٧ هـ / ٨٩١ م.
- (٤) ابن الرومي، الديوان: ٢١٩ - ٢٣٦. والقصيدة طويلة جداً (٨١ بيتاً).
- (٥) المجتنى: الكسب. والشوك: كناية عن المصاعب. والثمار الأطياب: الطيبة الشهية.
- (٦) كره: أبغض. وأغراني: رَغَّبَنِي. والمطالب: المكاسب.
- (٧) النكبة: النازلة والمصيبة. ورهبت: خفت. واعتساف الأرض: طرق مجاهاها. وذات المناكب: كناية عن وسعها.
- (٨) في الديوان: «وصبري على الإقتار أيسر محملاً». والإقتار: ضيق العيش. وتغيير النفس: تعريضها للهلاك.

- لَقِيتُ مِنَ الْبَرِّ التَّبَارِيحَ بعدما
سُقِيتُ عَلَى رِيٍّ بِهِ أَلْفَ مَطْرَةٍ
وَلَمْ أُبْغِهَا، بَلْ سَاقَهَا لِمَكِيدَتِي
أَبَى أَنْ يُبْغِثَ الْأَرْضَ حَتَّى إِذَا رَمَتْ
سَقَى الْأَرْضَ مِنْ أَجْلِي فَأُضْحَتْ مَرْكَةً
فَمِلْتُ إِلَى خَانَ مُرِثٍ بِنَاؤُهُ
فَمَا زِلْتُ فِي جُوعٍ وَخَوْفٍ وَوَحْشَةٍ
يُورِقُنِي سَقْفٌ كَأَنِّي تَحْتَهُ
يَطْلُلُ إِذَا مَا الطَّيْنُ أَثْقَلَ مَتْنَهُ
وَكَمْ خَانَ سَفَرٍ خَانَ فَاَنْقَضَ فَوْقَهُمْ
وَمَا زَالَ ضَاحِي الْبَرِّ يَضْرِبُ أَهْلَهُ
- (١) لَقِيتُ مِنَ الْبَرِّ التَّبَارِيحَ: التعب والمشقة والأذى. والذوائب: النواصي.
(٢) يَقُولُ: أَمْطَرُ عَلَى غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى الثَّقْبِ حَتَّى بَغَضْتُ الْخَصْبَ وَأَحْبَبْتُ الْجَدْبَ.
(٣) فِي الدِّيَّوَانِ: «وَلَمْ أُسْقِهَا». وَ«تَحَامَقُ دَهْرٌ». وَالْمَكِيدَةُ: الْخَدِيعَةُ. وَتَحَامَقُ الدَّهْرُ: فَسَادُ أَيَّامِهِ وَحَوَادِثِهِ.
(٤) يَبْغِثُ الْأَرْضَ: يَسْقِيهَا الْغَيْثَ، بِمَطَرِهَا. وَفِي الدِّيَّوَانِ: «إِذَا ارْتَمَتْ بِرَحْلِي» وَارْتَمَتْ بِرَحْلِي: رَحَلْتُ. وَالسَّوَاكِبُ: الْغَزِيرَةُ.
(٥) أَزَلْتُ الْأَرْضَ: أَصْبَحْتُ زَلَقَةً، وَتَمَائِلٌ: مَالٌ يَمِينًا وَيَسَارًا. وَالضَّاحِي: الَّذِي لَمْ يَشْرَبْ خَمْرًا، وَالشَّارِبُ: الَّذِي شَرِبَ خَمْرًا حَتَّى سَكَرَ.
(٦) الْخَانَ: مَحَلُّ نَزُولِ الْمَسَافِرِينَ، وَهُوَ النَّزْلُ أَوْ الْفَنْدُقُ. وَالْمُرِثُ: الْبَالِي. وَاللَّهْفَانُ: طَالِبُ الْعَوْنِ. وَاللَّاعِبُ: الْمُتَعَبُ.
(٧) السَّهْرُ الْوَاصِبُ: الدَّائِمُ.
(٨) يُورِقُنِي: يُسَهِّرُنِي. الْوَكْفُ: الْمَاءُ الَّذِي يَرشَحُ فِي سَقْفِ الْبَيْتِ. وَالْمُدْجَنَاتُ الْهُوَاضِبُ: الدَّائِمَةُ الْمَطَرِ.
(٩) فِي الدِّيَّوَانِ: «تَرَاهُ إِذَا مَا الطَّيْبُ». تَصِرُّ: تُصَوَّتُ. وَالْجَنَادِبُ: جَمْعُ جَنْدَبٍ، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْجَرَادِ، وَتَسْمِيهِ الْعَامَّةُ: الْقَبُوطُ.
(١٠) خَانَ السَّفَرِ: خَانَ الْمَسَافِرِينَ. وَخَانَ: غَدَرَ. وَانْقَضَ فَوْقَهُمْ: سَقَطَ عَلَيْهِمْ. وَالْظَلْمَةُ.
(١١) ضَاحِي الْبَرِّ: الْبَرِيَّةُ.

- فَإِنْ فَاتَهُ قَطْرٌ وَثَلَجٌ فَإِنَّهُ
رَهْمِينَ بِسَافٍ تَارَةً وَيَحَاصِبٍ^(١)
فَذَلِكَ بِلَاءُ الْبَرِّ عِنْدِي شَاتِيَا
وَكَمْ لِي مِنْ صَيْفٍ بِهِ ذِي مَثَالِبٍ^(٢)
أَلَا رَبَّ نَارٍ بِالْفَضَاءِ اصْطَلَيْتُهَا
مِنْ الضَّحِّ يُودِي لَفْحُهَا بِالْحَوَاجِبِ^(٣)
فَدَعُ عَنْكَ ذِكْرَ الْبَرِّ إِنِّي رَأَيْتُهُ
لِمَنْ خَافَ هَوْلَ الْبَحْرِ شَرَّ الْمَهَارِبِ^(٤)
وَمَا زَالَ يَبْغِينِي الْحُتُوفَ مُوَارِبَا
يَحُومُ عَلَى قَتْلِي وَغَيْرَ مُوَارِبِ^(٥)
فَطَوَّرَا يُغَادِينِي بِلِصٍّ مُصَلَّتٍ
وَأَمَّا بِلَاءُ الْبَحْرِ عِنْدِي فَإِنَّهُ
وَلَوْ ثَابَ عَقْلِي لَمْ أَدْعُ ذِكْرَ بَعْضِهِ
طَوَّانِي عَلَى رَوْعٍ مَعَ الرُّوحِ وَاقِبِ^(٦)
وَلَكِنَّهُ مِنْ هَوْلِهِ غَيْرُ ثَائِبٍ^(٧)
وَلَمْ لَا وَلَوْ أَلْقَيْتُ فِيهِ وَصْخَرَةً
لَوَافَيْتُ مِنْهُ الْقَعْرَ أَوَّلَ رَاسِبِ^(٨)
وَلَمْ أَعْلَمْ قَطُّ مَنْ ذِي سِبَاحَةٍ
سَوَى الْغَوْصِ وَالْمَضْمُوفِ غَيْرُ مُعَالِبِ^(٩)
وَأَيْسَرُ إِشْفَاقِي مِنَ الْمَاءِ أَنَّنِي
أُثْرِبُهُ فِي الْكُوزِ مَرَّ الْمُجَانِبِ^(١٠)
وَأَخْشَى الرَّدَى مِنْهُ عَلَى كُلِّ شَارِبٍ
فَكَيْفَ بِأَمْنِيهِ عَلَى نَفْسٍ رَاكِبِ^(١١)

أخذه من قول أبي نواس وقد رأى التماسيح بمصرَ أخذَ رجلاً^(١٢):

- (١) سفت الريح التراب: ذرته وحملته، فهي سافية، والتراب: مَنَفِي، وَسَافٍ، وَسَفِي.
- والحاصب: الريح الشديدة تحمل التراب والحصاء.
- (٢) بلاء البرد: مصيبته. والمثالب: جمع مثلب، وهو العيب والاعتياب والشم.
- (٣) الضح: الحرارة المنبعثة من الشمس. ويودي: يذهب. ولفحها: إحراقها.
- (٤) في الديوان: «شر المهاوب»، أي المخاوف.
- (٥) يبغي: يطلب لي. والحتوف: جمع حنف: الموت. والموارب: المخادع والمُنداهي. يحوم: يطوف، أو يحاول.
- (٦) يغاديني: ياكرنني. والشوارب: المشرفون على الماء.
- (٧) البلاء: المصيبة. طواني: هزلي. والروع: الخوف. وواقب: مُتَكَن.
- (٨) ثاب عقلي: رجع إلي.
- (٩) قوله: «وصخرة» أي: لو ألقى فيه مع صخرة.
- (١٠) المضعوف: الضعيف.
- (١١) في الديوان: «فأيسر». وأيسر: أقل. والكوز: الإبريق.
- (١٢) الردى: الموت.
- (١٣) أبو نواس، الديوان: ص ٥٦١.

أَضْمَرْتُ لِلنَّيْلِ هِجْرَانًا وَمَقْلِيَّةً^(١) مُذْ قِيلَ لِي إِنَّمَا التَّمَسَّاحُ فِي النَّيْلِ^(٢)
فَمَنْ رَأَى النَّيْلَ رَأَى الْعَيْنَ عَنْ كَتَبٍ فَمَا أَرَى النَّيْلَ إِلَّا فِي الْبَوَاقِيلِ^(٣)

رجع

أَظْلُ إِذَا هَزَّتْهُ رِيحٌ وَلَأَلَتْ لَهُ الشَّمْسُ أَمْوَاجاً طَوَالَ الْغَوَارِبِ^(٣)
كَأَنِّي أَرَى فِيهِنَّ فُرْسَانَ بِهَمَّةٍ يُلِيحُونَ نَحْوِي بِالسُّيُوفِ الْقَوَاضِبِ^(٤)
فَإِنْ قُلْتُ لِي قَدْ يُرَكَّبُ الْيَمُّ طَامِيًا وَدَجَلَةٌ عِنْدَ الْيَمِّ بَعْضُ الْمَذَانِبِ^(٥)
فَلَا عُذْرَ فِيهَا لِأَمْرِي هَابَ مِثْلُهَا وَفِي اللَّجَّةِ الْخَضِرَاءِ عُذْرٌ لِهَائِبِ^(٦)
لِدَجَلَةٍ خَبٌّ لَيْسَ لِلْيَمِّ؛ إِنَّهَا تَرَاءَى يَحْلُمُ تَحْتَهُ جَهْلٌ وَائِبِ^(٧)
تَطَامِنُ حَتَّى تَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَتَغْضَبُ مِنْ مَرْجِ الرِّيَّاحِ اللَّوَاعِبِ^(٨)
وَلِلْيَمِّ إِنْذَارٌ بِغَوْصِ مُثُونِهِ وَمَا فِيهِ مِنْ أَذْيَةٍ الْمُتَرَكَبِ^(٩)

وهي طويلة، وفيما مرَّ كفاية تنبئ عنه وتدلّ عليه، ولو مددت أطناب الاختيار لَتَبِعَ هذا النحو من شعره لخرجت عن غرض الكتاب.

[من مליح العياقة والزجر]

أبو نواس وبعض أصحابه

ومن مليح العياقة والزجر ما رواه الصولي، قال: كان لأبي نواس إخوان لا يقارِفُهُم،

- (١) مقلية: بغض.
- (٢) البواقيل: جمع بوقال، وهو كوز بلا عروة.
- (٣) هزته: حركته. لألّ: عكس الضوء. وغوارب الماء: أعالي موجه.
- (٤) البهمة: الصخرة الصلدة الملساء، والمُعْضِلُ من الأمور، والشجاع يستبهم على قرنه وجه غلبته، والبهمة من الليالي: التي لا يطلع فيها القمر. ويليحون: يشيرون. والسيف القواضب: القواطع.
- (٥) اليم: البحر. والطامي: العالي. والمذانب: القنوات، مسایل الماء، الواحد: المذهب.
- (٦) اللجة الخضراء: ماء البحر. والهائب: الخائف.
- (٧) الخب: المكر والخداع. والحلم: الأناة. والوائب: الثائر.
- (٨) تطامن: تظهر الطمأنينة.
- (٩) في الديوان: «ولليم إعداز». والإعذار: المسامحة. والآذي: الموج. والمتراكب: الذي ركب بعضه فوق بعض.

فاجتمعوا يوماً في موضع أَخَفَّوْهُ عنه، ووجهوا إليه برسولٍ معه ظهْرُ قِرطاسٍ أبيض، لم يكتبوا فيه شيئاً، فَخَزَمُوهُ بِزِيرٍ^(١)، وختموه بقار، وتقدموا إلى رسولهم ليرمي بالكتاب من وراء الباب؛ فلما رآه استعلم خَبَرَهُمْ، وعلم أنه مِنْ فِعْلِهِمْ، فتعرَّفَ موضِعَهُمْ وأثَّارَهُمْ، فأتاهم فَأَنشَدَهُمْ^(٢):

وَجَدْتُ كِتَابَكُمْ لَمَّا أَتَانِي يَمُرُّ بِسَانِحِ الطَّيْرِ الْجَوَّارِي^(٣)
نَظَرْتُ إِلَيْهِ مَخْزُومًا بِزِيرٍ عَلَى ظَهْرٍ، وَمَخْتُومًا بِقَارٍ
فَقُلْتُ: الزَّيْرُ مُلْهِةٌ وَلَهُوٌ وَخِلْتُ الْقَارَ مِنْ دَنِّ الْعُقَارِ^(٤)
وَخِلْتُ الظَّهْرَ أَهْيَفَ قُرْطَقِيَا يُحِيلُ الْعَقْلَ مِنْهُ بِأَحْوَرَارٍ^(٥)
فَهِمْتُ إِلَيْكُمْ طَرِيًّا وَشَوْقًا فَمَا أَخْطَأْتُ دَارَكُمْ بِدَارٍ
فَكَيْفَ تَرَوْنِي وَتَرُونَ وَجْدِي أَلَسْتُ مِنَ الْفَلَّاسَةِ الْكِبَارِ؟

لأبي تمام

وقال الطائي^(٦):

أَتَضَعَّضْتُ عَبْرَاتُ عَيْنِكَ أَنْ دَعَتْ وَرَقَاءُ حِينَ تَضَعَّضَ الْإِظْلَامُ^(٧)
لَا تَنْشِجَنَّ لَهَا؛ فَإِنْ بُكَاءَهَا ضَحِكَ، وَإِنْ بُكَاءُكَ اسْتِغْرَامُ^(٨)

(١) الزير: الوتر (أحد أوتار العود).

(٢) أبو نواس، الديوان: ص ٢٦٥.

(٣) في الديوان: «زجرت كتابكم». والزجر: العياقة والتكهن، وزجر المرء الطير: تكهن به. وسانح الطير: الذي يئتمن به.

(٤) في الديوان: «وقلت: الزير ملهية لملته»، و«طين الختم في زق العقار».

(٥) في الديوان:

فَقُلْتُ: الظَّهْرُ أَحْوَرُ قُرْطَقِي يُشَابِهُ شَكْلُهُ شَكْلَ الْجَوَّارِي

والقرطقي: الذي يلبس القرطق، وهو ضرب من رقيق اللباس.

(٦) أبو تمام، الديوان: ٧٥/٢. والآيات من قصيدة يمدح بها الخليفة المأمون.

(٧) في الديوان: «أضعضت عبرات عينك»، و«حين تضعض». وتضعضت: تفرقت واضطربت.

ورقاء: حمامة. أي: هل تناثرت عبراتك على صдах الحمام صباحاً؟

(٨) لا تنشجن: من الشيج، وهو تردد البكاء في الصدر. يقول: لا تبك لها، لأن بكاءها ضحكك، وبكاؤك سبه الغرام.

هُنَّ الْحَمَامُ وَإِنْ كَسَرْتَ عِيَافَةً مِنْ حَائِهِنَّ فَإِنَّهِنَّ حِمَامٌ^(١)

* * *

أحمد بن المدبر والجمال الشاعر المصري

وروى يموت بن المزرع قال: كان أحمد بن المدبر إذا مدحه شاعرٌ فلم يَرْضَ شعره قال لغلامه: امض به إلى المسجد الجامع فلا تُفَارِقْهُ حتى يُصلي مائة ركعة، ثم خَلِّهِ؛ فتحاماه الشعراءُ، إلا الأفراد المجيدين؛ فجاءه أبو عبد الله الحسين بن عبد السلام المصري المعروف بالجمال، فاستأذنه في الشيد، فقال: قد عرفت الشرط؟ قال: نعم، وأنشده:

أَرَدْنَا فِي أَبِي حَسَنِ مَدِيحاً كَمَا بِالْمَدْحِ يَتَجَعُّ الْوَلَاةُ^(٢)
فَقَلْنَا: أَكْرَمُ الثَّقَلَيْنِ طُرّاً وَمَنْ كَفَّاهُ دَجَلَةٌ وَالْفُرَاتُ
فَقَالُوا: يَقْبَلُ الْمَدْحَاتِ لَكِنْ جَوَائِزُهُ عَلَيْهِنَّ الصَّلَاةُ
فَقُلْتُ لَهُمْ: وَمَا تُغْنِي صَلَاتِي عِيَالِي! إِنَّمَا الشَّأْنُ الزَّكَاةُ
[فَأَمَّا إِذْ أَبَى إِلَّا صَلَاتِي وَعَاقَتَنِي الْهُمُومُ الشَّاعِلَاتُ]
فِيَأْمُرُ لِي بِكَسْرِ الصَّادِ مِنْهَا فَتُصْبِحُ لِي الصَّلَاةُ هِيَ الصَّلَاتُ^(٣)

فضحك واستظرفه، وقال: من أين أخذت هذا؟ قال: من قول أبي تمام الطائي:

هُنَّ الْحَمَامُ فَإِنْ كَسَرْتَ عِيَافَةً مِنْ حَائِهِنَّ فَإِنَّهِنَّ حِمَامٌ
فأحسن صلته.

لأبي الفضل الميكالي في أهل مرو

وقال الأمير أبو الفضل الميكالي لقوم من أهل مرو انخلعوا عن طاعته:

يَا رَاكِباً أَصْحَى يَخْبُ بِعَيْنَيْهِ لِيَوْمَ مَرَوْ عَلَى الطَّرِيقِ الْمَهْيَعِ^(٤)

- (١) العيافة: التكهّن بالطير. وفي الديوان: «فإن كسرت». يتطير الشاعر من دعاء الحمام لأنه يصير حماماً، أي موتاً إذا كُسرَتْ حاؤه.
- (٢) اتَّجَعَ فلان: قَصِدَ طلباً للمعروف.
- (٣) الصَّلَاتُ: العطايا والهيآت.
- (٤) الْمَهْيَعُ من الطرق: التَّيْنُ، الجمع مهاييع.

أَبْلَغُ بِهَا قَوْمًا أَثَارُوا فِتْنَةً
إِذْ أَقْدَمُوا ظُلْمًا عَلَى سُلْطَانِهِمْ
وَبَحَلَ عَقْدَ لَوَائِهِ وَإِبَاحَةً
أَبْلَغَهُمْ أَنِّي اتَّخَذْتُ لِفِعْلِهِمْ
أَمَّ اللَّوَاءِ وَحَلُّهُ فَمَخْبَرٌ
وَالْخَلْعُ يُخْبِرُ أَنَّ سَخُلْعُ عَنْهُمْ أَلْ
وَالْغَدْرُ يُنْبِئُ أَنَّ تَغَادَرَ فِي الْوَعَى
وَالْفِرْقَانِ فَشَاهِدٌ مَعْنَاهُمَا
فَتَسَمَّعُوا لِمَقَالَتِي وَتَأَهَّبُوا
فَاللَّهُ لَيْسَ بِغَافِلٍ عَنْ أَمْرِكُمْ

ظَلَّتْ لَهَا الْأَكْبَادُ رَهْنٌ تَقْطَعُ
بِالْغَدْرِ وَالْخَلْعِ الذَّمِيمِ الْمُفْطَعِ
لِجَنَابِهِ وَحَرِيمِهِ الْمُتَمَنِّعِ
فَأَلَّا، لَهُ فِي الْقَوْمِ أَسْوَأُ مَوْقِعِ
عَنْ حَلِّ عَقْدِ بَيْنِهِمْ مُسْتَجْمِعِ
أَرْوَاحُ بِالْقَتْلِ الْأَشَدِّ الْأَشْنَعِ
أَسْلَافُهُمْ لِسُورِهِ وَالْأَضْبَعِ
بِتَفْرِيقِ لَجْمِعِهِمْ وَتَصَدُّعِ
بِذَمِيمِ بَغْيِكُمْ لِشَرِّ الْمَضْرَعِ
حَتَّى تَحُلَّ بِكُمْ عُقُوبَةُ مُوجِعِ

الثَّقَفِي يَصِفُ رَجُلًا يَرْتَاحُ إِلَيْهِ

قال أبو عثمان الجاحظ: سمعت النظام، وذكر عبد الوهاب الثقفي، قال: هو أحلى من أثنى بعد خوف، ويزر بعد سقم، ومن خضب بعد جذب، وغنى بعد فقر، ومن طاعة المحبوب، وفرج المكروب، ومن الوصال الدائم، والشباب الناعم.

[ابن أبي دواد يعفو عن الجاحظ]

ابن أبي دواد والجاحظ

وكان الجاحظ ماثلاً عن ابن أبي دواد إلى محمد بن عبد الملك الزيات، فلما نكب محمد بن عبد الملك أدخل الجاحظ على ابن أبي دواد مقيداً، فقال له أحمد: والله ما أعلمك إلا متناسياً للنعمة، كفوراً للصنعة، معدداً للمساوىء، وما فتني باستصلاحك لك، ولكن الأيام لا تصلح منك؛ لفساد طويتك، ورداءة دخیلتك، وسوء اختيارك، وتغالب طباعك.

فقال الجاحظ: خفض عليك، أصلحك الله، فوالله لأن يكون لك الأمر علي خير من أن يكون لي عليك، ولأن أسيء وتحسن أحسن في الأحدثوة من أن أحسن فتسيء، ولأن تعفو عني على حال قلرتك علي أجمل بك من الانتقام مني، فعفا عنه.

[عتبة بن أبي سفيان وأعرابي]

قال سعد مولى عتبة بن أبي سفيان: خطب عتبة الناس في الموسم سنة إحدى وأربعين، والناس إذ ذاك حديثو عهد بالفتنة؛ فقال: قد ولينا هذا المقام الذي يضاعف فيه للمحسن الأجر، وللمسيء الوزر؛ ونحن على سبيل قصد، فلا تمدوا الأعناق إلى غيرنا؛ فإنها تقطع دوننا؛ فرب مئتمن أمراً حقه في أمنيته، فاقبلوا منا العافية ما قبلناها منكم^(١)؛ وأنا أسأل الله يعين كلاً على كل.

فناداه أعرابي من ناحية المسجد: أيها الخليفة، فقال: لستُ به ولم تُعِد، قال: يا أخاه، قال: سمعتُ فقل، فقال: والله لأن تحسنوا وقد أسأنا خير من أن تسيئوا وقد أحسننا، فإن كان الإحسان منكم فما أولاكم بإتمامه، وإن كان منا فما أولاكم بمكافأته عليه، وأنا رجل من بني عامر بن صعصعة يمتُّ بالعمومة ويختصُّ بالخؤولة، كثر عياله، ووطئه زمانه، [وبه فقر] وفيه أجر، وعنده شكر.

فقال له عتبة: أستغفر الله منك، وأستعين به عليك، وقد أمرتُ لك بغناك، فليت إسرائي إليك يقوم بإبطائي عنك!

[بين الجاحظ وابن الزيات]

قال الجاحظ: تشاغلنا مع الحسن بن وهب أخى سليمان بن وهب يشرب النبيذ أياماً، فطلبني محمد بن عبد الملك لمؤانسته، فأخبر باتصال شغلي مع الحسن بن وهب، فتنكر لي، وتلون علي؛ فكتبته إليه رقعة نسختها: أعاذك الله من سوء الغضب، وعصمك من سرف الهوى^(٢)، وصرف ما أعارك من القوة إلى حب الإنصاف، ورجع في قلبك إشار الأناة^(٣)، فقد خفت - أيديك الله! - أن أكون عندك من المنسويين إلى نزي السفهاء^(٤)، ومجانبة سبل الحكماء، وبعد، فقد قال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت^(٥):

(١) زاد في الأمالي (١/٢٣٦): «وأيامكم ولوا؛ فإنها أتعبت من كان قبلكم، ولن تريح من بعدكم».

(٢) السرف: الضراوة بالشئ والولوع به، ومجاوزة الحد.

(٣) الأناة: الحلم والوقار.

(٤) الترقى: الخفة والطيش في كل أمر.

(٥) هو عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري الخزرجي: شاعر ابن شاعر. سكن المدينة، ورافق أباه في كثير من المناسبات، وكانت بينه وبين عبد الرحمن بن الحكم أهاج كثيرة ومناقضات كثر =

وَإِنْ أَمْرًا أَمْسَى وَأَصْبَحَ سَالِمًا مِّنَ النَّاسِ إِلَّا مَا جَنَى لَسَعِيدٌ
وقال الآخر:

وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذَمِّهِ ذَمُّهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ

فَإِنْ كُنْتُ اجْتَرَأْتُ عَلَيْكَ - أَوْلَحَكَ اللَّهُ! - فَلَمْ اجْتَرِءْ إِلَّا لِأَنَّ دَوَامَ تَغَافُلِكَ عَنِّي شَبِيهُ
بِالْإِهْمَالِ، الَّذِي يُورِثُ الْإِغْفَالَ، وَالْعَفْوُ الْمَتَابِعُ يَوْمُنُ مِنَ الْمَكَافَأَةِ، وَلِذَلِكَ قَالَ عُمَيْيَةُ بْنُ
حُصَيْنٍ بْنُ حَذِيفَةَ لِعُثْمَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ: عَمْرٌ كَانَ خَيْرًا لِّي مِنْكَ، أَرْهَبُنِي فَأَتَقَاتِي، وَأَعْطَانِي
فَأَغْنَانِي، فَإِنْ كُنْتُ لَا تَهَبُ عِقَابِي - أَيْدِكَ اللَّهُ! - لِعِزَّةٍ فَهَبْهُ لَأَيَادِيكَ عِنْدِي؛ فَإِنَّ النِّعْمَةَ
تَشْفَعُ فِي الثَّقَمَةِ، وَإِلَّا تَفَعَّلْ ذَلِكَ لِذَلِكَ فَعُدَّ إِلَى حُسْنِ الْعَادَةِ، وَإِلَّا فَافْعَلْ ذَلِكَ لِحُسْنِ
الْأَحْدُوثَةِ؛ وَإِلَّا فَاتَّ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ مِنَ الْعَفْوِ دُونَ مَا أَنَا أَهْلُهُ مِنْ اسْتِحْقَاقِ الْعُقُوبَةِ، فَسُبْحَانَ مَنْ
جَعَلَكَ تَعَفُّوً عَنِ الْمُتَعَمِّدِ، وَتَتَجَافَى عَنْ عِقَابِ الْمُصِيبِ، حَتَّى إِذَا صُرْتَ إِلَى مَنْ هَفَوْتُهُ ذِكْرًا،
وَذَنْبُهُ نِسْيَانٌ، وَمَنْ لَا يَعْرِفُ الشُّكْرَ إِلَّا لَكَ، وَالْإِنْعَامَ إِلَّا مِنْكَ هَجَمْتَ عَلَيْهِ بِالْعُقُوبَةِ. وَاعْلَمْ
- أَيْدِكَ اللَّهُ! - أَنَّ شَيْنَ غَضَبِكَ عَلَيَّ كَزَيْنِ صَفْحِكَ عَنِّي، وَأَنَّ مَوْتَ ذِكْرِي مَعَ انْقِطَاعِ سَبِي
مِنْكَ كَحَيَاةِ ذِكْرِكَ مَعَ اتِّصَالِ سَبِي بِكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ لَكَ فَطَنَةً عَلِيمًا، وَغَفْلَةً كَرِيمًا، وَالسَّلَامَ.

[من كلام علي - رضي الله عنه! - في أعجب ما في الإنسان]

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أَعْجَبُ مَا فِي الْإِنْسَانِ قَلْبُهُ، وَلَهُ مَوَادٌّ مِنْ
الْحِكْمَةِ، وَأَضْدَادٌ مِنْ خِلَافِهَا؛ فَإِنْ سَنَحَ لَهُ الرِّجَاءُ أَذَلَّهُ الطَّمَعُ، وَإِنْ هَاجَهُ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ
الْجِرْصُ، وَإِنْ مَلَكَه الْيَأْسُ قَتَلَهُ الْأَسَفُ، وَإِنْ عَرَضَ لَهُ الْغَضَبُ اشْتَدَّ بِهِ الْغَيْظُ، وَإِنْ أَسْعَدَ
بِالرِّضَا نَسِيَ التَّحَفُّظَ، وَإِنْ أَتَاهُ الْخَوْفُ شَغَلَهُ الْحَذَرُ، وَإِنْ اتَّسَعَ لَهُ الْأَمْنُ اسْتَلْبَثَتِ الْغِرَّةُ، وَإِنْ
أَصَابَتْهُ مَصِيبَةٌ فَضَحَّتْهُ الْجَزَعُ، وَإِنْ اسْتَفَادَ مَالًا أَطْغَاهُ الْغِنَى، وَإِنْ عَضَّتْهُ فَاقَةٌ بَلَغَ بِهِ الْبَلَاءُ،
وَإِنْ جَاهَدَ بِهِ الْجَوْعُ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ، وَإِنْ أَفْرَطَ فِي الشَّيْءِ كَظَّتْهُ الْبُطْنَةُ^(١)، فَكُلُّ تَقْصِيرٍ مُضِرٌّ،
وَكُلُّ إِفْرَاطٍ لَهُ قَاتِلٌ.

* * *

= الحديث عن أسبابها، وقيل: إنه شَبَّبَ بِابْنَةِ مَعَاوِيَةَ «رملته». توفي سنة ١٠٤ هـ / ٧٢٢ م.
(الأصفهاني، الأغاني: ١٥/١٨؛ ابن خلكان، وفیات الأعيان: ٥/١٩٣).

(١) كَظَّ الطَّعَامُ أَوْ الشَّرَابُ فَلَانًا: مَلَأَهُ حَتَّى لَا يَكَادُ يَطِيقُ النَّفْسَ، وَكَظَّ الْأَمْرُ فَلَانًا: بَهَظَلَهُ وَكَرَبَهُ.

لعبد الرحمن بن حسان

البيت الذي أنشده الجاحظ لعبد الرحمن بن حسان في أبيات يقول فيها:

مَتَى مَا يَرَى النَّاسُ الْغَنَىَّ وَجَارُهُ فَقِيرٌ يَقُولُوا: عَاجِزٌ وَجَلِيدٌ
وَلَيْسَ الْغِنَى وَالْفَقْرُ مِنْ حِيلَةِ الْفَتَى وَلَكِنْ أَحَاطَ قُسَمْتُ وَجُدُودُ^(١)
وَإِنَّ امْرَأً يُمَسِّي وَيُضْبِحُ سَالِمًا مِنْ النَّاسِ إِلَّا مَا جَنَى لَسَعِيدٌ

لمحمد بن حازم الباهلي

والبيت الذي أنشده بعده لمحمد بن حازم الباهلي^(٢) في أبيات يقول فيها:

إِنْ كُنْتَ لَا تَرْهَبُ ذَمِّي لِمَا تَعْلَمُ مِنْ صَفْحِي عَنِ الْجَاهِلِ
فَاخْشَ سُكُوتِي أَذْنًا مُنْصِتًا فِيكَ لِمُسْمُوعِ خَنَى الْقَائِلِ^(٣)
فَسَامِعُ الشَّرِّ شَرِيكَ لَهُ وَمُطْعِمُ الْمَأْكُولِ كَالْأَكِلِ
مَقَالَةُ السُّوءِ إِلَى أَهْلِهَا أَسْرَعُ مِنْ مُنْخَدِرِ سَائِلِ
وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذَمِّهِ ذَمُّهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ
فَلَا تُهْجِ، إِنْ كُنْتَ ذَا إِرْبَةٍ، حَرَبٌ أَخِي التَّجَرِبَةِ الْغَافِلِ
فَإِنْ ذَا الْعَقْلِ إِذَا هِجَّتْهُ هِجَّتْ بِهِ ذَا خَبَلٍ خَائِلِ^(٤)
تُبْصِرُ فِي عَاجِلٍ شِدَاتِهِ عَلَيْكَ غِبُّ الْفُضْرِ الْآجِلِ

للجاحظ في ابن الزيات

وفي ابن الزيات يقول الجاحظ:

بَدَا حِينَ أَثَرَى لِإِخْوَانِهِ فَفَلَّلَ مِنْهُمْ شَبَابَ الْعَدَمِ^(٥)

(١) أَحَاطَ: جمع حَظَّ، وهو النصيب، والجَدُّ، والبَحْثُ.

(٢) هو أبو جعفر، محمد بن حازم بن عمرو الباهلي بالولاء: شاعر مطبوع هجاء. ولد ونشأ بالبصرة، وانتقل إلى بغداد فكنها، وولد المأمون، وأكثر شعره في القناعة وذم الطمع. توفي ببغداد سنة ٢١٥ هـ / ٨٣٠ م. (ابن المعتز، طبقات الشعراء: ٣٠٧، المرزباني، معجم الشعراء: ٣٧١).

(٣) خَنِى الْقَائِلُ: فحشه وقبح مقالته.

(٤) الْخَبَلُ: الفساد.

(٥) فَلَّلَ السِّيفُ وَفَلَّلَهُ: ثلمه وكسر حذته. والشباب (من السيف): حَدُّ طرفه.

وَأَبْصَرَ كَيْفَ انْتَقَالَ الزَّمَانُ فَبَادَرَ بِالْعُرْفِ قَبْلَ النَّدَمِ^(١)

[الجاحظ ورجل من البرامكة في مرضه]

قال بعض البرامكة: كنتُ أتقلد السند، فاتصل بي أني صُرِفْتُ عنها، وكنت كسبت ثلاثين ألف دينار، فَخَفْتُ أَنْ يَمُجَّأَنِي الصَّارِفُ، وَيُسَمَّى إِلَيْهِ بِالْمَالِ، فَصَغْتُ عَشْرَةَ آلَافِ إِهْلِيلِجَةٍ^(٢) فِي كُلِّ إِهْلِيلِجَةٍ ثَلَاثَةُ مِثْقَالٍ، وَجَعَلْتُهَا فِي رَحْلِي، وَلَمْ أَبْعُدْ أَنْ جَاءَ الصَّارِفُ؛ فَرَكِبْتُ الْبَحْرَ، وَانْحَدَرْتُ إِلَى الْبَصْرَةِ؛ فَخَبَّرْتُ أَنَّ بِهَا الْجَاحِظَ، وَأَنَّهُ عَلِيلٌ؛ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَرَاهُ قَبْلَ وَفَاتِهِ، فَصَرْتُ إِلَيْهِ، فَأَفْضَيْتُ إِلَى بَابِ دَارِ لَطِيفٍ، فَفَرَعْتُه، فَخَرَجْتُ إِلَيَّ خَادِمٌ صَفْرَاءُ، فَقَالَتْ: مَنْ أَنْتِ؟ فَقُلْتُ: رَجُلٌ غَرِيبٌ أَحَبُّ أَنْ يَدْخُلَ إِلَى الشَّيْخِ فَيَسِّرَ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ، فَأَدَّتْ مَا قُلْتُ، وَكَانَتْ الْمَسَافَةُ قَرِيبَةً لَصُغْرِ الدَّهْلِيزِ وَالْحَجَرَةِ، فَسَمِعْتَهُ يَقُولُ: قَوْلِي لَهُ: وَمَا تَصْنَعُ بِشَقِّ مَائِلٍ، وَلَعَابِ سَائِلٍ، وَلَوْنِ حَائِلٍ؟ فَأَخْبَرْتِي، فَقُلْتُ: لَا بَدَّ مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ، فَقَالَ: هَذَا رَجُلٌ قَدْ اجْتَنَزَ بِالْبَصْرَةِ، فَسَمِعَ بِي وَبِعِلَّتِي، فَقَالَ: أَرَاهُ قَبْلَ مَوْتِهِ؛ لِأَقُولَ: قَدْ رَأَيْتَ الْجَاحِظَ.

فَدَخَلْتُ فَسَلِمْتُ فَرَدًّا رَدًّا جَمِيلًا وَاسْتَدْنَانِي، وَقَالَ: مَنْ تَكُونُ؟ أَعَزَّكَ اللَّهُ! فَانْتَسَبْتُ لَهُ، فَقَالَ: رَحِمَ اللَّهُ أَبَاكَ وَقَوْمَكَ الْأَسْخِيَاءَ الْأَجْوَادَ، الْكَرَامَ الْأَمْجَادَ، لَقَدْ كَانَتْ أَيَّامُهُمْ رَوْضَ الْأَزْمَنَةِ، وَلَقَدْ انْجَبَرُ بِهِمْ خَلْقٌ، فَسَقِيًّا لَهُمْ وَرَعِيًّا؛ فَدَعَوْتُ لَهُ، وَقُلْتُ: أَنَا أَسْأَلُ الشَّيْخَ أَنْ يُثَبِّدَنِي شَيْئًا مِنَ الشَّعْرِ أَذْكُرُهُ بِهِ، فَأَنْشِدَنِي:

لَئِنْ قَدَمْتُ قَبْلِي رِجَالٌ فَطَالَمَا مَسَيْتُ عَلَى رِسْلِي فَكُنْتُ الْمُقَدِّمًا^(٣)
وَلَكِنْ هَذَا الدَّهْرُ تَأْتِي صُرُوفُهُ فَبُيِّرُمُ مَنْقُوضًا، وَتَنْقُضُ مُبَرَّمًا^(٤)

ثُمَّ نَهَضْتُ، فَلَمَّا قَارَبْتُ الدَّهْلِيزَ صَاحَ بِي فَقَالَ: يَا فَتَى؛ أَرَأَيْتَ مَفْلُوجًا يَنْفَعُهُ الْإِهْلِيلِجُ؟ فَقُلْتُ: لَا، قَالَ: فَأَنَا يَفْعَنِي الْإِهْلِيلِجُ الَّذِي مَعَكَ، فَأَنْفَذَ إِلَيَّ مِنْهُ، فَقُلْتُ: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ، وَخَرَجْتُ مُفْرَطَ التَّعَجُّبِ مِنْ وَقُوعِهِ عَلَى خَبْرِي، حَتَّى كَانَ بَعْضُ أَحْبَابِي كَاتِبَهُ بِخَبْرِي حِينَ صُغْتُه، فَأَنْفَذْتُ إِلَيْهِ مَائَةَ إِهْلِيلِجَةٍ.

(١) العُرْفُ: المعروف.

(٢) الإِهْلِيلِجُ: ثمر قريب الشكل من البلح. يريد أنه صاغ الذهب على شكل الإِهْلِيلِجِ.

(٣) الرِّسْلُ: الرفق والتؤدة، يقال: إِفْعَلْ كَذَا عَلَى رِسْلِكَ: اتد ولا تعجل.

(٤) الْمُبَرَّمُ: الْمُحْكَمُ.

المقامة الجاحظية

[مقامة من إنشاء البديع تتعلق بذكر الجاحظ]

قال: حدثنا عيسى بن هشام قال: جمعتني مع رُفْقَةٍ وَلِيْمَةٍ، وأَجَبْتُ إليها للحديث المأثور فيها عن رسول الله ﷺ: «لو دُعِيتُ إلى كُرَاعٍ^(١) لَأَجَبْتُ، ولو أُهْدِيَ إليَّ ذِرَاعٌ لَقَبِلْتُ»، فَأَفْضَى بنا المسيرُ إلى دارٍ قد فُرِشَ بِسَاطِهَا، وَبُسِطَتْ أُنْمَاطُهَا، وَمُدَّ سِمَاطُهَا^(٢)، وقومٌ قد أخذوا الوقتَ بينَ آسٍ مخضودٍ، وَوَرْدٍ منضودٍ، وَدَنٍ مَقْصودٍ^(٣)، ونأيٍ وعودٍ؛ فَصَرْنَا إليهم وصاروا إلينا، ثم عكفنا على خِوَانٍ قد مُلِئَتْ حَيَاضُهُ، وَنَوَّرَتْ رِيَاضُهُ، واصطفت جَفَانُهُ، واختلفت ألوانُهُ؛ فمن حَالِكٍ يَازِئُهُ نَاصِعٌ، ومن قَانٍ في تلقائه فَاقِعٌ، ومعنا على الطعام رَجُلٌ تُسَافِرُ يَدُهُ على الخِوَانِ، وَتَسْفِرُ بَيْنَ الْأَلْوَانِ، وتأخذُ وجوهَ الرُّغْفَانِ، وَتَفْقَأُ عِوْنَ الجِفَانِ، وَتَرَعَى أَرْضَ الجِيرَانِ؛ يَزْحَمُ اللَّقْمَةُ بِاللَّقْمَةِ، وَيَهْزِمُ المَضْغَةُ بِالْمَضْغَةِ، وهو مع ذلك سَاكِتٌ لَا يَنْبَسُ، ونحن في الحديث نجري معه حتى وقف بنا على ذِكْرِ الجاحظ وخطابته، وَوَصَفَ ابنُ المَقَفَّعِ وَذَرَابَتَهُ^(٤)، ووافق أولَ الحديثِ آخِرَ الخِوَانِ، وَزُلْنَا عن ذَلِكَ المكانِ، فقال الرجلُ: أين أنتم من الحديث الذي فيه كنتم، فأخذنا في وصف الجاحظ وَلَسْنِهِ، وَحُسْنِ سَنَنِهِ في الفصاحة وَسُنَنِهِ فيما عرفناه؛ فقال: يا قومُ؛ لكلِّ عملٍ رجالٌ، ولكلِّ مقامٍ مَقَالٌ، ولكلِّ دارٍ سُكَّانٌ، ولكلِّ زمانٍ جاحظٌ، ولو انتقدتم، لَبَطَلَّ ما اعتقدتم، فكلُّ كَشَرَ له عن نابِ الإنكارِ، وَضَمٌّ بَأَثَفِ الإكبارِ، وَضَحِكٌ إليه، لأَجْلَبَ ما لديه، وقلت: أَفَدْنَا وَزِدْنَا، فقال: إِنَّ الجاحظَ في أَحَدِ شِقِي البلاغةِ يَقْطِفُ؛ وفي الآخرِ يَقِفُ، والبلغُ من لم يَقْصَرَ نظْمُهُ عن نَثْرِهِ، ولم يُزِرْ كلامُهُ بشعرِهِ، فهل تَرَوُونَ للجاحظ شعراً

(١) الكُرَاعُ (من البقر والغنم): مستدق الساق العاري من اللحم، وفي المثل: «لا تطعم العبد الكراع، فيطعم في الذراع».

(٢) الأنساط: البُسْطُ. والشُّبُط: ثوب من الصوف، الجمع أسماط.

(٣) خضد الشجر: نزع الشوك منه، قال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾. في سِدْرِ مَحْضُودٍ (سورة الواقعة، آية: ٢٨).

ونضد الشيء: ضم بعضه إلى بعض متسقاً، ويقال: شجر نضيد ومنضود: نُضِدَ بالورق والثمار من أسفله إلى أعلاه. ودن مفضود: مَشْفُوق، من فصد العِرْقَ إذا شَقَّه.

(٤) يقال: ذَرَبَ السيفُ ذَرَباً وَذَرَابَةً: صار حديداً ماضياً، وذرب لسانه، إذا كان شَتَّاماً فاحشاً. وذرب فلان: فَصَحَ لسانه بعد حَصَرٍ.

رائعاً؟ قلنا: لا، قال: فهلّموا إلى كلامه؛ فهو بعيد الإشارات، قريب العبارات، قليل الاستعارات، منقاد لعريان الكلام يستعمله، نفور من مُعْتَصِه يُهْمَله، فهل سمعتم له بكلمة غير مسموعة، أو لفظة غير مصنوعة؟ فقلت: لا، فقال: هل تحب أن تسمع من الكلام ما يخفف عن مَكَيِّك، ويمن على ما في يديك؟ فقلت: إي والله، قال: فأطلق لي عن خِصْرِكَ ما يعين على شكرك، فأنتله ردائي، فقال:

لَعَمْرُ الَّذِي أَلْقَى إِلَيَّ ثِيَابَهُ لَقَدْ كَسَبَتْ تِلْكَ الثِّيَابُ بِهِ مَجْدًا
وَقَدْ قَمَرَتْهُ رَاحَةُ الْجُودِ بِزَّةً فَمَا ضَرَبَتْ قِدْحًا وَلَا نَصَبَتْ نَرْدًا^(١)
أَعِذْ نَظْرًا يَا مَنْ كَنَانِي ثِيَابَهُ وَلَا تَدَعِ الْأَيَّامَ تَهْدِمُنِي هَذَا
وَقُلْ لِلْأَلَى إِنَّ أَسْفَرُوا أَسْفَرُوا ضَحَى وَإِنْ طَلَعُوا فِي غَمَّةٍ طَلَعُوا وَرْدًا
صَلُّوا رَحِمَ الْعُلَيَّا وَبُلُّوا لَهَاتَهَا فَخَيْرُ النَّدَى مَا سَحَّ وَابِلُهُ نَقْدًا^(٢)

قال عيسى بن هشام: فارتاحت الجماعة إليه، وانتالت الصلوات عليه، وقلت لما تأنسنا: من أين مطلع هذا البدر؟ فقال:

إِسْكَنْ دَرِيَّةً دَارِي لَوْ قَرَّ فِيهِمَا قَرَارِي
لَكِنَّنْ لَيْلِي بِنَجْدٍ وَبِالْحِجَازِ نَهَارِي

[من كلام الملوك]

من كرم أردشير بن بابك

تظلمت رعية أردشير بن بابك إليه في ستة مُجْدِبَةٍ لِعَجْزِهِم عن الخراج، وسألته أن يخففه عنهم؛ فكتب لهم ما نسخته: من أردشير المزيد بالبهاء، ابن الملوك العظماء، إلى الفقهاء الذين هم حَفَظَةُ الْبَيْضَةِ^(٣)، والكتّاب الذين هم سَاسَةُ الْمَمْلَكَةِ، وذوي الحرث الذين هم عَمَرَةُ الْبِلَادِ، أما بعدُ، فإنّا نحمدُ الله تعالى حمداً الصالحين، وقد وضعنا عن رعيتنا بِفَضْلِ رَأْفَتِنَا إِتَاوَتَا الْمُوَظَّفَةِ عَلَيْهِمْ سِتْنًا هَذِهِ، ونحن كاتبون مع ذلك نُمْلِيهِمْ بِوَصِيَّةٍ تَنْفَعُ

(١) قمرته: غلبته في لعب القمار.

(٢) اللّهُاءُ من كلّ ذي حَلَقٍ: اللحمة المشرفة على الحَلَقِ، أو الهَيئةُ المطبقة في أقصى الفم، والجمع لهوات ولهيات.

(٣) البيضة: الأصل، وبيضة القوم: حوزتهم وحماهم.

الكل: لا تستشعروا الحقدَ لئلا يغلبَ عليكم العدو، ولا تحبوا الاحتكارَ لئلا يشملكم القحط، وكونوا للغرباء مؤوين، لتؤووا غداً في المعاد، وترزقوا في القربة فإنه أحسن للرحم، وأثبت للنسب، ولا تعدوا هذه الدنيا شيئاً فإنها لا تبقي على أحد، ولا ترفضوها مع ذلك؛ فإن الآخرة لا تنال إلا بها.

من كلام بزرجمهر

وقيل لبزرجمهر: أيُّ الاكساب أفضل؟ قال: العلم والأدب كنزان لا ينقدان، وسراجان لا يطفآن، وحلطان لا تبليان؛ من نالهما نال أسباب الرشاد وعرف طريق المعاد، وعاش رفيعاً بين العباد.

من كلام أنوشروان

وقال أنوشروان لبزرجمهر لما ظفر به: الحمد لله الذي أظفرتني بك، قال له: فكافئه بما يحبُّ كما أعطاك ما تحب. قال: وبم أكافئه يا فاسق؟ قال: بالعفو عمَّن أظفرك به اليوم كما تحب أن يعفو عنك غداً.

ونظيرُ هذا الكلام قد تقدّم لعلّي رضي الله عنه.

وقيل لكسرى: أيُّ الملوك أفضل؟ قال: الذي إذا جاورته وجدته عليماً، وإذا خبرته وجدته حكيماً، وإذا أغضب كان حليماً، وإذا ظفر كان كريماً، وإذا استمنح منح جسيماً، وإذا وعد وفى، وإن كان الوعد عظيماً، وإذا شكى إليه وجد رحيماً.

[من رسائل الميكالي]

كتاب منه للثعالبي

كتب الأمير أبو الفضل الميكالي إلى أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي: كتابي وأنا أشكو إليك شوقاً لو عالجه أعرابي لما صبا إلى رمل عالج، أو كابده الخلي لا تشنى على كبد ذات حرق ولواعج؛ وأدم زماناً يفرق فلا يحسن جمعاً، ويخرق فلا ينوي رفعا، ويوجع القلب بتفريق شمل ذوي الوداد، ثم ييخل عليهم بما يشفي الصدور والأكباد؛ قاسي القلب فلا يلين لاستعطاف، جائر الحكم فلا يميل إلى إنصاف، وكم استعدي على صرفه واستجِد، وأتلفى غيظاً عليه وأنشد:

مَتَى وَعَسَى يَنْتَهِى الزَّمَانُ عِنَانَهُ بِعَشْرَةِ حَالٍ وَالزَّمَانُ عَشُورُ
فَتَذَرُكَ أَمَالَ وَتَقْضَى مَآرِبَ وَتَحْدُثُ مِنْ بَعْدِ الْأُمُورِ أُمُورُ

وَكَلَّأَ، فما على الدهر عَتَبَ، ولا له على أَهْلِهِ ذَنْبٌ؛ وإنما هي أقدار تَجْرِي كما شاء مُجْرِيهَا، وَتَنْقُذُ كَالسَّهَامِ إِلَى مَرَامِيهَا؛ فهي تدورُ بِالْمَكْرُوهِ وَالْمَحْبُوبِ، على الْحُكْمِ الْمَقْدُورِ وَالْمَكْتُوبِ، لا على شهوات النفوس وإرادات القلوب؛ وإذا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَذْنَ فِي تَقْرِيبِ الْبَعِيدِ النَّازِحِ، وَتَسْهِيلِ الصَّعْبِ الْجَامِحِ، فيعود الأُنْسُ بِلِقَائِكَ الْإِخْوَانَ كَأَتَمِّ مَا لَمْ يَزَلْ مَعَهُودًا، ويجدد للمذاكرة والمؤانسة رسوماً وعهوداً؛ إنه المُلَبِّيُّ بِهِ، وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ.

كتاب منه إلى أبيه

وله إلى أبيه: وَلَوْ مَلَكَتُ عِنَانَ اخْتِيَارِي، وَأَسْعَفَنِي بِيَعُضٍ مَا اقْتَرَحَهُ الْقَدَرُ الْجَارِي، لَمَا غِثْتُ عَنْ حَضْرَتِهِ - أَنَسَهَا اللَّهُ! - سَاعَةً مِنْ دَهْرِي، كَمَا لَا أَعُدُّ سَاعَاتِ بُعْدِي عَنْهَا وَإِخْلَافِي لِبَابِهَا مِنْ أَيَّامِ عَمْرِي؛ وَلَكِنْتُ أَبْدَأُ مَائِلًا بِهَا فِي زِمْرَةِ الْخِدْمِ وَالْعِيْدِ، جَامِعًا بَهَا بَيْنَ حَاشِيَتِي الْعِزِّ الْمَدِيدِ، وَالشَّرَفِ الْعَتِيدِ؛ لَا سِيَّمَا فِي هَذَا الْوَقْتُ وَقَدْ أَشْرَقَتْ الْبِلَادُ بِنُورِ طَلْعَتِهِ الَّتِي هِيَ فِي ظِلْمَةِ الدَّهْرِ صَبَاحٌ، وَعِزُّ مَطَالَعَتِهِ الَّتِي فِيهَا لَصُورُ ذَوِي الشَّنْأِ شَجَا^(١) وَلِزْنِدِ الْأَمَالِ اقْتِدَاحٌ، وَمَعَاوِدَةُ ظِلِّهِ الَّتِي أَضْحَتِ الشَّمْسُ مِنْ حِصَادِهِ، وَالزَّمَانُ مِنْ عِدَدِ سَاكِنِيهِ وَعَتَادِهِ، إِلَّا أَنَّ الْحَرِيصَ - كَمَا عَلِمَهُ مَوْلَانَا - مُخْلِى عَنْ أَعْذَبِ مَوَارِدِهِ، وَمَمْنُوعٌ بِالْعَوَاقِقِ عَنْ أَكْرَمِ مَطَالَعِهِ وَمَقَاصِدِهِ.

كتاب منه يستفتح به مكاتبة أخ

وله يستفتح مكاتبة بعض إخوانه:

أَنَا وَإِنْ لَمْ تَتَقَدَّمْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ الْمَكَاتِبَةُ، وَعَادَةُ الْمَسَاجِلَةِ وَالْمُفَاوِضَةِ، مِنْ فِرَطِ حِرْصِي عَلَى افْتِتَاحِهَا وَتَعَاطِيهَا، وَاعْتِرَاضِ الْعَوَاقِقِ دُونَ الْمَرَادِ وَالْغَرَضِ فِيهَا، فَإِنْ قَلْبِي بَوْدَهُ مَعْمُورٌ، وَضَمِيرِي عَلَى مُصَافَاتِهِ مَقْصُورٌ، فَاعْتِدَادُهُ لِفَضَائِلِهِ الَّتِي أَصْبَحَ فِيهَا أَوْحِدِي الْعِنَانَ، وَزَاحِمٌ فِيهَا مَنَكِبُ الْعِنَانِ^(٢)، وَاسْتَأْثَرْتُ فِيهَا بِالْغُرَرِ وَالْأَوْضَاحِ، مَا أَوْفَى بِهَا عَلَى غُرَّةِ الصَّبَاحِ، حَتَّى تَشَاهَدْتُ بِهَا ضَمَائِرَ الْقُلُوبِ، وَتَهَادَّتْ أُنْبَاءُهَا أَلْسِنَةُ الْبَعِيدِ وَالْقَرِيبِ، اعْتِدَادًا مِنْ يَجْمَعُ

(١) الشَّنْأُ: الْبَغْضُ وَالْتِبَاعُدُ. وَالشَّنْجَا: مَا اعْتَرَضَ وَنَسَبَ فِي الْحَلْقِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ نَحْوِهِ.

(٢) الْعِنَانُ (بِفَتْحِ الْعَيْنِ): السَّحَابُ، وَالْعِنَانُ (بِكسر الْعَيْنِ): مَا تَقَادُّ بِهِ الدَّابَّةُ (الزَّمَامُ).

بالاعتداد لها بين شهادة قلبه ولسانه، ومن ينظم في إجلال قدرها صفقة إسراره وإعلانه، فهو يتسّم الرياح إذا هبت من ناحيته شوقاً ونزاعاً، ويستملي الوارد والصادر خبر سلامته انصياعاً بالود إليه وانقطاعاً.

فقر من كلامه

شدور من كلامه في أثناء رسائل شتى: أياديه التي غمرتني سجالها، واتسع عندي مَجَالُهَا، وأعميا شكري عَفْوُهَا وإنشالها، تناولت فيها المُنَى دانية القطوف، واجتليت أنوار العيش مأمونة الكسوف، ليس يكاد يبرد غليل شوقي وحنيني، أو ترجع نافرة أنسي وسكوني، أو تخلو من الاهتمام والفكرة فيه خواطري وظنوني، إلا بالتقاء يدنو أمدّه، ويَقْرُبُ مَوْعِدُهُ، وتعلو على الفراق يَدُهُ، فنعاود العيش طلقاً غزيراً، ونجتني ثمر المُنَى غَضّاً نضيراً، ونجتلي وجه الزمان مُشْرِقاً منيراً. فوائده لها عندي أثرُ الغمام أو أنفع، ومحلُّ السَّمَاءِ أو أرفع. حالي في مفارقة حَضْرَتِهِ حالُ بناتِ الماء قد نضب عنها الغدير، ونبات الأرض أخطأها النَّوْءُ المَطِيرُ. لهفي على دهر الحداثة إذ غُصْنُ شبابي غُضَّ وَرِيقٌ، ونُقِلَّ شرايبي غُضَّ وَرِيقٌ. كلامٌ أحلى من ريق النحل، وأصفى من ريق الوبل. من تسود قبل وقته وآلته، فقد تعرّض لِمَقْتِهِ وإذالته. نظمُه له:

إِنَّ مَنْ يَلْتَمِسُ الصَّادُ رَ بَّ لَّا وَفَّيْتُ وَآلَهُ
لِحَقِيْقٍ أَنْ يُلَقَّي كُلَّ مَقَاتٍ وَإِذَالَهُ^(١)

الشكل للكتاب، كالحلي للكعاب. لو كان الشباب فِضَّةً لكان الشيبُ له خبثاً. النعمة عروسٌ مَهْرُهَا الشكر، وثوبٌ صَوْنُهُ النَّشْر. الخضاب تذكرة الشباب. لا تقاسُ المَهاوي بالمَرَاقِي، ولا الأقدام بالترَاقِي^(٢)، ولا البحور بالسواقي. كم أبلاني من عُرْفٍ^(٣) جزيل لا يُبْلِي الدهرُ جَدَّةَ رِدَائِهِ، وقضائي من دَيْنٍ تأميل لا يَقْضِي الشكرُ حقَّ نعمائه. الشكر للنعمة نتاج، والكُفْران لها رِتاَج^(٤)، وكلما زدت النعمة شكراً، زادت طيباً ونشراً.

(١) الإذالة: الإهانة والابتذال.

(٢) المراقي: جمع المَرَقَى: موضع الرِّقِي: الصعود. والترَاقِي: جمع ترقوة، وهي عظمة مشرفة بين ثغرة النحر والعاتق، وهما ترقوتان.

(٣) العُرْفُ: المعروف.

(٤) الرِّتاَجُ: الباب العظيم.

قطعة من شعره في تجنيس القوافي

قال في أبيه:

مُبْدِعاً فِي شَمَائِلِ الْمَجْدِ خِيماً مَا اهْتَدَيْنَا لِأَخْذِهِ وَاقْتِبَاسِهِ^(١)
فَهُوَ فَظٌّ بِالْمَالِ وَقَتَّ نَدَاهُ وَجَوَادٌ بِالْعَفْرِ فِي وَقْتِ بَاسِهِ

وقال فيه:

إِذَا مَا جَادَ بِالْأَمْوَالِ ثَنَى وَلَمْ تُذِرْكُهُ فِي الْجُودِ النَّدَامَةَ
وَلِنْ هَجَسَتْ خَوَاطِرُهُ بِجَمْعٍ لِرَيْبِ حَوَادِثٍ قَالَ النَّدَى مَهْ^(٢)

وقال فيه:

وَلَمَّا تَكَازَعَ صَرَفُ الزَّمَانِ فَزَعْنَا إِلَى سَيِّدِ نَابِهِ^(٣)
إِذَا كَثُرَ الدَّهْرُ عَنْ نَابِهِ كَشَفْنَا الْحَوَادِثَ عَنْ نَابِهِ

وقال فيه:

إِنْ نَابَنَا خَطْبٌ فَلَارَاؤُهُ تُغْنِي عَنِ الْجَيْشِ وَتَسْرِيبِهِ^(٤)
وَلِنْ دَجَا لَيْلٌ بَدَا نُورُهُ لِلرَّكْبِ نَجْماً فَهُوَ يَسْرِي بِهِ

وقال يفتخر:

وَكَمْ حَاسِدٍ لِي انْبَرَى فَاثْنَى لِعِضَّةِ نَفْسٍ شَجَاهَا شَجَاهَا^(٥)
وَمَنْ أَيْنَ يَسْمُو لَيْلِ الْعُلَا وَمَا بَثَّ مَالاً وَلَا رَاشَ جَاهَا^(٦)

(١) الخيم: السجية والطبع.

(٢) الندى: الجود والكرم. ومه: اسم فعل بمعنى اكفف.

(٣) فزَعْنَا: لجأنا. والثَّابُّ: الشريف، ذو الذكر الحسن، وهو خلاف الخامل.

(٤) تسريب الجيش: خروجه متتابعاً، يقال سَرَبَ سُروياً: خرج، وسرب في حاجته: مضى فيها، وَسَرَبَ الشيء: أرسله قطعة قطعة.

(٥) شجها الأمر: أحزنها، وأشجها بكذا: أغصها به. والشَّجَا: ما اعترض وَثَبَ في الحلق من عظم أو نحوه.

(٦) راش فلان: استغنى، وارتاش أصاب خيراً فَرَّيَ عليه أثر ذلك، وراشه الله: أنعمه.

ومنها قوله :

وَسَائِلُهُ تَسْأَلُ عَنْ فِعَالِي وَعَمَّا حَازَ فِي الدُّنْيَا جَمَالِي
فَقُلْتُ: إِلَى الْمَعَالِي حَنِّ قَلْبِي وَفِي سُبُلِ الْمَكَارِمِ لَجَّ مَالِي
وَلِلْعَلِيَاءِ نَهَجٌ مُسْتَقِيمٌ فَمَالِي تَارِكاً ذَا النَّهَجِ مَالِي
إِذَا أَسْرَجْتُ فِي فَخْرِ سَمَا بِي فَعَالِي وَالتَّجَارُ فَالْجَمَالِي^(١)

وقال في نوع من هذا الجنس :

وَمَنْ يَسْرِ فَوْقَ الْأَرْضِ يَطْلُبُ غَايَةً مِنَ الْمَجْدِ يَسْرِ فَوْقَ جُمُجُمَةِ النَّسْرِ
وَمَنْ يَخْتَلِفُ فِي الْعَالَمِينَ نِجَارُهُ فَإِنَّا مِنَ الْعَلِيَاءِ نَجْرِي عَلَى نَجْرِ^(٢)
وَمَنْ يَتَجَرَّ فِي الْمَالِ يَكْسِبُ رِبْحَهُ فَبِالْمَالِ نَشْرِي رَابِعَ الْحَمْدِ وَالنَّشْرِ

* * *

لأبي الفتح البستي

وعلى نحو هذا الحذو يقول أبو الفتح البستي :

أَبَا الْعَبَّاسِ لَا تَحْسِبْ بَأَنِّي لِشَيْءٍ مِنْ حُلَى الْأَشْعَارِ عَارِ
وَلَسِي طَبْعٌ كَسَلَسَالِ الْمَجَارِي زُلَّالٌ مِنْ ذُرَا الْأَحْجَارِ جَارِي
إِذَا مَا أَكْبَتِ الْأَدْوَارُ زُنْدًا فَلِي زَنْدٌ عَلَى الْأَدْوَارِ وَارِي^(٣)

وقال أبو الفتح البستي أيضاً :

بِسَيْفِ الدُّوَلَةِ اتَّسَقَتْ أُمُورٌ رَأَيْنَاهَا مُبَدَّدَةَ النَّظَامِ
سَمَا وَحَمَى بَنِي سَامٍ وَحَامٍ فَلَيْسَ كَمَثَلِهِ سَامٌ وَحَامٍ^(٤)

(١) النَّجَارُ: الأصل والمتحد.

(٢) النَّجْرُ: النَّجَارُ.

(٣) وَرَى الزند وَرِيّاً وَوَرِيّاً: خرجت ناره، فهو وارٍ وَوَرِيٌّ.

(٤) سَامٌ وَحَامٌ: ولدا نوح عليه السلام. والسامي: العالي المرتفع، من سما سُمُوّاً وسَمَاءً: علا وارتفع وتطاول. والحامي: المُدافع عن أرضه أو قومه أو عرضه أو نحو ذلك.

[أدب الحاجب]

بين ملك وحاجبه

قال بعضُ الملوكِ لحاجبه: إنك عيني التي أنظرُ بها، وجُتِّي التي أَسْتَنِيهِم إليها؛ وقد وَلَّيْتُكَ بابي، فما تراك صانعاً برعيتي؟

قال: أنظر إليهم بعينك، وأحملهم على قَدْرِ منازلهم عندك، وأضعهم لك في إبطائهم عن بابك ولزومهم خِدْمَتِكَ مواضع استحقاقهم، وأُرَتِّبهم حيث جعلهم ترتيبك، وأُحْسِنُ إِيْلَاغَكَ عنهم، وإِيْلَاغَهُمْ عنك.

قال: قد وَفَيْتَ بما عليك قولاً، إن وَفَيْتَ به فعلاً؛ والله وليّ كفايتك ومعونتك.

وصية المهدي للفضل بن الربيع

قال المهدي للفضل بن الربيع: إني قد وَلَّيْتُكَ سِتْرَ وجهي وكَشَفَهُ، فلا تجعل السِترَ بيني وبين خواصِّي سبباً لِضِغْنِهِمْ بِقُبْحِ رَدِّكَ، وعُبُوسِ وَجْهِكَ؟ وقَدِّمُ أبناء الدعوة؛ فإنهم أَوْلَى بالتقديم، وثَنِّ بالأولياء، واجعل للعامة وقتاً إذا دَخَلُوا أَعَجَلَهُمْ ضِيقُهُ عن التلبُّث، وصَرَفَهُمْ عَنِ التَّمَكُّثِ.

للحسن بن سهل

وقال الحسن بن سهل: إذا كان الملك مُحتَاجاً عن الرعية، ولم ينزل الوزير نفسه منزلةً تكون وسائلُ الناسِ إليه أنفُسَهُم واستحقاقَهُم دون الشفاعات والحرمات، حتى يختصَّ الفاضلُ دون المفضول، ويرتَّب الناسُ على أقدارهم وأوزانهم ومعرفتهم، امتزج التدبير، واختلَّت الأمور، ولم يميِّز بين الصدور والأعْجَاز، والنواصي والأذنان، وكان الناسُ فَوْضَى، وَوَهَتْ أسبابُ المُلْكِ، وانتَقَضَتْ مَرَاتِرُهُ^(١)، وشاعت سرائره، وإن أَقْرَبَ ما أرجو به صلاح ما أتولاه استماعي من المتنسِّمين بأنفسهم، المتوسِّلين بأفهامهم، المتوصِّلين بكفايتهم، وَابْتِذَالَ نفسي لهم، وصبري عليهم، وتصفحي ما توسلوا به وانتحلوه من العقول والآداب، والحماية والكفاية. فَمَنْ ثَبَتَ له دَعْوَاهُ أَنْزَلَتْهُ تلكَ الْمَنْزِلَةُ، ولم أَتَحَيَّهْ

(١) المرائر: جمع مريرة، وهي العزيمة، وعزّة النفس، وطاقة الحبل، يقال: استمرت مريرته على كذا: ألفه واستحكم أمره عليه.

حَقَّهُ^(١)، وَلَا نَقَصْتُهُ حَقًّا؛ وَمَنْ قَصَرَ عَمَّا ادَّعَى كَانَتْ مَنَزَلَتُهُ مَنَزَلَةَ الْمُقْصِرِينَ، وَلَمْ أُخَيِّبْ أَمَلَهُ مِنْ مَقْدَارِ مَا يَسْتَحِقُّهُ.

لبعض البلغاء

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ: إِذَا أَسَدَلَ الْوَالِي عَلَى نَفْسِهِ سِتْرَ الْحِجَابِ، وَهَيَّ عَمُودَ تَدْبِيرِهِ؛ وَاسْتَرْخَتْ عَلَيْهِ حِمَائِلُ الْحَزْمِ، وَازْدَلَفَتْ إِلَيْهِ وَفُودُ الذَّمِّ، وَتَوَلَّى عَنْهُ رُشْدُ الرَّاجِي، وَنَالَ أَمْرَهُ خَلْلَ الْإِنْتِشَارِ، وَآفَةُ الْإِهْمَالِ، وَتَسَرَّعَ إِلَيْهِ الْعَائِبُونَ بِلَوَاذِعِ أَلْسِنَتِهِمْ وَدَيِّبِ قَوَارِضِهِمْ.

بين سعيد بن عبد الملك وعبيد الله بن سليمان

وَحُجِبَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَنْ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ: صِرْتُ إِلَى بَابِكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - عِنْدَمَا حَدَثَ مِنْ أَمْرِكَ، فَلَمْ يَقْضَ لِقَاؤُكَ، وَعِلِمْتُ أَنَّ ثِقَتَكَ بِمَا عِنْدِي، قَدْ مَثَلَتْ لَكَ حَالِي مِنَ السَّرُورِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عِنْدَكَ، وَأَرْتَكُ مَوْضِعِي مِنَ الْإِعْتِدَادِ بِكُلِّ مَا خَصَّكَ وَوَصَّلَ إِلَيْكَ، فَوَكَلْتُ الْعُذْرَ إِلَى ذَلِكَ. ثُمَّ إِنَّا نَأْتِيكَ مُتِمِّينَ بَطْلَعَتِكَ، مُشْتَاقِينَ إِلَى رُؤْيَاكَ، فَيُحِبُّنَا عَنْكَ مُلَاحَظَ. وَهُوَ كَمَا عَلِمْتَ زَنِيمُ الصَّنِيعَةِ^(٢)، لَيْتِمُ الطَّبِيعَةَ، يَحْجُبُ عَنْكَ الْكِرَامَ، وَيَأْذُنُ عَلَيْكَ لِلثَّامِ، كُلَّمَا نَجَمَتْ لَهُ يَدٌ بِيضَاءَ^(٣)، أَتَبَعَهَا يَدًا سَوْدَاءَ؛ فَإِنْ رَأَيْتَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - أَنْ تَصْرِفَهُ عَنْ بَابِ مَكَارِمِكَ فَعَلْتَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

لأبي السمط بن أبي حفصة

وَقَالَ أَبُو السَّمْطِ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ^(٤):

فَكَيْ لَا يُبَالِي الْمُدْلِجُونَ بِثُورِهِ إِلَى بَابِهِ أَلَّا تُضِيَّ الْكَوَاكِبُ
لَهُ حَاجِبٌ فِي كُلِّ خَيْرٍ يُعِينُهُ وَلَيْسَ لَهُ عَنْ طَالِبِ الْعُرْفِ حَاجِبٌ

(١) حَافَ عَلَيْهِ حَيًّا: جَارَ وَظَلَمَ، وَتَحَيَّفَ الشَّيْءُ: أَخَذَ مِنْ حَافَاتِهِ وَتَنَقَّصَهُ.

(٢) الزَنِيمُ: الدَّعِيُّ الْمَلْحَقُ بِالْقَوْمِ، وَاللَّيْمُ الْمَعْرُوفُ بِلُؤْمِهِ وَشُرِّهِ.

(٣) نَجْمَ الشَّيْءُ نَجْمًا وَنُجُومًا: ظَهَرَ.

(٤) هُوَ أَبُو السَّمْطِ، مَرْوَانُ بْنُ يَحْيَى (أَبِي الْجَنُوبِ) بْنُ مَرْوَانَ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ يَحْيَى بْنِ أَبِي حَفْصَةَ،

وَيَعْرِفُ بِمَرْوَانَ الْأَصْغَرَ تَمَيزًا لَهُ عَنْ جَدِّهِ: شَاعِرٌ مِنَ الْوَلَاةِ، اخْتَصَّ بِالْمَتَوَكِّلِ الْعَبَّاسِيِّ فَمَدَحَهُ

وَنَادَمَهُ، وَقَلَدَهُ الْمَتَوَكِّلُ الْيَمَامَةَ وَالْبَحْرَيْنِ وَطَرِيقَ مَكَّةَ. تَوَفَّى نَحْوَ ٢٤٠ هـ / ٨٥٥ م. (ابن

المعتمر، طبقات الشعراء: ٣٩٢؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ١٥٣/١٣).

لمروان بن أبي حفصة

أخذ البيت الأول من قول جده مروان بن أبي حفصة الأكبر^(١):

إلى المصطفى المهدي خاضت ركابنا دجى الليل يخبطن السريح المخدم^(٢)
يكون لها نور الإمام محمد دليلاً به تسري إذا الليل أظلم^(٣)

لإدريس بن أبي حفصة

وقال إدريس بن أبي حفصة، وذكر إبلاً:

لها أمامك نور تستضيء به ومن رجائك في أعناقها حادي
لها أحاديث من ذكراك تغلها عن الرثوع وتلها عن الزاد^(٣)

لعمر بن شأس الأسدي

وأصله قول عمرو بن شأس الأسدي^(٤):

إذا نحن أدلجنا وأنت أماننا كفى لمطايانا بوجهك هادياً^(٥)
أليس يزيد العيس خفة أذرع، وإن كن حنري، أن تكون أمامياً^(٦)

وقال بعض أهل العصر:

(١) هو أبو الهندام، مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة: شاعر مجود، من أهل اليمامة. قدم بغداد، ومدح المهدي والرشيد، وله في معن بن زائدة مدائح ومراث عجيبة، وكان يُنقح شعره. توفي سنة ١٨٢ هـ / ٧٩٨ م، ودفن ببغداد. (ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٦٤٩/٢، ابن العماد، شذرات الذهب: ٣٠١/١).

(٢) المخدم: ذو الخدمة، وهو سير يُشد في رسغ البعير.

(٣) الرثوع: الرثي في خصب وسعة. ويقال: خرجنا نلعب ونرتع: نلهو وننعم.

(٤) هو أبو عرار، عمرو بن شأس بن عبيدة بن ثعلبة بن أسد: شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وأسلم وهو شيخ كبير، وشهد القادسية وله فيها أشعار، وكان من أهل المروءة والخير. توفي نحو ٢٠ هـ / ٦٤٠ م. (الأصفهاني، الأغاني: ١٨٦/١١؛ المرزباني، معجم الشعراء: ٢٢).

(٥) أدلج القوم: ساروا عن أول الليل.

(٦) حنري: متعبات.

وَلَيْلٍ وَصَلْنَا بَيْنَ قُطْرَيْهِ بِالشُّرَى
أَرَبَّتْ عَلَيْنَا مِنْ دُجَاهٍ حَنَادِسُ
فَنَادَيْتُ يَا أَسْمَاءَ، بِاسْمِكَ، فَانْجَلَتْ
بِنَا أَنْتَ مِنْ هَادٍ نَجَوْنَا بِذِكْرِهِ
مَحْتَكِ إِخْلَاصِي وَأَصْفَيْتُكَ الْهُوَى
وَقَدْ جَدَّ شَوْقٌ مُطْمِعٌ فِي وَصَالِكَ^(١)
أَعَدَّنَ الطَّرِيقَ النَّهْجَ وَغَرَّ الْمَسَالِكَ^(٢)
وَأَسْفَرَ مِنْهَا كُلُّ أَسْوَدَ حَالِكِ
وَقَدْ نَشِبَتْ فِينَا أَكُفْتُ الْمِهَالِكِ^(٣)
وَإِنْ كُنْتُ لِمَا تُخْطِرُنِي بِبَالِكِ

للقطامي

وقال القطامي^(٤):

ذَكَرْتُكُمْ لَيْلًا فَزُورَ ذِكْرُكُمْ
فَوَاللهِ مَا أَذْرِي أَضْوَاءَ مَسْجَرٍ^(٥)
دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى انْجَابَ عَنْهُ دِيَاغِرُهُ^(٦)
لِذِكْرَاكُمْ أَمْ يَسْجُرُ اللَّيْلَ سَاجِرُهُ^(٧)

للقيني

وقال القيني^(٨):

وَإِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمُ هُمُ
نُجُومُ سَمَاءٍ كَلِمَا انْقَضَى كَوَكَبٌ
إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ
بَدَا كَوَكَبٌ تَأْوِي إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ

(١) الشُّرَى: السير ليلًا.

(٢) أَرَبَّتْ: زادت ولزمت. والدجى: جمع دُجَيَّة: الظلمة. والحنادس: جمع حندس: الظلمة.

(٣) نشبت: عقلت.

(٤) هو أبو سعيد، عُمير بن شُيَم التغلي، من بني بكر بن حبيب، وهم بطن من تغلب، والقطامي (بضم القاف وفتحها) لقب غلب عليه: شاعر مجيد، قدم دمشق في خلافة عمر بن عبد العزيز، وكان أحسن الشعراء ابتداء قصيد. توفي نحو ١٣٠ هـ / ٧٤٧ م. (ابن سلام، طبقات الشعراء: ٥٥٣٥؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ٢٣٦/١).

(٥) الدياجر: جمع ديجور: الظلمة، وقد وصفوا به فقالوا: ليل ديجور، وديمة ديجور: مظلمة بما تحمل من الماء.

(٦) مَسْجَرُ النُّور: ملاء وقوداً وأحماء.

(٧) هو أبو الطمحان، حنظلة بن شرقي، أحد بني القين، من قضاة: شاعر، فارس. عاش في الجاهلية، وكان من عُشراء الزبير بن عبد المطلب. وأدرك الإسلام، ولم ير النبي ﷺ. توفي نحو ٣٠ هـ / ٦٥٠ م. (الآمدي، المؤلف والمختلف: ٢٢١؛ ياسين الأيوبي، معجم الشعراء في لسان العرب: ٢٤٩).

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دَجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزَعُ ثَاقِبَةً^(١)

للحطيئة

وقال الحطيئة:

نَمْشِي عَلَى ضَوْءِ أَحْسَابٍ أَضَاءَ لَنَا كَمَا أَضَاءَتْ نُجُومُ اللَّيْلِ لِلسَّارِي
وقد رَدَّده في موضع آخر فقال:

هُم الْقَوْمُ الَّذِينَ إِذَا أَلَمْتُ مِنْ الْأَيَّامِ مُظْلِمَةٌ أَضَاءُوا

للقاسم بن حنبل المدني

وكلام القاسم بن حنبل المَدَنِي من هذا، حيث يقول:

مِنَ الْبَيْضِ الْوُجُوهُ بَنِي سِنَانٍ لَوْ أَنَّكَ تَسْتُضِيءُ بِهِمْ أَضَاءُوا
فَلَوْ أَنَّ السَّمَاءَ دَنَتْ لِمَجْدٍ وَمَكْرُمَةٍ دَنَتْ لَهُمُ السَّمَاءُ
هُمْ حَازُوا مِنَ الشَّرَفِ الْمُعْلَى وَمِنْ كَرَمِ الْعَشِيرَةِ حَيْثُ شَاءُوا

وقال بعض المتقدمين:

إِذَا إِشْرَقَتْ فِي جُنْحٍ لَيْلٍ وَجُوهُهُمْ كَفَّوْا خَابِطَ الظُّلُمَاءِ فَقَدْ الْمَصَابِحُ
وَإِنْ نَابَ خَطْبٌ أَوْ أَلَمْتُ مُلِمَّةٌ فَكَمْ نَمٍّ مِنْ أَسِي جِرَاحٍ وَجَارِحٍ^(٢)

للوَضَّاحِ التِّيمِي

وقال أبو بديل الوضَّاح بن محمد التِّيمِي في المستعين:

وَقَسَائِلُهُ وَاللَّيْلُ قَدْ نَشَرَ الدُّجَى فَعَطَى بِهَا مَا بَيْنَ سَهْلٍ وَقَرَدَدٍ^(٣)
أَرَى بَارِقًا يَبْدُو مِنَ الْجَوْسَقِ الَّذِي بِهِ حَلَّ مِيرَاثُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ^(٤)
أَضَاءَتْ لَهُ الْآفَاقُ حَتَّى كَانَمَا رَأَيْنَا بِنَصْفِ اللَّيْلِ نُورَ ضُحَى غَدٍ

(١) رواية العمدة (١٣٩/٢): «حتى نظم العقد ثاقبه».

(٢) الآسي: الطيب، والجراح.

(٣) الفرزد: ما ارتفع من الأرض، والجمع قراديد.

(٤) الجوسق: القصر الصغير، والحصن، والجمع جواسق.

فَطَلَّ عَذَارَى الْحَيِّ يَنْظُمْنَ تَحْتَهُ سُلُوكاً مِنَ الْجَزَعِ الَّذِي لَمْ يُسَرِّدْ^(١)
فَقُلْتُ: هُوَ الْبَذْرُ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ وَلَا يَكُنْ فَالْثُورُ مِنْ وَجْهِ أَحْمَدِ

[حث الاشتياق]

لعمر بن أبي ربيعة

وقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة في معنى قول عمرو بن شأس في حث الاشتياق^(٢):

خَلِيلِي مَا بَالُ الْمَطَايَا كَأَنَّمَا تَرَاهَا عَلَى الْأَعْقَابِ بِالْقَوْمِ تَنْكُصُ^(٣)
فَقَدْ أَتَعَبَ الْحَادِي سُرَاهُنَّ، وَأَنْحَنَى بِهِنَّ - فَمَا بِالْوَا - عَجُولٌ مُقْلَصُ^(٤)
وَقَدْ قُطِعَتْ أَعْنَاقُهُنَّ صَبَابَةً فَأَعْيَنَهَا مِمَّا تَكَلَّفْتُ تَشْخَصُ^(٥)
يَزِدُنَ بِنَا قُرْباً فَيَزِدَادُ شَوْقُنَا إِذَا اِزْدَادَ قُرْبُ الدَّارِ وَالْبُعْدُ يَنْقُصُ^(٦)
وقال بعض الرجاز، وذكر إبلًا:

إِنَّ لَهَا لِسَانًا خَدَلَجَا لَمْ يُدَلِّجِ اللَّيْلَةَ فَيَمَنْ أَدَلَجَا^(٧)

مما أنشده إسحاق الموصلي

يريد امرأة يحبها فيحثه ما يجده من الشوق على إجهاد مطاياها بالسوق. كما أنشد
إسحاق الموصلي:

صَبَّ يَحِثُّ مَطَايَاهُ بِذِكْرِكُمْ وَلَيْسَ يَنْسَاكُمْ إِنْ حَلَّ أَوْ سَارَا

- (١) الْجَزَعُ: ضرب من العقيق يُعَرَّفُ بخطوط متوازية مستديرة مختلفة الألوان، والحجر في جملته بلون الظفر.
- (٢) عمر بن أبي ربيعة، الديوان: ١٠/٢.
- (٣) المطايا: الدواب من إبل ونحوها. وفي الديوان: «على الأدبار»، والأدبار والأعقاب: الخلفيات. وتنكص: ترجع، ترد.
- (٤) الحادي: سائق الإبل. السرى: السير ليلاً. اتحنى: تجنب. يألُو: يُقَصِّرُ. مُقْلَصٌ: مُشَمَّرٌ.
- (٥) الصبابة: شدة الشوق وحرارته. وفي الديوان: «فأنفسنا مما يلاقين شخص». وشخص: جمع شاخصة: مشدودة حائرة مندهشة.
- (٦) في الديوان: «إذا زاد طول العهد». وطول العهد: طول زمن الفراق. يقول: المطايا تزيد بنا اقتراباً، وشوقنا يزداد بازدياد أمد الفراق، على حين أن المسافة تتقاصر وتقل.
- (٧) الخدلج: الممتلىء الذراعين والساقين.

لَوْ يَسْتَطِيعُ طَوَى الْأَيَّامِ نَحْوَكُمْ حَتَّى يَبِيعَ بِعُمَرِ الْقُرْبِ أَعْمَارًا
يَرْجُو النَّجَاةَ مِنَ الْبُلْوَى بِقُرْبِكُمْ وَالْقُرْبُ يُلْهَبُ فِي أَحْشَائِهِ نَارًا
هذا البيت يناسب أبيات ابن أبي ربيعة. يقول: كلما دنا ازداد حِرْصاً على اللقاء.

إسحاق الموصلي

وَشَخَّصَ إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِي إِلَى الْوَائِقِ بِسُرٍّ مِنْ رَأْيٍ، وَأَهْلُهُ بِبَغْدَادَ، فَتَصِيدُ الْوَائِقَ وَهُوَ
مَعَهُ إِلَى نَوَاحِي عُكْبَرَاءَ، فَلَمَّا قَرَّبَ مِنْ بَغْدَادَ قَالَ:

طَرِبْتُ إِلَى الْأَصْيَبَةِ الصَّغَارِ وَهَاجَكَ مِنْهُمْ قَرْبُ الْمَزَارِ
وَكُلُّ مُسَافِرٍ يَزْدَادُ شَوْقًا إِذَا دَنَّتِ الدِّيَارُ مِنَ الدِّيَارِ

ولحنه وغنائه الواثق، فاستحسنه وأطربه، فصرفه إلى بغداد على ما أحب، وكان
إسحاق قال أولاً:

وَكُلُّ مُسَافِرٍ يَشْتَاقُ يَوْمًا إِذَا دَنَّتِ الدِّيَارُ مِنَ الدِّيَارِ
فعابوا قوله «يومًا»، وقالوا: هي لفظة قلقة في هذا الموضع، لم تحل بمركزها، ولا
لها هنا موقع. قال: فضعوا مكانها مثلها لا خيراً منها. فما استطاعوا ذلك، فغيرها إلى ما
أنشدت أولاً.

لأبي نواس

وقال أبو نواس^(١):

أَمَّا الدِّيَارُ فَقَلَّمَا لَبِثُوا بِهَا بَيْنَ اشْتِيَاقِ الْعَيْسِ وَالرَّكْبَانِ^(٢)
وَضَعُوا سِيَاطَ الشُّوقِ فَوْقَ رِقَابِهَا حَتَّى طَلَعْنَ بِهَا عَلَى الْأَوْطَانِ^(٣)

لمخلد بن بكار الموصلي

وقال مَخْلَدُ بْنُ بَكَارٍ الْمَوْصِلِيُّ^(٤):

- (١) أبو نواس، الديوان: ص ٢٩٢.
- (٢) في الديوان: «بين اشتياق العيس بالركبان». والعيس: النوق. والركبان: المسافرين.
- (٣) في الديوان: «وضعوا سياط الشوق في أعناقها»، و«حتى اطلعن بهم». واطلع عن وطنه: ارتحل عنه.
- (٤) هو مخلد بن بكار الموصلي: شاعر عباسي، عاصر أبا تمام وهجاء، فلم يلتفت إليه أبو تمام، =

أَقُولُ لِنُضْوِ أَفْقَدَ السَّيْرِ نِيَّهَا وَلَمْ يُبْقِ مِنْهَا غَيْرَ عَظِيمٍ مُجَلِّدٍ^(١)
 خِدِي بِي ابْتِلَاكَ اللَّهُ بِالشَّوْقِ وَالْهَوَى وَشَافَكَ تَحْنَانُ الْحَمَامِ الْمَغْرَدِ^(٢)
 فَمَرَّتْ سَرِيعاً خَوْفَ دَعْوَةِ عَاشِقِي تَشَقُّ بِبَيِّ الْمَوْمَاءَةِ فِي كُلِّ فَدْفِدٍ^(٣)
 فَلَمَّا وَنَتْ فِي السَّيْرِ ثَنَيْتُ دَعْوَتِي فَكَانَتْ لَهَا سَوَاطٍ إِلَى ضَحْوَةِ الْغَدِ^(٤)

وكان مغلّد حلو الطبع، وهو القائل يمدح رجلاً:

يَطْلُعُ النَّجْمُ عَلَى صَعْدَتِهِ فَإِذَا وَاجَهَ نَحْرًا أَفْلَا^(٥)
 مَعَشَرٌ إِنْ ظَمِئَتْ أَرْمَاحُهُمْ أَوْرَدُوهُنَّ مُجَاجَاتِ الطَّلَى^(٦)
 تَحْنُنُ الْأَلْوَانُ مِنْهُمْ فِي الْوَعَى حِينَ تُسْتَنْكِرُ لِلرَّغْبِ الْحُلَى^(٧)
 سَخَطُ عَبْدِ اللَّهِ يُذْنِي الْأَجَلَا وَرِضَاهُ يَتَعَلَّدِي الْأَمَلَا^(٨)
 يُعْشِبُ الصَّلْدُ إِذَا سَالَمَهُ وَإِذَا حَارَبَ رَوْضًا أَمَحَلَا^(٩)
 [مَلِكٌ لَوْ نَشَرْتُ آلاؤُهُ وَأَيَادِيهِ عَلَى اللَّيْلِ أَنْجَلَى]
 حَلَّ بِالْبَاسِ ابْنُ عَمْرٍو مَزِلَا طَالَ حَتَّى قَصُرَتْ فِيهِ الْعُلَا
 حَطَّ رَحْلِي فِي ذَرَاهُ جُودُهُ وَتَمَشَّى فِي نَدَاهُ الْخَيْرَ كَلَى^(٩)

[جَوْدَةُ الْخَط]

صفة الخط الجيد

سُئِلَ بَعْضُ الْكُتَّابِ عَنِ الْخَطِّ: مَتَى يَسْتَحِقُّ أَنْ يُوصَفَ بِالْجَوْدَةِ؟ فَقَالَ: إِذَا اعْتَدَلَتْ

= ولو هجاء لشرفت حاله ونبه ذكره. قدم العراق، ومدح المعتصم العباسي. (ابن المعتز، طبقات الشعراء: ٢٩٨).

- (١) النضو: المهزول من الإيل. والنبي: الشحم.
- (٢) خدي: فعل أمر من الوخد، وهو ضرب من السير سريع.
- (٣) الموماءة: المفازة. والفدند: الصحراء.
- (٤) ونت: ضعفت، فترت.
- (٥) الصَّعْدَةُ: القناة تنبت مستوية فلا تحتاج إلى تثقيف.
- (٦) الطلّى: الأعناق، مفرداها: طُلَاةٌ.
- (٧) الوعى: الحرب.
- (٨) الصَّلْدُ: الأرض لا تنبت شيئاً، والصخرة العريضة الملساء.
- (٩) الخَيْرَ كَلَى: مشية فيها تتأقل.

أَقْسَامُهُ، وَطَالَتْ أَلْفُهُ وَلَا مُمْهٌ، وَاسْتَقَامَتْ سَطُورُهُ، وَضَاهَى صُعُودُهُ حُدُورُهُ، وَتَفَتَّحَتْ عَيُونُهُ، وَلَمْ تَشْتَبِهْ رَأَاهُ وَنُونُهُ، وَأَشْرَقَ قِرْطَاسُهُ، وَأَظْلَمَتْ أَنْفَاسُهُ، وَلَمْ تَخْتَلَفْ أَجْنَاسُهُ، وَأَسْرَعَ إِلَى الْعَيُونِ تَصَوُّرُهُ، وَإِلَى الْعُقُولِ تَشْمُرُهُ، وَقُدِّرَتْ فَصُولُهُ، وَانْدَمَجَتْ وُصُولُهُ، وَتَنَاسَبَ دَقِيقُهُ وَجَلِيلُهُ، وَخَرَجَ مِنْ نَمَطِ الْوَرَّاقِينَ، وَيَعُدُّ عَنْ تَصْنِيعِ الْمُحَرَّرِينَ، وَقَامَ لِصَاحِبِهِ مَقَامُ النِّسْبَةِ وَالْحِلْيَةِ، كَانَ حَيْثُذُ كَمَا قَالَ صَاحِبُ هَذَا الْوَصْفِ فِي صِفَةِ خَطٍّ^(١):

إِذَا مَا تَجَلَّلَ قِرْطَاسُهُ وَسَاوَرَهُ الْقَلَمُ الْأَرْقَشُ^(٢)
تَضَمَّنَ مِنْ خَطِّهِ حُلَّةٌ كَنَفَشِ الدَّنَانِيرِ، بَلْ أَنْفَشُ
حُرُوفٌ تُعِيدُ لِعَيْنِ الْكَائِلِ نَشَاطاً وَيَقْرُؤُهَا الْأَخْفَشُ^(٣)

وَرَّاقٌ يَصِفُ عَيْشَهُ

قَالَ أَبُو هَفَّانٍ: سَأَلْتُ وَرَّاقاً عَنْ حَالِهِ فَقَالَ: عَيْشِي أَضْيَقُ مِنْ مِخْبَرَةٍ، وَجِسْمِي أَدْقُ مِنْ مِسْطَرَةٍ، وَجَاهِي أَرْقُ مِنَ الزَّجَاجِ، وَوَجْهِي عِنْدَ النَّاسِ أَشَدُّ سَوَاداً مِنَ الْحَبْرِ بِالزَّجَاجِ، وَحَظِّي أَخْفَى مِنْ شَقِّ الْقَلَمِ، وَيَكْدَايَ أَضْعَفُ مِنْ قَصْبَةِ، وَطَعَامِي أَمَرُّ مِنَ الْعَقْصِ^(٤)؛ وَشِرَاكِي أَحَرُّ مِنَ الْحَبْرِ، وَسَوْءُ الْحَالِ أَلْزَمُ لِي مِنَ الصَّنْعِ؛ فَقُلْتُ لَهُ: عَبَّرْتَ عَنْ بِلَاءِ بِلَاءٍ!

لِإِسْمَاعِيلِ الْحَمْدُونِيِّ

وَقَالَ الْحَمْدُونِيُّ:

عِنَانَ شَاوِيٍّ عَمَّا رُمْتُ مِنْ هِمَمِي عِثَّتَانِ مِنْ أَدَوَاتِ الْعِلْمِ قَدْ تَنَّتَا
وَقَلَمَ الْحِظِّ تَحْرِيفٌ مِنَ الْقَلَمِ أَمَّا الدَّوَاءُ فَأَدَمَى جُرْمُهَا جَسَدِي
تَذُودُ عَنِّي سَوَامَ الْمَالِ وَالنَّعَمِ وَحَبَّرَتْ لِي صُحُفَ الْحَرْفِ مِخْبَرَةٌ
لِعِصْمَتِي نَافِرٌ خَلَوُ مِنَ الْعِصَمِ وَالْعِلْمُ يَغْلُمُ أَنِّي حِينَ أَخَذُهُ

وَلِلْحَمْدُونِيِّ فِي الْحَرْفَةِ أَشْعَارٌ مُسْتَظَرِّقَةٌ، وَكَانَ مُلْبِجَ الْإِفْتِنَانِ، حُلُوُّ التَّصَرُّفِ؛ وَهُوَ

(١) الأبيات في نهاية الأرب للنويري: ١٥/٧.

(٢) الأرقش من الأفاعي: ما فيه نقط سوداء وبياض، شبه به القلم في قوة فعله، وبلوغ أثره، أو هو من رقص الكتاب إذا كتبه وزينه.

(٣) الأخفش: الضعيف البصر.

(٤) العقص: شجرة البلوط، وثمرها، وهو دواء قابض مُجَفِّفٌ، وربما اتخذوا منه حَبِراً أو صِبْغاً.

إسماعيل بن إبراهيم بن حمّادويه، وحمدويه جدّه، وهو صاحب الزنادقة في أيام الرشيد، والحمدوني هو القائل:

مَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا لَهُ شَارَةٌ فَحَنْ مِنْ نَظَارَةِ الدُّنْيَا
نَرْمُقُهَا مِنْ كَتَبِ حَسْرَةٍ كَأَنَّا لَفْظٌ بِلَا مَعْنَى
وقال:

قَدْ قُلْتُ إِذْ خَرَجُوا لَكِي يَسْتَمْطِرُوا: لَا تَقْنَطُوا وَاسْتَمْطِرُوا بِشَابِي
لَوْ فِي حَزِيرَانٍ هَمَمْتُ بِغَسْلِهَا غَطَّى ضِيَاءَ الشَّمْسِ جَوْ سَحَابِ
فَكَأَنَّهَا الْعَبَّاسُ يَسْتَسْقِي بِهِ عُمَرُ فَيُرْوِيهِمْ دُعَاءُ مُجَابِ^(١)

[حرفة الأدب]

لبعض الشعراء

وقال آخر في المعنى الأول:

لَمَّا أَجَدْتُ حُرُوفَ الْخَطِ حَرْفِي عَنْ كُلِّ حِظٍّ وَجَاءَتْ حِرْفَةُ الْأَدَبِ
أَقْوَتْ مَنَازِلُ مَالِي حِينَ وَطَنَهَا مُخِئَّمًا سَفَطُ الْأَقْلَامِ وَالْكُتُبِ^(٢)

للخريمي

وقال يعقوب الخريمي:

مَا أَزْدَدْتُ فِي أدَبِي حَرْفًا أُسْرُ بِهِ إِلَّا تَزَيَّدْتُ حَرْفًا تَحْتَهُ شُومُ
كَذَاكَ مَنْ يَدَّعِي حِذْقًا بِصَنْعَتِهِ أَلَّى تَوَجَّهَ فِيهَا فَهُوَ مُحَرُّومُ

لعلي بن بسام

ولما قتل المقتدر أبا العباس بن المعتز، وزعم أنه مات خَفَّ أنفه، قال علي بن محمد بن بسام:

- (١) يروى أن المطر كان قد احتبس بعد انتقال رسول الله ﷺ إلى الرقيق الأعلى، فاستسقى عمر بن الخطاب بالعباس بن عبد المطلب، فقاهاهم الله تعالى.
- (٢) أقوت المنازل: خلت من ساكنيها. السَّفَطُ (في الأصل): وعاء يوضع فيه الطيب ونحوه من أدوات النساء، وقيل: هو وعاء من قضبان الشجر ونحوها، توضع فيه الأشياء كالفاكهة ونحوها.

لِلَّهِ دَرْكٌ مِنْ مَيْتٍ بِمَضْيَعَةٍ نَاهِيكَ فِي الْعِلْمِ وَالْآدَابِ وَالْحَبِ
مَا فِيهِ لَسُوٌّ وَلَا لَيْتٌ فَيَنْقُصُهُ وَإِنَّمَا أَدْرَكْتَهُ حِرْفَةُ الْآدَبِ

[رزق الحمقى والعقلاء]

لابن الرومي

قال ابن الرومي^(١):

يَا لَيْتَ أَهْلَ الْبَيْتِ إِذْ حُرِمُوا عُصِمُوا مِنَ الشَّهَوَاتِ وَالْفِتَنِ^(٢)
لَكِنَّهُمْ حُرِمُوا وَمَا عُصِمُوا فَقَلْبُوبُهُمْ مَرَضَى مِنَ الْحَزَنِ
وَهُمْ أَطْبُّ عَلَى بَلِيَّتِهِمْ مِنْ غَيْرِهِمْ بِمَضَاضَةِ الشَّجَنِ^(٣)

لجعفر بن محمد

وقال جعفر بن محمد: إن الله وسَّعَ أرزاقَ الحمقى ليعتبرَ العقلاء، ويعلموا أنَّ الدنيا لا يَنَالُ ما فيها بِعَقْلِ ولا حيلة؛ أَلَا إِنَّ كَسْبَ الْمَالِ بِالْحِظِّ، وَحِفْظَهُ بِالْعَقْلِ.

للنظام

قال إبراهيم بن سيَّار النظام^(٤): الذهبُ لثيم؛ لأنَّ الشَّكْلَ يَصِيرُ إِلَى شَكْلِهِ، وهو عند اللثام أَكْثَرُ منه عند الكرام. قال المتنبي - وأخذَ هذا المعنى^(٥):

وَشَبَّهَ الشَّيْءَ مَنْجَسِدَبٌ إِلَيْهِ وَأَشْبَهَا بِدَيْئَانَا الطَّغَامُ^(٦)

(١) ابن الرومي، الديوان: ٢٢٠/٦.

(٢) في الديوان: «يا ليت أهل العقل».

(٣) رواية الديوان:

وَهُمْ أَحْسُوا عَلَى بَلِيَّتِهِمْ مِنْ غَيْرِهِمْ بِمَضَاضَةِ الْغَبَنِ
والمضاضة: وجع المصية. والشَّجَنُ: الحزن.

(٤) هو أبو إسحاق، إبراهيم بن سيَّار بن هانيء البصري المعروف بالنظام: شاعر، أديب بليغ، من أئمة المعتزلة. توفي سنة ٢٣١ هـ / ٨٤٥ م. (ابن المعتز، طبقات الشعراء: ٢٧١؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ٢٦/٤).

(٥) المتنبي، الديوان: ٢٢٨/١.

(٦) الطَّغَامُ: الأرذال.

بعض أخبار النظام وكلامه

وكان النظام له نظرٌ بوجوه التصرف، وكان السلطان يَصِلُهُ بالكثير، وكان محظوظاً؛ فإذا اجتمع له مالٌ حَسَنٌ لنفسه بُلْغَةً، وفرَّقَ الباقي في أبواب المعروف؛ فقليل له في ذلك، فقال: مِنْ حَقِّ الْمَالِ عَلَيَّ أَنْ أَطْلُبَهُ مِنْ مَعْدَنِهِ، وَأُصِيبَ بِهِ الْفُرْصَةَ عِنْدَ أَهْلِهِ؛ وَمِنْ حَقِّي عَلَيْهِ أَنْ يَقْبِنِي السُّوءَ بِنَفْسِهِ، وَيَصُونَ عِرْضِي بِابْتِدَالِهِ، وَلَا يَفْعَلْ ذَلِكَ إِلَّا بِأَنْ أَسْمَحَ بِهِ؛ أَلَا تَرَى ذَا الْغِنَى؟ مَا أَدْوَمَ نَصَبُهُ^(١)، وَأَقْلَرَّ رَاحَتَهُ، وَأَخْصَسَ مِنْ مَالِهِ حَظَّهُ، وَأَشَدَّ مِنَ الْأَيَّامِ حَذَرَهُ، وَأَغْرَى الذَّهْرَ بِثُلِيهِ وَنَقَصِهِ، ثُمَّ هُوَ بَيْنَ سُلْطَانٍ يَرْعَاهُ، وَذَوِي حَقُوقٍ يَسْتَوْنُهُ، وَأَكْفَاءٍ يَنَافِسُونَهُ، وَوَلَدٍ يَرِيدُونَ فِرَاقَهُ، قَدْ بَعَثَ عَلَيْهِ الْغِنَى مِنْ سُلْطَانِهِ الْعَنَاءَ، وَمِنْ أَكْفَائِهِ الْحَسَدَ، وَمِنْ أَعْدَائِهِ الْبَغْيَ، وَمِنْ ذَوِي الْحَقُوقِ الذَّمَّ، وَمِنْ الْوَلَدِ الْمَلَالَ، وَذُو الْبُلْغَةِ^(٢) قَنَعَ قَدَامَ لَهُ السُّرُورَ، وَرَفَضَ الدُّنْيَا فَسَلِمَ مِنَ الْمَحْذُورِ، وَرَضِيَ بِالْكَفَافِ فَتَنَكَّبَتْهُ الْحَقُوقُ.

[أفكار الوراقين]

وصف الوراق

قال الصولي أنشدني محمد بن أحمد بن إسحاق:

أَذْمَى الْبُكَاءُ جَفَنِيَّ وَالْمَاتِي	فَظَلْتُ ذَا هَامٍ وَذَا اخْتِرَاقٍ
مَا إِنْ أَرَى فِي الْأَرْضِ وَالْآفَاقِ	أَذْنَى وَلَا أَشْقَى مِنَ الْوَرَّاقِ
إِذَا أَتَى فِي الْقُمْصِ الْأَخْلَاقِ	رَأَيْتُهُ مَطِيرَةَ الْعُشَّاقِ ^(٣)
يَقْرَحُ بِالْأَفْلَامِ وَالْأَوْرَاقِ	كَفَرَحَةِ الْجُنْدِيِّ بِالْأَرْزَاقِ

وقال بعض الوراقين:

إِذَا كُنْتُ بِاللَّيْلِ لَا أَكْتُبُ	وَطُولَ النَّهَارِ أَنَا أَلْعَبُ
فَطَوَّراً يُطْلَنِي مَا أَكُلُ	وَطَوَّراً يُطْلَنِي مَشْرَبُ ^(٤)
فَإِنْ دَامَ هَذَا عَلَيَّ مَا أَرَى	فَيَتِي أَوَّلُ مَا يَخْرَبُ

(١) النصب: التعب.

(٢) البُلْغَةُ: ما يكفي لسد الحاجة ولا يفضل عنها.

(٣) القُمْص: جمع قميص. والأخلاق: جمع خلق (بالتحريك)، وهو البالي.

(٤) يقال: بَطَّلَ العامل: عَطَّلَهُ، وَتَبَطَّلَ: تَعَطَّلَ.

وقيل لورّاق: ما تَشْتَهِي؟ فقال: قَلَمًا مَشَّاقًا^(١)، وَحِجْرًا بَرَّاقًا، وَجِلُودًا رِقَاقًا. وكل امرئٍ فَأَمْنِيَّتُهُ عَلَى مَا يُطَاقُ غَرِيزَتُهُ، وَيُؤَافِقُ نَحِيزَتُهُ^(٢).

[أَطِيبُ اللَّذَاتِ عِنْدَ الشُّعْرَاءِ]

لَذَاتُ امْرِئِ الْقَيْسِ

قال علي بن جبلة العكوك^(٣): قال الأصمعي: سئل امرؤ القيس: ما أطيب لذات الدنيا؟ قال: بِيضَاءُ رُعْبُوبَةٍ^(٤)، بِالْحَسَنِ مَكْبُوبَةٍ، بِالشَّحْمِ مَكْرُوبَةٍ^(٥)، بِالْمِسْكِ مَشْبُوبَةٍ.

لَذَاتُ الْأَعَشَى

وسئل الأعشى عن ذلك، فقال: صَهْبَاءُ صَافِيَةٍ^(٦)، تَمَرُجُهَا سَاقِيَةٌ، مِنْ صَوْبٍ غَادِيَةٍ^(٧).

لَذَاتُ طَرْفَةٍ

وسئل طرفة عن ذلك، فقال: مَرْكَبٌ وَطِيٌّ، وَثَوْبٌ بَهِيٌّ، وَمَطْعَمٌ شَهِيٌّ.

لَذَاتُ أَبِي دُلْفٍ

قال العكوك: فَحَدَّثْتُ بِهَذَا أَبَا دُلْفٍ، فَقَالَ:

أَطِيبُ الطَّيِّبَاتِ قَتْلُ الْأَعَادِي وَاخْتِيَالٌ عَلَى مُسُونِ الْجِيَادِ
وَرَسُولٌ يَأْتِي بِسَوْعَدٍ حَبِيبٍ وَحَبِيبٌ يَأْتِي بِلَا مِيعَادِ

لَذَاتُ حُمَيْدِ الطُّوسِيِّ

وَحَدَّثْتُ بِذَلِكَ حُمَيْدًا الطُّوسِيَّ، فَقَالَ:

- (١) قَلَمٌ مَشَّاقٌ: سريع الجري في القُرطاس.
- (٢) الْغَرِيزَةُ وَالنَّحِيزَةُ: الطَّيِّعَةُ وَالسَّجِيَّةُ.
- (٣) هُوَ أَبُو الْحَسَنِ، عَلِيُّ بْنُ جَبَلَةَ بْنِ مُسْلِمٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: شَاعِرٌ مَطْبُوعٌ فَصِيحٌ. وَلَدَ بَغْدَادَ، وَكَانَ يَعْرِفُ بِالْعَكُوكِ، وَقِيلَ: إِنَّهُ مَاتَ مِائَةً شَيْعَةً سَنَةَ ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م. (ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٧٤٢/٢؛ ابن المعتز، طبقات الشعراء: ١٧١).
- (٤) الرَعْبُوبَةُ: الْفَتَاةُ النَّاعِمَةُ الْحَسَنَةُ.
- (٥) مَكْرُوبَةٌ: مَمْتَلَقَةٌ.
- (٦) الصَّهْبَاءُ: الْخَمْرُ.
- (٧) الْغَادِيَةُ: السَّحَابَةُ تَمُرُّ غَدَوَةً.

فَلَوْلَا ثَلَاثٌ هُنَّ مِنْ لَذَّةِ الْفَتَى، وَجَدَّكَ، لَمْ أَحْضِلْ مَتَى قَامَ عُودِي^(١)
 فَمِنْهُنَّ سَبَقُ الْعَاذِلَاتِ بِشَرْبَةِ كُمَيْتٍ، مَتَى مَا تُعَلِّ بِالْمَاءِ تُزِيدُ^(٢)
 وَكَرِّي إِذَا نَادَى الْمُضَافُ مُحِبِّباً كَسِيدِ الْغَضَا ذِي السَّوْرِ الْمُسَوِّرُ^(٣)
 وَتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجْنِ، وَالذَّجْنُ مُعْجِبٌ بِهَيْكَنَةٍ تَحْتَ الْخَبَاءِ الْمُعَمَّدِ^(٤)
 والشعر لطرفة بن العبد^(٥).

لَذَاتُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

وحدثت بذلك يزيد بن عبد الله، فقال: ما أدري ما قالوا، ولكني أقول:
 فَأَقْبَلُ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ مَنْ قَرَّ عَيْنًا بِعَيْشِهِ نَفَعَهُ
 فكان أسدَّهم.

(١) ويروى: «هُنَّ مِنْ عَيْشَةِ الْفَتَى»، وعيشة الفتى: ما يحتاجه في حياته ويلتذ به من خمر أو نساء أو غير ذلك. والجد: الحظ. وقوله: «وجدك» أي: وحقق. والعُودُ: جمع عائد، وهو الزائر في المرض.

(٢) سبق العاذلات: العُدُوُّ باكراً إلى شرب الخمر قبل انتباه اللاتيمات. والكميت من الخمر: البالغة الحمرة التي تضرب إلى السواد.

(٣) الكرُّ: الرجوع والعطف، وقيل: هو أشدُّ القتال. والمُضَاف: الخائف المذعور. الْمُحِبِّبُ: الأتني الذراع، وقيل: التحبب في الفرس: انحناء وتوتير في الصُّلْبِ واليدين، وهو مما يمدح به، قال امرؤ القيس:

فَلَأَيَّ سِلَاحِي مَا حَمَلْنَا وَلَيْدَنَا عَلَى ظَهْرِ مَحْبُوكِ السَّرَاةِ مُحِبِّبِ
 (ديوانه: ص ١٨). والسَّيْدُ: الذئب. والسَّوْرَةُ: الوثبة. ويروى: «كسيد الغضا نبهته المتورد». وَنَبَّهَتْ: هيَّجَتْ. والمتورد: الذي يطلب ورود الماء. والغضا: شجر صلب العود، جمده يبقى زماناً طويلاً لا ينطفئ.

(٤) الدَّجْنُ: ظل الغيم في اليوم المطير. وتقصير اليوم: جعله قصيراً باللهو. قال بعض الأعراب:
 لَيْسَ أَيْامُنَا أَمْسَتْ طَوَالاً لَقَدْ كُنَّا نَعِيشُ بِهَا قِصَاراً
 (ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال: ١٩٧).

والبهكنة والبهاكنة: التارة الغضة، وقيل: هي التامة الخلق الحسنة. ويروى: «تحت الطراف المُعَمَّد». والطراف: بيت من آدم يتخذة الأغنياء.

(٥) انظر ديوانه: ص ٣٢.

من شعر الأصبط بن قريع

والبيت للأصبط بن قريع^(١)، أنشده أبو العباس ثعلب، قال: وبلغني أن هذه الأبيات قيلت قبل الإسلام بدهرٍ طويل:

لِكُلِّ ضَيْقٍ مِنْ الْأُمُورِ سَعَةٌ وَالصُّبْحُ وَالْمُسَيُّ لَا فَلَاحَ مَعَهُ
مَا بَالُ مَنْ سَرَّهُ مُصَابُكَ لَا يَمْلِكُ شَيْئاً مِنْ أَمْرِهِ وَزَعَهُ
أَذُودُ عَنْ حَوْضِهِ وَيَدْفَعُنِي يَا قَوْمُ، مَنْ عَاذِرِي مِنَ الْخُدَعَةِ
حَتَّى إِذَا مَا انْجَلَتْ عَمَائِيَّةُ أَقْبَلَ يَلْحَى وَغِيَّةُ فَجَعَةٍ^(٢)
قَدْ يَجْمَعُ الْمَالَ غَيْرُ أَكْلِهِ وَيَأْكُلُ الْمَالَ غَيْرُ مَنْ جَمَعَهُ
وَيَقْطَعُ الثَّوبَ غَيْرُ لَابِسِهِ وَيَلْبَسُ الثَّوبَ غَيْرُ مَنْ قَطَعَهُ
فَأَقْبَلُ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ مَنْ قَرَّ عَيْنًا بِعَيْشِهِ نَفَعَةٍ^(٣)
وَصَلَّ حَبَالُ الْبَعِيدِ إِنْ وَصَلَ الدُّ حَبْلٌ، وَأَقْصِ الْفَرِيبِ إِنْ قَطَعَهُ
وَلَا تُعَادِ الْفَقِيرَ عَلَّكَ أَنْ تَرْكَعَ يَوْماً وَالدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ^(٤)

هذا البيت شبيه بما روي عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يستنشدني قول اليهودي:

ارْزُقْ ضَعِيفَكَ لَا يَحْرُبُكَ ضَعْفُهُ يَوْمًا فَتُذْرِكُهُ الْعَوَاقِبُ قَدْ نَمَا^(٥)
يَجْزِيكَ، أَوْ يُثْنِي عَلَيْكَ، وَإِنْ مَنْ أَثْنَى عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ كَمَنْ جَزَى
فأنشده، فيقول: إني فطِنُ لها.

(١) هو الأصبط بن قريع السَّعْدِي: شاعر جاهلي من بني عوف بن كعب بن سعد. هجر قبيلته بعد أن كرهته زوجته، وأساءت عشيرته معاملته، وعاش بعيداً عنهم. ويقال: إنه غزا بني الحارث بن كعب، وأسر عدداً كبيراً منهم. وهو أحد من اجتمع له الموسم والقضاء بعكاظ من تميم. (ابن فتيحة، الشعر والشعراء: ٢٩٨/١).

(٢) العماية: الضلالة. ويلحى: يلوم أشد اللوم.

(٣) في الشعر والشعراء: «وأفزع من العيش ما أتاك به».

(٤) في الشعر والشعراء:

«لا تهيمن الفقير علىَّ أن تخشع»

(٥) لا يحر بك ضعفه: يريد أنه قد يرجع الضعف إليك ويتعش هو.

الأضبط بن قريع

وكان الأضبط سيد بني سعد، وكانوا يشتمونه ويؤذونه، فانتقل إلى حيٍّ من العرب فوجدهم يؤذون سادتهم، فقال: حيثما أوجه ألقى سعداً! فذهبت مثلاً، قال الطائي^(١):

فَلَا تَحْسَبَنَّ هِنْدًا لَهَا الْغَدْرُ وَحَدَّهَا سَجِيَّةُ نَفْسٍ، كُلُّ غَايَةِ هِنْدٍ^(٢)

[وصف المحابر والأقلام]

لبعض الكتاب يصف محبرة

وَلَقَدْ مَضَيْتُ إِلَى الْمُحَدِّثِ أَنْفًا وَإِذَا ظِبَاءُ الْإِنْسِ تَكْتُبُ كُلُّ مَا يَتَجَادِبُونَ الْحَبْرَ مِنْ مَلُومَةٍ مِنْ خَالِصِ الْبُورِ غَيْرَ لَوْنُهَا إِنْ نَكَّوْهَا لَمْ تَسِلْ، وَمَلِكُهَا وَمَتَى أَمَالُوهَا لِرَشْفِ رُضَائِهَا وَكَأَنَّهَا قَلْبِي يَصْنُ بِسِرِّهِ يَمْتَحِهَا مَاضِي الشَّبَاةِ مُذَلِّقٌ رِجْلَاهُ رَأْسَ عُنْدِهِ لِكَيْتُهُ وَكَأَنَّهُ وَالْحَبْرُ يَخْضِبُ رَأْسَهُ لِمَا لَا أَلَاظُهُ بَعَيْنَ جَلَالَةٍ

وَإِذَا بِحَضْرَتِهِ ظِبَاءٌ رُتِعَ يُمَلِّى، وَتَحْفَظُ مَا يَقُولُ وَتَسْمَعُ بِيَضَاءٍ تَحْمِلُهَا عَلَائِقُ أَرْبَعٍ^(٣) فَكَأَنَّهَا سَبَجٌ يَلُوحُ وَيَلْمَعُ^(٤) فِيمَا حَوَّنَهُ عَاجِلًا، لَا يَطْمَعُ أَذَاهُ فُسُوهَا وَهِيَ لَا تَتَمَنَّعُ أَبَدًا، وَيَكْتُمُ كُلَّ مَا يُسْتَوْدَعُ يَجْرِي بِمِيدَانِ الطُّرُوسِ فَيُسْرِعُ^(٥) يَلْقَاهُ بَرْدُ حَفَاةِ سَاعَةٍ يَقْطَعُ شَيْخٌ لَوْضِلِ خَرِيدَةٍ يَتَصَنَّعُ^(٦) وَبِهِ إِلَى اللَّهِ الصَّحَائِفُ تُرْفَعُ

(١) أبو تمام، الديوان: ٢٧٦/١. والبيت من قصيدة يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبانة الخراساني.

(٢) في الديوان: «لا تحسبا هنداً».

(٣) الملمومة: المتديرة.

(٤) السَّبَجُ: الخرز الأسود.

(٥) يمتاحها: أصل المتح: نزع الماء من البئر. والشبابة: حَدُّ كُلِّ شَيْءٍ. والمُذَلِّقُ: المُحَدِّثُ، والمراد: القلم.

(٦) الخريدة: البكر، العذراء.

لأبي الفتح كشاجم

وقال أبو الفتح كشاجم:

مِخْبَرَةٌ جَادَ لِي بِهَا قَمَرٌ
جَوْهَرَةٌ خَصَنِي بِجَوْهَرَةٍ
بِضَاءٌ وَالْجَبَرُ فِي قَرَارَاتِهَا
مِثْلُ بِيَاضِ الْعَيُونِ زَيْتُهُ
كَأَنَّمَا جَبَرُهَا إِذَا تَثَرَتْ
كُحْلُ مَرَّتُهُ الْعَيُونُ مِنْ مَقْلٍ
خَرَسَاءُ لَكِنَّهَا تَكُونُ لَنَا
مُسْتَحْسَنُ الْخُلُقِ مُرْتَضَى الْخُلُقِ
نَاطَتْ لَهُ الْمَكْرَمَاتُ فِي عُنُقِي
أَسْوَدٌ كَالْمِسْكِ جِدٌّ مُفْتَقٍ^(١)
مُسَوِّدٌ مَا شَابَهُ مِنَ الْحَدَقِ
أَقْلَامُنَا ظِلُّهُ عَلَى الْوَرَقِ
نُجْلٍ فَأَوْفَتْ بِهِ عَلَى يَقْنٍ^(٢)
عَوْنًا عَلَى عِلْمٍ أَفْصَحِ الْطُّقِ

وقال عبد الله بن أحمد: القلم أَمْرَةٌ، ما لم يَكْتَحِلْ بِإِثْمِدِ الدَّوَاةِ^(٣).

وكتب إبراهيم بن العباس كتاباً فأراد مَحَوَ حرف فلم يجد مندبلاً، فمحاها بِكُمِّه، ف قيل له في ذلك، فقال: المالُ فَرَعٌ، والعلمُ أَصْلٌ؛ وإنما بَلَّغْنَا هذه الحال، واعتقدنا هذه الأموال^(٤) بهذا القلم والمداد، ثم قال:

إِذَا مَا الْفِكْرُ أَضْمَرَ حُسْنَ لَفْظٍ
وَوَشَّاهُ وَنَمَمَمَهُ مُسَدِّ
رَأَيْتَ حُلَى الْبَيَانِ مُنَوَّرَاتٍ
وَأَذَاهُ الضَّمِيرُ إِلَى الْعِيَانِ
فَصِيحٌ بِالْمَقَالِ وَبِاللِّسَانِ
تَصَاحَكَ بَيْنَهَا صُورُ الْمَعَانِي

ألفاظ لأهل العصر في أوصاف آلات الكتاب والدوي والأقلام

الدواة من أنفع الأدوات، وهي للكتابة عتاد، وللخاطر زناد، غدير لا يرده غيرُ الأفهام، ولا يمنح بغير أَرَشِيَةِ الْأَقْلَامِ^(٥)، دواة أنيقة الصُّنْعَةِ، رَشِيقَةُ الصَّبْغَةِ، مَسْكِيَّةُ الْجِلْدِ،

(١) فتق المسك: خلط به ما يذكيه.

(٢) مَرَّتُهُ الْعَيُونُ: استخرجته، والمقل: جمع مقلة، وهي العين. والنُّجْلُ: جمع نجلاء، وهي الواسعة. واليَقْنُ (بالتحريك): الأبيض.

(٣) الْأَمْرَةُ: وصف من المَرَّة (بالتحريك) وهو خُلُوُّ الْعَيْنِ مِنَ الْكُحْلِ.

(٤) اعتقدنا هذه الأموال: تأملناها وجمعناها.

(٥) الْأَرَشِيَّة: جمع رشاء، وأصله جل الدلو.

كَافُورِيَةِ الْحِلْيَةِ. غدير تفيض ينبعُ الْحِكْمَةِ من أَقْطَارِهِ، وتنشأ سُحُبُ الْبَلَاغَةِ مِنْ قَرَارِهِ. دَوَاةٌ تُدَاوِي مَرَضَ عُفَاتِكَ، وتُدَوِي قُلُوبَ عِدَاتِكَ، على مَرْفَعٍ يُؤْذِنُ بِدَوَامِ رِفْعَتِكَ، وارتفاعِ النَوَائِبِ عَنْ سَاحَتِكَ، ومدادِ كِسَافِ الْعَيْنِ، وَسَوِيْدَاءِ الْقَلْبِ، وجَنَاحِ الْغُرَابِ، وَلُعَابِ اللَّيْلِ، وَالْوَانِ دُهُمِ الْخَيْلِ. وهذا من قول ابن الرومي^(١):

جَبْرُ أَبِي حَفْصٍ لُعَابُ اللَّيْلِ كَأَنَّهُ أَلْوَانِ دُهُمِ الْخَيْلِ^(٢)

قال العاصر: مدادُ ناسب خافية الغُرَابِ، واستعار لَوْنَهُ من شَرَحِ الشَّبَابِ، وأَقْلَامُ جَمَّةِ المحاسن، بعيدة من المَطَاعِنِ، تعاصي الكاسي، وتمانع الغامِزِ الْقَاسِي. أنابيب ناسبت رِمَاحِ الخطِّ في أَجْناسِهَا، وشاكلت الذهب في ألوانِهَا، وضاهت الحديد في لمعانِهَا؛ كأنَّهَا الأَمْيَالُ استَوَاءً، والأَجَالُ مَضَاءً، بطيئة الحَفَى، قوية القُوَى، لا يُسْطِهَا^(٣) الْقَطُّ، ولا يتشعَّبُ بِهَا الخطُّ. أَقْلَامُ بحرية مَوْشِيَّةُ اللَّيْطِ^(٤)، رائقة التَخْطِيطِ. قَلَمٌ معتدل الكُحُوبِ، طويل الأنُوبِ، بأسقُ الفروع رَوِيَّ اللَّيْبُوعِ، هو أَوْلَى باليد من البَنَانِ، وَأَخْفَى للسر من اللِّسَانِ. هو للأَنَامِلِ مطيَّة، وعلى الكتابة معونة مُرَضِيَّة. نعم العُدَّة القلم: يقلم أَظْفَارَ الدَّهْرِ، ويملك الأَقَالِمِ بِالنَّهْيِ والأَمْرِ، إن أَرَدْتَ كَانَ مَسْجُونًا لا يَمِلُ الإسَارَ، وإن شِئْتَ كَانَ جَوَادًا جَارِيًا لا يَعْرِفُ الْعِثَارَ، لا يَنْبُو إِذَا نَبَتِ الصِّفَاحُ^(٥)، ولا يُحْجِمُ إِذَا أَحْجَمَتِ الرِّمَاحُ.

لأبي الفتح كشاجم

قال أبو الفتح كشاجم، يصف محبرة ومقلمة وأقلاماً وسكيناً:

جِسْمِي مِنَ اللَّهْوِ وَأَلَاتِ الطَّرَبِ وَمِنْ عَتَادٍ وَتَرَاءٍ وَنَشَبِ
وَمِنْ مُدَامٍ وَمَثَانٍ تَصْطَحِبِ وَهَمَّةٍ طَمَاحَةٍ إِلَى الرُّتَبِ
مَجَالِسُ مَصُونَةٍ مِنَ الرِّيبِ مَعْمُورَةٌ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ وَأَدَبِ
تَكَادُ مِنْ حَرِّ الْحَدِيثِ تَلْتَهَبِ شِعْرًا وَأَخْبَارًا وَنَحْوًا يَفْتَضِبِ

(١) ابن الرومي، الديوان: ١٢٩/٥.

(٢) الأدهم من الخيل: الأسود.

(٣) لا يُسْطِهَا: لا يقطعها شظايا.

(٤) اللَّيْطُ: القشر.

(٥) الصِّفَاح: السيوف.

ولغة تجمع ألفاظ العرب
أو كَتَاتِي الرزقِ مِنْ غَيْرِ طلب
مُحَلِّياتٍ بِلُجَيْنٍ وَذَهَبٍ
مَثْقُوبَةٍ آذَانُهَا، وَفِي الثُّقْبِ
تَضْمَنُ قَطْرًا فِيهِ لِلْكَتَبِ عُثْبٌ
لَا تَنْضُبُ الْحِكْمَةُ إِلَّا إِنْ نَضَبَ
كَالْقُرْطِ فِي الْجِدِّ تَدَلَّى فَاضْطَرَبَ
كَأَنَّهُ يودع نَبْلًا مِنْ قَصَبٍ
لَا تَضْحَكُ الْأَوْرَاقُ حَتَّى يَتَّحِبَ
رَمِيًّا مَتَى أَقْصِدَ بِهِ السَّمْتُ أَصِيبُ
غَضْبِي عَلَى الْأَقْلَامِ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ
وَإِنَّمَا تُرْضِيكَ فِي ذَاكَ الْعُضْبِ
وَالظَّرْفُ فِي الْآلَاتِ مِمَّا يُسْتَحَبُّ

وَفَقَرًا كَالْوَعْدِ فِي قَلْبِ الْمُحِبِّ
أَجَلٌ، وَحَسْبِي مَنْ دُوِّي تَتَّحِبُ
مُحَبَّرَةٌ يُزْهِمِي بِهَا الْحَبْرُ الْأَلْبُ^(١)
مِثْلُ شُنُوفِ الْخُرْدِ الْبَيْضِ الْعُرْبُ^(٢)
أَسْوَدُ يَجْرِي بِمَعَانٍ كَالشُّهْبِ
نِطَلْتُ إِلَى يُسْرَى يَدَيَّ بِسَبَبِ
تَضَحُّبِهَا، وَالْأَخْوَاتُ تُضْطَحِبُ
لَمْ يَغْلُهَا رِيشٌ وَلَمْ تَحْمِلْ عَقَبُ^(٣)
تَرْمِي بِهَا يُنْأَيَّ أَعْرَاضُ الْكُتُبِ
وَمُذِيَّةٌ كَالْعُضْبِ مَا مَسَّ الْقَصَبُ
تَسْطُو بِهَا فِي كُلِّ حِينٍ وَثَبُ
فَتِلْكَ آلَاتِي، وَالْآتِي تَحَبُّ
لَا سِيَّمَا مَا كَانَ مِنْهَا لِلْأَدَبِ

[عمال المأمون]

تَظَلَّمُ رَجُلٌ إِلَى الْمَأْمُونِ مِنْ عَامِلٍ لَهُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا تَرَكَ لِي فَضَّةً إِلَّا
فَضَّهَا، وَلَا ذَهَبًا إِلَّا ذَهَبَ بِهِ، وَلَا غَلَّةً إِلَّا غَلَّهَا، وَلَا ضَبْعَةً إِلَّا أَضَاعَهَا، وَلَا عِلْقًا^(٤) إِلَّا
عَلَفَهُ، وَلَا عَرَضًا إِلَّا عَرَضَ لَهُ، وَلَا مَاشِيَةً إِلَّا امْتَشَّهَا^(٥)، وَلَا جَلِيلًا إِلَّا أَجْلَاهُ، وَلَا دَقِيقًا
إِلَّا أَدَقَّهُ. فَعَجِبَ مِنْ فَصَاحَتِهِ وَقَضَى حَاجَتَهُ.

قال عمرو بن سعد بن سلم: كانت عليّ نوبة أنوبها في حرس المأمون. فكنت في

- (١) الْحَبْرُ: العالم.
- (٢) الشُّنُوفُ: جمع شَفْ، وهو الْقُرْطُ. وقد يُخَصَّصُ الشَّتُّ بِمَا يُعَلَّقُ فِي أَعْلَى الْأُذُنِ، وَالْقُرْطُ بِمَا يُعَلَّقُ فِي أَسْفَلِهَا. وَالْخُرْدُ: جمع خريدة، وهي الفتاة البكر. وَالْعُرْبُ: جمع عروب، وهي المرأة المتحبة إلى زوجها، قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا﴾. (سورة الواقعة، آية: ٣٧).
- (٣) الْعَقَبُ: العصب الذي تعمل منه الأزرار.
- (٤) الْعِلْقُ: النفيس من كل شيء.
- (٥) امْتَشَّهَا: ذهب بها كلها.

نوبتي ليلة فخرج متفقداً مَنْ حَضَرَ، فعرفته ولم يعرفني، فقال: من أنت؟ قلت: عمرو، عمرك الله، ابن سعيد، أسعدك الله، ابن سلم، سلمك الله. فقال: تَكَلُّوْنَا منذ الليلة. قلت: الله يَكَلُّوكُ قَبْلِي، وهو خير حافظاً وهو أرحم الراحمين.

فقال المأمون:

إِنَّ أَخَاكَ الْحَقَّ مَنْ يَسْعَى مَعَكَ وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ
وَمَنْ إِذَا صَرَفَ زَمَانٍ صَدَعَكَ بَدَّدَ شَمْلَ نَفْسِهِ لِيَجْمَعَكَ^(١)

[الورد والنرجس]

لابن الرومي

وقال علي بن العباس الرومي^(٢):

خَجَلْتُ خُدُودُ الْوَرْدِ مِنْ تَفْضِيلِهِ خَجَلًا تَوَرَّدَهَا عَلَيْهِ شَاهِدُ
لَمْ يَخْجَلِ الْوَرْدُ الْمَوْرَدُ لَوْنُهُ إِلَّا وَنَاجِلُهُ الْفَضِيلَةُ عَانِدُ
لِلنَّرْجِسِ الْفَضْلُ الْمُبِينُ إِذَا بَدَأَ بَيْنَ الرِّيَاضِ طَرِيفُهُ وَالتَّالِدُ^(٣)

وكان ابن الرومي متعصباً للنرجس، كثير الذم للورد، وكتب إلى أبي الحسن بن المسيب^(٤):

أَدْرِكْ ثِقَاتَكَ إِنَّهُمْ وَقَعُوا فِي نَرْجِسٍ مَعَهُ أُبْنَةُ الْعِنَبِ^(٥)

(١) الصَّدْعُ: الشَّقُّ، وصدع الزجاج: كَسَرُهُ، وصدع القوم: فَرَّقَهُمْ. وَيَدَّدَ الشَّمْلَ: فَرَّقَهُ.

(٢) ابن الرومي، الديوان: ١٦١/٢.

(٣) في الديوان:

لِلنَّرْجِسِ الْفَضْلُ الْمُبِينُ وَإِنْ أَبَى أَبٍ وَحَادَ عَنِ الطَّرِيقَةِ حَائِدُ
والطريف: المال الحديث الذي يكسبه المرء بجده. والتالد: المال القديم الموروث.

(٤) ابن الرومي، الديوان: ١٣٦/١. وابن المسيب: هو أبو الحسين علي بن عبد الله بن المسيب الكاتب، وهو من أصدقاء ابن الرومي في أواخر حياته. مدحه الشاعر، وهجاه، وعزاه عن بنت له ماتت. وكان كاتباً شاعراً، أشاد ابن الرومي بفته، وعاش بعد ابن الرومي، وجمع شعره، وترجم له (ياقوت الحموي، معجم الأدباء: ٢٣٤/٣).

(٥) الثقات: الذين تثق بهم وتأمين لهم. وأدركهم: لَحِقَهُمْ. وابنة العنب: كناية عن الخمر.

فَهُمْ بِحَالٍ لَوْ بَصُرْتَ بِهَا سَبَّحْتَ مِنْ عَجَبٍ وَمِنْ عَجَبٍ^(١)
 رَيَحَانُهُمْ ذَهَبٌ عَلَى دُرٍّ وَشَرَابُهُمْ دُرٌّ عَلَى ذَهَبٍ
 فِي رَوْضَةٍ شَتَوِيَّةٍ رَضِعَتْ دَرَّ الْحَيَا حَلْبًا عَلَى حَلَبٍ^(٢)
 وَالْيَوْمُ مَدْجُونٌ فَحُرَّتُهُ فِيهِ بِمُطْلَعٍ وَمُحْتَجِبٍ^(٣)
 ظَلَّتْ تُسَامِرُنَا وَقَدْ بَعَثَتْ ضَوْءًا يُلَاحِظُنَا بِلَا لَهَبٍ^(٤)

لبعض المحدثين

وكان كسرى أنوشروان مُسْتَهْتَرًا بالترجس^(٥)، وكان يقول: هو ياقوت أصفر، بين درّ أبيض، على زمرد أخضر. نقله بعض المحدثين فقال:

وَيَاقُوتَةٌ صَفْرَاءُ فِي رَأْسِ دُرَّةٍ مُرْكَبَةٌ فِي قَائِمٍ مِنْ زَبَرْجَدٍ
 كَمَثَلِ بَهَيِّ الدَّرِّ عَقْدُ نَظَامِهَا نَثِيرُ فَرْنِدٍ قَدْ أَطَافَ بِعَسْجَدٍ^(٦)
 كَأَنَّ بَقَايَا الطَّلِّ فِي جَنَابِهَا بَقِيَّةُ دَمْعٍ فَوْقَ خَدٍّ مُوَرَّدٍ

رجع لابن الرومي

رجع ابن الرومي^(٧):

فَصَلِّ الْقَضِيَّةَ أَنَّ هَذَا قَائِدٌ زَهَرَ الرَّيِّعَ وَأَنَّ هَذَا طَارِدٌ^(٨)
 شَتَانٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ: هَذَا مُوَعِدٌ يَتَصَرَّمُ الدُّنْيَا، وَهَذَا وَاعِدٌ^(٩)

- (١) العُجْبُ: الزُّهُوُّ.
- (٢) الروضة: المكان الخصب الذي تكثر فيه الأزهار والروائح العطرة. رَضِعَتْ: بمعنى تَشَبَّعَتْ. وَدَرَّ الْحَيَا: كتابة عن المطر، وفي الديوان: «دَرَّ الْحَيَا».
- (٣) اليوم المدجون: الكثير الغيم. والحُرَّةُ: كتابة عن الشمس. وقوله: بمطلع ومحتجب: أي تظهر مرَّةً وتختفي أخرى بسبب كثرة الغيوم. والمُطْلَعُ: اسم لمكان الطلوع. والمُحْتَجِبُ: اسم لمكان الاحتجاب.
- (٤) في الديوان: «شمس تُسَامِرُنَا وَقَدْ بَعَثَتْ». وتَسَامِرُنَا: تحتجب عنا بالغيم، وتسامرنا: تحدثنا.
- (٥) مُسْتَهْتَرًا: مُوَلَّعًا.
- (٦) النثير: المتفرق. والفَرْنِدُ: السيف أو ما يُلْمَحُ في صفحته من أثر تموج الضوء.
- (٧) ابن الرومي، الديوان: ١٦١/٢.
- (٨) في الديوان: «زهر الرياض».
- (٩) في الديوان: «يَتَسَلَّبُ الدُّنْيَا».

فإذا احتفظت به فامتنع صاحب
ينهى النديم عن القبيح بلحظه
اطلب بعقلك في الملاح سميته
والورد إن فكتت فرد في اسمه
هذي النجوم هي التي رببتها
فانظر إلى الولدين، من أدناهما
أين الخدود من العيون نقاسة
بحياته، لو أن حيا خالداً
وعلى المدامة والسماع يساعداً^(١)
أبدأ؛ فإنك لا محالة واجداً^(٢)
ما في الملاح له سمي وحاد
يحيا السحاب كما يربي الوالد^(٣)
شبهاً بوالده فذاك الماجد^(٤)
ورياسة، لولا القياس الفاسد

وقد ناقضه جماعة من البغداديين وغيرهم في هذا المذهب، وذهبوا إلى تفضيل
الورد؛ فما دانوه وما استطاعوه.

لأحمد بن يونس الكاتب يرد على ابن الرومي

قال أحمد بن يونس الكاتب راداً عليه:

يا من يُسبّه نرجساً بنواظر
إن القياس لمن يصح قياسه
والورد أصدق للخدود حكاية
ملك قصير عمره مستأهل
إن قلت إن الورد فرد في اسمه
فالشمس تُفرد باسمها والمشتري
أو قلت إن كواكباً رببتها
قلنا أحقهما بطبع أبيه في الد
دعج، تنبّه إن فهمك راقداً^(٥)
بين العيون وبنيته مباعداً
فعلام تجحد فضله يا جاحداً
تخليده، لو أن حيا خالداً
ما في الملاح له سمي وحاد
والبدر يُشرك في اسمه وعطارد
يحيا السحاب كما يربي الوالد
جدوى هو الزاكي النجيب الراشد^(٦)

(١) في الديوان: «مساعداً».

(٢) في الديوان: «اطلب بعفوك». يريد أنه كثير يجده بعفوه من غير جهد.

(٣) حيا السحاب: ماؤه. وفي الديوان: «هي التي رببتها».

(٤) في الديوان: «فتأمل الإثنين». والماجد: الشريف الخير.

(٥) دعج: مفرد أدعج، والأثنى دعجاء، وقد دعجت العين دعجاً، ودعجة: اشتد سوادها وبياضها
واتسعت.

(٦) الجدوى: العطية.

زُهِرُ التُّجُومِ تَرُوقُنَا بِضِيَائِهَا وَلَهَا مَنَافِعُ جَمَّةٌ وَعَوَائِدُ
وَكَذَلِكَ الْوَرْدُ الْأَيْقُ يَرُوقُنَا وَلَهُ فَضَائِلُ جَمَّةٌ وَقَوَائِدُ
وَخَلِيفُهُ إِنْ غَابَ نَابَ بِنَفْعِهِ وَبِنَفْعِهِ أَبَدًا مُقِيمٌ رَاكِدُ^(١)
إِنْ كُنْتَ تُكْرِ مَا ذَكَرْنَا بَعْدَمَا وَضَحَّتْ عَلَيْهِ دَلَائِلُ وَشَوَاهِدُ
فَانْظُرْ إِلَى الْمُصْفَرِّ لَوْنًا مِنْهُمَا وَافْظُنْ فَمَا يَصْفَرُّ إِلَّا الْحَاسِدُ

نبذ من النظم والنثر في صفات النور والزهر

لعلي بن الجهم

قال علي بن الجهم:

لَمْ يَضَحِكِ الْوَرْدُ إِلَّا حِينَ أَعْجَبَهُ حُسْنُ الرِّيَاضِ وَصَوْتُ الطَّائِرِ الْغَرْدِ
بَدَا فَأَبْدَتْ لَنَا الدُّنْيَا مَحَاسِنَهَا وَرَاحَتِ الرِّيحُ فِي أَثَوَابِهَا الْجُدِّ^(٢)
وَقَابَلَتْهُ يَدُ الْمُشْتَاكِ تَسْنِيْدُهُ إِلَى التَّرَائِبِ وَالْأَحْشَاءِ وَالْكَبْدِ^(٣)
كَأَنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ صَبَابَتِهِ أَوْ مَانِعًا جَفْنَ عَيْنِهِ مِنَ الشُّهْدِ
بَيْنَ النَّدِيمِينَ وَالْخَلَّيْنِ مَضْرَعُهُ وَسَيَرُهُ مِنْ يَدٍ مَوْصُولَةٍ بِيَدِ
مَا قَابَلَتْ طَلْعَةَ الرِّيحَانِ طَلْعَتُهُ إِلَّا تَيَسَّنَّتْ فِيهِ ذِلَّةُ الْحَسَدِ
قَامَتْ بِحُجَّتِهِ رِيحٌ مُعْطَرَةٌ تَشْفِي الْقُلُوبَ مِنَ الْأَوْصَابِ وَالْكَمَدِ^(٤)
لَا عَذَبَ اللَّهُ إِلَّا مَنْ يُعَذِّبُهُ بِمُسْمِعٍ بَارِدٍ أَوْ صَاحِبِ نِكِدِ^(٥)

لمحمد بن عبيد الله بن طاهر

وكان أردشير بن بابك يصفُ الورد ويقول: هو درُّ أبيض، وياقوتٌ أحمر، على كراسي زبرجد أخضر، توسطه شذورٌ من ذهبٍ أصفر، له رِقَّةٌ الخمر، ونفحات العطر، أخذه محمد بن عبد الله بن طاهر فقال:

- (١) نفح الطيب: انتشرت رائحته.
- (٢) الراح: الخمر.
- (٣) الترائب: موضع القلادة من الصدر.
- (٤) الأوصاب: جمع وصب: التعب. والكمد: الحزن المكثوم.
- (٥) النِّكْد: الشحيح، وقيل: القليل النفع.

كَأَنَّهُنَّ يَوَاقِيتُ يُطِيفُ بِهَا زُمُرْدٌ وَسَطَهُ شَذَرٌ مِنَ الذَّهَبِ
فَاشْرَبَ عَلَى مَنَظَرٍ مُسْتَظَرِّفٍ حَسَنٍ مِنْ خَمْرَةٍ مَزَّةٍ كَالْجَمْرِ فِي اللَّهَبِ

المتوكل وابن الضحاك

وقال يزيد المهلبي: أَحَبَّ المتوكل أن ينادمه الحسين بن الضحاك، الخليع البصري، وأن يَرَى ما بقي من ظُفْرِه وشهوته لما كان عليه؛ فَأَحْضَرَهُ وقد كبر وضعُف، فسقاه حتى سكر، وقال لخادمه شفيع: اسْقِهِ؛ فَسَقَاهُ وحياءَ بَوْرَةِ، وكانت على شفيع أثوابٌ، فمدَّ الحسين يده إلى دِرْعِ شفيع، فقال المتوكل: أتخمش^(١) غُلَامِي بحضرتي؟ كيف لو خَلَوْتُ به! ما أَحْجَوَكَ يا حسينُ إلى أدب! وكان المتوكل غمز شفيعاً على العبث به، فقال حسين: سيدي، أريد دواة وقرطاساً؛ فأمر له بهما فكتب:

وَكَالْوَرْدَةِ الْبَيْضَاءِ حَيًّا بِأَحْمَرٍ مِنْ الْوَرْدِ يَسْعَى فِي قَرَاطِقِ كَالْوَرْدِ^(٢)
لَهُ عِبَّاتٌ عِنْدَ كُلِّ تَحِيَّةٍ بِكَفْيِهِ يَسْتَدْعِي الْخَلِيَّ إِلَى الْوَجْدِ
تَمَنَيْتُ أَنْ أُنْقَى بِكَفْيِهِ شَرَّةً تُذَكِّرُنِي مَا قَدْ نَسِيتُ مِنَ الْعَهْدِ
سَقَى اللَّهُ عَيْشًا لَمْ أَنْمِ فِيهِ لَيْلَةً مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا مِنْ حَيِّبٍ عَلَى وَعْدِ

ثم دفع الرقعة إلى شفيع، وقال: اذْفَعْهَا إلى مولاك؛ فلما قرأها استملحها، وقال: لو كان شفيع مما تَجُوزُ هِبَتُهُ لَوَهَبْتُهُ لَكَ، ولكن بحياتي يا شفيع إلا كنت ساقيةً بَقِيَّةَ يومه! وأمر له بمال كثير حمل معه لما انصرف.

قال يزيد المهلبي: فصرْتُ إلى الحسين بعد انصرافه من عند المتوكل بأيام، فقلت: ويحك! أتدري ما صنعت؟ قال: لا أدْعُ عَادَتِي بشيء، وقد قلت بعدك:

لَا رَأَى عَطْفَ لَوْنِ الْأَجْبِ بَلَّةٍ مَنَنْ لَا يُصَرِّحُ
أَضْغَرُ السَّاقِيَيْنِ أَشْكُ كُلُّ عِنْدِي وَأَمْلَحُ
لَوْ تَرَاهُ كَالظَّنْبِيِّ يَنْدُ نَحْجُ طُورًا وَيَبْرَحُ

(١) الْخَمَشُ (في الأصل): اسم لجرح البَشَرَةِ، وقد خَمَشَ فلاناً: جرح بشرته في موضع ما من جسده.

(٢) الْقَرَاتِقُ: جمع قرطق، وهو ضرب من اللباس.

خِلْت غُضْناً عُلْسَى كَثِي — بِبَنْوَرٍ يُوشِشُ^(١)

قال الصولي: وكان الأول من أبيات الحسين من قول العباس بن الأحنف:

بَيْضَاءُ فِي حُمْرِ الثَّيَابِ كَوَرْدَةٍ بَيْضَاءُ بَيْنَ شَقَائِقِ النِّعْمَانِ
تَهْتَزُّ فِي غَيْدِ الشَّبَابِ إِذَا مَشَتْ مِثْلَ اهْتَزَازِ نَوَاعِمِ الْأَغْصَانِ^(٢)

ظبي يأكل نيلوفرًا

قال أبو بكر الصولي: كان عند الخصمي الوزير ظبي داجن ربيب في داره، فعمد إلى نيلوفر فأكله، فاستلمح الغزال وأنسه، وقال: لو عمل في أنس هذا الغزال وفعله بالنيلوفر لاشتمل العمل على معنى مليح! فبلغ الخبر أبا عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة نفطويه، فبادر لئلا يُسَبَق، وعمل أبياتاً أولها:

جَرَتْ ظَبِيَّةٌ غَنَاءُ تَرْعَى بِرَوْضَةٍ تَنُوشُ لَدَى أَفْئَانِهَا وَرَقاً خَضِراً^(٣)

في أبيات غير طائفة، فاستبرد ما أتى به، قال الصولي: فقلت:

وَيَلُوفِرُ يَحْكِي لَنَا الْمِسْكَ طَبِئُهُ تَرَاهُ عَلَى اللَّذَاتِ أَفْضَلَ مُسْعِدِ
قَدْ اجْتَنَّ خَوْفَ الْحَادِثَاتِ بَجَنَّةٍ تَسْرُوقُ كَثُوبِ الرَّاهِبِ الْمُتَعَبِدِ
تُرَكِّبُ كَالْكَاسَاتِ فِي ذَهَبِيَّةٍ عَلَى قُضْبٍ مُخْضَرَةٍ كَالزَّبْرِجَدِ
وَأَلْبَسَ ثَوْباً يَفْضُلُ اللَّحْظَ حُسْنُهُ كَمَا عِبَّثَتْ عَيْنٌ بِخَدِّ مُسَوَّرِدِ
غَذَّتْهُ أَهَاضِيبُ السَّمَاءِ بِدَرِّهَا تَرُوحُ عَلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ وَتَغْتَدِي^(٤)
تَلْبَسُ لِإِلْثَوَارِ ثُوبِ سَمَائِهِ فَفَضَّلَ عَنْهُ الْحَسَنُ فِي كُلِّ مَشْهَدِ
وَفِي وَسْطِهِ مِنْهُ أَصْفَرَارٌ يَزِينُهُ كَيَاقُوتَةٍ زَرْقَاءَ فِي رَأْسِ عَسْجَدِ
أَطَافَ بِهِ أَحْوَى الْمَدَامِعِ شَادِنٌ حَكَى طَرْفَ مَنْ أَهْوَى وَحُسْنَ الْمُقْلَدِ^(٥)
كَمَا أَخَذَ الظَّمَانُ بِالْفَمِ كَاسَهُ وَلَمْ يَسْتَعِنْ فِي أَخْذِهِ الْكَاسَ بِالْيَدِ

(١) الكتيب: الرمل الطويل المحدودب. والنَّوْرُ: الزهر.

(٢) غَيْدُ الشَّبَابِ: أَوَّلُهُ ونعومته، وقد غيد فلان: تمايل وتثنى في لين ونعومة.

(٣) الأفئان: الأغصان، الواحد: فتن. وقد ناش الشيء: تناوله وأخذه.

(٤) الأهاضيب: جمع أهضوبة: المَطَرَةُ الدائمة العظيمة القَطْر.

(٥) أحوى: وصف من الحوة، وهي الثمرة. والمقلد: الموضع الذي تلبس فيه القلادة.

[وصف أيام الربيع]

لابن وكيع

وقال أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع:

يَوْمٌ أَتَاكَ بِوَجْهِهِ الْمُتَهَلِّلُ
خَلَعَ الْغِمَامُ عَلَى اخْضِرَارِ سَمَائِهِ
وَكَسَا الرَّبِيَّ حُلًّا تَخَالَفَ شَكْلَهَا
وَتَمَايَلَتْ فِيهِ قُدُودُ غُضُونِهِ
وَعَلَا عَلَى الْأَشْجَارِ قَطْرُ سَمَائِهَا
يَحْكِي قَبَابَ زُمُرِدٍ قَدْ كُلَّلَتْ
وَأَتَاكَ نَوْرُ الْبَاقِلَاءِ كَأَنَّمَا
الْوَرْدُ يُخْجَلُ كُلَّ نَوْرٍ طَالَعِ
وَحَكَى بَيَاضُ الطَّلَعِ فِي كَافُورِهِ
فَكَأَنَّمَا الدُّنْيَا عَرُوسٌ أَقْبَلَتْ
فَاشْرَبَ مُعْصِفَرَةَ الْقَمِيصِ سُلَافَةً

نَاهِيكَ مِنْ يَوْمٍ أَعْرَّ مُحَجَّلٍ^(١)
خِلْعًا فَيَيْنَ مُمْسِكٍ وَمُصْنَدِلٍ^(٢)
بُمُورِدٍ وَمُعْصِفِرٍ وَمُكْحَلٍ
مَنْ شُرِبَ كَاسَاتِ الْعَيُونِ الْهَاطِلِ
فَهَذَتْ لِعَيْنِ النَّاطِرِ الْمُتَأَمِّلِ
بِمُنْظَمٍ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَمُقْصَلٍ
يَرْنُو إِلَيْكَ بَعِينَ أَكْحَلٍ أَقْبَلٍ^(٣)
وَتَرَاهُ مُتَقَبِّبًا بِحُمَرَةٍ مُخْجَلِ
وَجْهَةِ الْخَرِيدَةِ فِي الْخُمَارِ الصَّنْدَلِيِّ^(٤)
فِي كُلِّ أَنْوَاعِ الْمَلَابِسِ تَجْتَلِي
مَنْ صِنْعَةِ الْبَرْدَانِ أَوْ قَطْرُئِلٍ^(٥)

لأبي الفتح البستي

وقال أبو الفتح البستي:

يَوْمٌ لَهُ فَضْلٌ عَلَى الْأَيَّامِ
فَالْبَرْقُ يَخْفِقُ مِثْلَ قَلْبٍ هَائِمِ

مَزَجَ السَّحَابُ ضِيَاءَهُ بِظُلَامِ
وَالْغَيْمُ يَبْكِي مِثْلَ طَرْفٍ هَامٍ^(٦)

- (١) الْأَعْرُ: الْأَيْضُ. وَالْمُحَجَّلُ: الْمُقَيَّدُ بِالْحِجَالِ أَوْ مَا كَانَ الْبَيَاضُ مِنْهُ فِي مَوْضِعِ الْخِلَاحِ وَالْقِيُودِ وَفَوْقَ ذَلِكَ، وَيَوْمٌ أَعْرَّ مُحَجَّلٍ: مَشْهُورٌ.
- (٢) مُصْنَدِلٌ: ضُمِّخَ بِالصَّنْدَلِ، وَهُوَ نَبْتٌ ذُو رَائِحَةٍ طَيِّبَةٍ.
- (٣) أَقْبَلُ: وَصَفَ مِنَ الْقَبْلِ (بِالتَّحْرِيكِ) وَهُوَ إِقْبَالُ سَوَادِ الْعَيْنِ إِلَى جِهَةِ الْأَنْفِ.
- (٤) الْخَرِيدَةُ: الْفَتَاةُ الْبَكْرُ، الْعِذْرَاءُ.
- (٥) الْبَرْدَانُ وَقَطْرُئِلٌ: مَوْضِعَانِ.
- (٦) هَمَّتِ الْعَيْنُ هَمِيًّا وَهَمِيَانًا: صَبَّتْ دَمْعَهَا.

وَكَأَنَّ وَجْهَ الْأَرْضِ خَدٌّ مُتَيِّمٌ وَصَلَتْ سِجَامٌ دُمُوعَهُ بِسِجَامٍ^(١)
فَاطْلُبْ لِيَوْمِكَ أَرْبَعًا: هُنَّ الْمُنَى وَيَهْمَنُ تَصْفُو لَذَّةُ الْأَيَّامِ
وَجْهَ الْحَبِيبِ، وَمَنْظَرًا مُسْتَشْرِقًا، وَمُغْنِيًا غَرْدًا، وَكَسَاسَ مُدَامِ

لأبي الفضل الميكالي

وقال الأمير أبو الفضل الميكالي:

سَلَّ الرَّيْعُ عَلَى الشِّتَاءِ صَوَارِمًا تَرَكْتُهُ مَخْرُوحًا بِلَا إِعْمَادٍ^(٢)
وَبَكَتْ لَهُ عَيْنُ السَّمَاءِ بِأَذْمُعِ ضَحِكَتْ لِسَاجِمِهَا رُبَى الْأَنْجَادِ
وَبَدَتْ شَقَائِقُهَا خِلَالَ رِيَاضِهَا تُزْهِبِي بِشَوْبِي حُمْرَةَ وَسَوَادِ
فَكَأَنَّهَا بِنْتُ الشِّتَاءِ تَوَجَّعَتْ لِمُصَابِهِ كَشْفِيقَةِ الْأَوْلَادِ
فَقَنُوءُ حُمْرَتِهَا خِضَابُ نَجِيعِهِ وَسَوَادُ كُشُوتِهَا لِبَاسُ حِدَادٍ^(٣)

وقال:

تَصَوَّغُ لَنَا كَفُّ الرَّيْعِ حَدَائِقًا كَعَقْدِ عَقِيقٍ بَيْنَ سِمِطٍ لَآلِي
وَفِيهِنَّ أَنْوَارُ الشَّقَائِقِ قَدْ حَكَتْ خُدُودَ عِذَارِي نَقَطَتْ بِغَوَالِي

وقال:

كَأَنَّ الشَّقَائِقَ إِذْ أَبْرَزَتْ غِلَالَةَ دَادٍ وَثَوْبًا أَحْمَ^(٤)
قُطَاعٌ مِنَ الْجَمْرِ مَشْبُوبَةٌ فَأَطْرَافُهَا لُمْعٌ مِنْ حَمَمِ

وقال في حديقة ريحان:

أَعْدَدْتُ مُحْتَمَلًا لِيَوْمِ فَرَاعِي رَوْضًا غَدَا إِنْسَانَ عَيْنِ الْبَاغِي^(٥)
رَوْضٌ يَرُوضُ هَمُومَ قَلْبِي حُسْنُهُ فِيهِ لِكَأْسِ الْأُنْسِ أَيْ مَسَاغِ

(١) سجم الدمع والمطر سِجَامًا وَشُجُومًا وَتَسْجَامًا: سال قليلاً أو كثيراً.

(٢) الصوارم: القواطع.

(٣) قَتَا الشيءُ قُتُوءًا: اشتدَّت حمرة. والنجيع: الدم، وقيل: هو دم الجوف خاصة.

(٤) داد: مولع باللهو واللعب، واللعب يقال له: دَد. والأحم: الأسود.

(٥) الباغي: قِيمُ البستان. وإنسان العين: سوادها.

فإذا بدت قُضبانٌ ریحانٍ بهِ حَيْثُ يَمْثُلُ سَلَسِلُ الْأَصْدَاغِ
وقال في النرجسِ:

أَهْلًا بِنَرْجَسِ رَوْضِ يُزْهِى بِحُسْنِ وَطِيبِ
يَرْزُو بِعَيْنِي غَزَالِ عَلَى قَضِيْبِ رَطِيبِ
وَفِيهِ مَعْنَى خَفِيٍّ يَزِينُهُ لِلْقُلُوبِ
تَصْحِيْفُهُ إِنْ نَسَقَسْتَ الْ حُرُوفَ بِرُّ حَيْبِ
وقال:

وَمَا ضَمَّ شَمْلَ الْإِنْسِ يَوْمًا كَنَرْجِسِ يَقُومُ بِعُذْرِ اللَّهْوِ عَنْ خَالِعِ الْعُذْرِ^(١)
فَأَحْدَقَهُ أَحْدَقُ تَبْرِ، وَسَاقَهُ كَقَامَةِ سَاقٍ فِي غَلَاثِلِهِ الْخُضْرِ

للبحثري

وقال البحثري^(٢):

سَقَى الْغَيْثُ أَكْنَافَ اللَّوَى مِنْ مَحَلَّةٍ إِلَى الْحَقْفِ مِنْ رَمْلِ اللَّوَى الْمُتَقَاوِدِ^(٣)
وَلَا زَالَ مُخْضَرٌّ مِنَ الرَّوْضِ يَانِعٌ عَلَيْهِ بِمُحَمَّرٍ مِنَ الثَّوْرِ جَاسِدِ^(٤)
شَقَائِقُ يَحْمِلُنَ النَّدى فَكَأَنَّهُ دُمُوعُ التَّصَابِي فِي خُدُودِ الْخَرَائِدِ^(٥)
وَمِنْ لَوْلُؤٍ فِي الْأَقْحُوَانِ مُنْظَمٍ وَمِنْ نُكْتٍ مُصْفَرَّةٍ كَالْفَرَائِدِ^(٦)
كَأَنَّ جَنَى الْحُودَانَ فِي رَوْنَتِي الضَّحَى دَنَانِيرُ تَبْرِ مِنْ تُؤَامٍ وَفَارِدِ^(٧)
إِذَا رَاوَحَتْهَا مُزْنَةٌ بَكَرَتْ لَهَا شَايِبٌ مُجْتَازٌ عَلَيْهَا وَقَاصِدِ^(٨)

- (١) الْعُذْرُ: جمع عذار، وهو الشعر النابت على جانبي الوجه، ويقال: خلع فلان عذاره: انهمك في العنى ولم يستح.
- (٢) البحثري، الديوان: ٦٤/١. والأبيات من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان وأبا الفتح ابنه.
- (٣) الحقف: ما اعوج من الرمل. المتقاود: المستوي.
- (٤) في الديوان: «من الروض يانعاً». والجاسد: من الجسد: لصوق الدم.
- (٥) الخرائد: جمع خريدة: الفتاة العذراء (البكر).
- (٦) في الديوان: «ومن لؤلؤ في الأرجوان منظم».
- (٧) في الديوان: «دنابير تبّر».
- (٨) شاييب: جمع شويوب: الدفعة من المطر.

رِبَاعٌ تَرَدَّتْ بِالرِّيَاضِ مَجُودَةٌ بِكُلِّ جَدِيدِ الْمَاءِ عَذْبِ الْمَوَارِدِ^(١)
كَأَنَّ يَدَ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ أَقْبَلَتْ تَلِيهَا بَتْلَكَ الْبَارِقَاتِ الرَّوَاعِدِ

[في مجلس المبرد]

قال أبو محمد عبد الله بن جعفر بن دَرَسْتَوِيَه: قال لي البحري وقد اجتمعنا على خلوة عند المبرد وسَلَكْنَا مَسْلَكًا مِنَ الْمَذَاكِرَةِ: أَشْعَرْتُ أَنِّي سَبَقْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ إِلَى قَوْلِي:

شَقَائِقُ يَحْمِلُنَ النَّدَى فَكَأَنَّهُ دُمُوعُ النَّصَابِي فِي خُدُودِ الْخَرَائِدِ
كَأَنَّ يَدَ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ أَقْبَلَتْ تَلِيهَا بَتْلَكَ الْبَارِقَاتِ الرَّوَاعِدِ

هكذا أنشد، فاستحسن ذلك المبرد استحساناً أسرف فيه، وقال: ما سمعت مثل هذه الألفاظ الرطبة، والعبارة العذبة، لأحد تقدّمك ولا تأخر عنك. فاعترّنه أَرِيحِيَّةٌ^(٢) جَرَّ بِهَا رِداءَ الْعُجْبِ؛ فَكَأَنَّهُ أَعْجَبَنِي مَا يُعْجِبُ النَّاسَ مِنْ مَرَاجِعَةِ الْقَوْلِ؛ فَقُلْتُ: يَا أَبَا عُبَادَةَ، لِمَ تَسْبِقُ إِلَى هَذَا، بَلْ سَبَقَكَ سَعِيدُ بْنُ حَمِيدِ الْكَاتِبِ^(٣) إِلَى الْبَيْتِ الْأَوَّلِ بِقَوْلِهِ:

عَذْبُ الْفِرَاقِ لَنَا قَبِيلٌ وَدَاعِنَا ثُمَّ اجْتَرَعْنَاهُ كَسْمٌ نَاقِعٌ^(٤)
وَكَأَنَّمَا أَثَرُ الدَّمُوعِ يَخْذُهَا طَلٌّ تَسَاقُطُ فَوْقَ وَرْدٍ يَانِعِ

وشركت فيه صديقنا أبو العباس الناشيء بما أنشدني آنفاً:

بَكَتْ لِلْفِرَاقِ وَقَدْ رَاعَنِي بِكَاءِ الْحَبِيبِ لِئُعْدِ الدِّيارِ
كَأَنَّ الدَّمُوعَ عَلَى خَذِّهَا بَقِيَّةُ طَلٍّ عَلَى جُلْنَارٍ^(٥)

(١) مجودة: أصابها المطر، يقال: جاد المطر الأرض: أصابها، وجاد المطر القوم: عمّ أرضهم وشملهم. وتردّت بالرياض: اتخذتها رداءً.

(٢) الأريحية: الارتياح للندى، والنشاط للمعروف.

(٣) هو أبو حميد، سعيد بن حميد بن سعيد: شاعر، كاتب، مترسل، حن الكلام. أصله من النهروان الأوسط، من أبناء الدهاقين. ولد ونشأ ببغداد، وكان أبوه من وجوه المعتزلة. كان يهوى فضل الشاعرة، وكانت تودّه، ثم فسد ما بينهما. توفي نحو ٢٥٠هـ/ نحو ٦٨٤ م. (ابن المعتز، طبقات الشعراء: ٤٢٦؛ الأصفهاني، الأغاني: ٩٠/١٨).

(٤) سُمّ نافع: بالغ قاتل.

(٥) الجلنار: زهر الرمان (فارسي معرب).

وما أساء علي بن جريج، بل أحسن في زيادته عليك بقوله^(١):

لَوْ كُنْتَ يَوْمَ الْوَدَاعِ شَاهِدَنَا وَهَنْ يُطْفِئْنَ غَلَّةَ الْوَجْدِ^(٢)
لَمْ تَرَ إِلَّا دَمْعَ بَاكِئَةٍ تَنْفَحُ مِنْ مُقْلَةٍ عَلَى خَدٍّ^(٣)
كَأَنَّ تِلْكَ الدَّمْعَ قَطْرُ نَدَى يَقْطُرُ مِنْ نَرْجِسٍ عَلَى وَرْدٍ^(٤)

وسبقك أبو تمام إلى معنى البيتين معاً بقوله^(٥):

مِنْ كُلِّ زَاهِرَةٍ تَرَفَّرَقَ بِالنَّدَى فَكَأَنَّهَا عَيْنٌ إِلَيْهِ تَحَدَّرُ^(٦)
تَبْدُو وَيَحْجِبُهَا الْجَمِيمُ كَأَنَّهَا عَذْرَاءُ تَبْدُو تَارَةً وَتَخْفَرُ^(٧)
خُلِقَ أَطْلٌ مِنَ الرَّبِيعِ كَأَنَّهُ خُلِقَ الْإِمَامُ وَهَدْيُهُ الْمُتَشَرُّ^(٨)
فِي الْأَرْضِ مِنْ عَدَلِ الْإِمَامِ وَجُودِهِ وَمِنْ الرَّبِيعِ الْغَضُّ سَرَجٌ يُزْهِرُ^(٩)
يُنْسَى الرَّبِيعُ وَمَا يُرَوِّضُ جُودُهُ أَبَدًا عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي يُذْكَرُ^(١٠)

قال: فشق ذلك عليه، وحلَّ حَبَوْتَهُ ونهض، فكان آخر عهدي بموانسته، وعَلَّظ ذلك على محمد بن يزيد، وقدح ذلك في حالي عنده.

(١) ابن الرومي، الديوان: ٢٧٠/٢.

(٢) في الديوان:

لَوْ كُنْتَ يَوْمَ الْفِرَاقِ حَاضِرَنَا وَهَنْ يُطْفِئْنَ غَلَّةَ الْوَجْدِ

(٣) في الديوان: «تَقْطُرُ مِنْ مُقْلَةٍ».

(٤) يشبه العيون بالنرجس، والخدود بالورد.

(٥) أبو تمام، الديوان: ٣٣٤/١. والأبيات من قصيدة بمدح بها المعتصم بالله العباسي.

(٦) زاهرة: متلألئة حسناً، أو حمراء، والمراد: زهرة زاهرة. ترفق: أصلها ترفق، وترفق الدمع: جال في حملاق العين. تحدَّر: تكبب الدمع.

(٧) الجميم: النبات الغزير الكثير المغطّي الأرض. تخفر: تستحي.

(٨) في الديوان: «وَهْدْيُهُ الْمُتَيْسِّرُ». وأطل: أُنْدَى. والإمام: الخليفة المعتصم. والهدي: الرشد. والمُتَشَرُّ: المُتَشَرُّ.

(٩) السرج: كل شجر طال. وفي الديوان: «سُرْجٌ تَزْهَرُ» والسرج: جمع سراج. وتزهر: تتلألأ.

(١٠) في الديوان:

تُنْسَى الرِّيَاضُ وَمَا يُرَوِّضُ فِعْلُهُ أَبَدًا عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي يُذْكَرُ
يُرَوِّضُ: من رَوَّضَ الْأَرْضَ: صَيَّرَهَا كَالرَّوْضِ. وفعله: أي فعل الخليفة.

للبحثري في المدح

وقال البحثري يمدح الهيثم بن عثمان الغنوي^(١):

أَلَسْتَ تَرَى مَدَّ الْفُرَاتِ كَأَنَّهُ جِبَالُ شَرُورَى جِئْنَ فِي الْبَحْرِ عَوْمًا
وَمَا ذَاكَ مِنْ عَادَاتِهِ غَيْرَ أَنَّهُ رَأَى شَيْمَةً مِنْ جَارِهِ فَتَعَلَّمَا^(٢)
وَقَدْ نَبَّهَ الثُّرُوزُ فِي غَبَشِ الدُّجَى أَوَائِلَ وَرْدٍ كُنَّ بِالْأَمْسِ نُومًا^(٣)
يُفْتَحُهَا بَرْدُ النَّدى فَكَأَنَّهُ يَبُثُّ حَدِيثًا بَيْنَهُنَّ مُكْتَمًا^(٤)
وَمِنْ شَجَرٍ رَدَّ الرِّيعُ لِبَاسَهُ عَلَيْهِ كَمَا نَشَرْتَ بُرْدًا مُنَمَّمًا^(٥)
أَحَلَّ فَأَبْدَى لِلْعَيُونِ بَشَاشَةً وَكَانَ قَلْبِي لِلْعَيْنِ مُذْ كَانَ مُخْرِمًا^(٦)
فَمَا يَمْنَعُ الرَّاحَ الَّتِي أَنْتَ خِلُّهَا وَمَا يَمْنَعُ الْأَوْتَارَ أَنْ تَتَرَنَّمَا^(٧)
وَمَا زِلْتُ خِلًّا لِلنَّدَامَى إِذَا اغْتَدَوْا وَرَاحُوا بُدُورًا يَسْتَحِشُّونَ أَنْجُمًا^(٨)
تَكْرَمْتُ مِنْ قَبْلِ الْكُؤُوسِ عَلَيْهِمْ فَمَا اسْتَطَعْنَ أَنْ يُحْدِثْنَ فِيكَ تَكْرُمًا

لابن الرومي في وصف روضة

وقال ابن الرومي^(٩):

حَيْثُكَ عَنَّا شِمَالٌ طَافَ طَائِفُهَا بِجَنَّةٍ فَجَرَتْ رَاحًا وَرَيَحَانًا^(١٠)

- (١) البحثري، الديوان: ١٤٧/١.
- (٢) في الديوان: «ولم يك من عاداته غير أنه».
- (٣) النوروز: أول الربيع (أو السنة الفارسية). ويروى: «في غَلَسِ الدجى».
- (٤) يَبُثُّ الحديث: يبوح به ويفشيه.
- (٥) في الديوان: «كما نشرت وَشَيًّا منمما». والمنمم: المزخرف، المنقوش.
- (٦) أَحَلَّ: خرج من إحرامه. والمحرم: من دخل الحرم بثياب الإحرام، وهي ثياب غير مخيطة ولا مصبغة.
- (٧) في الديوان: «فما يحبس الراح». والراح: الخمر.
- (٨) في الديوان: «وما زلت خِلًّا للندامى إذا انتشوا».
- (٩) ابن الرومي، الديوان: ٢٠٩/٦.
- (١٠) في الديوان: «فجرت رَوْحًا وَرَيَحَانًا». شمال: ريح خفيفة. الروح: الرائحة. والريحان: نبات ذو رائحة طيبة.

هَبَّتْ سَحِيرًا فَنَاجَى الْغُصْنَ صَاحِبَهُ سِرًّا بِهَا وَتَدَاعَى الطَّيْرُ إِعْلَانًا^(١)
 وَرَقٌ تَغْنَى عَلَى خُضْرٍ مُهْدَلَةٍ تَسْمُو بِهَا وَتَمَسُّ الْأَرْضَ أَحْيَانًا^(٢)
 تَخَالُ طَائِرَهَا نَشْوَانَ مِنْ طَرَبٍ وَالْغُصْنَ مِنْ هَزِهِ عِطْفِيهِ نَشْوَانًا^(٣)

لابن المعتز بدم الصبوح

ولابن المعتز في أرجوزته البستانيّة التي ذم فيها الصّبح صفة جامعة، إذ قال:
 أَمَا تَرَى الْبُسْتَانَ كَيْفَ نَوَّرَا وَنَشَّرَ الْمَشُورَ بُرْدًا أَصْفَرَا
 وَضَحَّكَ الْوَرْدَ إِلَى الشَّقَائِقِ وَاعْتَنَقَ الْوَرْدَ اعْتِنَاقَ الْوَامِقِ^(٤)
 فِي رَوْضَةٍ كَحَلِيِّ الْعُرُوسِ وَخُدِّمَ كَهَامَةِ الطَّاوُوسِ
 وَيَاسَمِينٍ فِي ذُرَى الْأَغْصَانِ مُنْظَمَ كَقَطْعِ الْعِيقِيَانِ^(٥)
 وَالسَّرُّوْءِ مِثْلُ قَصَبِ الزَّبْرِجَدِ قَدْ اسْتَمَدَّ الْمَاءَ مِنْ تُرْبٍ نَدِ
 عَلَى رِيَاضٍ وَثَرَى نَدِيٍّ وَجَدُولٍ كَالْبَرْدِ الْحَلِيِّ
 وَفَرَجَ الْخَشْخَاشَ جَيِّدًا وَفَتَقَ كَأَنَّهُ مَصَاحِفَ بَيْضِ الْوَرَقِ
 أَوْ مِثْلَ أَقْدَاحٍ مِنَ الْبَلَّورِ تَخَالِهَا تَجَسَّمَتْ مِنْ نُورِ
 وَبَعْضُهُ عُزْرِيَانٌ مِنْ أَثْوَابِهِ قَدْ حَجَلَ الْيَابِسُ مِنْ أَصْحَابِهِ
 تَبْصِرُهُ عِنْدَ انْتِشَارِ الْوَرْدِ مِثْلَ الدَّبَايِسِ بِأَيْدِي الْجُنْدِ
 وَالسَّوْسَنُ الْأَزَارُ مَنَشُورِ الْحُلِّ كَقُطْنٍ قَدْ مَسَّهُ بَعْضُ بَلَلِ
 نَسُورَ فِي حَاشِيَتِي بُسْتَانِهِ وَدَخَلَ الْمِيدَانَ فِي ضَمَانِهِ
 وَقَدْ بَدَتْ فِيهِ ثِمَارُ الْكُنْكَرِ كَأَنَّهُا جَمَاجِمٌ مِنْ عَنَبَرِ
 وَحَلَّقَ الْبَهَارُ بَيْنَ الْأَسِ جُمُجُمَةً كَهَامَةِ الشَّمْسِ^(٦)

- (١) في الديوان: «موسوماً وتنادى الطير إعلاناً». وسحيراً: وقت السحر.
- (٢) الورق: نوع من الحمام، مفردا ورقاء. وخضر مهدلة: أغصان متدلّة. وفي الديوان: «وتمسّ الأرض أحياناً».
- (٣) العطف: عطف كل شيء: جانبه، وهو من الإنسان من لدن رأسه إلى وركه.
- (٤) الوامق: العاشق.
- (٥) العيقان: ذهب متكاثف في مناجمه خالص مما يختلط به من الرمال والحجارة.
- (٦) البهّار: زهر طيب الريح، ينبت في الربيع، ويقال له: العرّار. والشَّمْسُ: الذي يقوم بالخدمة الكنسية، ومرتبته دون القسيس، والشَّمْسُ: الشديد الشُّمُوس (العناد والعصيان والنفور).

خلال شيخ مثل شيب النصف
وَجَوْهَرٍ مِنْ زَهَرٍ مُخْتَلَفٍ
وَجُلُنَارٍ كَاخْمِرَارِ الْوَرْدِ
أَوْ مِثْلِ أَغْرَافِ دُبُوكِ الْهِنْدِ
وَالْأَقْحَوَانُ كَالثَنَائِيَا الْغُرِّ
قَدْ صُقِّلَتْ أَنْوَارُهُ بِالْقَطْرِ

لأبي الفتح كشاجم

وقال أبو الفتح كشاجم:

وَرَوْضٍ عَنْ صَنِيعِ الْغَيْثِ رَاضٍ
كَمَا رَضِيَ الصَّدِيقُ عَنِ الصَّدِيقِ
إِذَا مَا الْقَطَرُ أَسْعَدَهُ صَبُوحًا
أَتَمَّ لَهُ الصَّنِيعَةَ فِي الْغُبُوقِ^(١)
يُعِيرُ الرِّيحَ بِالنَّفَحَاتِ رِيحًا
كَأَنَّ الطَّلَّ مُشْتَرَا عَلَيْهِ
كَأَنَّ غُصُونَهُ سُقَيْتَ رَحِيقًا
بَقَايَا الدَّمْعِ فِي خَدِّ مَشُوقٍ
كَأَنَّ ثَرَاهِ مِنْ مِسْكِ فَتِيقٍ
كَأَنَّ شَقَائِقَ النِّعَمَانِ فِيهِ
فَمَالَتْ مِثْلَ شُرَابِ الرَّحِيقِ
يُذَكِّرُنِي بِنَفْسِجِهِ بَقَايَا
مُخَضَّرَةً شَقَائِقُ مِنْ عَقِيقٍ
صَنِيعِ اللَّطْمِ فِي الْخَدِّ الرَّقِيقِ

وقال:

غَيْثٌ أَتَانَا مُؤَذِّنًا بِالْخَفْضِ
مُتَّصِلَ الْوَيْلِ سَرِيعَ الرَّكْضِ^(٢)
دَنَا فَحَلَنَاهُ دُونِنَ الْأَرْضِ
مُتَّصِلًا بِطُولِهِ وَالْعَرْضِ
إِلْفًا إِلَى إِلْفٍ بِسَرٍّ يُفْضِي
ثُمَّ سَمَا كَاللَّوْلُؤِ الْمُرْفُضِ^(٣)
فَالْأَرْضُ تُجَلَّى بِالنَّبَاتِ الْغَضِّ
فِي حَلِيهَا الْمُحْمَرِّ وَالْمُبْيَضِّ
مِنْ نَوَسَنِ أَحْوَى وَوَزْدِ غَضِّ
مِثْلَ الْخُدُودِ نَقَّشَتْ بِالْعَضِّ
وَأَقْحَوَانٍ كَاللَّجَيْنِ الْمَحْضِ
وَنَرَجِسٍ ذَاكِي النِّسِيمِ بَضِّ^(٤)
مِثْلَ الْعَيُونِ رَنَّقَتْ لِلْغَمْضِ
تَرْنُو فَيَغْشَاهَا الْكَرَى فَتَغْضِي^(٥)

(١) الصبوح: شراب الصباح، والغبوق: شراب المساء.

(٢) الويل: المطر الشديد الضخم القطر.

(٣) ارفض الدمع: سال وترشش.

(٤) اللجين: الفضة. المحض: الخالص. البض: النضير الممتليء.

(٥) رنقت العين: انكسر طرفها.

جملة من هذا النوع لأهل العصر

لأبي فراس الحمداني

قال أبو فراس الحمداني^(١):

وَجُلْتُ بِأَرْسِ مَشْرِقٍ عَلَى أَعَالِي شَجَرَةٍ
كَأَنَّ فِي رُؤُوسِهِ أَحْمَرَةً وَأَصْفَرَةً
فُرَاضَةً مِنْ ذَهَبٍ فِي خِرْقَةٍ مُعَصَّفَةٍ^(٢)
وقال^(٣):

وَيَوْمَ جَلَا فِيهِ الرِّيعُ رِيَاضَةً بِأَنْوَاعِ حَلِيٍّ فَوْقَ أَثْوَابِ الْخُضْرِ
كَأَنَّ ذُيُولَ الْجَنَارِ مُطْلَّةً فَضُولُ ذِيُولِ الْغَايَاتِ مِنَ الْأُزْرِ

لابن هانيء يصف زهرة رمان

وقال أبو القاسم بن هانيء، يصف زهرة رُمان قطفت قبل عَقْدِهَا:

وَبُنْتُ أَيْكَ كَالشَّبَابِ النَّضْرِ كَأَنَّهَا بَيْنَ الْغُصُونِ الْخُضْرِ
جَنَانُ بَارِزٍ أَوْ جَنَانُ صَقْرِ قَدْ خَفَقَتْهُ لَقْوَةٌ بِوَكْرِ^(٤)
كَأَنَّمَا سَحَّتْ دَمًا مِنْ نَحْرِ أَوْ نَبَّتْ فِي تُرْبَةٍ مِنْ جَمْرِ
[أَوْ سُقِيتْ بِجَذُولٍ مِنْ خَمْرِ] لَوْ كَفَّ عَنْهَا الدَّهْرَ صَرَفُ الدَّهْرِ
جَاءَتْ كَمِثْلِ التَّهْدِ فَوْقَ الصَّدْرِ تَفَقَّرَ عَنْ مِثْلِ الثَّلَاثِ الْحُمْرِ
فِي مِثْلِ طَعْمِ الْوَضَلِ بَعْدَ الْهَجْرِ

ولهم في هذا المعنى

روضة رَقَّتْ حَوَاشِيهَا، وَتَأَنَّ وَاشِيهَا. روضة كالعقود المنظمة، على البرود الْمُتَمَنِّمَةِ.
روضة قد رَاضَتْهَا كَفُّ الْمَطَرِ، وَدَبَّجَتْهَا أَيْدِي النَّدَى. أَخْرَجَتْ الْأَرْضُ أَسْرَارَهَا، وَأَظْهَرَتْ يَدُ

(١) أبو فراس، الديوان: ص ١٤١؛ الثعالبي، يتيمة الدهر: ٨٢/١.

(٢) القراضة: الثَّار. والمعصرة: المصبوغة بالعصفر، وهو نبات أصفر يُصْبَغُ بِهِ.

(٣) أبو فراس، الديوان: ص ١٣٩.

(٤) اللقوة: الْعُقَابُ الْخَفِيفَةُ السَّرِيعَةُ الْإِخْتِطَافِ.

الغيث آثارها، وأبدت الرياض أزهارها. الرياض كالعرائس في حليها وزخارفها، والقيان في وشيها ومطارفها، بأسطة زرايبها^(١) وأنماطها، ناشرة جبراتها^(٢) ورياطها، زاهية بحمرائها وصفرائها، تائهة بعيداتها وغذرائها، كأنما احتفلت لوفد، أو هي من حبيب على وعد. روضة قد تصوعت بالأرج الطيب أرجاؤها، وتبرجت في ظلل الغمام صحراؤها، وتنافجت بنوافج المسك أنوارها^(٣)، وتعارضت بغرائب التطق أطيائها. بستان رق نوره النضيد، وراق عوده النضير. بستان عوده خضر، ونوره نضر، ويئنه خضل، وماؤه خصر. بستان أرضه للبقل والريحان، وسماؤه للنخل والرمان. بستان أنهاره مفروزة بالأزهار؛ وأشجاره موقرة بالشمار. أشجار كأن الحور أعارتها قدودها، وكستها برودها، وحلتها عقودها. الربيع شباب الزمان، ومقدمة الورد والريحان. زمن الورد مرقوق، كأنه من الجنة مسروق. قد ورد كتاب الورد، بإقباله إلى أهل الود. إذا ورد الورد، صدر البرد. مرحباً بإشراف الزهر، في أطراف الدهر، وأنشد:

سقى الله ورداً صار خد ربيعنا فقد كان قبل اليوم ليس له خد
كأن عين النرجس عين، وورقه ورق^(٤). النرجس نزهة الطرف، وظرف الظرف، وغذاء الروح. شقائق كتيجان العقيق على رؤوس الزنوج، كأنها أضداغ المسك على الوجات الموردة. شقائق كالزنوج تجارحت وسالت دماؤها، وضعت فسال دماؤها. كأن الشقيق جام من عقيق أحمر، ملئت قرارته بمسك أذفر. الأرض زمردة، والأشجار وشي، والماء سيوف، والطيور قيمان. قد غردت خطباء الأطيوار، على منابر الأنوار والأزهار. إذا صدح الحمام، صدح الحمام قلب المستهام. انظر إلى طرب الأشجار لغناء الأطيوار. ليس للبلابل كغناء البلابل^(٥)، وخمر بابل.

- (١) الزرايب: جمع زريبة، وهي الوسادة تبسط للجلوس عليها، قال تعالى: ﴿وَزَرَابِي مَبْنُوَّةٌ﴾ (سورة الغاشية، آية ١٦). وزرايب النبات: ما بدا فيه اليس فاحمراً أو اصفر وفيه خضرة.
- (٢) الحبرات: جمع حبرة: ثوب من قطن أو كتان مخطط كان يصنع باليمن، وقيل: ملاءة من الحرير كانت ترتديها النساء بمصر حين خروجهن.
- (٣) نفجت الريح: هبت عاصفة، والنافجة: الريح الشديدة الهبوب، وقيل: وعاء المسك في جسم الظبي.
- (٤) العين المشبه بها: الذهب. والورق (بكر الراء): الفضة.
- (٥) البلابل (الأولى): الأشجان والهموم والوساوس، الواحد: بلبل. والبلابل (الثانية): الطيور المغردة، واحدها: بلبل.

ولهم فيما يتعلق بهذا النحو في وصف أيام الربيع

يوم سماؤه فَاحِشِيَّة، وأرضه طَاوُسِيَّة. يومٌ جَلَّابِيْبُ غيومه رواق، وأرْدِيَّة نسيمه رِقَاق. يومٌ مُمَسِّكُ السماء، مُعْصِفُ الهواء، مُعْنَبِرُ الرُّوض، مُصْنَدِلُ الماء. يومٌ زُرٌّ عليه جَبِيْبُ الضُّباب، وانسحب فيه ذَيْلُ السحاب. يومٌ سماؤه كالخَزِّ الأذْكَن، وأرضه كالديباج الأخضر.

شَادُنٌ يَرْتَوِي القلوبَ بِبَغْدَا دَ وَلَا يَرْتَوِي الكلا بالنَّجَاجِ^(١)
أَقْبَلْتُ والربيعُ يَخْتَالُ فِي الرُّوْ ض وفي المزنِ ذِي الحَيَا الشَّجَّاجِ^(٢)
ذو سماءٍ كَأَذْكَنِ الخَزِّ قَدْ غِي حَمَتْ وَأَرْضٍ كَأَخْضَرِ الدِّيَاجِ
فَتَجَلَّى عَنْ كُلِّ مَا يَتَمَنَّى موعِد الكدخدَاةِ والهِمَاجِ
فَظَلَّلْنَا فِي نُزْهَتَيْنِ وَفِي حُدِّ نين بين الأَرْمَالِ والأَهْجَاجِ
بِفَتَاةٍ تَسْرُنَا فِي المَثَانِي وَعَجُوزٍ تَسْرُنَا فِي الزُّجَاجِ
أَخَذْتُ مِنْ رُؤُوسِ قَوْمٍ كَرَامٍ ثَارَهَا عِنْدَ أَرْجُلِ الأَعْلَاجِ^(٣)

يومٌ حَسَنُ الشَّمَائِلِ، مُتَمَعُّ المَخَالِ، سَجَسَجُ الهواءِ^(٤)، مُؤَنِّقُ الأَرْجَاءِ، يومٌ تَبَسُّمُ عنه الربيعُ، وَتَبَرَّجَ عنه الرُّوضُ المريع. يومٌ كَانَ سَمَاءَهُ مَأْتَمٌ تَبَاكِي، وَأَرْضُهُ عَرُوسٌ تَتَجَلَّى. يومٌ مَشْهُرُ الأَوْصَافِ، أَغَرَّ الأَطْرَافِ. يومٌ يُغْفِي فِيهِ النُّورَ وَيُشَبِّهُ، وَتُسْفِرُ فِيهِ الشَّمْسُ وَتَتَقَبَّبُ، وَتَعْتَنِقُ الغُصُونُ وَتَفْتَرِّقُ، وَيُوشِي الغَيْمُ وَيَسْكُبُ. يومٌ غَابَ نَحْسُهُ وَهَوَى، وَطَلَعَ سَعْدُهُ وَاعْتَلَى، وَالزَّمَانُ سَاقِطَةٌ جَمَارُهُ، مُفَعَّمَةٌ أَنْهَارُهُ، مُوَنِّقَةٌ أَشْجَارُهُ، مَغْرَدَةٌ أَطْيَارُهُ. نحنُ فِي غَبِّ سَمَاءٍ، قَدْ أَقْلَعْتَ بَعْدَ الأَرْتَوَاءِ، وَأَفْشَعْتَ عِنْدَ الاستِغْنَاءِ، فَالْتَبَّتْ خَضِيلُ مَمْطُورٍ، وَالتَّقَعُّ سَاكِنِ مَحْصُورٍ^(٥). يومٌ جَوُّهُ طَارُونِي، وَأَرْضُهُ طَاوُسِي. يومٌ دَجَنُّهُ عَاكِفٌ، وَقَطْرُهُ وَاكِفٌ. يومٌ مِنْ أعيَادِ العُمَرِ، وَأَعْيَانِ الدَّهْرِ.

(١) الشادن: ولد الظبي الذي قوي واشتد واستغنى عن أمه. والنَّجَاج: قرية بالبادية، أحيائها عبد الله بن عامر، وفي بلاد العرب نِجَاجان: أحدهما على طريق البصرة، يقال له نِجَاج بني عامر، وهو بحذاء فَيْد، والآخر نِجَاج بني سعد بالقريتين.

(٢) الحيا: المطر. والشَّجَّاجُ: الشديد الانصباب، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ (سورة النبا، آية: ١٤).

(٣) الأعلاج: جمع عِلْج، وهو كل شديد جافٍ من الرجال.

(٤) هواءٌ سَجَسَجٌ: طيب معتدل.

(٥) التَّقَعُّ: الغبار.

[الربيع والرفاق]

ولهم في تشبيه محاسن الربيع بمحاسن الإخوان والسادة:

عَيْتٌ مُشَبَّهٌ بِكَفِّكَ، واعتداله مُضَاهٍ لِخُلُقِكَ، وزَهْرُهُ مُوَازٍ لِنَشْرِكِ^(١)، كأنما استعار
حُلُلَهُ من شيمتك، وحَلِيهِ من سَجِيَّتِكَ، واقتبس أنوارَهُ من محاسن أيامك، وأمطارَهُ من
جُودِكَ وإنعامِكَ. قدم الربيعُ مُتَّسِباً إلى خَلْقِكَ، مُكْتَسِباً محاسنَهُ من طَبْعِكَ، متوشحاً بأنوار
لَفْظِكَ، متوضحاً بآثار لسانِكَ ويَدِكَ. أنا في بُسْتَانٍ أَذْكَرُنِي وَرَدَّهُ الْمَفْتَحَ بِخَلْقِكَ، وَجَدَوْلُهُ
السَّابِحَ بِطَبْعِكَ، وزَهْرُهُ الْجَنِّيُّ بِقُرْبِكَ. أنا في بستان كأنه من شمائلك سُرِقَ، ومن خُلُقِكَ
خُلِقَ، وقد قابلتني أشجارٌ تتمايل فتذكرني تَبْرِيجِ الْأَحْبَابِ، إذا تداولتُهُمْ أَيْدِي الشَّرَابِ،
وأنهار كأنها من يدِكَ تَسِيلُ، ومن راحتِكَ تَفِيضُ. أنا على حافةِ حَوْضٍ أَرْقُ كصفاء مودَّتِي
لَكَ، وَرِقَّةٌ قَوْلِي فِي عَتِكَ.

[الصوم في الربيع]

وقال ابن عون الكاتب:

جاءنا الصومُ في الربيعِ فَهَلَّا أَخَذَ
وَكأنَّ الربيعَ في الصومِ عَقْدٌ
تَارَ رُبْعاً مِنْ سَائِرِ الْأَرْبَاعِ^(٢)
فَوْقَ نَحْرِ غَطَاءِ فَضْلٍ قِنَاعٍ

[يوم الشك]

وكتب أبو الفتح كشاجم إلى بعض إخوانه يستدعيه إلى زيارته في يوم شك:

هُوَ يَوْمٌ شَكٌّ يَا عَلِيَّ
وَالْجَوُّ حُلَّتْهُ مُسَمَّةٌ
وَالْمَاءُ فِضٌّ سَيِّ الْقَمِي
نَبَسْتُ يَصْعَدُ زَهْرُهُ
وَلَنَا فُضَيْلَاتٌ تَكُونُ
وَمُدَامَةٌ صَفَرَاءُ أَدَّ
يِي وَيَشْرُهُ مُذْ كَانَ يُحْنَرُ
كَةً وَمُطَرَفُهُ مُعَبَّرُ
صِرَ وَطَيْلَسَانُ الْأَرْضِ أَخْضَرُ
فِي الرُّوضِ قَطَرٌ نَسْدَى تَحَدَّرُ
نُ لِيَوْمِنَا قُوتاً مُقَلَّدَرُ
رَكَ عُمْرَهَا كِنَرَى وَقَيْصَرُ^(٣)

(١) النَّشْرُ: الرائحة الطيبة.

(٢) الْأَرْبَاعُ: فصول السنة، كل فصل ربيع.

(٣) أَي هِيَ خَمْرٌ قَدِيمَةٌ مُعْتَمَّةٌ.

فَانْشَطْ لَنَا لِنَحْكُ مِنْ كَسَاتِنَا مَا كَانَ أَكْبَرَ
أَوْ لَا فَإِنَّكَ جَاهِلٌ إِنْ قُلْتَ إِنَّكَ سَوْفَ تُعْذَرُ

من بديع الزمان لبعض أهل همدان

وكتب بديع الزمان إلى بعض أهل همدان:

كتابي - أطال الله بقاءك - عن شهر رمضان، عَزَّنا اللَّهُ بِرُكَّةٍ مَقْدَمِهِ، وَيُؤَمِّنَ مُحْتَصِمِهِ،
وخصَّكَ بتقصير أيامِهِ، وإتمام صيامِهِ وقيامِهِ؛ فهو - وإن عَظُمَتْ بَرَكَتُهُ - ثَقِيلٌ حَرَكَتُهُ، وإن
جَلَّ قَدْرُهُ بَعِيدَ قَعْرِهِ، [وإن عَمَتْ رَأْفَتُهُ، طَوِيلَ مَسَافَتِهِ، وإن حَسُنَتْ قُرْبَتُهُ، شَدِيدَ صَحْبَتِهِ،
وإن كَبُرَتْ حَرَمَتُهُ كَثِيرَ حَشْمَتِهِ، وإن سَرَّنا مُبْتَدَاهُ فَلَنَ يَسُوءُنَا مُنْتَهَاهُ] فَإِنْ حَسُنَ وَجْهُهُ فَلَيْسَ
يَقْبُحُ قَفَاهُ، وَمَا أَحْسَنَهُ فِي الْقَذَالِ^(١)، وَأَشْبَهَ إِدْبَارَهُ بِالْإِقْبَالِ، جَعَلَ اللَّهُ قُدُومَهُ سَبَبَ تَرْحَالِهِ،
وَيَذَرُهُ فِدَاءَ هَلَالِهِ، وَأَمَدَ فَلَكِهِ تَحْرِيكًا، بِتَقْضِي مُدَّتِهِ وَشَيْكَا، وَأَظْهَرَ هَلَالَهُ نَحِيفًا، لِيَزِفَ إِلَى
الذَّاتِ زَفِيفًا، وَعَفَا اللَّهُ عَنْ مَرْحٍ يَكْرَهُهُ، وَمُجُونٍ يُسْخِطُهُ.

لابن العميد

عَوَّلَ الْبَدِيعُ فِي هَذَا الْكَلَامِ عَلَى قَوْلِ أَبِي الْفَضْلِ بْنِ الْعَمِيدِ فِي رِسَالَةٍ لَهُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ:

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعَرِّفَنِي بِرُكَّتِهِ، وَيُلْقِيَنِي الْخَيْرَ فِي بَاقِي أَيَّامِهِ وَخَاتَمَتِهِ؛ وَأَرْغَبُ إِلَيْهِ فِي أَنْ
يُقَرِّبَ عَلَيَّ الْفَلَكَ دَوْرَهُ، وَيَقْصِرَهُ سَيْرَهُ، وَيُخَفِّفَ حَرَكَتَهُ، وَيَجْعَلَ نَهْضَتَهُ، وَيُقْصِرَ مَسَافَةَ فَلَكِهِ
وَدَائِرَتِهِ، وَيُزِيلَ بَرَكَתَ الطَّوْلِ عَنْ سَاعَاتِهِ، وَيُرِدِّدَ عَلَيَّ غُرَّةَ شَوَالٍ، فَهِيَ أَسْنَى الْغُرَرِ عِنْدِي،
وَأَقْرَبُهَا لِعَيْنِي؛ وَيُطْلِعَ بَذْرَهُ، وَيُرِيَنِي الْأَيْدِيَّ مُتَطَلِبَةً هَلَهُ بِبَشَرٍ، وَيَسْمَعُنِي النَّعْيَ لَشَهْرِ رَمَضَانَ،
وَيَعْرِضَ عَلَيَّ هَلَالَهُ أَخْفَى مِنَ السَّحْرِ، وَأَظْلَمَ مِنَ الْكُفْرِ، وَأَنْحَفَ مِنْ مَجْنُونِ بَنِي عَامِرٍ^(٢)،
وَأَبْلَى مِنْ أَسِيرِ الْهَجَرِ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ جَلَّ وَجْهُهُ مِمَّا قُلْتُ إِنْ كَرِهَهُ، وَأَسْتَغْفِيهِ مِنْ تَوْفِيقِي لِمَا
يَذَمُّهُ، وَأَسْأَلُهُ صَفْحًا يَقْبِضُهُ، وَعَفْوًا يُوسِعُهُ، إِنَّهُ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ.

[عواقب الطيش]

طاهر بن الحسين يصف الأمين

قال المأمون لطاهر بن الحسين: صِفْ لِي أَخْلَاقَ الْمَخْلُوعِ. قَالَ: كَانَ وَاسِعَ الصَّدْرِ،

(١) القذال (في الأصل): جماع مؤخر الرأس من الإنسان والفرس فوق القفا.

(٢) هو قيس بن الملوح الشاعر الأموي المعروف بالمجنون (ت ٧٠ هـ / ٦٨٩ م).

صَيِّقَ الْأَدَبِ، يُبَحِّحُ مِنْ نَفْسِهِ مَا تَأَنَّفَهُ هِمَمُ الْأَحْرَارِ، وَلَا يُصْغِي إِلَى نَصِيحَةٍ، وَلَا يَقْبَلُ مَشُورَةً، يَسْتَبْدُّ بِرَأْيِهِ، وَيُصَرِّسُ سَوَاءَ عَاقِبَتِهِ؛ فَلَا يَرْدَعُهُ ذَلِكَ عَمَّا يَهْمُ بِهِ. قَالَ: فَكَيْفَ كَانَتْ حُرُوبُهُ؟ قَالَ: كَانَ يَجْمَعُ الْكَتَائِبَ بِالتَّبْذِيرِ، وَيَفْرُقُهَا بِسُوءِ التَّدْبِيرِ. فَقَالَ الْمَأْمُونُ: لِذَلِكَ حَلَّ مَا حَلَّ بِهِ؟ أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ ذَاقَ لَذَاتِ النَّصَائِحِ، وَاخْتَارَ مَشُورَاتِ الرِّجَالِ، وَمَلَكَ نَفْسَهُ عَنْ شَهَوَاتِهَا، لَمَا ظَفِرَ بِهِ.

[الأمين والمأمون]

ولما عقد الرشيدُ البيعةَ للأمين وهو أصغرُ من المأمون لأجل أمِّه زبيدة، وكلام أخيها عيسى بن جعفر، وقدمه على المأمون، جعل يرى فضلَ عقله فيندم على ذلك، فقال:

لَقَدْ بَانَ وَجْهُ الرَّأْيِ لِي غَيْرَ أَنَّنِي غَلِثْتُ عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ أَحْزَمًا^(١)
فَكَيْفَ يُرَدُّ الدَّرُّ فِي الضَّرْعِ بَعْدَمَا تَوَزَّعَ حَتَّى صَارَ نَهَبًا مُقَسَّمَا
أَخَافُ التَّوَاءَ الْأَمْرَ بَعْدَ أَسْتَوَائِهِ وَأَنْ يُنْقَضَ الْحَبْلُ الَّذِي كَانَ أُبْرَمًا^(٢)

قال أسد بن يزيد بن مزيد: بعث إليَّ الفضلُ بن الربيع بعد مقتل عبد الرحمن الأنباري، قال: فَأَتَيْتُهُ وهو في صَحْنِ دَارِهِ، وَفِي يَدِهِ رُقْعَةٌ قَدْ غَضِبَ لَهَا نَظَرَ فِيهَا، وَهُوَ يَقُولُ: يَنَامُ نَوْمَ الظَّرْبَانِ، وَيَتَبَهُ اتِّبَاءَ الذَّنْبِ، هِمَّتُهُ بَطْنُهُ، وَلَذَنَةُ قَرْجِهِ. لَا يَفْكَرُ فِي زَوَالِ نِعْمَةٍ، وَلَا يَتَرَوَّى فِي إِمْضَاءِ رَأْيٍ وَلَا مَكِيدَةٍ، قَدْ شَمَّرَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ عَنْ سَاقِهِ، وَفَوْقَ لَهُ أَشَدُّ سَهَامِهِ، يَرْمِيهِ عَلَى بُعْدِ الدَّارِ بِالْحَتَفِ النَّافِذِ وَالْمَوْتِ الْقَاصِدِ، قَدْ عَيَّى لَهُ الْمَنَايَا عَلَى مُتُونِ الْخَيْلِ، وَنَاطَ لَهُ الْبَلَاءُ فِي أَسَنَةِ الرِّمَاحِ وَشِفَارِ الْيُوفِ، ثُمَّ تَمَثَّلَ بِشَعْرِ الْبَعِيثِ^(٣):

يُقَارِعُ أَتْرَاكَ ابْنِ خَاقَانَ لَيْلَهُ إِلَى أَنْ يَرَى الْإِصْبَاحَ لَا يَتَلَعَثُ
فَيُضْبَحُ فِي طُولِ الطَّرَادِ وَجِسْمُهُ نَحِيلٌ، وَأُضْحِي فِي النِّعَمِ أَصَمُّ
فَشْتَانٌ مَا بَيْنِي وَيَيْنَ ابْنِ خَالِدٍ أُمِيَّةٌ فِي الرَّرْزِقِ الَّذِي اللَّهُ يَقْسِمُ

(١) حزم الرأي أو الأمر: ضبطه وأتقنه.

(٢) أبرم الحبل: أحكم قتله.

(٣) هو أبو زيد، خدّاش بن بشر بن خالد الملقب بـ«البعيث»: شاعر مجيد، سكن البصرة، وتهاجى مع جرير مدة طويلة، وأعاناه الفرزدق عليه. وقيل: إنه كان أخطب بني تميم. توفي في البصرة سنة ١٣٤ هـ/ ٧٥١ م. (ابن سلام، طبقات الشعراء: ٥٣٥؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء: ٥٢/١١).

ثم قال: يا أبا الحارث، أنا وأنت نَجْرِي إلى غايةٍ إنْ قَصَرْنَا عنها ذِمَّتَنَا، وإن اجْتَهَدْنَا في بلوغها انْقَطَعْنَا؛ وإنما نحن شُعْبَةٌ من أصلٍ، إن قَوِيَ قوينا، وإن ضَعُفَ ضعفنا؛ إن هذا الرجل قد ألقى بيده إلقاء الأمة الوَكْفَاء: يشاور النساء، ويعتمدُ على الرؤيا، وقد أمكنَ أهلَ اللُهو والخَسَارَةِ مِنْ سَمْعِهِ؛ فهم يُمَثِّلُونَهُ الظُّفْرَ، وَيَعْدُونَهُ عَوَاقِبَ الأَيَّامِ؛ والهِلَاكُ إليه أَسْرَعُ من السَّيلِ إلى قِيَعَانِ الرَّمْلِ؛ وقد خَشِيتُ أَنْ نَهْلِكَ بهلاكه، وَنَعْطِبَ بِعَطْبِهِ، وأنت فارسُ العرب وابنُ فارسها، وقد فزعَ إليك من لقاءِ طاهرٍ لأمرين: أحدهما صِدْقُ طاعتك، وفَضْلُ نصيحتك؛ والثاني يُمَنُّ نَفِيتُكَ، وشِدَّةُ بأسك؛ وقد أمرني أَنْ أبْسطَ يدك غيرَ أَنْ الاقتصادَ رأسُ النصيحة، ومفتاحُ البركة؛ فبادِرْ ما تريد، وعَجِّلْ النهضة، فإني أرجو أن يُوليكَ اللَّهُ شَرَفَ هذا الفَتْحِ، ويلم بك شَعَثَ الخلافةِ.

فقلت له: أنا لطاعتك وطاعة أمير المؤمنين مُقَدِّم، ولما وَهَنَ عَدُوُّكُمَا مُؤَثِّر؛ غير أن المَحَارِبَ لَا يَفْتَتِحُ أَمْرُهُ بِتَقْصِيرٍ؛ وإنما مَلَاكُ أَمْرِهِ الجنود، والجنود لَا تَكُونُ بِلا مال، وقد رفع أمير المؤمنين الرغائبَ إلى قومٍ لم يُجِدُوا عليه، ومتى سُمِتَ مَنْ أَقْدَرُ به الانتفاعُ له الرضا بدون ما أَخَذَهُ غَيْرُهُ ممن لم يَكُنْ عنده غَنَاءٌ ولا مَعُونَةٌ، لم يَتَّظَمَ بِذلك التدبير، وأحتاج لأصحابي رِزْقَ سنة قَبْضاً، وحملأ إلى أَلْفِ فرسٍ لحمل من لَا أَرْتَضِي فرسه، وإلى مالٍ أَسْتَظْهِرُ به، لَا أَلَامَ على وَضْعِهِ حيث رَأَيْتُ. فقال: شاوَرُ أمير المؤمنين؛ فَادْخُلْنِي عليه، فلم تَدْرُ بَيْنِي وبينه كلمتان حتى أَمَرَ بِحَبْسِي.

الأمين يصف طاهر بن الحسين

ويروى أن الأمين لما أَعْيَنَهُ مَكَايِدُ طاهر قال:

بُلِيتُ بِأَشْجَعِ الثَّقَلَيْنِ نَفْساً تَزُولُ الرَاسِيَاتُ وما يَزُولُ^(١)
لَهُ مَعَ كُلِّ ذِي بَدَنٍ رَقِيبٌ يُشَاهِدُهُ وَيَعْلَمُ ما يَقُولُ
فَلَيْسَ بِمُغْفِلٍ أَمْرًا عَنَّا إِذَا ما الأَمْرُ ضَيَّعَهُ الجُهْلُ

الفضل بن الربيع وابنه وأبوه

وفي الفضل بن الربيع يقول بعض الشعراء:

كَمْ مِنْ مُقِيمٍ بِبَغْدَادٍ عَلَى طَمَعٍ لَوْلَا رَجَاءُ أَبِي العَبَّاسِ لَمْ يُقِمِ

(١) الثقلان: الإنسان والجن. والراسيات هنا: الجبال.

البدرُ إن نظروا، والبحرُ إن رغبوا والحِصْنُ إن رهبوا، والسيفُ ذو النِّمِّ
وقال عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع: ما مدحنا شاعرٌ بشعر أحب إلينا من
قول أبي نواس^(١):

سَادَ الْمُلُوكُ ثَلَاثَةً مَا مِنْهُمْ إِنْ حُصِّلُوا إِلَّا أَعَزُّ قَرِيبُ^(٢)
سَادَ الرِّيبُ وَسَادَ فَضْلٌ بَعْدَهُ وَعَلَتْ بِعَبَّاسٍ الْكَرِيمِ فُرُوعُ^(٣)
عَبَّاسٌ عَبَّاسٌ إِذَا احْتَدَمَ الْوُغَى وَالْفَضْلُ فَضْلٌ وَالرِّيبُ رِيبُ^(٤)
وقيل للعتابي^(٥): أمدحت أحدا؟ قال: لا، وليس لي على ذاك قدرة، ف قيل له: فقد
مدحت الربيع، فقال: ذلك ليومٍ يستحق فيه المدح، فقلت:

وَمُعْضِلَةٌ قَامَ الرِّيبُ إِزَاءَهَا لِيَعْمِدَ رُكْنَ الدِّينِ لِمَا تَهْدَمَا
بِمَكَّةَ وَالْمَنْصُورُ رَهْنٌ كَمَا أَتَى أَخَا الْوَحْيِ دَاعِي رَبِّهِ فَتَقْدَمَا
غَدَاةَ عُدَاةِ الدِّينِ شَاخِذَةُ الْمُدَى إِلَيْهِ وَغَوْلُ الْحَرْبِ فَاغِرَةٌ فَمَا^(٦)

[بيعة المهدي]

وكان المنصور قد توفّي بمكة وهو حاجٌّ في ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة،
فأخذ الربيع للمهدي البيعة على الناس، وأخذ بتجديدها عن المنصور على أنه حيّ، وأدخل
إليه قوماً فرأوه من بعيد وقد جللته بثوب، وأقعد إلى جنبه من يحرك يده وكأنه يومئ بها
إليهم، فلم يشكّوا في حياته؛ فما خالف أحد؛ فشكره المهدي لذلك، وفي ذلك يقول أبو
نواس في مدحه الفضل بن الربيع^(٧):

- (١) أبو نواس، الديوان: ص ٤٦٣.
- (٢) في الديوان: «إِلَّا أَعَزُّ». والأعزُّ: الأبيض المشهور. والقريب: السيد.
- (٣) الربيع: والد الفضل، كان وزيراً للمنصور، والفضل: كان وزيراً للرشد بعد البرامكة ثم لمحمد الأمين، والعباس: ابن الفضل.
- (٤) احتدم الوغى: اشتد القتال واستعر.
- (٥) هو أبو عمرو، كلثوم بن عمرو بن أيوب العتابي: شاعر مترسل بليغ، مقدم في الرواية والخطابة. مدح الرشيد، وانقطع إلى البرامكة. وكان يفضل الأدب والعلم على المال. توفي سنة ٢٢٠ هـ/ ٨٣٥ م. (ابن المعتز، طبقات الشعراء: ٢٦٠؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٤٨٨/١٢).
- (٦) المُدَى: جمع مُدْيَةٍ: السَّكِين. وَفَعَّرَ فَمَهُ: فتحه.
- (٧) أبو نواس، الديوان: ص ٤٤١.

أَبُوكَ جَلَى عَنْ مُضَرٍّ يَوْمَ الرِّوَاقِ الْمُحْتَضَرِّ^(١)
وَالْحَرْبُ تَفْرِي وَتَنْزُرُ لَمَّا رَأَى الْأَمْرَ اقْمَطَرًا^(٢)
قَامَ كَرِيمًا فَاَنْتَصَرَ كَهَزَّةِ الْعَضْبِ السِّدْكَسَرِ^(٣)
مَا مَسَّ مِنْ شَيْءٍ هَبَّرَ وَأَنْتَ تَقْتَفِ الْأَثَرَ
مِنْ ذِي حُجُولٍ وَغُرَرٍ^(٤)

وقال أيضاً^(٥):

آلَ الرِّيسِ فَضَلُّهُمْ فَضَلَ الْخَمِيسِ عَلَى الْعَشِيرِ^(٦)
مَنْ قَاسَ غَيْرَكُمْ بِكُمْ قَاسَ الثَّمَادَ إِلَى الْبُحُورِ^(٧)
أَيُّنَ الْقَلِيلِ بَنُو الْقَلِيلِ لِي مِنَ الْكَثِيرِ بَنِي الْكَثِيرِ
أَيُّنَ النُّجُومِ التَّالِيَا ت مِنَ الْأَهْلَاءِ وَالْبُدُورِ
قَوْمٌ كَفُّوا أَيَّامَ مَكِّ قَةَ نَازِلِ الْخَطْبِ الْكَبِيرِ
وَتَدَارَكُوا نَصَرَ الْخِلَا فَةِ وَهِيَ شَاسِعَةُ النَّصِيرِ^(٨)
لَوْلَا مَقَامُهُمْ بِهَا هَوَتْ الرُّوَاسِي مِنْ ثُبَيْرِ^(٩)

ومن قول أبي نواس: «من قاس غيركم بكم. . .» البيت، أخذ أبو الطيب المتنبّي^(١٠):

- (١) جلى عنهم يوم الرواق: كشف عنهم شره.
- (٢) في الديوان: «والخوف يفرى ويلز»، ويفري ويلذر: يجمع ويفرق. واقمطر الأمر: اشتد.
- (٣) العضب: السيف القاطع. وسيف ذكر ومذكر: ذو رؤوث. والذكر من الحديد: أي به وأشدّه وأجوده، والذكره من السيف: حدته.
- (٤) في الديوان: «ما مس من شيء هبر». وهبر: قطع. وتقتاف الأثر: تتبعه. والحجول: جمع حجل، وهو الخللخال، وفرس مُحجَّل: في قوائمه بياض. والغرر: جمع غرة: بياض في الجبهة.
- (٥) أبو نواس، الديوان: ٤٦٧.
- (٦) الخميس: الخمس، والعشير: العشر، والخمس في الكسور أكبر من العشر.
- (٧) الثماد: الماء القليل.
- (٨) في الديوان: «فتداركوا جزر الخلافة». والجزر: جمع الجزور: البعير أو الناقة المجزورة. والشاسعة: البعيدة.
- (٩) ثبیر: جبل بمكة.
- (١٠) المتنبّي، الديوان: ٢/٢٤٤. والبيتان من قصيدة يمدح بها كافور الإخشيدي سلطان مصر.

قَوَاصِدَ كَافُورٍ تَوَارِكَ غَيْرِهِ وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقْلَّ السَّوَابِقَ^(١)
فَتَى مَا سَرَيْنَا فِي ظُهُورِ جُدُودِنَا إِلَى عَصْرِهِ إِلَّا نُرْجِي التَّلَاقَ^(٢)

[وقت كلام الملوك]

من كلام الفضل بن الربيع

وقال الفضل بن الربيع: من كَلَّمَ الملوك في الحاجات في غير وَقْتِ الكلام لم يَظْفَرْ بحاجته، وضاع كلامه، وما أشبههم في ذلك إلا بأوقات الصلوات لا تُقْبَلُ الصلاة إلا فيها، ومن أراد خطابَ الملوك في شيء فَلْيَرْتُدِّدْ الوقت الذي يصلح في مثله ذِكْرُ ما أراد، ويسبب له شيئاً من الأحاديث يحسن ذِكْرَهُ بِعَقْبِهِ.

بين المأمون والفضل بن الربيع

وقال المأمون للفضل بن الربيع لما ظَفَرَ به: يا فضل؛ أكان في حقي عليك، وحق آبائي ونعمهم عند أبيك وعندك، أن تَتْلِيَنِي^(٣) وَتَسْبِي، وَتُحَرِّضَ على دمي؟ أَتَحِبُّ أن أفعل بك ما فعلته بي؟

فقال: يا أمير المؤمنين، إِنْ عُدْرِي يُحْفِدُكَ إِذَا كَانَ وَاضِحاً جَمِيلاً، فَكَيْفَ إِذَا حَفَّتْهِ الْعُيُوبُ، وَقَبَّحَتْهُ الذُّنُوبُ؟ فَلَا يَصِيقُ عَنِي مِنْ عَفْوِكَ مَا وَسِعَ غَيْرِي مِنْكَ، فَأَنْتَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ فَيْكُ:

صَفُوحٌ عَنِ الْأَجْرَامِ حَتَّى كَانَتْهُ مِنْ الْعَفْوِ لَمْ يَعْرِفْ مِنَ النَّاسِ مُجْرِمًا^(٤)
وَلَيْسَ يُيَالِي أَنْ يَكُونَ بِهِ الْأَذَى إِذَا مَا الْأَذَى لَمْ يَغْشَ بِالْكَرْهِ مُسْلِمًا

والشعر للحسن بن رعاء بن أبي الضحاك.

(١) قواصد: حال من الجرد، وعبر بضمير الخيل وأراد أربابها. أي: قصدنا بها كافوراً وتركنا غيره من الملوك، لأنه البحر وغيره الساقية.

(٢) السرى: سير الليل. يقول: ما قطعنا مسافات حظوظنا الماضية حتى انتهينا إلى عصر ملكه إلا ونحن نرجو أن نلقاه ونجعل تلك السافات طريقاً إليه.

(٣) تليني: تنقصني وتعييني.

(٤) الأجرام: جمع الجرم: الذنب.

[بين المنصور والربيع]

وقال سعيد بن مسلم بن قتيبة: دعا المنصور بالربيع، فقال: سلني ما تريد، فقد سكنت حتى نطقت، وخففت حتى ثقلت، وأقللت حتى أكثرت.

فقال: والله يا أمير المؤمنين ما أزهب بخلك، ولا استقص عمرك، ولا استصغر فضلك، ولا أغتيم مالك؛ وإن يومي بفضلك علي أحسن من أمسي، وغدك في تأملي أحسن من يومي؛ ولو جاز أن يشكرك مثلي بغير الخدمة والمناصحة لما سبقني لذلك أحد.

قال: صدقت، علمي بهذا منك أحلك هذا المحل؛ فسلني ما شئت.

قال: أسألك أن تقرب عبدك الفضل، وتؤثره وتجه.

قال: يا ربيع إن الحب ليس بمال يوهب، ولا رتبة تبدل؛ وإنما تؤكد الأسباب.

قال: فاجعل لي طريقاً إليه، بالفضل عليه.

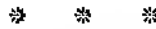
قال: صدقت، وقد وصلته بألف ألف درهم، ولم أصل بها أحداً غير عمومي؛ لتعلم

ما له عندي، فيكون منه ما يستدعي به محبي، ثم قال: فكيف سألت له المحبة يا ربيع؟

قال: لأنها مفتاح كل خير، ومغلاق كل شر، تستر بها عندك عيوبه، وتصير حسنات

ذنبه.

قال: صدقت وأتيت بما أردت في بابه.



لأبي تمام يمدح ابن الزيات

أخذ قوله: «خففت حتى ثقلت» أبو تمام فقال لمحمد بن عبد الملك الزيات^(١):

على أن إفراط الحياء استمالنسي إليك، ولم أعذل بعرضي معدلاً^(٢)
فقللت بالتخفيف عنك، وبعضهم يخفف في الحاجات حتى يُثقل^(٣)

(١) أبو تمام، الديوان: ٥٢/٢.

(٢) الإفراط: الإكثار. يقول: إفراط الحياء أحوجني إلى طول المقام عندك، وإلى تأخر قضاء حاجتي، لأنني لو ألححت عليك، وكشفت قناع الحياء لظفرت بما أردت، ولكنني أكرمت عرضي بلزوم الحياء وصيانة النفس عن الإلحاح.

(٣) ثقلت: أي ثقلت أمري عليك بأن عزمت على الرحيل، في حين أن غيري يطلب القليل ثم يلحف في الطلب.

[سهل بن هارون والرشيذ]

ودخل سهل بن هارون على الرشيد، وهو يُصَاحِبُ المأمون، فقال: اللهم زِدْهُ من الخيرات، وابْسُطْ لَهُ من البركات، حتى يكونَ في كلِّ يومٍ من أيامه مُرَبِّياً^(١) على أُمِّهِ، مُقَصِّراً عن غده.

فقال له الرشيد: يا سهل، من رَوَى من الشعر أَحْسَنَهُ وأَرْصَنَهُ، ومن الحديث أَفْصَحَهُ وأَوْضَحَهُ، إذا رام أن يقولَ لم يُعْجِزْهُ القول.

فقال سهل بن هارون: يا أمير المؤمنين؛ ما ظننت أن أحداً تقدمني إلى هذا المعنى.

قال: بل أعشى همدان^(٢) حيث يقول:

رَأَيْتُكَ أَمْسَ خَيْرَ بَنِي لُؤَيٍّ وَأَنْتَ الْيَوْمَ خَيْرٌ مِنْكَ أَمْسٍ
وَأَنْتَ غَدًا تَزِيدُ الْخَيْرَ ضِعْفًا كَذَلِكَ تَزِيدُ سَادَةَ عِبْدِ شَمْسٍ

[من شعر الفضل بن الربيع]

ومن شعر الفضل بن الربيع ما أنشده الصولي:

إِنِّي أَمْرٌ مِنْ هَاشِمٍ بِنَاءٍ مَعْمُورِ النَّوَاحِي
أَهْلُ الْهَدَى وَذَوِي الثَّقَى وَأُولَى الْبَسَالَةِ وَالسَّمَاكِ
أَهْلُ الْمَعَالِمِ وَالْمَكَا رَمَ فِي الْمَسَاءِ وَفِي الصَّبَاحِ
أَهْلُ النَّبَوَّةِ وَالْخِلَا فَهْ وَالْكَمَالِ بِرَغَمِ لَاحِي
يَتَأَلَّمُونَ مِنَ الصُّدُو دٍ وَيَصْبِرُونَ عَلَى الْجِرَاحِ

[بين ابن خاقان وأبي العيناء]

وصف دابة

حَمَلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَاقَانَ أَبَا الْعَيْنَاءِ عَلَى دَابَّةٍ زَعَمَ أَنَّهَا غَيْرُ فَاَرِهِ^(٣)، فَكَتَبَ

(١) مريباً: اسم فاعل من «أربى» إذا زاد.

(٢) هو أبو المصْبِح، عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث من بني همدان: شاعر فحل، مكثّر، طويل النَّفْس، وخطيب، وفقهه. قتله الحجاج بن يوسف سنة ٨٣ هـ / ٧٠٢ م. (فروخ، تاريخ الأدب العربي: ٤٨٢/١).

(٣) دابة فاره: جيدة قادرة على السير.

إليه: أعلم الوزير، أعزه الله، أن أبا علي محمداً أراد أن يبرّي فَعَقَنِي، وأن يُرَكِبَنِي فَأَرْجَلَنِي، أمر لي بدابة تَقِفُ لِلنَّبْرَةِ^(١)، وتَعْتَرُ بِالْبَعْرَةِ، كالقَضِيبِ الْيَاسِ عَجَفًا^(٢)؛ وكالعاشر المهجور دَنَقًا، قد أَذْكَرَتِ الرواة عذرة العذري، والمجنون العامري، مساعد أعلاه لأسفله، حُبَاقُهُ مقرون بِسَعَالِهِ^(٣)، فلو أَمْسَكَ لَتَرَجَّيْتُ، ولو أَفْرَدَ لَتَعَزَّيْتُ، ولكنه يَجْمَعُهُمَا في الطريق المعمور، والمَجْلِسِ المشهور، كأنه خطيب مُرْشِد، أو شاعر مُنْشِد، تَضَحَّكَ من فِعْلِهِ السَّوَانِ، وتَتَنَاقَى من أَجْلِهِ الصَّيَّانِ؛ فمن صائح يَصِيحُ: ذَاوَه بالطباشير، ومن قائل يقول: نَوَلَهُ الشعير، قد حَفِظَ الأشعار، وروى الأخبار، ولحق العلماء في الأُمُصَارِ، فلو أُعِينَ بنطق؛ لَرَوَى بحق وصدق، عن جابر الجعفي، وعامر الشعبي؛ وإنما أُتِيَتْ من كاتبه الأعور، الذي إذا اختار لنفسه أطاب وأكثر، وإن اختار لغيره أَخْبَثَ وأَنْزَرُ؛ فإن رأى الوزير أن يُبَدِّلَنِي به، ويُرِيحَنِي منه بمركوب يُضْحِكُنِي كما ضَحَّكَ مِنِّي، يَمَحُو بِحُسْنِهِ وَفَرَهَتِهِ، ما سَطَّرَهُ الْعَيْبُ بِقُبْحِهِ ودمامته؛ ولست أذكرُ أَمْرَ سَرَجِهِ وَلِجَامِهِ؛ فإن الوزير أكرمُ من أن يَسْلُبَ ما يهديه، أو يَنْقُصَ ما يُمُضِيهِ.

فوجّه عبيد الله إليه بِرُذُونًا^(٤) من براذنيه سَرَجِهِ وَلِجَامِهِ، ثم اجتمع مع محمد بن عبيد الله عند أبيه، فقال عبيد الله: شكوت دابة محمد، وقد أخبرني الآن أنه يشتريه منك بمائة دينار، وما هذا ثمنه لا يُشْتَكَى.

فقال: أعز الله الوزير، لو لم أكذب مستريداً، لم أنصرف مستفيداً، وإني وإياه لكما قالت امرأة العزيز: ﴿أَلَنْ حَصَحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِیْنَ﴾^(٥). فضحك عبيد الله، وقال: حَبَّتِكَ الدَّاحِضَةُ بِمَلَاخَتِكَ وَظَرْفِكَ أبلغ من حجة غيرك البالغة.

قطعة من رسالة أجب بها أبو الخطاب الصابي عن أبي العباس بن سابور

إلى الحسين بن صبرة عن رقعة وردت منه في صفة حَصَلِ أَهْدَاهُ

وصلت رُقْعَتِكَ، فَقَضَضْتُهَا عن خَطِّ مُشْرِقٍ، ولفظ مُؤَنِّقٍ وعبارة مُصَيِّبة، ومعانٍ

(١) النبوة: الصبيحة.

(٢) العجف: الهزال.

(٣) الحُبَاقُ: إخراج ریح الحدث.

(٤) الرُّذُونُ: يُطْلَقُ عَلَى غَيْرِ الْعَرَبِيِّ مِنَ الْخَيْلِ وَالْبَعَالِ.

(٥) سورة يوسف، آية (٥١).

غريبة، واتساع في البلاغة يَعْجِزُ عنه عبدُ الحميد في كتابته، وقَسَّ وسَحَبَان في خطابه؛
وتصرف بين جدِّ أمضى من القدر، وهَزَلِ أرقَّ من نسيم السَّحَر، وتقلَّب في وجوه الخطاب،
الجامع للصواب؛ إلا أن الفعل قَصَرَ عن القول، لأنك ذكرت حملاً، جعلته بصفتك جملاً،
فكان المُعَيَّدِي الذي تسمعُ به ولا أن تراه. وحضر فرأيت كبشاً مُتَقَادِم الميлад، من نتاج قوم
عاد، قد أفتته الدهور، وتماقبت عليه العصور، فظنته أحد الزَّوجين اللذين جعلهما نوح في
سفينة، وحفظَ بهما جنسَ الغنم لذريته؛ صَغُرَ عن الكبر، وَلَطَفَ عن القدم، فبانت دماؤه،
وتفاصرت قامته، وعاد ناحلاً ضئيلاً، بالياً هزيلًا، بادىء السَّقام، عاري العظام، جامعاً
للمعائب، مشتملاً على المثالب، يَعْجَبُ العاقلُ من حلول الحياة به، وتأثي الحركة فيه، لأنه
عَظُمَ مجلده، وصوف مُلبَّد، لا تجد فوق عظامه سلباً، ولا تلقى يدك منه إلا خشباً، لو أُلْقِيَ
إلى السَّبع لأباه، ولو طرح للذئب لعاقه وقلاه، قد طال للكلا ففداه، وَبَعُدَ بالمرعى عهدُه،
لم ير القَتَّ إلا نائماً، ولا عرف الشعير إلا حالماً، وقد خيرتني بين أن أقتنيه فيكون فيه غنى
الدهر، أو أذبحه فيكون فيه خِصْبُ الرَّحْلِ؛ فَمِلْتُ إلى استبقائه لما تعرف من محبتي في
التوفير، ورغبتني للتشجير، وجمعي للولد، وأدخاري لغد، فلم أجِدْ فيه مستمتعاً للبقاء، ولا
مدفَعاً للفناء؛ لأنه ليس بأنثى فتحمل، ولا بفتى فينسُل، ولا بصحيح فيزعى، ولا بسليم
فيبقى؛ فَمِلْتُ إلى الثاني من رأيك، وعولت على الآخر من قولك، وقلت: أذبحه فيكون
وظيفة للعيال، وأقيم رطباً مقام قديد الغزال، فأنشدني وقد أضربت النار، وحذت الشَّفار،
وشمَّرَ الجزار^(١):

أَعِيذُهَا نظراتٍ مِنْكَ صَادِقَةً أَنْ تَحْسِبَ الشَّحْمَ فَيَمُنَ شَحْمُهُ وَرَمَ

وقال: ما الفائدة لك في ذبحي؟ وأنا لم يبقَ مني إلا نفس خافت، ومُقَلَّةٌ إنسانها
باهت، لَسْتُ بذِي لَحْم، فأصلح للأكل؛ لأن الدهر قد أكل لحمي، ولا جلدي يصلح
للدِّبَاغ؛ لأن الأيام قد مرَّتْ أديمي، ولا لي صوف يصلح للغزل؛ لأن الحوادث قد حصَّتْ
وَبَرِّي؛ فإن أردتني للوقود فكفْتُ بَعْرَ أبقى من ناري، ولن تقي حرارة جمرِي بريح فتاري،
فلم يبقَ إلا أن تطلبنى بِدُخْلٍ^(٢) أو بني وبينك دم. فوجدته صادقاً في مقالته، ناصحاً في

(١) البيت لأبي الطيب المتنبي من قصيدة قالها في عتاب سيف الدولة والفخر على حاسديه من
الشعراء (ديوانه ٩٣/٢).

(٢) الدخل: الثأر.

مُسُورته، ولم أعلم من أي أمرٍه أعجب؛ أَمِنْ مُمَاطَلَتِهِ للدهر بالبقاء، أم من صبره على الضرِّ واللأواء^(١)، أم من قدرتك عليه مع إعواز مثله، أم من تأهيلك الصديق به مع خَسَاسَةِ قَدْرِهِ؟ ويا ليت شعري إذ كنتَ - وإليك سوق الغنم، وأمرُك يَنْقُذُ في الضأن والمعز، وكلُّ كبش سمين وحَمَلٍ بطين مجلوبٌ إليك، مقصورٌ عليك - تقول فيه قولاً فلا تُردِّد، وتريده فلا تُصدِّد، وكانت هديتك هذا الذي كأنه ناشر من القبور، أو قائم عند النفخ في الصور، فما كنتَ مُهْدِياً لو أنك رجل من عُرُضِ الكُتَّاب، كَأبي عليّ وأبي الخطَّاب، ما كنت تهدي إلا كَلْباً أجرب، أو قرداً أهدب.

[الحمدوني وشاة سعيد بن أحمد]

وقال الحمدوني في شاة سعيد بن أحمد بن خوسنداذ:

أَسْعِيدُ قَدْ أُعْطِيتَنِي أُضْحِيَّةً مَكَّثْتَ زَمَاناً عِنْدَكُمْ مَا تُطْعَمُ
نِضُوءاً تَعَاقَرْتُ الْكِلَابُ بِهَا وَقَدْ شَدُّوا عَلَيْهَا كِي تَمُوتَ فَيُولِمُوا^(٢)
فَإِذَا الْمَلَأَ ضَحِكُهَا بِهَا قَالَتْ لَهُمْ: لَا تَهْزَعُوا بِي وَارْحَمُونِي تُرْحَمُوا
مَرَّتْ عَلَى عِلْفٍ فَقَامَتْ لَمْ تَرِم عَنْهُ، وَغَنَّتْ وَالْمَدَامِعُ تَسْجُمُ
وَقَفَّ الْهَوَى بِي حَيْثُ أَنْتَ فَلَيْسَ لِي مُتَأَخِّرٌ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدِّمٌ^(٣)
وقال أيضاً:

أَبَا سَعِيدٍ لَنَا فِي شَاتِكَ الْعَبْرُ جَسَاءَتْ وَمَا إِنْ لَهَا بَوْلٌ وَلَا بَعْرُ
وَكَيْفَ تَبْعُرُ شَاةٌ عِنْدَكُمْ مَكَّثَتْ طَعَامُهَا الْأَبْيَضَانِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
لَوْ أَنَّهَا أَبْصَرَتْ فِي نَوْمِهَا عِلْفاً غَنَّتْ لَهُ وَدُمُوعُ الْعَيْنِ تَنْحَدِرُ
يَا مَانَعِي لَذَّةَ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا إِنِّي لَيَقْتَنِي مِنْ وَجْهِكَ النُّظَرُ
وقال أيضاً:

شَاةٌ سَعِيدٍ فِي أَمْرِهَا عِبْرُ لَمَّا أَتَيْنَا قَدْ مَتَّهَا الضَّرَرُ

(١) اللأواء: الشدة.

(٢) النَّضُوءُ: المهزول من الحيوان، وثوب نِضُوءٍ: خَلَقٌ، وسهم نِضُوءٍ: فاسد من كثرة ما رُمي به. وعاقرت الكلاب: تسابقت.

(٣) يروى البيت لدعل الخزاعي.

وَهِيَ تَغْنَى مِنْ سُوءِ حَالَتِهَا حَسْبِي بِمَا قَدْ لَقِيتَ يَا عَمْرُ
مَرَّتْ بِقَطْفِ خَضِرٍ يُشْرِهَا قَوْمٌ فَظَّتْ بِأَنَّهَا خُضِرُ
فَأَقْبَلَتْ نَحْوَهَا لِتَأْكُلَهَا حَتَّى إِذَا مَا تَيَّيَنَ الْخَبِرُ
وَأَبْدَلَتْهَا الظَّنُونُ مِنْ طَمَعٍ يَأْسًا تَغْنَتْ وَالسَّدْمُ مُنَحِدِرُ
كَانُوا بَعِيدًا وَكَنتُ أَمْلُهُمْ حَتَّى إِذَا مَا تَقَرَّبُوا هَجَرُوا
وقال:

لِسَعِيدٍ شُؤْيَهََّةٌ سَلَّهَا الضَّرَّ وَالْعَجَسُفُ^(١)
قَدْ تَغْنَتْ وَأَبْصَرْتُ رَجُلًا حَامِلًا عَلَفُ
بِأَبِي مَسْنُ بِكَفِّهِ بُرُّ مَا بِي مِنَ الدَّنَفُ^(٢)
فَأَتَاهَا مَطْمَعًا وَأَتَتْهُ لِنَعْتَلُفُ
فَقَوْلِي فَأَقْبَلْتُ تَغْنَى مِنَ الْأَسَفُ
لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ وَقَفُ عَذَّبَ الْقَلْبَ وَانْصَرَفُ

[الحمدوني وطيلسان ابن حرب]

[قال]: وإذ قد جَرْتُ بعضُ تضمينات الحمدوني في هذا الموضع فأنا أذكر هنا قطعة من شعره في الطيلسان، وأنعطف في غير هذا الموضع إليها وأكر عليها؛ وكان أحمد بن حرب المهلبى من المُنْعِمِينَ عليه، والمحسنين إليه، وله فيه مدائح كثيرة، فوهب له طيلساناً أخضر لم يَرْضَهُ، قال أبو العباس المبرّد: فأنشدنا فيه عشر مقطعات، فاستحلينا مَذْهَبَهُ فيها، فجعلها فوق الخمسين؛ فطارت كل مَطَارٍ، وسارت كل مَسَارٍ، فمنها:

يَا بَنَ حَرْبٍ كَسَوْتَنِي طَيْلَسَانًا مَلَّ مِنْ صُحْبَةِ الزَّمَانِ وَصَدَا
فَحَبِينَا نَسَجَ الْعِنَاكِبِ قَدْ حَا لَ إِلَى ضَعْفِ طَيْلَسَانِكَ سَدَا
طَالَ تَرْدَادُهُ إِلَى الرَّفْوِ حَتَّى لَوْ بَعَثْتَاهُ وَحَدَّهُ لَتَهْدَى^(٣)

(١) العجف: الهزال.

(٢) الدَّنَفُ: المَرَضُ الْمُثْقَلُ.

(٣) رفا الثوب رفواً: أصلحه وضمَّ بعضه إلى بعض.

وقال فيه أيضاً:

يا طيلسان ابن حربٍ قد هممتَ بأن
ما فيك من ملبسٍ يُغني ولا ثمن
فلو تراني لدى الرِّفَاءِ مُرْتَبطاً
أقول حين رآني الناسُ ألزمه
من كان يسأل عنا أين منزلنا

وقال:

قل لابن حربٍ طيلسا
أفنى القُرونَ ولم يزل
وإذا العيسون لحظنَّه
يُودي إذا لم أرُقْه
كالكلبِ إن تحمِلْ عليه

وقال:

قل لابن حربٍ طيلسانك قد
مُتَّيِّنٌ فيه لمُبَصِّرِه
وكانه الخمرُ التي وُصِفَتْ
فإذا رَمَمَناه فقيسل لنسا:
مثل السقيم براً فراجعهُ
أنشدت حين طغى فأعجزني

«الخمر التي وُصِفَتْ» من قول أبي نواس^(٥):

- (١) أودى بالشيء: ذهب به.
- (٢) الوهن: جمع واهن: الضعيف لا بطش عنده.
- (٣) القمن: الخلق والجدير.
- (٤) أوهى قواي: أضعفها.
- (٥) أبو نواس، الديوان: ص ٤١.

يَا شَقِيقَ النَّفْسِ مِنْ حَكَمٍ
فَاسْقِنِي الْبُكَرَ الَّتِي اعْتَجَرْتُ
ثُمَّتْ أَنْصَاتِ الشَّبَابُ لَهَا
فَهِيَ لِلْيَوْمِ الَّذِي بُزِلَتْ
عُتِقْتُ حَتَّى لَوْ اتَّصَلْتُ
لَاخَبْتُ فِي الْقَوْمِ مَائِلَةً
فَرَعَتْهَا بِالْمَزَاجِ يَدٌ
نِمَتْ عَنِ لَيْلِي وَلَسَمَ أَنْمٌ
بِخِمَارِ الشَّيْبِ فِي الرَّحِمِ^(١)
يَعْدُ أَنْ جَازَتْ مَدَى الْهَرَمِ^(٢)
وَهِيَ تَلَوُ الدَّهْرَ فِي الْقَدَمِ^(٣)
بِلِسَانٍ نَاطِقِي وَقَمِ
ثُمَّ قَصَّتْ قِصَّةَ الْأَمَمِ^(٤)
خُلِقَتْ لِلْكَاسِ وَالْقَلَمِ^(٥)

وقال الحمدوني:

طِيلَسَانُ لَابِنِ حَرْبٍ جَاءَنِي
فَإِذَا مَا صَحَحْتُ فِيهِ صِيْحَةً
وَإِذَا مَا الرِّيحُ هَبَّتْ نَحْوَهُ
مُهْطِعِ الدَّاعِي إِلَى الرَّافِي إِذَا
وَإِذَا رَفَّاءُهُ حَاوَلَ أَنْ
خَلَعَةً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ
تَرَكْنَهُ كَهَشِيمِ الْمُحْتَظَرِّ
طَيَّرْتَهُ كَالْجَرَادِ الْمُتَشِيرِ
مَا رَأَاهُ قَالَ: ذَا شَيْءٍ تُكْرَهُ^(٦)
يَتَلَفَّاهُ تَعَاطَى فَعَقَرُ

وقال:

أَيَا طِيلَسَانِي أَعْيَيْتَ طَبِّي
وَيَا رِيحُ صَيَّرْتَنِي أَتْقِيكَ
أَسْأَلُ بِجَنَمِكَ أَمْ دَاءُ حُبِّ
وَقَدْ كُنْتُ لَا أَتَّقِي أَنْ تَهَبِّي

- (١) في الديوان: «فاسقني الخمر التي اختمرت». واختمرت: لبست الخمار تستر به، والخمار: النصف تلفة المرأة عليها لتستر به جسدها، وهو ما تسميه العامة اليوم بالطرحة. يقول: اسقني الخمر التي طال عليها العهد حتى شاببت وهي جنين لم تولد من الدنان.
- (٢) انصت: أجب وأقبل. وجازت: تخطت. وفي الديوان: «بعدما جازت».
- (٢) بزلت: بزل الخمر: ثقب إناءها. وفي الديوان: «ترب الدهر في القدم». وترب الدهر: وُلدت معه ومن سَنَه.
- (٤) أَمَم: قريب.
- (٥) في الديوان: «فَرَعَتْهَا بِالْمَزَاجِ يَدٌ».
- (٦) الْمُهْطِعُ: من ينظر في دُلٍّ وخضوع، أو الساكت في تدلل وخوف، ينطلق إلى من دعاه، قال تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ (سورة القمر، آية: ٨).

وَمُسْتَخْبِرٍ خَبَرَ الطَّيْلَسَانَ
وقال فيه :

طَيْلَسَانُ لابن حربٍ جاءني
أَنَا مِنْ خَوْفٍ عَلَيْهِ أَبَدًا
يَابْنَ حَرْبٍ خُذْهُ أَوْ فَايَعِثْ بِمَا
فَلَعَلَّ اللَّهَ يُحْيِيَهُ لَنَا
فَهُوَ قَدْ أَدْرَكَ نُوحًا، فَعَسَى
أَبَدًا يَقْرَأُ مَنْ أَبْصَرَهُ
وقال فيه :

يَابْنَ حَرْبٍ أَطَلْتُ فَقِرِّي بِرَفُوي
فَهُوَ فِي الرَّفْوِ أَلْ فِرْعَوْنَ فِي الْعَرْ
زُرْتُ فِيهِ مَعَاشِرًا فَازْدَرَوْنِي
جِئْتُ فِي زِيٍّ سَائِلٍ كِي أَرَاكُمْ
وقال فيه :

وَهَبْتَ لَنَا ابْنَ حَرْبٍ طَيْلَسَانًا
يُسَلِّمُ صَاحِبِي فَيُعِيدُ شَتْمِي
أُجِيلُ الطَّرْفِ فِي طَرْفِيهِ طَوْلًا
فَلَسْتُ أَشْكُ أَنْ قَدْ كَانَ قَدَمًا
فَقَدْ غَنَيْتُ إِذْ أَبْصَرْتُ مِنْهُ
فَقِي قَبْلَ التَّفَرُّقِ يَا ضُبَاعَا

فَقُلْتُ لَهُ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي

قَدْ قَضَى التَّمْزِيقُ مِنْهُ وَطَرَهُ
سَامِرِيٍّ لَيْسَ يَأْلُو حَذَرَهُ
نَشْتَرِي عِجْلًا بِصَفَرٍ عَشْرَهُ
إِنْ ضَرَبْنَاهُ بِبَعْضِ الْبَقَرَةِ
عِنْدَهُ مِنْ عِلْمِ نُوحٍ خَبَرَهُ
أَتَذَا كُنَّا عِظَامًا نَخْرَهُ

طَيْلَسَانًا قَدْ كُنْتُ عَنْهُ غَنِيًّا^(١)
ضَى عَلَى النَّارِ غُدُوَّةً وَعَشِيًّا
فَتَغَنَيْتُ إِذْ رَأَوْنِي زَرِيًّا
وَعَلَى الْبَابِ قَدْ وَقَفْتُ مَلِيًّا

يَزِيدُ الْمَرْءَ ذَا الضَّعَةِ اتِّضَاعًا^(٢)
لَأَنَّ الرُّوحَ يَكْبِتُهُ انْصِدَاعًا^(٣)
وَعَرَضًا مَا أَرَى إِلَّا رِقَاعًا
لِنُوحٍ فِي سَفِينَتِهِ شِرَاعًا^(٤)
جَوَانِبُهُ عَلَى بَدَنِي تَدَاعَى^(٥)
وَلَا بَكَ مَوْقِفٌ مِنْكَ الْوَدَاعَا

(١) في وفيات الأعيان: ٩٦/٧: «أطلت وترى».

(٢) في وفيات الأعيان: «رأينا طيلسانك يا ابن حرب».

(٣) في وفيات الأعيان:

يُسَلِّمُ صَاحِبِي فَيَقْدُ شُبْرًا
(٤) في وفيات الأعيان: «أَنْ قَدْ كَانَ دَهْرًا».

(٥) في وفيات الأعيان: «بَقَايَاهُ عَلَى كُفِّي تَدَاعَى».

بِهِ وَأَقْدُ فِي رَدِّي ذِرَاعَا

[المأمون والحسن بن رجاء]

دخل المأمون بعض الدواوين، فرأى غلاماً جميلاً على أذنه قلم، فقال: من أنت يا غلام؟ فقال: أنا يا أمير المؤمنين الناشيء في دولتك، المتقلّب في نعمتك، المؤمل لخدمتك، خادِمُك وابنُ خادِمك الحسن بن رجاء. فقال: أحسنت يا غلام، وبالإحسان في البديهة تفاضلت العقول. فأمر أن يرفع عن مرتبة الديوان.

قال أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج: قال لي أبو العباس المبرّد: ما رأيت في أصحاب السلطان مثل إسماعيل والحسن؛ كنت إذا رأيته رأيت رجلاً كأنما خلق للزّوّة منبر، أو صدر مجلس، يتكلّم وكأنه يتنفّس، يُسهبُ ويطنّب، ويُعربُ ويُغرب، ولا يعجب ويُعجب.

أراد القاضي إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد، والحسن بن رجاء بن أبي الضحّاك.

[بديهة المبرد]

المبرد عند المتوكل

وكان أبو العباس يُعدّ في البلغاء، وقال: لما دخلت على المتوكل اختار لي الفتح بن خاقان وقت شربه، وكان الشراب قد أخذ منه، فسالني وقال: يا بصري، أرايت أحسن وجهاً متي، فقلت: لا والله ولا أسمع راحة، ثم تجاسرت فقلت:

جَهَرْتُ بِحَلْفَةٍ لَا أَتَّقِيهَا	بُشْكٌ فِي الْيَمِينِ وَلَا ارْتِيَابُ
بِأَنَّكَ أَحْسَنُ الْخُلَفَاءِ وَجْهًا	وَأَسْمَحُ رَاحَتَيْنِ، وَلَا أَحَابِي ^(١)
وَأَنَّ مُطِيعَكَ الْأَعْلَى مَحَلًّا	وَمَنْ عَاصَاكَ يَهْوِي فِي تَبَابٍ ^(٢)

فقال: أحسنت وأجملت في حسن طبعك وبديهتك، فقلت: ما ظننتني أبلغ هذا الشرف، ولا أنال هذه الرتبة؛ فلا زال أمير المؤمنين يسمو بِخَدَمِهِ إلى أعلى المراتب، ويُصَرِّفُهُم في المذاهب.

(١) حاباه مُحَابَاةً وَجِبَاءً: أَخْتَصَه وَمَالَ إِلَيْهِ.

(٢) التَّبَابُ: الْهَلَاكُ وَالْخُسْرَانُ.

[من أدب المبرد]

بين ابن المعتز والمبرد

وكان ابنُ المعتز قد غضبَ على بعض وكلائه، فصار إلى أبي العباس المبرد يسأله أن يكلمه له؛ فكتب إليه المبرد: أَنْتَ والله كما قال مسلم بن الوليد في جدك الرشيد:

بسأبي وأمي أَنْتَ ما أُنْذَى يَدَا وَأَبْرَ مِثْاقاً، وَمَا أَزْكَاكَا
يَعْدُو عَدُوُّكَ خَائِفاً، فَإِذَا رَأَى أَنْ قَدْ قَدَرْتَ عَلَى الْعِقَابِ رَجَاكَا
وهذا معنى كثير.

[في المدح]

لأعرابي

أنشد أحمد بن يحيى ثعلب لأعرابي:
كَرِيمٌ يَعْضُ الطَّرْفَ فَضْلَ حَيَّاهُ وَيَذْنُو وَأَطْرَافَ الرِّمَاحِ دَوَانِي^(١)
وَكَالسَيْفِ إِنْ لَا يَتَّهَ لَأَنَّ مَتْنَهُ وَحَدَّاهُ إِنْ خَاشَتَهُ خَشِنَانِ

لابن المعتز

وهذا يناسب قول ابن المعتز في بعض جهاته:
وَيَجْرَحُ أَحْسَانِي بَعَيْنٍ مَرِيضَةٍ كَمَا لَانَ مَتْنُ السَيْفِ وَالْحَدُّ قَاطِعُ

للأخطل

وقال الأخطل في بني مروان:
صُمُّ عَنِ الْجَهْلِ، عَنِ قَبْلِ الْخَنَا أَنْفُ إِذَا أَلَمْتُ بِهِمْ مَكْرُوهَةً صَبَرُوا^(٢)

(١) فضل حياته: منصوب على أنه مفعول لأجله.

(٢) في رواية:

حُدُّ عَلَى الْحَقِّ عَيَّافُو الْخَنَا أَنْفُ إِذَا أَلَمْتُ بِهِمْ مَكْرُوهَةً صَبَرُوا
وعيافو الخنا: كارهون للذل. أَنْفُ: أصحاب رفعة. وَأَلَمْتُ: نزلت. والمكروهة: المصيبة.

شَمْسُ العداوةِ حتى يُسْتَفَادَ لهم وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَاماً إِذَا قَدَرُوا^(١)

لابن هرمة

وقال إبراهيم بن علي بن هرمة^(٢) يمدح أبا جعفر المنصور:

كَرِيمٌ لَهُ وَجْهَانِ: وَجَّةٌ لَدَى الرِّضَا طَلِيقٌ، وَوَجَّةٌ فِي الكَرِيبَةِ بَاسِلٌ
وَلَيْسَ بِمُعْطِي الحَقِّ مِنْ غَيْرِ قُدْرَةٍ وَيَعْفُو إِذَا مَا أُمَكَّنَتْهُ المَقَاتِلُ
لَهُ لِحْظَاتٌ مِنْ حِفَافِي سَرِيرِهِ إِذَا كَرَّهَا فِيهَا عِقَابٌ وَنَائِلُ
فَأَمَّ الَّذِي أَمَّنَتْ أَمْنَهُ الرَّدَى وَأَمَّ الَّذِي حَاوَلَتْ بِالثُّكُلِ ثَاكِلُ

لأبي تمام

وقال الطائي في أبي سعيد محمد بن يوسف^(٣):

هُوَ السَّيْلُ إِنْ وَاجَهْتَهُ أَنْقَذْتَ طَوْعَهُ وَتَقَنَّاؤُهُ مِنْ جَانِبَيْهِ فَيَبِّعُ^(٤)

لعصابة الجرجاني في الحسن بن رجاء

وكان عصابة الجرجاني، واسمه إسماعيل بن محمد، منقطعاً إلى الحسن بن رجاء متصلاً به، وهو القائل فيه:

وَمُحَجَّبٌ بِالنُّورِ لَيْسَ بِمُذْرَكٍ إِلَّا بِمَا تَأْنِي بِهِ الْأَنْبَاءُ
مَلِكٌ يُحِبُّ اللَّهَ فَهُوَ يُحِبُّهُ وَيُطِيعُهُ فَتُطِيعُهُ الْأَشْبَاءُ
يَمْشِي الْهُوْبَا لِلصَّلَاةِ يُقِيمُهَا وَإِذَا مَشَى لِلْحَرْبِ فَالْخِيَلَاءُ

(١) شمس العداوة: أشداء على العدو. يستقاد لهم: يُقَدَّمُ لهم الخضوع، وَيُسَلَّمُ بقيادتهم ورياستهم.

والأحلام: جمع الحلم: العقل الراجح والتامح.

(٢) هو أبو إسحاق، إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة الكناني القرشي: شاعر مقلد مجيد، من سكان المدينة. أدرك الدولتين الأموية والعباسية، وهو آخر الشعراء الذين يُحْتَجُّ بشعرهم. توفي سنة ١٥٠ هـ / ٧٦٧ م. (الأصفهاني، الأغاني: ٢٣٤/٥؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ١٢٧/٦).

(٣) أبو تمام، الديوان: ٤٠٠/١.

(٤) شَبَّه الممدوح بالسَّيْل، فقال: إنه لا يدفع ولا ينال منه بالعنف، كما أن السيل يقود من واجهه بالعنف، ويمر به، فإذا خَوَّلَ وَأَتَى من جانبيه أمكن اجتذاب السواقي منه.

لله دَرَكٌ أَيْمَانِ بْنِ عَزِيمَةٍ يَشْوِي الزَّمَانَ وَمَالَهُ إِشْوَاءٌ
ثم عتب عليه في بَعْضِ الْأَمْرِ، فهجاه هجاءً قبيحاً؛ فهرب إلى عمان، ثم اعتذر إليه
بقصيدته التي أولها:

لَا تَخْضِبَنَّ عَوَالِي الْمُرَانِ إِلَّا مِنَ الْعَلَقِ النَّجِيعِ الْآنَ^(١)

وهي أجود شعر قيل في معناه، وهي التي يقول فيها:

إِقْرَ السَّلَامَ عَلَى الْأَمِيرِ، وَقُلْ لَهُ: إِنَّ الْمَنَادِمَةَ الرِّضَاعُ الثَّانِي

مَا إِنْ أَتَى حَشَمِي بِأَنَّكَ سَاخِطٌ حَتَّى اسْتَخَفَّ بِمَوْضِعِي غِلْمَانِي^(٢)

وَعَدْتُ عَلَيَّ مَطَاعِمِي وَمَشَارِبِي وَمَلَابِسِي مِنْ أَعْوَنِ الْأَعْوَانِ

فكتب إليه الحسن:

أَبْلُغْ أَبَا إِسْحَاقَ أَنَّ مَحَلَّهُ مَنِي بَحِيثِ الرَّأْسِ وَالْعَيْنَانِ

لَا تَبْعِدَنَّ بِكَ الدِّيارُ لِنَزْغَةِ وَلَتُبْعِدَنَّ نَوَازِغَ الشَّيْطَانِ

فَلْيُفْرِخِ الرُّوعُ الَّذِي رُوِّعَتْهُ إِنَّ الْمَحَلَّ مَحَلٌّ كُلُّ أَمَانٍ^(٣)

[بين جميل وعمر بن أبي ربيعة]

اجتمع جميل بن معمر العذري بِعُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ الْمَخْزُومِي، فَأَنشده جميل قصيدته
التي أولها^(٤):

لَقَدْ فَرِحَ الْوَاشُونَ أَنْ صَرَمْتَ حَبْلِي بُثَيْنَةً أَوْ أُبْدَتَ لَنَا جَانِبَ الْبُخْلِ^(٥)

يَقُولُونَ: مَهْلًا يَا جَمِيلُ، وَإِنِّي لَأَقْسِمُ مَالِي عَنْ بُثَيْنَةٍ مِنْ مَهْلٍ

خَلِيلِي فِيمَا عَشْتُمَا هَلْ رَأَيْتُمَا قَتِيلًا بَكَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي

(١) عوالي المران: أطراف الرماح. والعلق: العلم. والنجيع: الدم، وقيل: دم الجوف خاصة، والآن: الحار.

(٢) الحشم: الخدم.

(٣) أفرخ روعه: خرج الفزع من قلبه وسكن.

(٤) جميل بن معمر، الديوان: ص ٩٨.

(٥) صرمت: قطعت.

نقله أبو العتاهية، فقال:

يَا مَنْ رَأَى قَبْلِي قَتِيلًا بِكِي مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ عَلَى الْقَاتِلِ

فلما أتمها قال لعمر: يا أبا الخطاب، هل قلت في هذا الروي شيئاً؟ قال: نعم، ثم أنشده^(١):

جَرَى نَاصِحٌ بِالْوُدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَعَرَضَنِي يَوْمَ الْحِصَابِ إِلَى قَتْلِي^(٢)
فَمَا أَنَسَ مِ الْأَشْيَاءِ لَا أَنَسَ قَوْلَهَا وَمَوْقِفَهَا يَوْمًا بِقَارِعَةِ النَّخْلِ^(٣)
فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا عَرَفْتُ الَّذِي بِهَا كَمَثَلِ الَّذِي بِي حَدُوكَ النَّعْلَ بِالنَّعْلِ^(٤)
فَسَلَّمْتُ وَاسْتَأْنَسْتُ خِيفَةً أَنَّ يَرَى عَدُوَّ مَكَانِي أَوْ يَرَى حَاسِدٌ فِعْلِي^(٥)
وَأَقْبَلَ أَمْثَالُ الدَّمَى يَكْتَنِفُهَا وَكُلُّ يُقْدِي بِالْمَوْدَةِ وَالْأَهْلِ^(٦)
فَقَالَتْ وَأَرْخَتْ جَانِبَ السَّتْرِ: إِنَّمَا مَعِيَ فَتَكَلَّمْ غَيْرَ ذِي رِقَبَةٍ أَهْلِي^(٧)
فَقَالَتْ لَهَا: مَا بِي لَهُمْ مِنْ تَرْقُبٍ وَلَكِنْ سِرِّي لَيْسَ يَحْمِلُهُ مِثْلِي

فاستخذي جميل وصاح: هذا والله الذي طَلَبَتِ الشعراء فأخطأته، فتعلَّلوا بوصف الديار، ونعت الأطلال.

ولما مات عمر بن أبي ربيعة نُعيَ لامرأة من مولدات مكة، وكانت بالشام، فبكت

- (١) عمر بن أبي ربيعة، الديوان: ١٦١/٢.
- (٢) في الديوان: «فَقَرَّبَنِي». ويوم الحساب: يوم رمي الجمرات في مِنَى. يقول: لم أدر أن الناصح الذي أصلح بيني وبين محبوبتي يوم رمي الجمار بمَنى قد قربني من خطر القتل.
- (٣) في الديوان:
- (٤) فَمَا أَنَسَ مِ الْأَشْيَاءِ لَا أَنَسَى مَوْقِفِي وَمَوْقِفَهَا وَهَنًا بِقَارِعَةِ النَّخْلِ الْوَهْنُ: نحو نصف الليل، أو بعد ساعة منه. وقارعة النخل: عَرْضُهُ وَمُعْظَمُهُ.
- (٥) تَوَاقَفْنَا: وقف كلُّ اتجاه الآخر. حَدُوكَ النَّعْلَ بِالنَّعْلِ: مثل يضرب للمقاربة والمحاذة.
- (٦) اسْتَأْنَسْتُ: انتظرت قليلاً، تَأْنَيْتُ لِأَعْرِفَ الْجَوَابَ. الْكَاشِحُ: العدو المبغض. وفي الديوان: «أَنَّ يَرَى كَاشِحًا»، وَالكَاشِحُ: العدو المبغض.
- (٧) في الديوان: «وَقَمْنُ إِلَيْهَا كَالدَّمَى فَانْكَنَفَتْهَا». والدَمَى: التماثيل. اكَتَنَفَهَا: أَحْطَنَ بِهَا. يُقْدِي: يقول لها أفديك.
- (٧) في الديوان: «فَتَحَدَّثَ غَيْرَ ذِي رِقَبَةٍ أَهْلِي». وغير ذي رِقَبَةٍ أَهْلِي: أي لا تخف رقابة أهلي.

وقالت: مَنْ لأباطح مكة؟ ومن يمدح نساءها، ويصف محاسنهن، ويبكي طاعتهن؟! فقيل لها: قد نشأ فتى من ولد عثمان بن عفان^(١) على طريقته، فقالت: أنشدوني له، فأنشدوها:

وَقَدْ أَرْسَلْتُ فِي السَّرِّ لَيْلَى بِأَنْ أَقِمَ وَلَا تَقْرَبْنَا فَالتَّجَنُّبُ أَجْمَلُ
لَعَلَّ الْعَيُونَ الرَامِقَاتِ لِيُوصِلَنَا تُكْذِبُ عَنَّا أَوْ تَنَامُ فَتَغْفَلُ
أُنَاسٌ أَمْنَاهُمْ فَبَثُوا حَدِيثَنَا فَلَمَّا كَتَمْنَا السَّرَّ عَنْهُمْ تَقَوَّلُوا
فَمَا حَفِظُوا الْعَهْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا وَلَا حِينَ هَمُّوا بِالْقَطِيعَةِ أَجْمَلُوا

فستلت وقالت: هذا أجل عريض، وأفضل خلف، فالحمد لله الذي خلف على حرمه وأتمته مثل هذا.

من شعر العرجي

وقال عروة بن أذينة: أنشدت ابن أبي عتيق للعرجي:

فَمَا لَيْلَةٌ عِنْدِي وَإِنْ قِيلَ لَيْلَةٌ وَلَا لَيْلَةُ الْأَضْحَى وَلَا لَيْلَةُ الْفِطْرِ
بِعَادِلَةِ الْإِثْنَيْنِ، عِنْدِي وَبِالْحَرَى يَكُونُ سَوَاءً مِثْلَهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ
وَمَا أُنْسَ مِ الْأَشْيَاءِ لَا أُنْسَ قَوْلَهَا لِجَارَتِهَا: قُومِي سَلِي لِي عَنِ الْوَتْرِ
فَجَاءَتْ تَقُولُ النَّاسُ فِي سِتِّ عَشْرَةٍ وَلَا تَعْجَلِي عَنْهُ فَإِنَّكَ فِي أَجْرِ

فقال ابن أبي عتيق: هذه أفتقه من ابن أبي شهاب: أشهدكم أنها حرة من مالي إن أجاز أهلها ذلك.

نسب العرجي وبعض أخباره

والعرجي هو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان، وكان ينزل بعرج الطائف فنسب إليه، وهو القائل:

هَلْ فِي ادِّكَارِي الْحَبِيبِ مِنْ حَرَجٍ أَمْ هَلْ لَهُمُ الْفَوَادِ مِنْ فَرَجٍ
أَمْ كَيْفَ أُنْسَى مَسِيرَنَا حَرَمًا يَوْمَ حَلَلْنَا بِالنَّخْلِ مِنْ أَمَجٍ^(٢)

(١) هو أبو عمر، عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي القرشي، الملقب بالعرجي، المتوفى نحو ١٢٠ هـ/ نحو ٧٣٨ م.

(٢) أمج: قرية كثيرة النخل والزرع، يسكنها قوم من قضاة.

يَوْمَ يَقُولُ الرَّسُولُ قَدْ أَذْنَتْ فَاتٍ عَلَى غَيْرِ رِقْبَةٍ فَلَجِ^(١)
أَقْبَلْتُ أَهْوِي إِلَى رَحَالِهِمْ أَهْدَى إِلَيْهَا بِرِيحِهَا الْأَرْجِ^(٢)

وكان محمد بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم والياً على مكة - وهو خال
هشام بن عبد الملك - بلغه أن العرجي هجاه، فضربه ضرباً مبرحاً، وأقامه على أعين الناس،
فجعل يقول:

سَيَغْضَبُ لِي الْخَلِيفَةُ بَعْدَ رِقْيِي وَيَسْأَلُ أَهْلَ مَكَّةَ عَنْ مَسَاقِي^(٣)
عَلَيَّ عِبَاءَةٌ بَرْقَاءُ لَيْسَتْ مِنَ الْبَلَوَى تُجَاوِزُ نِصْفَ سَاقِي
وَتَغْضَبُ لِي بِأَسْرَتِهَا قَصِي وَلَاةُ الشَّعْبِ وَالطَّرِيقِ الْعِمَاقِ^(٤)

فحلف محمد بن هشام ألا يخرجها ما دامت له ولاية، فأقام في السجن سبع سنين
حتى مات، وهو القاتل في سجنه:

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتَى أَضَاعُوا لَيَوْمٍ كَرِيهَةٍ وَسِدَادٍ تَغِيرِ^(٥)
وَحَلَّلُونِي وَمُعْتَرَكِ الْمَنَايَا وَقَدْ شُرِعَتْ أَسْتَهْمَ لَنَحْرِي
كَمَا نِي لَمْ أَكُنْ فِيهِمْ وَسِيطاً وَلَسَ تَكُ نِسْبَتِي فِي آلِ عَمْرُو
أَجَرَّرُ فِي الْجَوَامِعِ كُلِّ يَوْمٍ أَلَا لَهِ مَظْلَمَتِي وَهَضْمِي^(٦)
عَسَى الْمَلِكُ الْمَجِيبُ لِمَنْ دَعَاهُ سَيُجِيبُنِي فَيَعْلَمُ كَيْفَ شُكْرِي
فَأَجْزِي بِالكَرَامَةِ أَهْلَ وَدِّي وَأَجْزِي بِالضَّغَائِنِ أَهْلَ ضُرِّي

جملة من الفصول القصار لابن المعتز

البشر دالٌّ على السخاء كما يدلُّ التَّوَرُّ على الشُّمْرِ. إذا اضطرتت إلى الكَذَابِ فلا
تصدِّقه، ولا تُعلِّمه أنك تكذِّبه، فيتقل عن وُدِّه، ولا يتقل عن طَبْعِه. كما أن الشمس لا

- (١) الرقبة: الترقب والحذر. و«لج»: أمر من الولوج: الدخول.
- (٢) أَرْجَ الطَّيْبُ أَرْجاً وَأَرْيجاً: فاح، وأرج المكان: انتشر فيه الطيب.
- (٣) الرق: العبودية.
- (٤) الشَّعْبُ: الطريق، والانفراج بين الجبلين.
- (٥) الكريهة: الحرب، أو الشدة في الحرب، والنازلة.
- (٦) الجوامع: جمع الجامع: المسجد الذي تُصَلَّى فيه الجمعة، وأمر جامع: له خطر يجتمع لأجله الناس. والهَضْمُ: الكسر.

يَخْفَى ضَوْءُهَا وَإِنْ كَانَتْ تَحْتَ السَّحَابِ كَذَلِكَ الصَّبِيُّ لَا تَخْفَى غَرِيزَةُ عَقْلِهِ وَإِنْ كَانَ مَغْمُورًا بِأَخْلَاقِ الْحِدَاثَةِ. كَرَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَقْضُ حِكْمَتَهُ، وَلِذَلِكَ لَا يَجْعَلُ الْإِجَابَةَ فِي كُلِّ دَعْوَةٍ. كَمَا أَنَّ جَلَاءَ السَّيْفِ أَهْوَنُ مِنْ صُنْعِهِ، كَذَلِكَ اسْتِصْلَاحُ الصَّدِيقِ أَهْوَنُ مِنْ اكْتِسَابِ غَيْرِهِ. إِذَا اسْتَرْجَعَ اللَّهُ مَوَاهِبَ الدُّنْيَا كَانَتْ مَوَاهِبَ الْآخِرَةِ. لَوْلَا ظِلْمَةُ الْخَطَا مَا أَشْرَقَ نَوْرُ الصَّوَابِ. الْحَوَادِثُ الْمُضْمَةُ^(١) مُكْسِبَةٌ لِحَقُوظِ جَزِيلَةٍ: مِنْ صَوَابٍ مَذْخَرٍ، وَتَطْهِيرٍ مِنْ ذَنْبٍ، وَتَنْبِيهِ مِنْ غَفْلَةٍ، وَتَعْرِيفٍ بِقَدْرِ النِّعْمَةِ، وَتُروْنِ عَلَى مُقَارَعَةِ الدَّهْرِ.

ومثل هذا الفصل محفوظ عن ذي الرياستين، قاله بعقب عِلَّةٍ فَأَغَارَ عَلَيْهِ ابْنُ الْمُعْتَزِّ.

وكتب إلى أحمد بن محمد جواباً عن كتاب استزاده فيه: قَيْدُ نِعْمَتِي عِنْدَكَ بِمَا كُنْتُ اسْتَدْعَيْتَهَا بِهِ، وَذُبُّ عَنْهَا أَسْبَابُ سُوءِ الظَّنِّ، وَأَسْتَدِمُّ مَا تُحِبُّ مِنِّي بِمَا أَحِبُّ مِنْكَ.

وكتب إليه: وَاللَّهِ لَا قَابَلَ إِحْسَانِكَ مِنِّي كَفْرٌ، وَلَا تَبَعَ إِحْسَانِي إِلَيْكَ مَنْ وَلَكَ عِنْدِي يَدٌ لَا أَقْضِيهَا عَنْ نَفْعِكَ، وَأُخْرَى لَا أَبْسُطُهَا إِلَى ظُلْمِكَ، فَتَجُنَّبُ مَا يُسْخِطُنِي؛ فَإِنِّي أَصُونُ وَجْهَكَ عَنْ ذُلِّ الْإِعْتِزَارِ.

وكان أحمد بن سعيد يؤدِّبه فتحمل البلاذري على قِيحَةٍ أَمَّ ابْنُ الْمُعْتَزِّ بِقَوْمٍ سَأَلُوا أَنْ تَأْذُنَ لَهُ أَنْ يَدْخُلَ إِلَى ابْنِ الْمُعْتَزِّ وَقْتاً مِنَ النَّهَارِ، فَأُجَابَتْ أَوْ كَادَتْ تَجِيبُ، قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ: فَلَمَّا اتَّصَلَ الْخَبْرُ بِي جَلَسْتُ فِي مَنْزِلِي غَضَبَانٌ لَمَّا بَلَغَنِي عَنْهَا، فَكُتِبَ إِلَيَّ ابْنُ الْمُعْتَزِّ وَلَهُ ثَلَاثُ عَشَرَ سَنَةً:

أَصْبَحْتَ يَا بَنَ سَعِيدٍ حِذْنَ مَكْرُمَةٍ	عَنْهَا يَقْصَرُ مَنْ يَخْفَى وَيَتَّعِلُ ^(٢)
سَرَبَلْتَنِي حِكْمَةً قَدْ هَذَبَتْ شِيَمِي	وَأَجَجَتْ نَارَ ذَهْنِي فَهِيَ تَشْتَعِلُ ^(٣)
أَكُونُ إِنْ شِئْتَ قُفَا فِي خَطَابَتِهِ	أَوْ حَارثاً وَهُوَ يَوْمَ الْحَفْلِ مُرْتَجِلُ
وَإِنْ أَشَأْ فَكُرْ زَيْدٌ فِي فَرَائِضِهِ	أَوْ مِثْلَ نُعْمَانَ لَمَّا ضَاقَتِ الْحِيلُ
أَوْ الْخَلِيلُ عَرُوضِيّاً أَخَا فِطْنٍ	أَوْ الْكِسَائِيَّ نَحْوِيّاً لَهُ عِلْلُ
تَعْلُو بِدَاهِيَةِ ذَهْنِي فِي مَرَاكِبِهَا	كَمِثْلِ مَا عَرَفْتَ آبَائِي الْأَوَّلُ

(١) الْمُضْمَةُ: الْمُؤَلَمَةُ.

(٢) الْخَدْنُ: الصَّدِيقُ، وَالصَّدِيقُ فِي السَّرِّ، وَالْجَمْعُ: أَخْدَانُ.

(٣) سَرَبَلْتَنِي: أَلْبَسْتَنِي.

وَفِي فَمِي صَارُمٌ مَّاسِلُهُ أَحَدٌ مِنْ غَمِّهِ فَكَرَى مَا الْعِشُّ وَالْجَذْلُ^(١)
عُقْبَاكَ شُكْرٌ طَوِيلٌ لَا تَفَادَلَهُ يَبْقَى بِجِدَّتِهِ مَا أَطَّتِ الْإِبِلُ^(٢)

وقس الذي ذكر: هو قس بن ساعدة الإيادي، وقد سمع النبي ﷺ شعره، وعجب منه.

وحارث: هو الحارث بن حِلْزَة الشكري، وصف ارتجاله يوم فخره بقصيدته التي أنشدها بحضرة عمرو بن هند التي أولها^(٣):

أَذْنَتْنَا بِبَيْتِهِ أَسْمَاءُ رَبِّ ثَاوِيَمِلٌ مِنْهُ الثَّوَاءُ^(٤)

وزيد: هو زيد بن ثابت الأنصاري، وإليه انتهى علم الفرائض. ونعمان: هو أبو حنيفة النعمان - رضي الله عنه - بن ثابت، سبق أهل العراق في الفقه. والخليل بن أحمد الفرهودي، ويقال: الفراهيدي، منسوب إلى حي من الأزد، اليمري. والكسائي: علي بن حمزة الكوفي.

[من ابن العميد إلى بعض إخوانه]

وكتب أبو الفضل محمد بن العميد إلى بعض إخوانه:

أَنَا أَشْكُو إِلَيْكَ - جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ - دَهْرًا خَوْنًا غَدُورًا، وَزَمَانًا خَدُوعًا غَرُورًا، لَا يَمْنَحُ مَا يَمْنَحُ إِلَّا رَيْثٌ مَا يَتَزَعُ، وَلَا يَبْقَى فِيمَا يَهَبُ إِلَّا رَيْثٌ مَا يَرْتَجِعُ، يَبْدُو خَيْرُهُ لَمَعًا ثُمَّ يَنْقَطِعُ، وَيَخْلُو مَآءُهُ جُرْعًا ثُمَّ يَمْتَنِعُ. وَكَانَتْ مِنْهُ شِمَّةٌ مَأْلُوفَةٌ، وَسَجِيَّةٌ مَعْرُوفَةٌ، أَنْ يَشْفَعَ مَا يُبْرِمُهُ بِقُرْبِ انْتِقَاضِ، وَيُهْدِي لِمَا يَسْطُهُ وَشَكُّ انْقِبَاضِ، وَكُنَّا نَلْبِسُهُ عَلَى مَا شَرَطَ وَإِنْ خَانَ وَقَسَطَ؛ وَتَرَضَى عَلَى الرِّغْمِ بِحُكْمِهِ، وَنَسْتَمُّ بِقَصْدِهِ وَظَلَمِهِ، وَنَعْتَدُ مِنْ أَسْبَابِ الْمَسْرَةِ إِلَّا يَجِيءُ مَحْذُورُهُ مَصْمُومًا بِلَا انْفِرَاجٍ، وَلَا يَأْتِي مَكْرُوهُهُ صِرْفًا بِلَا مِرَاجٍ، وَنَتَعَلَّلُ بِمَا نَخْتَلِسُهُ مِنْ غَفْلَاتِهِ، وَنَسْتَرْفُهُ مِنْ سَاعَاتِهِ. وَقَدْ اسْتَحْدَثَ غَيْرَ مَا عَرَفْنَاهُ سُنَّةً مَبْتَدَعَةً، وَشَرِيعَةً مُتَّبَعَةً، وَأَعَدَّ لِكُلِّ صَالِحَةٍ مِنَ الْفَسَادِ حَالًا، وَقَرَنَ بِكُلِّ خَلَّةٍ مِنَ الْمَكْرُوهِ خِلَالًا. وَبَيَانُ ذَلِكَ

(١) الصارم: القاطع. والجذل: الفرح.

(٢) أطت الإبل: أتت من تعب أو ثقل حمل أو حنين.

(٣) هي قصيدته المعلقة، التي ذكر معظم الرواة أنه ارتجلها بين يدي عمرو بن هند، وقالوا فيها: إنه لو نظمه في عام كامل لم يُلَمَّ لنفاسها وجودتها. أنظر شرح المعلقات العشر: ٣٣٣ - ٣٧٠.

(٤) أذنتنا: أعلمتنا. والبين: الفراق. والثاوي: المقيم، والثواء: الإقامة.

- جعلني الله فداك - أنه كان يَنْقُصُ من معارضته الإلفين، بتفريق ذات الين، فقد أنشئ مَمْثُلاً فيك بجميع ما أوغرّه، وما أطويه من البَلَوَى منك أَكْثَرُ مما أنشره، وأحسبني قد ظَلَمْتُ الدهرَ بسوء الشاء عليه، وألزمته جُرمًا لم يكن قدره بما يحيط به، وقدرته تَرْتَقِي إليه، ولو أنك أَعَنَّتْه وظاهرته، وقصدت صرفه وآزَرْتَه، وَبِعْتَنِي بِيَعِ الخَلْقِ وليس فيمن زَادَ ولكن فيمن نقص، ثم أعرضت عني إِعْرَاضَ غير مراجع، واطرحتني اطراح غير مُجَامِلٍ؛ فهلاً وجدت نفسك أهلاً للجميل حين لم تجِدْني هناك، وَأَنفَذْتَ من جَلٍّ ما عقدت من غير جريمة، ونكثت ما عهدت من غير جريرة، فَأَجَبْتَنِي عن واحدة منهما؛ ما هذا التَّعَالِي بنفسك، والتَّعَالِي على صديقك؟ وَلِمَ نَبَذْتَنِي نَبَذَ النُّوَا، وطرحْتَنِي طَرْحَ القَدَاة؟ ولم تَلْفِظْني من فيك، وتمجَّنِي من خَلْقِكَ؟ وأنا الحلال الحُلُو، والبارد العذب، كيف لا تُخْطِرْني ببالك خَطَرَةً، وتُصَيِّرْني من أشغالك مرة؛ فترسل سلاماً إن لم تتجسم مُكَاتَبَةً، وتذكرني فيمَنْ تَذْكُرُ إن لم تكن مخاطبة؟ وأحسب كتابي سِرِّدُ عليك فتكره حتى تثبت، ولا تجمع بين اسم كاتبه ونصّور شخصه حتى تتذكر؛ فقد صرت عندك ممن مَحَا النسيانُ صورته من صدرك، واسمه من صحيفة حِفْظِكَ ولعلك أيضاً تتعجب من طمعي فيك وقد توليت، واستمالتني لك وقد أبيت، ولا عجب فقد يتفجّر الصَّخْرُ بالماء الزلال، وليكن مَنْ هو أقرسى منك قلباً فيعود إلى الوصال، وآخر ما أقوله أن وَدِّي وَقَفْتُ عليك، وَحَبَسْتُ في سبيلك. ومتى عدت إليه وجدته غَضاً طرياً، فعجّبه في المعاودة فإنه في العود أحمَدُ.

اجتليت هذا الكلام على اختيار الاختصار.

حلّ قوله «فقد يتفجّر الصَّخْرُ بالماء الزلال» من قول ابن الرومي^(١):

يَا شَيْبَةَ الْبَدْرِ فِي الْحُسْرِ — وَفِي بُعْدِ الْمَنَالِ
جُدْ فَقَدْ تَفْجَرُ الصَّخْرُ — بِرَةِ بِالماء الزَّلَالِ

وفي هذه الرسالة في ذكر فَتْحٍ وإن لم يستبق منه المعنى:

وقد خصنا الله تعالى معاشراً عبْدَ الأمير عضد الدولة بنعمة يَعْلُو مراتب النعم مَوْقِعُهَا، ويفوت مقدار المواهب موضعها، فباسمِهِ - أبقاه الله - فَتَحَ الفَتْحَ، وبشعارها اسْتُزِلَ النَّجْحُ، وَبِئْمَنَ نَقِيَّتِهِ فُرِّجَ الْكَرْبُ، وبسعادة جَدَّه كُشِفَ الْخَطْبُ، وباهتزازة للدولة وحمايته عاد إليها مأواها، وراجعها بهاؤها، فَعَزَّ الْمَلِكُ وَنَصِرَ، وَذَلَّ الْعَدُو وَقَهَرَ، وَحُمِيتْ أَطْرَافُ الدَّوْلَةِ،

(١) ابن الرومي، الديوان: ٩٧/٥.

وَحَفِظْتَ أَكْنَافَ الْمَلَّةِ، وَاسْتَجَدَّ نِظَامَ النِّعْمَةِ، وَشَدِلْتُ سِتْرَ الصِّيَانَةِ دُونَ الْحَرَمَةِ؛ وَلَوْ جَعَلَ الْمَوْلَى - تَقَدَّسَ اسْمُهُ - لِنِعْمَتِهِ إِذَا تَنَاهَتْ عَلَى عِيْدِهِ جِزَاءٌ غَيْرَ الْإِخْلَاصِ فِي شُكْرِهِ، وَقَبْلَ مَا فِي مَقَابِلَةِ الْمُؤَهَّبَةِ الَّتِي يَسْتَجِدُّهَا عِنْدَ خَلْقِهِ غَيْرَ الْإِغْرَاقِ فِي حَمْدِهِ، لَرَأَيْتُ أَلَّا أَقْتَصِرَ فِي قَضَاءِ حَقِّهِ عَلَى بَعْضِ الْمَلِكِ دُونَ بَعْضٍ، وَلَجَعَلْتُ فِي صَدْرٍ مَا أَبْذُلُ عَنْ هَذِهِ النِّعْمَةِ الْأَعَزِّينَ: الْأَهْلَ وَالْوَلَدَ، وَالْأَنْصَرِينَ: السَّاعِدَ وَالْعُضْدَ، بَلِ الْعَمِيدِينَ: الْقَلْبَ وَالْكَبِدَ؛ بَلِ النَّفْسَ كُلَّهَا، وَالْمُهْجَةَ بِأَسْرَهَا.

[من بديع ما قيل في العتاب]

لسعيد بن حميد

وقال سعيد بن حميد يعاتب بعض إخوانه:

أَقْلِلْ عِتَابَكَ فَالْبَقَاءُ قَلِيلٌ
لَمْ أَتُكْ مِنْ زَمَنِ دَمَمْتُ صُرُوفُهُ
وَلِكُلِّ نَائِبَةٍ أَلَمْتُ مُدَّةً
وَالْمُنْتَمُونَ إِلَى الْإِخَاءِ جَمَاعَةٌ
وَلَعَلَّ أَحْدَاثَ الْمَنِيَّةِ وَالرَّدَى
فَلَنْ سَبَقْتُ لَتَبِكِينَ بِحُسْرَةٍ
وَلَتَفْجَعَنَّ بِمُخْلِصٍ لَكَ وَامْسُقِ
وَلَنْ سَبَقْتُ - وَلَا سَبَقْتُ - لَيَمُضِينَ
وَلِيُذْهِبَنَّ بِهَاءِ كُلِّ مُرْوَةٍ
وَأَرَاكَ تَكْلَفُ بِالْعِتَابِ وَوُدُّنَا
وَدُّ بَدَا لِذَوِي الْإِخَاءِ جَمَالُهُ
وَلَعَلَّ أَيْسَامَ الْحَيَاةِ قَلِيلَةٌ
وقال أيضاً:

وَالذَّهْرُ يَعْدِلُ تَارَةً وَيَمِيلُ^(١)
إِلَّا بِكَيْتٍ عَلَيْهِ حِينَ يَزُولُ
وَلِكُلِّ حَالٍ أَقْبَلْتُ تَحْوِيلُ
إِنْ حُصِّلُوا أَفْنَاهُمْ التَّحْصِيلُ
يَوْمًا سَتَصْدَعُ بَيْنَنَا وَتَحُولُ^(٢)
وَلِيَكْثُرَنَّ عَلَيَّ مِنْكَ عَوِيلُ
حَبْلُ الْوَفَاءِ بِحَبْلِهِ مَوْصُولُ^(٣)
مَنْ لَا يُشَاكِلُهُ لَدَيَّ خَلِيلُ
وَلِيُفْقَدَنَّ جَمَالَهَا الْمَأْهُولُ
ضَافٍ عَلَيْهِ مِنَ الْوَفَاءِ دَلِيلُ^(٤)
وَبَدَتْ عَلَيْهِ بِهَجَّةٌ وَقَبُولُ
فَعَلَامَ يَكْثُرُ عَتَبُنَا وَيَطُولُ

(١) عَدَلَ فِي أَمْرِهِ عَدْلًا وَعَدَالَةً: اسْتَقَامَ، وَعَدَلَ عَدْلًا وَعُدُولًا: مَالَ.

(٢) الرَّدَى: الْهَلَاكُ. وَصَدَعَ الْقَوْمَ: فَزَعَهُمْ.

(٣) الْوَامِقُ: الْمُحِبُّ، الْعَاشِقُ.

(٤) ضَافٍ: سَابِغٌ.

لقد ساني أن ليس لي عنك مذهب
أفكر في ودّ تفادٍ بيننا
وأنت سقيم الودّ رثّ جباله
سبيء وتابى أن تعقب بعده
وأحذر إن جازيت بالسوء والقلّى
أساء اختياراً أو عرته ملالة
فخبث من الودّ الذي كان بيننا
كما خاب راجي البرق والبرق خلب^(٢)

لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر:
إلى كم يكون الصّد في كلّ ساعة
رؤيدك! إن الدهر فيه بقيّة
آخر:

ولقد علمت فلا تكن متجنّباً
حسب الأجرة أن يفرّق بينهم
آخر^(٣):

ذر النفس تأخذ وسعها قبل بينها
فمفترق جاران دارهما العمر^(٤)

للمتنبي

ويقرب من المعنى قول المتنبي أيضاً^(٥):

- (١) القلي: البغض.
- (٢) الخلب: السحاب يومض برقه حتى يرحى مطره، ثم يخلف وينقشع، ويقال: برق خلب، وبرق الخلب.
- (٣) البيت للمتنبي، أنظر ديوانه: ٣٤٤/١.
- (٤) ذر: دع، والوسع: الطاقة. والجاران: الروح والبدن، يجتمعان مدة العمر، فإذا فرغ افترقا. يقول: دع نفسك تأخذ ما يمكنها أخذه من لذة أو مال أو سلطان، فإنها غير باقية مع الجسد.
- (٥) المتنبي، الديوان: ٢٢٤/٢. والبيتان من قصيدة قالها في مدح سيف الدولة سنة ٢٥٣ هـ/ ٩٦٣ م، بعد مفارقتها لكافور، وعودته إلى الكوفة.

رَوَّدِينَا مِنْ حُنْنٍ وَجُهِكَ مَا دَا مَ فَحَسُنَ الْوُجُوهَ حَالٌ يَحُولُ^(١)
وَصَلِينَا نَصْلِكَ فِي هَذِهِ الدُّد يَا فَإِنَّ الْمُقَامَ فِيهَا قَلِيلُ^(٢)

[من كلام الأعرابي]

وقف أعرابيٌّ يسألُ، فعَبَثَ به فتى، فقال: ممن أنت؟ فقال: من بني عامر بن صعصعة، فقال: من أيهم؟ فقال: إن كنت أردت عاطفة القرابة فليكنك هذا المقدار من المعرفة، فليس مقامي بمقام مُجَادَلَةٍ ولا مفاخرة، وأنا أقول: فإن لم أكن من هاماتهم فلست من أعجازهم. فقال الفتى: ما رويتَ عن فضيلتك إلا النقص في حسبك. فامتعض الأعرابي لذلك؛ فجعل الفتى يَعْتَذِرُ، ويخلط الهزل والدعابة باعتذاره، وأطال الكلام، فقال له الأعرابي: يا هذا، إنك منذ اليوم آذيتني بِمَرْحِكَ، وقطعتني عن مسألتي بكلامك واعتذارك، وإنك لتكشف عن جَهْلِكَ بكلامك ما كان السكوت يَسْتُرُهُ من أمرك، وَيُحْك! إنَّ الجاهل إن مَرَّحَ اسْتَخَطَ، وإن اعتذر أفرط، وإن حدثَ أسقط، وإن قدر تسلط، وإن عزم على أمر تورط، وإن جلس مجلس الوقار تبسط؛ أعودُ منك ومن حالٍ اضطررتني إلى احتمالٍ مثلك! وقال إسحاق الموصلي: قال أعرابي لرجل كان يعتمده بالعطية: أسأل الذي رحمني بك أن يرحمك بي.

وسأل أعرابي رجلاً، فأعطاه، فقال: الحمد لله الذي ساقني إلى الرزق وساقك إلى الأجر.

[المقامة البلخية]

ومن إنشاء البديع من مقامات الإسكندري:

قال: حدثنا عيسى بن هشام قال: أفضت بي إلى بلخ تجارة البرّ، فوردتها وأنا بِفَرَوَةٍ الشباب^(٣) وبِالِ الفراغ، وحِلْيَةِ الثروة، لا يهْمُنِي إلا نزهة فكر أستفيدها وشريدة من الكلام أصيدُها؛ فما استأذن على سَمْعِي مسافةً مُقَامِي، أفصحُ من كلامي. وَلَمَّا حَتَّى التفرق بنا

(١) في الديوان: «حال تحول». دام: فعل ماضي تام، والضمير فيها للحسن. وتحول: تنغير.

(٢) نَصْلِكَ: جواب الأمر. والمُقَام (بالضم): مصدر ميمي بمعنى الإقامة.

(٣) الفروة: الشعر. وفي رواية: «وأنا بعذرة الشباب». والعذرة: الناصية، وهي الخصلة من الشعر في مقدم الرأس.

قَوْسُهُ أَوْ كَادَ، دَخَلَ إِلَيَّ شَابٌّ فِي زِي مِلْءِ الْعَيْنِ، وَلَحِيَّةٍ تَشُوكُ الْأَخْدَعَيْنِ^(١)، وَطَرَفٍ قَدْ شَرِبَ بِمَاءِ الرَّافِدَيْنِ^(٢)، وَلَقِيَنِي مِنَ الْبَرِّ فِي السَّنَاءِ، بِمَا زِدْتُهُ مِنَ الشُّكْرِ وَالثَّنَاءِ؛ ثُمَّ قَالَ: أَطْعَمُنَا تُرِيدُ؟ قُلْتُ: إِي وَاللَّهِ، فَقَالَ: أَخَصَّبَ اللَّهُ رَأْسَكَ، وَلَا أَضِلُّ قَائِدَكَ، فَمَتَى عَزَمْتَ؟ فَقُلْتُ: غَدَاةً غَدَ، فَقَالَ:

صَبَّاحُ اللَّهِ لَا صُبْحُ انْطِلَاقٍ وَطَيْرُ الْوَصْلِ لَا طَيْرُ الْفِرَاقِ

قال: أين تريد؟ قلت: الوطن، قال: بُلَّغْتَ الْوَطْنَ، وَقَضَيْتَ الْوَطَرَ، فَمَتَى الْعَوْدُ؟ قلت: القابل، قال طَوَيْتَ الرِّيطَ^(٣)، وَثَنَيْتَ الْخِيَطَ، فَأَيْنَ أَنْتَ مِنَ الْكَرَمِ؟ قلت: بحيث أردت، قال: إِذَا رَجَعْتَ اللَّهُ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقِ، فَاسْتَصْحِبْ لِي عَدُوًّا فِي بُرْدَةِ صَدِيقٍ، مِنْ نِجَارِ الصُّفْرِ، يَدْعُو إِلَى الْكُفْرِ، وَيَرْقُصُ عَلَى الظُّفْرِ، كَدَّارَةُ الْعَيْنِ، يَحْطُ ثِقَلَ الدِّينِ، وَيَنَافِقُ بَوَجهَيْنِ! فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يَلْتَمِسُ دِينَارًا، قُلْتُ: لَكَ ذَلِكَ نَقْدًا، وَمِثْلُهُ وَعَدَاً، فَأَنْشَأُ يَقُولُ:

رَأَيْتُكَ مِمَّا خَطَبْتُ أَعْلَى لَا زِلْتُ لِلْمَكْرُمَاتِ أَهْلًا
صَلَبْتُ عُودًا وَقُفْتُ جُودًا وَطَبْتُ فِرْعَاءَ وَطَبْتُ أَصْلًا
لَا أَسْتَطِيعُ الْعَطَاءَ حَمْلًا وَلَا أَطِيقُ السُّؤَالَ ثِقْلًا
قَصُرْتُ عَنْ مُتَهَاكَ ظَنًّا وَطُلْتُ عَمَّا ظَنَنْتُ فِعْلًا
يَا رَحْمَةً اللَّهِ وَالْمَعَالِي لَا لَقِيَ الدَّهْرُ مِنْكَ ثُكْلًا^(٤)

قال عيسى بن هشام: فَكَلَّمَهُ الدِّينَارُ، وَقُلْتُ: مَنْ أَيْنَ نَبَتْ هَذَا الْفَضْلُ؟ قَالَ: نَمَتِي قَرِيشَ، وَمُهِدَ لِي الشَّرْفُ فِي بَطْحَائِهَا. فَقَالَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ: أَلَسْتُ أَبَا الْفَتْحِ السَّكَنْدَرِي؟ أَلَمْ أَرَكَ بِالْعِرَاقِ، تَطُوفُ بِالْأَسْوَاقِ، مُكَدِّيًا بِالْأَوْرَاقِ^(٥)؟ فَأَنْشَأُ يَقُولُ:

إِنَّ لِلَّهِ عِيْدًا أَخَذُوا الْعُمُرَ خَلِيطًا
فَهُمْ يُمَسُّونَ أَعْرًا بَا وَيُضْحُونَ نَيْطًا^(٦)

(١) الأخدعان: عرقان في صفحة العتق.

(٢) الرافدان: دجلة والفرات.

(٣) الريط: جمع ريطه، وهي الملاءة. وفي العبارة كناية، فهو يدعو له بأن يطوي أيام البعد عن أهله.

(٤) في رواية: «يَا رُجْمَةَ الدَّهْرِ وَالْمَعَالِي»، وَالرُّجْمَةُ: مَا يُبْنَى تَحْتَ النُّخْلَةِ الْكَرِيمَةِ لَتَعْتَمِدَ عَلَيْهِ إِذَا ثَقُلَ حَمْلُهَا، أَوْ ضَعُفَ احْتِمَالُهَا.

(٥) كدى الرجل تكدياً: سأل.

(٦) النيط: جماعة من العجم كانوا يسكنون سواد العراق.

[من البديع إلى الميكالي]

كتابي أطال الله بقاء الشيخ الجليل، والماء إذا طال مُكُثُّهُ، ظهر خُبْثُهُ، وإذا سكن مَتْنُهُ، تحرَّك نَتْنُهُ، كذلك الضيفُ يَسْمُجُ لقاءه، إذا طال تَوَاوُهُ^(١)، ويثقل ظِلُّهُ، إذا انتهى مَحَلُّهُ؛ وقد حَلَبْتُ أَشْطَرِ خَمْسَةِ أَشْهُرٍ بِهَرَاةٍ وإن لم تكن دار مثلي لولا مُقَامُهُ، وما كانت تسعني لولا ذِمَامُهُ، ولي في بَيْتِي قيسٌ مِثْلُ صدق، وإن صَدَرَ مَصْدَرٌ عَشِقُ:

وَأَذْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا سَيَّرْتَنِي يَقُولُ يُحِلُّ الْعُصْمَ سَهْلَ الْأَبَاطِحِ^(٢)
تَجَافَيْتَ عَنِّي حَيْثُ لَا لِي حِيلَةٌ وَخَلَقْتَ مَا خَلَقْتَ بَيْنَ الْجَوَانِحِ

نعم، قصصتي نِعَمُ الشيخ الجليل، فَلَمَّا عَلِقَ الجَنَاحَ، وَقَلِقَ الْبَرَّاحَ، طرقت مطارَ الريح، بل مطارَ الرّوح. وتركتني بين قوم ينقض مَسْهُمْ الطهارة، وتُوْهِنُ^(٣) أَكْفُهُمُ الحجارة. وُحْدْتُ عن هذا الخليفة، بل الجيفة^(٤)، أنه قال قضيت لفلان خمسين حاجةً منذ ورد هذا البلد، وليس يَقْنَعُ، فما أصنع؟ فقلت: يا أحمق، إن استطعت أن تراني محتاجاً، فاستطع أن أراك محتاجاً إليك. أفَ لِقَوْلِكَ وَلِفْعَلِكَ؛ ولدهر أَحْوَجُ إلى مثلك! وأنا أسأل الشيخ الجليل أن يُبَيِّضَ وجهي بكتاب يُسَوِّدُ وجهه، ويعرفه قَدْرُهُ، ويملاً رعباً صدره، إلى أن تَبَيَّنَ على صفحات جَنْبِهِ، آثارُ ذنبه.

وله إليه يعاتبه:

قد عرف الشيخ الجليل اتسامي بعبوديته، ولو عَرَفْتُ وراءَ العبوديةَ مكاناً لبلغته معه، وأراني كلما قدمت صُحْبَةً، رجعت رُبَّةً، وكلما طالت خِدْمَةً، قَصُرَتْ حِشْمَةٌ، ولست ممن يذهب عليه أن للسلطان أن يرفع عبداً حشياً، ويضع قُرْشِيّاً، ولكن أحب أن أقف من مكاني على رُبَّةٍ كوكبها لا يغور، ومترلةٍ لولبها لا يَكْذُورُ؛ فإذا عرفت قَدْرِي وخطه، لم أتخطه، ثم إن رأيت محلي وحده، لم أتعدّه، إن قَدَّمَنِي يوماً عليها علمت أن عنايةَ قدمتي، وإن أخرني عنها علمت أن جنايةَ آخرتي. رُفِعَ عليّ اليوم فلانٌ ولستُ أَكْرِ سِتَّهُ وَفَضْلَهُ، ولا أجحد بيته

(١) التواء: الإقامة.

(٢) سيّرتني: أسرّنتي. العُصْمُ: جمع أعصم، وقد عصم الحيوان عَصْماً: كان في ذراعيه أو إحداهما يايض وسائرهُ أسود أو أحمر، ويقال: ظبي أعصم، وفرس أعصم، والأعصم: الوعل.

(٣) توهن: تضعف.

(٤) الجيفة: جثة الميت إذا أُلْتَمَتْ، والجمع: جِيفٌ.

وأصله، ولكن لم تَجِرِ العادة بتقدمه، لا في الأيام الخالية، ولا في هذه الأيام العالية؛ وشديداً على الإنسان ما لم يُعوّد؛ فإن كان حاسداً قد همّ، أو كاشح قد نمّ^(١)، أو خطب قد ألمّ، أو أمر قد وقع وتمّ، فالشيخُ الجليلُ أولى من يعرفه ويعرفنيه، وإلا فما الرأي الذي أوجب اصطناعي، ثم ضياعي، والسبب الذي اقتضى بيّعي بعد ابتياعي؟

[بين المأمون وإبراهيم بن المهدي]

ولما رضي المأمون عن إبراهيم بن المهدي أمر به فأدخل عليه، فلما وقف بين يديه قال: وَلِيُّ الثَّارِ مُحَكَّمٌ فِي الْقِصَاصِ، وَمَنْ تَنَاولَهُ الْاِغْتِرَارَ بِمَا مُدَّ لَهُ مِنْ أَسْبَابِ الرَّجَاءِ أَمِنْ عَادِيَةِ الدَّهْرِ مِنْ نَفْسِهِ، وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ تَعَالَى فَوْقَ كُلِّ ذِي ذَنْبٍ، كَمَا جَعَلَ كُلَّ ذِي ذَنْبٍ دُونَكَ، فَإِنْ أَخَذْتَ بِحَقِّكَ، وَإِنْ عَفَوْتَ بِفَضْلِكَ. ثم قال:

ذَنْبِي إِلَيْكَ عَظِيمٌ وَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْهُ
فَخُذْ بِحَقِّكَ، أَوْ لَا فَاصْفَحْ بِفَضْلِكَ عَنْهُ
إِنْ لَمْ أَكُنْ فِي فَعَالِي مِمَّنْ الْكَرَامَ فَكُنْهُ

فقال لي: إني شاورتُ أبا إسحاق والعباس في قَتْلِكَ، فأشارا به، قال: فما قلتَ لهما يا أمير المؤمنين؟ قال: قلتَ لهما: بدأناه بإحسان، ونحن نَسْتَأْمِرُهُ فِيهِ، إِنْ غَيَّرَ فَاللهُ يَغَيِّرُ مَا بِهِ، قَالَ: أَمَا أَنْ يَكُونَا قَدْ نَصَحَا فِي عَظِيمٍ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ السِّيَاسَةُ فَقَدْ فَعَلَا وَبَلَّغَا مَا يَبْلُغُكَ، وَهُوَ الرَّأْيُ السَّدِيدُ، وَلَكِنَّكَ أَبَيْتَ أَلَّا تَسْتَجْلِبَ النِّصْرَ إِلَّا مِنْ حَيْثُ عَوَّدَكَ اللهُ. ثم استعَجَرَ بَاكِياً، فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ: مَا يَبْكِيكَ؟ قَالَ: جَدَلًا! إِذْ كَانَ ذَنْبِي إِلَى مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ فِي الْإِنْعَامِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ بَلَغَ جُرْمِي اسْتِحْلَالَ دَمِي، فَعَلِمْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَفَضْلُهُ بِلَغَانِي عَفْوَهُ، وَلِي بَعْدَهُمَا شَفَاعَةُ الْإِقْرَارِ بِالذَّنْبِ، وَحَقُّ الْأَبْوَةِ بَعْدَ الْأَبِّ. فقال: يا إبراهيم، لَقَدْ حُبَّبَ إِلَيَّ الْعَفْوَ حَتَّى خِفْتُ أَلَّا أُوجَرَ عَلَيْهِ، أَمَا لَوْ عَلِمَ النَّاسُ مَا لَنَا فِي الْعَفْوِ مِنَ اللَّذَّةِ لَتَقَرَّبُوا إِلَيْنَا بِالْجَنَايَاتِ، لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكَ يَغْفِرُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي حَقِّ نَسَبِكَ مَا يَبْلُغُ الصَّفْحَ عَنْ جُرْمِكَ لَبَلَّغْتُكَ مَا أَمَلْتُ حَسَنُ تَنْصَلِكَ وَلَطْفُ تَوْصَلِكَ ثُمَّ أَمْرُ بَرْدِ ضِيَاعِهِ وَأُمُوَالِهِ، فَقَالَ:

(١) الكاشح: العدو المبغض. وَنَمَّ بَيْنَ الْقَوْمِ: حَرَّشَ وَأَغْرَى، وَنَمَّ الْحَدِيثُ: سَعَى بِهِ لِيُوقَعَ فِتْنَةٌ بَيْنَ النَّاسِ.

رَدَدْتَ مَالِي وَلَمْ تَبْخَلْ عَلَيَّ بِهِ وَقَبْلَ رَدِّكَ مَالِي قَدْ حَقَنْتَ دَمِي^(١)
 وَقَامَ عِلْمُكَ بِي فَاحْتَجَّ عِنْدَكَ لِي مَقَامَ شَاهِدٍ عَدْلٍ غَيْرِ مُتَّهِمٍ
 فَلَوْ بَدَّلْتُ دَمِي أَبْغِي رِضَاكَ بِهِ وَالْمَالَ حَتَّى أَسْلَ النَّعْلَ مِنْ قَدَمِي
 مَا كَانَ ذَاكَ سِوَى عَارِيَةٍ سَلَفْتُ لَوْ لَمْ تَهْبِهَا لَكُنْتُ الْيَوْمَ لَمْ تُلَمْ
 أَخَذَ مَعْنَى قَوْلِ الْمَأْمُونِ: «لَقَدْ حُبَّبَ إِلَيَّ الْعَفْوَ حَتَّى خِفْتُ أَلَا أُوجِرَ عَلَيْهِ» أَبُو تَمَامٍ
 الطَّائِي فَقَالَ^(٢):

لَوْ يَعْلَمُ الْعَافُونَ كَمْ لَكَ فِي النَّدَى مِنْ لَذَّةٍ وَقَرِيحَةٍ لَمْ تَحْمَدِ^(٣)

فَكَانَ أَبُو تَمَامٍ فِي هَذَا كَمَا قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنِ الْمَعْتِزِ فِي الْقَاسِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ:

إِذَا مَا مَدَّخَنَاهُ اسْتَعْنَا بِفِعْلِهِ فَأَخَذُ مَعْنَى قَوْلِنَا مِنْ فِعَالِهِ

وَكَانَ تَصَوُّبُ إِبْرَاهِيمَ لِرَأْيِ أَبِي إِسْحَاقَ الْمَعْتَصِمِ وَالْعَبَّاسِ بْنِ الْمَأْمُونِ أَلْطَفَ فِي طَلَبِ
 الرِّضَا وَدَفْعِ الْمَكْرُوهِ وَاسْتِمَالَتِهِمَا إِلَى الْعَاطِفَةِ عَلَيْهِ مِنَ الْإِزْرَاءِ عَلَيْهِمَا فِي رَأْيِهِمَا، وَكَانَ
 إِبْرَاهِيمُ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا عَفَا عَنِّي لِرَحِمٍ وَلَا لِمَحَبَةٍ؛ وَلَكِنْ قَامَتْ لَهُ سَوْقٌ فِي الْعَفْوِ كَرِهَ أَنْ
 يَفْسِدَهَا [بِي].

وَكَانَ الْمَأْمُونُ شَاوَرَ فِي قَتْلِ إِبْرَاهِيمَ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي خَالِدِ الْأَحْوَلِ، فَقَالَ: إِنْ قَتَلْتَهُ فَلَكَ
 نَظِيرٌ؛ وَإِنْ عَفَوْتَ عَنْهُ فَلَا تَنْظِيرَ لَكَ؛ فَأَخْتَارَ لَكَ الْعَفْوَ.

[بَيْنَ الْمَأْمُونِ وَإِسْحَاقَ بْنِ الْعَبَّاسِ]

وَقَالَ الْمَأْمُونُ لِإِسْحَاقَ بْنِ الْعَبَّاسِ: لَا تَحْسِبْنِي أَغْفَلْتُ أَمْرَ ابْنِ الْمَهْدِيِّ وَتَأْيِيدِكَ لَهُ،
 وَإِقَادَكَ لِنَارِهِ.

قَالَ: وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِإِجْرَامِ قَرِيشَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَغْظَمَ مِنْ جُرْمِي إِلَيْكَ؛
 وَلِرَحْمِي أَمْسَ بِكَ مِنْ أَرْحَامِهِمْ؛ وَقَدْ قَالَ لَهُمْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ؛ عَلَى نَبِينَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ
 وَالسَّلَامُ لِأَخَوْتِهِ: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٤). وَأَنْتَ

(١) حَقَنْتَ دَمِي: مَنَعْتَهُ أَنْ يُنْفَكَ.

(٢) أَبُو تَمَامٍ، الدِّيَوَانُ: ٢٦٧/١.

(٣) الْعَافُونَ: طَالِبُو الْمَعْرُوفِ. وَفِي الدِّيَوَانِ: «لَمْ تُحْمَدِ».

(٤) سُورَةُ يُوسُفَ، آيَةُ (٩٢).

يا أمير المؤمنين أحمقٌ وارثٌ لهذه الأمة في الطُّول^(١)، وممثلٌ لخلال العفو والفضل.
قال: هيهات! تلك أجرام^(٢) جاهلية عفا عنها الإسلام، وجُرْمُكَ جُرْمٌ في إسلامك،
وفي دارِ خلافتك.

قال: يا أمير المؤمنين؛ فوالله للمسلم أحمقٌ بإقالة العثرة وغفران الذنب من الكافر.
وهذا كتاب الله بيني وبينك إذ يقول: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الَّذِينَ يُفْقُونَ فِي الضَّرَاءِ وَالصَّرَاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ
وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ^(٣). والناسُ يا أمير المؤمنين نسبةٌ دخل فيها
المسلم والكافر، والشريف والمشروف.

قال: صدقت، ورِيتُ بك زنادي، ولا برِحتُ أرى من أهلك أمثالك.

[رجل يستعطف بعض الملوك]

وقال رجل لبعض الملوك وقد وقف بين يديه: أسألك بالذي أنت بين يديه غداً أذلُّ
مني بين يديك اليوم، وهو على عقابك أقدرُ منك على عقابي، إلا ما نظرتَ في أمري نظراً
من بُرئي أحبُّ إليه من سُقْمي، وبراءتي أحبُّ إليه من بليتي.

[بين معاوية وروح بن زباع]

وأراد معاوية عقوبة روح بن زباع فقال: يا أمير المؤمنين: أنشدك الله تعالى ألا تضع
مني خسيصة أنت رفعتها، أو تنقص مني مَرِيرَةً^(٤) أنت أبرمتها، أو تشمت بي عدواً أنت
كَبَّتهُ^(٥)، وحاسداً بك وَقَمْتُهُ^(٦)؛ وأسألك بالله إلا أَرَبِي^(٧) حِلْمُكَ على خطي وصفحك على
جَهلي.

(١) الطُّولُ: الفضلُ والغنى واليسرُ.

(٢) الأجرام: جمع الجُرْم: الذنب.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان (١٣٣ و ١٣٤).

(٤) المَرِيرَة (في الأصل): الحبل المحكم القتل.

(٥) كَبَّتهُ: أغظته وأذلته وأخزته، ومنه: كبت الله العدو: رَدَّه بِغَيْظِهِ. وفي التنزيل العزيز: ﴿لَيَقَطِّعَ
طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾ (سورة آل عمران، آية: ١٢٧).

(٦) وَقَمْتُهُ: قهرته وأذلته.

(٧) أَرَبِي: زاد.

فقال معاوية رضي الله عنه: إذا الله ثنى عقد شيء تسراً.

أشار إلى هذا أبو الطيب المتنبى إذ قال^(١):

أَزَلَّ حَسَدَ الْحُسَّادِ عَنِّي بِكَتِّهِمْ فَأَنْتَ الَّذِي صَيَّرْتَهُمْ لِي حُسَّادًا^(٢)
إِذَا شَدَّ زَنْدِي حُسْنُ رَأْيِكَ فِي يَدِي ضَرَبْتُ بِسَيْفٍ يَقْطَعُ الْهَامَ مُغَمَّدًا^(٣)

[عفو الملوك]

المأمون وبعض خاصته

وعَتَبَ المأمون على بعض خاصته، فقال: يا أمير المؤمنين، إن قديم الحرمة وحديث التوبة يَمْحُوَان ما بينهما من الإساءة. قال: صدقت، وعفا عنه.

بعض ملوك فارس

وكان في ملوك فارس ملك عظيم المملكة، شديد النعمة، فَرَّقَ له صاحب المطبخ طعامه، فنقطت نُقْطَةً من الطعام على المائدة، فَرَوَى له الملك وَجْهَهُ، وعلم صاحب المطبخ أَنَّهُ قَاتَلَهُ، فعمد إلى الصَّحْفَةِ^(٤) فكفأها على المائدة ثم وَلَّى، فقال له الملك: ما حَمَلَك على ما فعلت، وقد علمتُ أَن سقوط النُّقْطَةِ أَخْطَأْتُ بها يدك ولم يَجْرَ بها تعمُّدك، فما عندك في الثانية؟ قال: استَحْيَيْتُ للملك أَن يُوجِبَ قَتْلِي، وَيُبَيِّحَ دَمَ مِثْلِي، في سَنِّي وحرُمتي، وقديم اختصاصي وخدمتي، في نُقْطَةِ أَخْطَأْتُ بها يدي، فَأَرَدْتُ أَن يَعْظُمَ ذَنْبِي لِيَحْسُنَ بِالْمَلِكِ قَتْلِي.

قال: لئن كان اعتذارُكَ يُنْجِيكَ من القتل، فليس يُنْجِيكَ من التأديب؛ اجلدوه مائة جَلْدَةً، واخلعوا عليه خلع الرُّضَا.

(١) المتنبى، الديوان: ١٤٧/٢. والبيتان من قصيدة يمدح بها سيف الدولة، ويهتته بعيد الأضحى المبارك سنة ٢٤٣ هـ / ٩٥٣ م.

(٢) يقول: أَنتَ صَيَّرْتَهُمْ حاسدين لي بما أَفْضَتْ عليَّ من نعمتك وإحسانك، فاصرف شرَّ حُدْهم عني بإذلالهم وردَّ كيدهم عليهم.

(٣) الهام: الرؤوس. يقول: إِذَا أَنْتَ مِنْكَ انْحِرَافاً عَنْهُمْ، كفاهم ذلك خذلاناً بين يدي، حتى لو ضربتهم بسيفي وهو في غمده لقطع.

(٤) الصَّحْفَةُ: إِنْاء من أنية الطعام، والجمع: صِحَافٌ.

بهرام جور

وخرج بهرام جور متصيداً فعنّ له حمار وَحْشٍ، فأتبعه حتى صرعه، وقد انقطع عن أصحابه، فنزل عن فرسه يريدُ ذَبْحَهُ، وبَصُرَ براع فقال: أَمْسِكْ عَلَيَّ فرسي، وتشاغل بذبح الحمار، وحانت منه التفاتة، فنظر إلى الراعي يقطع جَوْهَرَ عِذارِ فرسه، فحوّل بهرام جور وَجْهَهُ وقال: تَأْمَلُ العَيْبَ عَيْبٍ، وعقوبةٌ من لا يستطيع الدفاع عن نفسه سَفَهٌ، والعفو من أفعال الملوك، وسُرْعَةُ العقوبة من أفعال العامة.

ثم قال: يا غلام، ما بال شَرِيَانِكَ يضطربُ لعلك أذاك تكسيرنا أرضك بحوافر خَيْلنا، فقال: نعم، وقد عزمْتُ على أن أنقلع مائةَ فرسخ، فقال بهرام: لا تُرْع؛ فهذا الموضع وما فيه لك، وكان الراعي خبيثاً، فقال: إن الملوك إذا قالت قولاً تَمَثَّ على قولها، فرجع بهرام إلى عسكره وقال: اتبعني لأوثقَ لك من هذه الأرض، فأتبعه، فلما بَصُرَ به الوزير قال: أيها الملك السعيد، إني لأرى جَوْهَرَ عِذارِ فرسك مُقْلَعاً، فتبسم وقال: أخذه من لا يردّه، ورآه من لا ينمّ به، فَمَنْ أخذه صاحبنا ولا نطالبه به.



نقل ابن الرومي قول بهرام: «تأمل العيب عَيْبٌ» كما اتفق موزوناً فقال^(١):

تَأْمَلُ الْعَيْبَ عَيْبٌ	مَا فِي الَّذِي قُلْتُ رَيْبٌ ^(٢)
وَكُلُّ خَيْرٍ وَشَرٌّ	دُونَ الْعَوَاقِبِ غَيْبٌ ^(٣)
وَرُبَّ جِلْبَابٍ هَمٌّ	فِيهِ مِنَ الصُّنْعِ جَيْبٌ ^(٤)
لَا تَحْقِرَنَّ سَيِّباً	كَمْ قَادَ خَيْراً سَيِّبٌ ^(٥)

أخذ البيت الأخير من قول الطائي:

رُبَّ قَلِيلٍ غَدَاً كَثِيراً كَمْ مَطَرٍ بَدُوهُ مَطِيرٌ

(١) ابن الرومي، الديوان: ١/١٣٥.

(٢) في الديوان: «وَلَيْسَ فِي الْحَقِّ رَيْبٌ». والريب: الشك والظن.

(٣) في الديوان: «خَلَفَ الْعَوَاقِبَ غَيْبٌ». والغيب: الشك، وكل ما استتر عن العين.

(٤) في الديوان: «يَا رَبُّ غُمَّةٍ خَطْبٌ». والغُمَّة: الحزن. والخطب: الأمر العظيم. وأراد بالصنع:

صنع الخالق عزّ وجلّ. والجيب: كناية عن الفرج.

(٥) تحقرون: تستصغرن. وسَيِّبٌ: تصغير سَبَب، وهو العطاء. وفي الديوان: «كَمْ جَرَّ نَفْعاً سَيِّبٌ».

وقوله^(١):

لَا تُزِيلُنْ صَغِيرَ هَمِّكَ وَانْظُرْ كَمْ بَذَى الْأَثَلِ دَوْحَةً مِنْ قَضِيبٍ^(٢)

وقد أعاد ابن الرومي قوله:

وَكُلُّ خَيْسِرٍ وَشَسِيرٍ دُونِ الْعَوَاقِبِ غَيْبٍ

في قصيدته التي مدح بها أحمد بن محمد بن ثوبة حين ساوره، وقال: لو أتى ليد
لتعجب منه، فاستجمله وقال^(٣):

وَلَمَّا دَعَانِي لِلْمُثُوبَةِ سَيْدٌ يَرَى الْمَدْحَ عَارًا قَبْلَ بَذْلِ الْمَثُوبِ^(٤)
تَنَازَعَنِي رَغْبٌ وَرَهْبٌ كِلَاهُمَا قَوِيٌّ، وَأَعْيَانِي طُلُوعُ الْمَغَائِبِ^(٥)
فَقَدَّمْتُ رَجُلًا رَغْبَةً فِي رَغِيبةٍ وَأَخَّرْتُ رَجُلًا رَهْبَةً لِلْمَعَاظِبِ^(٦)
أَخَافُ عَلَى نَفْسِي وَأَرْجُو مَفَازَهَا وَأَسْتَأْرِ غَيْبَ اللَّهِ دُونَ الْعَوَاقِبِ^(٧)
أَلَا مَنْ يُرِينِي غَايَتِي قَبْلَ مَذْهَبِي وَمِنْ أَيْنَ وَالْغَايَاتُ بَعْدَ الْمَذَاهِبِ^(٨)

[من اعتذارات البديع]

نسخة رقعة كتبها بديع الزمان إلى أبي علي إسماعيل يعتذر إليه:

- (١) أبو تمام، الديوان: ١١٩/١. والبيت من قصيدة يمدح بها سليمان بن وهب.
- (٢) اللهم هنا، بمعنى الهمة، أو بمعنى الحزن. الأكل: ضرب من الشجر. الدوحة: الشجرة العظيمة. يقول: لا تهمل نظرك في صغير همك، فإن كان خيراً فإنه يثمر، وتعظم المنفعة به، وإن كان مما يحذر فإنه لا يؤمن أن يغلب ويتفاقم.
- (٣) ابن الرومي، الديوان: ٢٢٠/١.
- (٤) الماثوب: جمع مثوبة: المكافأة، الجزاء.
- (٥) في الديوان: «وأعْيَانِي اِطْلَاعُ الْمَغَائِبِ». تنازعني: تجاذبني. الرغب: الرغبة. والرهب: الرهبة: الخوف. وأعْيَانِي: جعلني عاجزاً. واطْلَاعُ الْمَغَائِبِ: معرفة الغيب.
- (٦) الرغبة: الأمر المرغوب فيه. والمعاطب: المزالق.
- (٧) مفازها: فوزها، والوصول إلى مبتغائها.
- (٨) يقول: من ذا يدلني على مصيري قبل اختيار طريقي، ولكن كيف ذلك؟ فالنتائج لا بد أن تسبقها مقدمات.

سوء الأدب من سكر النَّدْب، وسكر الغضب من الكِبائر التي نالها المَغْفِرَة، وتَسَعُّها المَعذِرَة، وقد جرى بِحَضْرَةِ الشَّيْخ ما جَرَى، وقد أَقْنَيْتُ يَدِي عَضًا، وأَسْنَانِي رَضًا، وإن لم أوف ما جَرَى فالْعُدْرُ أُمْدُ خطا، فَإِنْ كَانَ بِسَاطًا يَطْوِي، وحديثًا لَا يُرْوَى، فأُولَى مَنْ عَدَرَ اللّاعِب، وأُخْرَى مَنْ غَفَرَ الصّاحِب؛ وَإِنْ كَانَ مَبْتَأُ يَنْشُر، وسببًا يُذَكِّر، فَلْيَكُنِ الْعِقَابُ مَا كَانَ، إِنْ لَمْ يَكُنِ الْهَجْرَان، على أَنِّي قَدْ أَخَذْتُ قِسْطِي مِنَ الْعِقَاب، واستَقَدْتُ مِنْ رَدِّ الْجَوَاب، ما كَفَى وَأَوْجَعَ الْفَقَا؛ فَكَانَ مِنْ مُوجِبِ أَدَبِ الْخِدْمَةِ، إِبْقَاءُ الْحِشْمَةِ لَوْلِي النِّعْمَةِ، بِاحْتِمَالِ الشُّمِّ، والإِغْضَاءِ عَنِ الْخَصْم، لكنِّي أَحْدَقْتُ بِي ثَلَاثَةَ أَحْوَالٍ لَا يَسْلُمُ صَاحِبُهَا: اللَّعِبَ وَسُكْرَهُ، وَالْخَصْمَ وَهُجْرَهُ، وَالْإِدْلَالَ والثِّقَّةَ، وَهُنَّ اللّوَاتِي حَمَلْتَنِي عَلَى مَاءِ الْوَجْهِ فَهَرَقْتُهُ، وَحِجَابِ الْحِشْمَةِ فَخَرَقْتُهُ، وقد منعني الْآنَ قَرْطُ الْحَبَاءِ مِنْ وَشَكِ اللَّفَاءِ، وَعَهْدِي بِوَجْهِهِ وَهُوَ أَصْفَقُ مِنَ الْعُدْمِ الَّذِي حَمَلْنِي عَلَى جَهْلِهِ، وَأَوْقَعَ مِنَ الدَّهْرِ الَّذِي أَحْجَوْنِي إِلَى أَهْلِهِ؛ لَكِنْ النِّعْمَ إِذَا تَوَالَتْ عَلَى وَجْهِهِ رَفَقَتْ قِسْرَتُهُ، وَأَلَانَتْ بَشْرَتَهُ؛ وَأَنَا مُنْتَظَرٌ مِنَ الْجَوَابِ مَا يَرِيشُ جَنَاحِي إِلَى خِدْمَتِهِ، فَإِنْ رَأَى أَنْ يَكْتُبَ فَعَلَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وله رقعة إلى أبي علي بن مشكويه أولها^(١):

وَبَا عَزَّ إِنِّ وَاشٍ وَشَى بِي عِنْدَكُمْ فَلَا تُمْهِلِيهِ أَنْ تَقُولِي لَهُ: مَهْلًا
كَمَا لَوْ وَشَى وَاشٍ بِعِزَّةٍ عِنْدَنَا لَقُلْنَا: نَزَحْزَحْ لَا قَرِيبًا وَلَا أَهْلًا

بلغني أطال الله بقاء الشيخ أن فيضة كَلْب^(٢) وافته بأحاديث لم يُعَرِّها الحقُّ نورَه، ولا الصدقُ ظهورَه، وأنه - أدام الله عزَه - أذن لها على مَجَالِ أذنه، وفسح لها فناء ظَنِّه، ومعاذ الله أن أقولها، وأستجيز معقولها؛ بل قد كان بيني وبين الشيخ عِتَابٌ لَا يَنْزِلُ كَتْفَهُ وَلَا يَجْدِف، وحديث لَا يَتَعَدَّى النَّفْسَ وَضَمِيرَهَا، وَلَا يَعْرِفُ الشُّفَةَ وَسَمِيرَهَا، وَعَرَبِدَةٌ كَعَرَبِدَةِ أَهْلِ الْفَضْلِ، لَا تَنْجَاوِزُ الدَّلَالَ وَالْإِدْلَالَ، وَوَحْشَةٌ لَا يَشْكُفُهَا عِتَابٌ لِحَظَّةٍ، كَعِتَابِ جَحْظَةٍ، فَسَبْحَان مَنْ رَبَّى هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى صَارَ أَمْرًا، وَتَأَبَّطَ شَرًّا، وَأَوْجَبَ عُذْرًا، وَأَوْحَشَ حُرًّا. وَسَبْحَان مَنْ جَعَلَنِي فِي حَيْزِ الْعَدُوِّ أَشِيمَ بَارِقَتِهِ، وَأَتَخَوَّفُ صَاعِقَتِهِ، وَأَنَا الْمُسَاءُ إِلَيْهِ، وَالْمَجْنِيُّ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ مِنْ بُلِّيٍّ مِنَ الْأَعْدَاءِ بِمِثْلِ مَا بُلِّيتُ، وَرُمِي مِنَ الْحَسَدِ بِمَا رُمِيتُ، وَوَقَفَ مِنَ التَّوَحُّدِ وَالْوَحْدَةِ حَيْثُ وَقَفْتُ، وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَكَارِهِ مَا وَصَفْتُ، اعْتَذِرُ

(١) البينان لكثير عزة، الشاعر الاموي المشهور.

(٢) الفِیضة: قطعة صغيرة من العظم، والكلام على التشبيه.

مظلوماً وضحكاً مشتوماً، ولو علم الشيخ عدد أولاد الجدد، وأبناء العدد، بهذا البلد، ممن ليس له همٌّ إلا في سعاية أو شكاية أو حكاية أو نكاية، لضنَّ بعشرة غريب إذا بدر، وبعيد إذا حضر، ولصان مجلسه عمن لا يصونه عما رقي إليه، وهبني قد قلت ما حكى، أليس الشاتم من أسمع، والجاني من أبلغ؟ فقد بلغ من كيد هؤلاء القوم أنهم حين صادفوا من الأستاذ نفساً لا تستفز، وجلاً لا يهز، وشوا إلى خدمه بما أرثوا نارههم^(١)، وورد عليّ ما قالوه فما لبثت أن قلت:

فَإِنْ تَكُ حَرْبٌ بَيْنَ قَوْمِي وَقَوْمِهَا فَإِنِّي لَهَا فِي كُلِّ نَائِبَةٍ سَلَمٌ

وليعلم الأستاذ أن في كبد الأعداء منى جَمرة، وأن في أولاد الزنا عندنا كثرة، وقصارهم نارٌ يَشْبُونُها، وعقرب يُدَبِّبُونُها، ومَكيدة يَطْلُبُونُها، ولولا أن العذر إقرار بما قيل، وأكره أن أستقيل، لبسطت في الاعتذار شاذروانا، ودخلت في الاستقالة ميداناً، لكنه أمر لم أضغ أوله، فلم أتدارك آخره.

وقد أبى الشيخ أبو محمد - أيده الله - إلا أن يوصل هذا الشر الفاتر بنظم مثله فهأكه يَلْعَنُ بعضه بعضاً:

مَوْلَايَ إِنْ عُدْتُ وَلَمْ تَرْضَ لِي	أَنْ أَشْرِبَ الْبَارِدَ لَمْ أَشْرَبْ
أَمْتَطِ خَدِي وَاتَّعِلْ نَازِرِي	وَصِدِّ بِكَفِّي حُمَةَ الْعَقْرِ ^(٢)
تَاللَّهِ مَا أَنْطَقَ عَنْ كَاذِبٍ	فِيكَ، وَلَا أَبْرِقُ عَنْ خُلْبٍ ^(٣)
فَالصَّفْوُ بَعْدَ الْكَذِبِ الْمُفْتَرَى	كَالصَّخْرِ عُقْبَ الْمَطَرِ الصَّيْبِ ^(٤)
إِنْ أَجْتَنِ الْغَلْظَةَ مِنْ سَيْدِي	فَالشُّوكُ عِنْدَ الشَّرِّ الطَّيِّبِ
أَوْ يُفْسِدِ الزُّورُ عَلَى نَاقِدِ	فَالْخَمْرُ قَدْ يَعْصِبُ بِالثَّيِّبِ

ولعل الشيخ أبا محمد - أيده الله - يقوم من الاعتذار بما قعد عنه القلم واللسان؛ فنعم رائد الفضل هو، والسلام.

- (١) أرثوا نارههم: أشعلوها وأججوها.
- (٢) الحُمَةُ: الحمى، وهي علة يستحضر بها الجسم، والحُمَةُ (بالكسر): المنية.
- (٢) الخُلْبُ: السحاب يومض برقه حتى يُزجى مطره، ثم يُخلف ويتشعق، يقال: برق خُلْب، وبرق الخُلْب، ويُشبه به من يعد ولا يُنجز.
- (٤) الصَّيْبُ: السحاب ذو الصوب، وهو المطر، وقيل: الصَّيْبُ: المطر.

فَقَرَّ مِنْ كَلَامِ سَهْلِ بْنِ هَارُونَ لِلْمَأْمُونِ

كَانَ الْمَأْمُونُ اسْتَقْلَلَ سَهْلَ بْنَ هَارُونَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ يَوْمًا، وَالنَّاسُ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ، فَتَكَلَّمَ الْمَأْمُونُ بِكَلَامٍ ذَهَبَ فِيهِ كُلُّ مَذْهَبٍ؛ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ كَلَامِهِ أَقْبَلَ سَهْلُ بْنُ هَارُونَ عَلَى الْجَمْعِ فَقَالَ: مَا لَكُمْ تَسْمَعُونَ وَلَا تَعُونَ، وَتُشَاهِدُونَ وَلَا تَفْقَهُونَ، وَتَفْهَمُونَ وَلَا تَتَعَجَّبُونَ، وَتَتَعَجَّبُونَ وَلَا تُنْصِفُونَ؟ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَيَقُولُ وَيَفْعَلُ فِي الْيَوْمِ الْقَصِيرِ مَا فَعَلَ بَنُو مَرْوَانَ فِي الدَّهْرِ الطَّوِيلِ، عَرَبَكُمْ كَعَجَمِكُمْ، وَعَجَمَكُمْ كَعِبِيدِكُمْ، وَلَكِنْ كَيْفَ يَعْرِفُ الدَّوَاءَ مَنْ لَا يَشْعُرُ بِالدَّاءِ؟ فَرَجَعَ الْمَأْمُونُ فِيهِ إِلَى الرَّأْيِ الْأَوَّلِ.

[مِنْ تَرْجُمَةِ سَهْلِ بْنِ هَارُونَ، وَأَخْبَارِهِ]

وَكَانَ أَبُو عَمْرٍو سَهْلُ بْنُ هَارُونَ مِنْ أَهْلِ مَيْسَانَ^(١) نَزَلَ الْبَصْرَةَ فَنَسِبَ إِلَيْهَا، وَهُوَ الْقَائِلُ:

يَا أَهْلَ مَيْسَانَ السَّلَامَ عَلَيْكُمْ	الطَّيِّبُونَ الْفَرَعُ وَالْجِذْمُ ^(٢)
أَمَّا السُّجُودُ فَقَضَاةٌ مُزَجَّجَتْ	ذَهَبًا وَأَيْدٍ سَحَاةٌ هُضْمُ ^(٣)
أُتْرِيذُ كُلِّبٌ أَنْ أُنَاسِبَهَا	قَدْ قُلَّ مِنْ كُلِّبٍ بِي الْعِلْمُ
أَجَعَلْتُ بَيْتًا فَوْقَ رَايِيَةِ	فَرَعُ الثُّجُومِ كَأَنَّهُ نَجْمُ
كَيْسَتْ شَعْرٍ وَسَطُ مَجْهَلَةٍ	بِفَنَائِهِ الْجِغْلَانُ وَالْبُهْمُ

وَكَانَ سَهْلٌ شَعُوبِيًّا، وَالشَّعُوبِيَّةُ: فِرْقَةٌ تَتَعَصَّبُ عَلَى الْعَرَبِ وَتَتَقَصُّهَا، وَكَانَ أَبُو عَبْدَةَ يُرْمَى بِذَلِكَ.

وَسَهْلٌ ظَرِيفٌ عَالِمٌ حَسَنُ الْبَيَانِ، وَلَهُ كُتُبٌ ظَرِيفَةٌ صَنَّفَهَا مَعَارِضًا لِلْأَوَائِلِ فِي كُتُبِهِمْ بِمَا لَا يَسْتَصْبُوهُ مِنْهُمْ، حَتَّى قِيلَ لَهُ «بَزْرَجْمِهِرُ الْإِسْلَامِ» وَقَالَ يَمْدَحُ رَجُلًا:

عَدُوُّ تِلَادِ الْمَالِ فِيمَا يُنْوِيهِ	مَنْوَعٌ إِذَا مَا مَنَعَهُ كَانَ أَحْزَمًا
مُذَلِّلُ نَفْسٍ قَدْ أَبَتْ غَيْرَ أَنْ تَرَى	مَكَارِهِ مَا تَأْتِي مِنَ الْعَيْشِ مَغْنَمًا

(١) مَيْسَانَ: بَلَدَةٌ بَيْنَ وَاسِطٍ وَالْبَصْرَةِ.

(٢) الْجِذْمُ: الْأَصْلُ، وَجِذْمُ الرَّجُلِ: أَهْلُهُ وَعَشِيرَتُهُ، وَالْجَمْعُ أَجْذَامٌ وَجِذُومٌ.

(٣) سَحَاةٌ: دَائِمَةُ الصَّبِّ. وَالْهُضْمُ: جَمْعُ هِضْمٍ، وَالْبَيْدُ الْهَضُومُ: الَّتِي تَجُودُ بِمَا لَدَيْهَا.

وهذا نظير قوله في كتاب «ثُعْلَة وَعُفْرَة» الذي عارض به كليله ودمته: اجعلوا أداء ما يَجِبُ عليكم من الحقوق مقدساً قبل الذي تجودون به من تفضُّلكم؛ فإن تَقْدِيمَ النافلة مع الإبطاء عن الفريضة مُظَاهِر على وَهْنِ العقيدة، وتقصير الروية، ومُضِرٌّ بالتدبير، مخلٌّ بالاختيار، وليس في نفع محمديته عَوْضٌ من فساد المروءة ولزوم النقيصة. وكتابه هذا مملوء حكماً وعِلْماً. وسهل هو القائل:

تَقَسَّمَنِي هَمَّانٍ قَدْ كَسَفَا بِأَلِي
هُمَا أَذْرِيَا دَمْعِي، وَلَمْ تَذَرِ عِبْرَتِي
وَلَا قَهْوَةً لَمْ يَبْقَ مِنْهَا عَلَى الْمَدَى
تَحَلَّلَ مِنْهَا جِرْمُهَا وَتَمَاسَكْتُ
وَلَكِنَّمَا أَبْكِي بَعَيْنٍ سَخِينَةٍ
فِرَاقُ خَلِيلٍ لَا يَقُومُ بِهِ الْأَسَى
فَوَا حَسْرَتِي حَتَّى مَتَى الْقَلْبُ مُوجَعٌ
وَمَا الْفَضْلُ إِلَّا أَنْ تَجُودَ بِنَائِلِ

وهو القائل:

إِذَا امْرُؤٌ ضَاقَ عَنِّي لَمْ يَضُقْ خُلُقِي
لَا أَطْلُبُ الْمَالَ كَيْ أَغْنَى بِفَضْلَتِهِ
وَأُنْشِدُ لَهُ الْجَاحِظُ يَهْجُو رَجُلًا:

مَنْ كَانَ يَعْمُرُ مَا شَادَتْ أَوَائِلُهُ
مَا كَانَ فِي الْحَقِّ أَنَّ تَحْوِي فَعَالَهُمْ
فَأَنْتَ تَعْمُرُ مَا شَادُوا وَمَا سَمَكُوا^(١)
وَأَنْتَ تَحْوِي مِنَ الْمِيرَاثِ مَا تَرَكُوا

(١) اللبلال: الوسواس.

(٢) الذَّيَالُ: المتبخر في مشبه، الطويل الذيل.

(٣) الجِرْمُ (بالكسر): الجسد، والجمع: أَجْرَامٌ وَجُرُومٌ وَجُرْمٌ.

(٤) الإفضال: الإنعام والإحسان.

(٥) النائل: العطاء.

(٦) سمكوا: رفعوا.

وقال محمد بن زياد الزياتي: وَجَدْتُ^(١) على سهل بن هارون في بعض الأمر، فهجوته، فكتب إلي: أما بعد فالسلامُ على عهدك وداعَ ذي ضَمَنٍ بك، في غير مَقْلِيَةٍ لك^(٢)، ولا سَلَوَةٍ عنك، بل استسلامٌ لِلْبَلَوَى في أمرك، وإقرارٌ بالمعجزة في استعطافك، إلى أوان فيئتك^(٣)، أو يجعل الله لنا دولة من رجعتك، والسلام.

وكتب في أسفل الكتاب:

إِنْ تَعَفُّ عَنْ عَبْدِكَ الْمُسِيءِ فِي عَفْوِكَ مَأْوَى لِلْفَضْلِ وَالْمِنَّةِ
أَتَيْتُ مَا أَسْتَحِقُّ مِنْ خَطِيئَةٍ فَجُذِّ بِمَا تَسْتَحِقُّ مِنْ حَسَنَةٍ

[من عِظَاتِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ]

وقال الحسن البصري رحمه الله في يوم [فطر] وقد رأى الناس وهياتهم: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ رَمَضَانَ مَضْمَرًا لِخَلْقِهِ، يَسْتَبِقُونَ فِيهِ بِطَاعَتِهِ إِلَى مَرْضَاتِهِ، فَسَبَقَ قَوْمٌ فَفَازُوا، وَتَخَلَّفَ آخَرُونَ فَخَابُوا، فَالْعَجَبُ مِنَ الضَّاحِكِ اللَّاعِبِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي يَفُوزُ فِيهِ الْمُحْسِنُونَ، وَيَخْشَرُ فِيهِ الْمَبْطُلُونَ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كَشَفَ الْغَطَاءَ لَشُغِلَ مُحْسِنٌ بِإِحْسَانِهِ وَمُسِيءٌ بِإِسَاءَتِهِ.

ونظر إلى قوم منصرفين من صلاة الْفِطْرِ يتدافعون ويتضاحكون، فقال: اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ! إِنْ كَانَ هَؤُلَاءِ قَدْ تَقَرَّرَ عَنْدهُمْ أَنْ صَوْمَهُمْ قَدْ تُقْبَلُ فَمَا هَذَا مُحَلُّ الشَّاكِرِينَ، وَإِنْ عَلِمُوا أَنَّهُ لَمْ يَتَقَبَّلْ فَمَا هَذَا مُحَلُّ الْخَائِبِينَ.

وكان الحسن من الخطباء النَّسَّاكِ الْفُقَهَاءِ الْأَجْوَادِ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ تَابِعِي أَفْضَلَ مِنْهُ.

هذا قول أهل العراق جميعاً، وأهل الحجاز يقدمون سعيد بن المسيب عليه، وكان سعيدٌ أَحْسَنَ مِنَ الْحَسَنِ وَرَعَاءً، وَأَشَدَّ النَّاسِ حَذَرًا، وَأَقْلَهُمْ كَلَامًا. وكان الحسن لا يدع أن يتكلم بما هَجَسَ فِي نَفْسِهِ، وَجَاشَ فِي صَدْرِهِ.

(١) وَجَدَ عَلَيْهِ مَوْجِدَةً: غَضِبَ.

(٢) الْمَقْلِيَّةُ: الْبَغْضُ.

(٣) الْفَيْئَةُ: الرَّجْعَةُ، وَالْحَيْنُ، يُقَالُ: جَاءَ بَعْدَ فَيْئَةٍ.

وعلى ذكر الحسن شهر رمضان نقول:

ألفاظ لأهل العصر، في التهنة بإقبال شهر رمضان

مع ما يتصل بها من الأدعية

ساق الله تعالى إليك سعادة إلهاله، وعرفك بركة كماله. قسم الله لك من فضله، ووفقك لفرضه ونفله. لقاءك الله ما ترجوه، ورفقك إلى ما تحبّه فيما تكلوه. جعل الله ما أظنك من هذا الصوم مقروناً بأفضل القبول، مؤذناً بذكر البنية ونجح المأمول، ولا أخلاك من بر مرفوع، ودعاء مسموع. قابل الله تعالى بالقبول صيامك، وبغظيم المثوبة تهجدك وقيامك. عرفك الله من بركاته ما يُربي على عدد الصائمين والقائمين، ووفقك الله تعالى لتحصيل أجر المتهجدين. أسأل الله تعالى أن يضاعفه بمنه لك، ويجعله وسيلة بقبوله إلى مرضاته عنك. أعاد الله إلى مولاي أمثاله، وتقبل فيه أعماله، وأصلح في الدين والدنيا أحواله، وبلغه منها آماله. أسعده الله بهذا الشهر، ووفاه فيه أجر المثلوبة والأجر، ووفر حظّه من كل ما يرتفع من دُعاء الدّاعين، وينزل من ثواب العاملين، وقبل مساعيه وزكاه، ورفع درجاته وأعلاها، وبلغه من الآمال مُتتهاها، وظفر بأبعدها وأقصاها.

أخلاق المؤمن

وقال الحسن: من أخلاق المؤمن قوة في دين، وحزم في لين، وحِرص على العلم، وقناعة في فقر، ورحمة للمجهود، وإعطاء في حق، وبر في استقامة، وقفة في يقين، وكسب في حلال.

صفة الأخ الصادق

وقال محمد بن سليمان لأبي السماك: بلغني عنك شيء، قال: لا أباليه، قال: ولم؟ قال: لأنه إن كان حقاً غفرته، وإن كان باطلاً كذبتّه.

وقال محمد بن صبيح المعروف بابن السماك: خير الإخوان أقلهم مصانعة في النصيحة، وخير الأعمال أحلاها عاقبة، وخير الثناء ما كان على أفواه الأخيار، وأشرف السلطان مما لم يخالطه البطر، وأغنى الأغنياء من لم يكن للحِرص أسيراً، وخير الإخوان من لم يخاصم، وخير الأخلاق أعونها على الورع، وإنما يختبر وُدّ الرجال عند الفاقة والحاجة.

صفة الرجل الكامل

ووصف بعضُ البلغاء رجلاً فقال: إنه بسيط الكف، رَحْبُ الصَّدْر، مَوْطَأُ الأُكْناف^(١)، سَهْلُ الخَلْق، كريم الطباع، عَيْثُ مُعَيْثٍ، وَيَحْرُ زُخُور^(٢)، ضَحُوكُ السِّنِّ، بشير الوجهِ، بادي القبول، غير عبّوس، يستقبلك بطلاقة، ويحييك ببشر، وَيَسْتَدْبِرُكَ بِكْرَمِ غَيْبٍ، وجميل سرّاً، تبهجك طلاقته، ويرضيك بشره، ضَحَّاك على مائدته، عَبْدٌ لضيافته، غير ملاحظ لأكيله، بَطِينٌ من العقل، خَمِيصٌ^(٣) من الجهل، راجح الحِلْم، ثاقب الرَّأْي، طيّب الخلق، مُحَصِّنُ الضَّرِيَّة، مِعْطَاءٌ غير سائل، كاسٍ من كل مَكْرَمَة، عارٍ من كل ملامة، إِنْ سُئِلَ بِذَلِّ، وَإِنْ قَالَ فَعَلَّ.

قال أبو الفتح كشاجم:

مِزَاجُكَ لِلْمُتَنَّى مِنَ الْعُودِ وَالصَّبَا
فَلَوْ كُنْتَ وَرْدًا كُنْتَ وَرْدًا مُضَاعَفًا
وَلَوْ كُنْتَ لَحْنًا كُنْتَ تَأْلِيفَ مَعْبِدٍ
مِنَ الرِّيحِ وَالصَّافِي الرِّيقِ مِنَ الْخَمْرِ
وَلَوْ كُنْتَ طَيْبًا كُنْتَ مِنْ عَنَبِ الشَّحْرِ^(٤)
وَلَوْ كُنْتَ عُودًا مَا افْتَقَرْتَ إِلَى زَمَرٍ^(٥)

وقال أعرابي:

أَلَا حَبَاذَا الْبُرْدُ الَّذِي تَلْبَسِيهِ
فَلَوْ كُنْتَ مَاءً كُنْتَ مَاءَ غَمَامَةٍ
وَلَوْ كُنْتَ لَهْوًا كُنْتَ تَغْلِيلَ سَاعَةٍ
وَلَوْ كُنْتَ لَيْلًا كُنْتَ قَمَرَاءَ جُنُبٍ
وَيَا حَبَاذَا مَنْ بَاعَكَ الثَّرَدُ مِنْ تَجَرٍ^(٦)
وَلَوْ كُنْتَ دُرًّا كُنْتَ مِنْ دُرَّةٍ يَكْرٍ
وَلَوْ كُنْتَ نَوْمًا كُنْتَ إِغْفَاءَةَ الْفَجْرِ
نُحُوسَ لَيْالِي الشَّهْرِ أَوْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ

(١) مَوْطَأُ الأُكْناف: دَمَتْ كريم مضياف، لا يحتمل قاصده من زيارته عَتَا.

(٢) زُخُور: من زَخَرَ النهر أو البحر زَخْرًا، وَزُخُورًا، وَزَخِيرًا: طما وفاض.

(٣) خَمِيص: ضامر.

(٤) الشَّحْر: بطن الوادي، ومجرى الماء.

(٥) مَعْبُد: هو أبو عباد، معبد بن وهب المدني: نابغة الغناء العربي في العصر الأموي. نشأ في

المدينة يرعى الغنم لمواليه، ولما ظهر نبوغه في الغناء، أقبل عليه كبراء المدينة. ثم رحل إلى

الشام، واتصل بأمرائها وارتفع شأنه، وعاش طويلاً إلى أن انقطع صوته، ومات في عسكر

الوليد بن يزيد سنة ١٢٦ هـ / ٧٤٣ م. (الزركلي، الأعلام: ٧ / ٢٦٤).

(٦) التَّجَرُ: اسم جمع، واحده تاجر.

فهرس المحتويات

٥	ألفاظ لأهل العصر في صفات الطعام ومقدماته وموائده وآلاته
٦	لابن الرومي في وصف طعام
٧	مقامة لبديع الزمان فيها وصف طعام
٩	لعلي بن يحيى المنجم
٩	لابن الرومي يصف اللوزينج
١١	نهم ابن الرومي ووجه السمك
١٢	من الناجم إلى ابن الرومي
١٢	لابن الرومي يصف العنب الرازقي
١٣	ألفاظ تناسب هذا النحو لأهل العصر في صفات الفواكه والثمار
١٤	بعض ما جاء في وصف الليل
١٤	لأعرابي في وصف ليل لقاء
١٤	لأعرابي يصف وفاءه لصحبه
١٥	لجريد يصف يوم صيد
١٥	لإبراهيم بن العباس يصف قصر الليل
١٥	للأصبهاني يصف يوم لهو
١٦	لابن المعتز يصف ليل سرور
١٦	وصف منج
١٦	بين الرشيد وعبد الملك بن صالح
١٦	لأبي تمام
١٧	للحاتمي
١٧	ألفاظ في هذا المعنى لأهل العصر
١٧	سعيد بن هريم، وصلته بالفضل بن سهل
١٧	سبب صلته به
١٨	للتميمي يمدح الفضل بن سهل
١٨	لإبراهيم بن العباس يمدح الفضل
١٨	لابن الرومي يمدح إبراهيم بن المنبر

- ١٩ لابن الرومي يمدح ابن طاهر
 ١٩ من ترجمة الفضل بن سهل
 ٢٠ مختارات من كلام الفضل بن سهل
 ٢٠ من محمد بن علي إلى محمد بن يحيى بن خالد
 ٢٠ جواب يحيى بن خالد
 ٢١ رجل يريد أن ينصح المهدي
 ٢١ بعض توقعات الفضل بن سهل
 ٢٢ بعض أوصاف الخيل
 ٢٢ لابن القرية
 ٢٢ لعبد الله بن طاهر
 ٢٢ رجل يريد شراء فرس
 ٢٢ لمحمد بن الحسن بن الحرون
 ٢٣ أبيات لتأبط شراً
 ٢٤ عقبة بن سنان يصف خيلاً أهداها عمرو بن العاص لمعاوية
 ٢٤ للمناذبة الجعدي
 ٢٥ لبعض العرب
 ٢٥ لأعرابي
 ٢٥ أعرابي يصف خيل بني يربوع
 ٢٦ لأبي تمام يصف فرساً
 ٢٧ للبحري يصف فرساً
 ٢٨ لإسحاق بن خلف يصف فرس أبي دلف
 ٢٨ لأبي الفتح كشاجم
 ٢٩ لابن المعتز
 ٢٩ لأبي الفتح أيضاً
 ٢٩ لابن المعتز
 ٣٠ لأعرابي مولد
 ٣٠ لابن المعتز أيضاً
 ٣١ لعلي الإيادي
 ٣١ لأبي العباس الناشيء
 ٣١ لأبي منصور الثعالبي
 ٣٢ لابن هانيء يصف خيل المعز
 ٣٢ لابن هانيء أيضاً

- ٣٤ لعلي بن محمد الإيادي
- ٣٥ لأبي الطيب المتنبي
- ٣٦ مقامة لبديع الزمان في وصف فرس
- ٣٩ قولهم في الوعد ومنزلة إنجازه
- ٣٩ بين أبي القاسم المسعودي وعيسى بن موسى
- ٣٩ بين منصور بن زياد ويحيى بن خالد
- ٤٠ بين المهدي وابن دأب
- ٤٠ لأبي قابوس يمدح يحيى بن خالد
- ٤٠ لأبي الطيب المتنبي
- ٤١ لأبي علي البصير في الفضل بن يحيى
- ٤١ لابن الرومي
- ٤٢ من عرف قدر النعمة استدامها
- ٤٢ بين سليمان بن عبد الملك وأبي وائلة حاجبه
- ٤٢ يونس بن المختار وحاجب المأمون
- ٤٢ بين رجل والمعلّى بن أبوب
- ٤٣ بين المنصور والحارث بن حسان
- ٤٣ بين المأمون وعبد الله بن طاهر
- ٤٣ لأبي نواس في المعنى
- ٤٤ للناسىء يعارض أبا نواس
- ٤٤ لابن الرومي
- ٤٤ ألفاظ لأهل العصر في العجز عن الشكر لتكاثر الإنعام والبر
- ٤٥ لأبي الفتح البستي
- ٤٥ بين أبي العتاهية وعمرو بن العلاء
- ٤٧ من أخبار أبي العتاهية
- ٤٧ ولوعه بعتبة
- ٤٩ المهدي يضرب أبا العتاهية مائة سوط
- ٤٩ من شعره في عتبة
- ٥٠ بين المهدي وأبي العتاهية
- ٥١ الرشيد يحبسه على ترك الشعر
- ٥٢ بشار يمدح عمرو بن العلاء
- ٥٢ لأبي سعيد المخزومي
- ٥٢ لأبي الطيب المتنبي

- ٥٣ لابن هانئ
 ٥٣ رجع إلى عمرو بن العلاء
 ٥٣ بين عمرو بن العلاء وأبي العتاهية
 ٥٥ لأبي العتاهية
 ٥٥ لأبي نواس
 ٥٦ ألفاظ لأهل العصر في الشكر بدلالة الحال
 ٥٦ لأبي الفضل الميكالي
 ٥٦ لأبي الفتح البستي
 ٥٧ من أخبار نصيب وشعره
 ٥٧ بين نصيب والفرزدق
 ٥٩ من المديح
 ٥٩ لسحيم
 ٥٩ للمتنبي
 ٦٠ بين أبي تمام وابن الزيات
 ٦١ لابن الزيات يمدح الحسن بن سهل
 ٦١ لأبي تمام يمدح ابن أبي دواد
 ٦٣ من أخبار ابن أبي دواد
 ٦٣ غلوه في التعصب لإياد
 ٦٤ علمه وعداوته لابن الزيات
 ٦٤ أصله
 ٦٤ غضبه على أبي تمام ثم رضاه عنه
 ٦٦ بين ابن أبي دواد والحاجب أبي منصور
 ٦٧ من براعة خالد بن عبد الله القسري
 ٦٧ أبو تمام يعتذر للمعتصم عن سابق مدحه للأفشين
 ٦٨ المنافقون في عهد النبي ﷺ
 ٦٩ عبد الله بن أبي سرح
 ٦٩ المختار بن أبي عبيد الخارجي
 ٦٩ بين أمية بن خالد وعبد الله بن الأهم
 ٧٠ ويتعلق بهذه المقامة فصل في غرائب التكاثر
 ٧٠ من حمدون بن نهران لعامل عزل عن عمله
 ٧٠ من ابن مكرم لنصراني أسلم
 ٧٠ بعض ما يستحسن تركه وإن كان حلالاً

- ٧١ ما يقال لمن تزوجت أمه
- ٧٢ من أبي الفضل بن العميد لمن تزوجت أمه
- ٧٢ ألفاظ لأهل العصر في التهاني بالبنات
- ٧٣ بعض ما لا يُمدح النساء به
- ٧٣ لابن الرومي
- ٧٤ للمتنبي
- ٧٤ رجل يمدح زبيدة أم الأمين
- ٧٥ لكثير عزة
- ٧٥ لكثير
- ٧٥ عزة تفضل الأحوص على كثير
- ٧٧ من الأماني
- ٧٧ لأبي صخر الهذلي
- ٧٨ بعض أخبار كثير وعزة
- ٧٨ حمق كثير
- ٧٩ كان رافضياً
- ٧٩ بين كثير وعبد الملك بن مروان
- ٨٠ لقيس بن الملوح
- ٨٠ من جيد شعر كثير
- ٨١ كان كثير قصيراً دميماً
- ٨٢ قولهم في الطول والقصر
- ٨٢ لشاعر قديم
- ٨٣ لابن الرومي
- ٨٤ لعنترة العبيسي
- ٨٤ لأبي نواس
- ٨٥ عود إلى أخبار كثير عزة
- ٨٥ كثير عند عبد العزيز بن مروان وهو مريض
- ٨٥ نقد ابن سلام الجمحي بعض شعر كثير
- ٨٦ فصول قصار
- ٨٦ شذور لأهل العصر في معاني شتى
- ٨٦ من كلام قابوس بن وشمكير
- ٨٧ للثعالبي يصف شمس المعالي
- ٨٩ مدائح في شمس المعالي ابن وشمكير

- ٨٩ من رسائل بديع الزمان
- ٩١ من أخبار البرامكة
- ٩٢ ثمامة بن أشرس يصف جعفر بن يحيى
- ٩٢ سهل بن هارون يصف يحيى وابنه جعفر
- ٩٣ توقيع لجعفر بن يحيى
- ٩٣ بين جعفر بن يحيى ومروان بن أبي حفصة
- ٩٤ من قصيدة لزهير بن أبي سلمى
- ٩٥ تعليق عليها لقدامة بن جعفر
- ٩٧ لمحمد بن مئاذر في البرامكة
- ٩٧ مثل من التجنيس
- ٩٧ لأبي الفضل الميكالي
- ١٠٠ لأبي الفتح البستي
- ١٠٣ فقر في ذكر العلم والعلماء
- ١٠٤ استعارات فقهية تليق بهذا المكان
- ١٠٤ بين أبي تمام وابن أبي دواد
- ١٠٤ بين طاهر بن عبد الله وابن أبي تمام
- ١٠٥ ولاية طاهر بن عبد الله بن طاهر خراسان، وسببها
- ١٠٦ بين ابن الرومي وابن ثوبة
- ١٠٦ بين المعتصم وأبي تمام
- ١٠٧ لأبي الفضل الميكالي
- ١٠٨ لأبي الفتح كشاجم
- ١٠٨ لبديع الزمان الهمذاني
- ١٠٩ أبو علي البصير وشيء من أدبه
- ١٠٩ بين طالبي وأبي علي البصير
- ١١٠ بين أبي علي وبعض الرؤساء
- ١١٠ من شعر أبي علي البصير
- ١١١ من شعر الفتح بن خاقان
- ١١١ كتاب إلى عبيد الله بن يحيى
- ١١٢ كتاب آخر إلى عبيد الله بن يحيى
- ١١٢ بعض ما يبعث على الرحيل
- ١١٢ من الوصايا لمن اعتزم السفر
- ١١٣ فقر في مدح السفر

- ١١٤ نقيض ذلك في ذم السفر والغربة .
- ١١٥ العزل والإبعاد والحجب بعد التقريب والمؤانسة .
- ١١٥ بين المهدي وأبي عبيد الله .
- ١١٥ بين المأمون والفضل بن الربيع .
- ١١٥ بين المنصور وأبي مسلم الخراساني .
- ١١٦ جملة من شعر أبي الفتح كشاجم في الأوصاف .
- ١١٦ من قوله في وصف أجزاء من القرآن الكريم .
- ١١٧ من قوله في وصف تخت حساب .
- ١١٧ من قوله يصف بركاراً .
- ١١٨ من قوله يصف بيكناً .
- ١١٩ من قوله يصف اسطرلاباً .
- ١٢٠ أبو إسحاق الصايي يهدي اسطرلاباً إلى عضد الدولة ويبعث معه بشعر .
- ١٢١ من أوصاف النساء .
- ١٢١ لابن الرومي .
- ١٢١ لبعض الشعراء يصف القلم .
- ١٢١ قلب المعنى ليس من السرقة .
- ١٢٢ لشاعر يصف نساء بالعبالة والسمن .
- ١٢٢ لخالد بن يزيد بن معاوية .
- ١٢٢ للنابغة .
- ١٢٣ لأبي تمام الطائي .
- ١٢٣ لابن أبي زرعة الدمشقي .
- ١٢٣ للمتنبي .
- ١٢٣ لأبي عثمان الناجم .
- ١٢٤ لمحمد بن متاخر يهجو خالد بن طليق .
- ١٢٤ لمسلم بن الوليد .
- ١٢٤ للمتنبي .
- ١٢٤ لأبي تمام .
- ١٢٤ للبحري .
- ١٢٥ لأبي تمام .
- ١٢٥ للبحري .
- ١٢٥ لأبي تمام .
- ١٢٥ للبحري .

- لابن الرومي ١٢٦
 لابن المعتز ١٢٦
 من المعاني ما لا ينقلب ١٢٦
 بعض ما أخذ على أبي نواس ١٢٦
 قطعة من شعر أهل العصر في ذكر النجوم ١٢٨
 لابن دوست ١٣٠
 لمسكويه ١٣٠
 للخوارزمي ١٣١
 للصولي ١٣١
 لابن المعتز ١٣١
 الأصمعي وبعض الأعراب ١٣٢
 فقر من كلام الأعراب في ضروب مختلفة ١٣٤
 بعض أخبار أبي نواس ١٤٤
 المأمون يعير أخاه الأمين بصحبة أبي نواس ١٤٤
 ضرب من الرياء ١٤٧
 من خمريات أبي نواس ١٤٧
 من أخبار بشار ١٥٠
 احتذاء أبي نواس على مثاله ١٥٠
 المهدي يأمر بشاراً بترك الغزل ١٥١
 من شعر بشار في الغزل ١٥٣
 لعلي بن الجهم ١٥٥
 منزلة شعر بشار ومقداره ١٥٦
 ولاؤه ١٥٦
 شيء من خبر واصل بن عطاء المعتزلي ١٥٧
 عود إلى أخبار بشار بن برد ١٥٨
 بين بشار وعقبة بن ربيعة بن العجاج ١٥٨
 بين بشار ويزيد بن منصور الحميري عند المهدي ١٦٠
 بشار وجواري المهدي ١٦٠
 كلمات مأثورة ١٦٠
 فقر في الكذب لغير واحد ١٦٠
 جزاء الشكر ١٦٢
 بين الحسن بن سهل والمأمون ١٦٢

- ١٦٢ من خطب النكاح
- ١٦٢ خطبة للمأمون
- ١٦٣ ما يستحب من الخاطب والمخطوب إليه
- ١٦٣ الكتب والأقلام والخط
- ١٦٣ لابن المعتز
- ١٦٤ وله في القاسم بن عبيد الله
- ١٦٤ لبعض البلغاء
- ١٦٤ للمتنبي
- ١٦٤ لابن المعتز
- ١٦٥ مفاخرة بين صاحب سيف وصاحب قلم
- ١٦٥ للمتنبي
- ١٦٥ للنوبيختي
- ١٦٦ لابن الرومي
- ١٦٦ للبستي
- ١٦٦ لطلحة بن عبيد الله
- ١٦٧ لمحمود الأصبهاني
- ١٦٧ لأحمد بن جرار
- ١٦٨ لأيي تمام
- ١٦٨ لتميم بن المعز الفاطمي
- ١٦٩ الصدق في النصيحة
- ١٦٩ بين أحمد بن يوسف وغسان بن عباد
- ١٧٠ من ترجمة أحمد بن يوسف ومثله في البلاغة
- ١٧٢ ألفاظ لأهل العصر في ذم المغنين
- ١٧٣ عود إلى أحمد بن يوسف
- ١٧٥ ألفاظ لأهل العصر في صفات الثقلاء
- ١٧٧ من ترجمة جمحظة البرمكي ومن شعره
- ١٨٠ السكاكين
- ١٨٠ بين المأمون وأحمد بن يوسف
- ١٨١ ألفاظ لأهل العصر في صفات السكاكين
- ١٨١ السمر والمنادمة
- ١٨١ بين محمد بن أنس والقاسم بن صبيح
- ١٨١ شرط المنادمة

- ١٨٢ بين الزبيدي والمأمون
- ١٨٣ بين كوران والشريف الرضي
- ١٨٣ بين أحمد بن جدار وعمر بن أيوب
- ١٨٤ من إسحاق الموصلي إلى بعض الجلة
- ١٨٤ للمسري الموصلي
- ١٨٥ لابن المعتز
- ١٨٥ للحسن بن محمد الكاتب
- ١٨٥ ومن ألفاظهم في الاستدعاء
- ١٨٦ ولهم في استدعاء الشراب
- ١٨٦ ولهم في الكناية عن الشراب
- ١٨٦ من الحسن بن سهل إلى الحسن بن وهب
- ١٨٧ من الحسن بن وهب إلى الحسن بن سهل
- ١٨٧ لكشاجم
- ١٨٨ فقر للنبيذيين
- ١٩٠ ومن ألفاظهم في صفات مجالس الأنس وآلات اللهو وذكر الخمر
- ١٨٦ من رسائل بديع الزمان الهمذاني
- ١٩٦ إلى أبي عدنان بن محمد الضبي
- ١٩٧ كتاب منه لبعض إخوانه
- ٢٠١ كتاب منه لرئيس هراة
- ٢٠٣ كتاب منه للإمام سهل بن محمد
- ٢٠٤ كتاب منه للإسماعيلي
- ٢٠٥ ومن إنشائه في مقامات أبي الفتح الإسكندري
- ٢٠٥ المقامة الفزارية للبديع
- ٢٠٦ من طرف الأدب
- ٢٠٦ بين عبد الله بن الزبير بن العوام وشاعر
- ٢٠٧ فرس ابن الزيات
- ٢٠٨ المزاح
- ٢٠٨ بين الحجاج وابن القرية
- ٢٠٩ فقر في هذا النحو لأهل العصر وغيرهم
- ٢٠٩ لابن المعتز
- ٢٠٩ لابن القرية
- ٢٠٩ الطيرة والزجر

- ٢٠٩ في التفاضل لأبي حية النميري
- ٢١٠ مما ينسب لذي الرمة
- ٢١١ عادة الجاهلية والنهي عنها
- ٢١٢ للكيميت بن زيد
- ٢١٢ لابن كناسة
- ٢١٢ بين كثير ورجل نهدي
- ٢١٣ لجرير
- ٢١٣ لعوف الراهب
- ٢١٤ لأبي الشيص
- ٢١٤ ابن الرومي كان شديد الطيرة
- ٢١٦ الفرق بين الطيرة والفال
- ٢١٦ من ابن الرومي للقاسم بن عبيد الله
- ٢١٧ ابن الرومي يرثي ابنة المسيبي
- ٢١٧ وله يعزى علي بن يحيى في ابته
- ٢١٨ الرغبة في موت البنات
- ٢١٨ لعقيل بن علفة
- ٢١٨ لابن خلف البهراني
- ٢١٩ عود إلى تطير ابن الرومي
- ٢١٩ بين ابن الرومي وأبي الحسن الأخفش
- ٢٢٢ من آثار تطير ابن الرومي
- ٢٢٣ من ابن الرومي إلى ابن ثوبة في التطير
- ٢٢٦ رجع
- ٢٢٦ من مليح العيافة والزجر
- ٢٢٦ أبو نواس وبعض أصحابه
- ٢٢٧ لأبي تمام
- ٢٢٨ أحمد بن المدبر والجمال الشاعر المصري
- ٢٢٨ لأبي الفضل الميكالي في أهل مرو
- ٢٢٩ الثقيفي يصف رجلاً يرتاح إليه
- ٢٢٩ ابن أبي دواد يعفو عن الجاحظ
- ٢٢٩ ابن أبي دواد والجاحظ
- ٢٣٠ عتبة بن أبي سفیان وأعرابي
- ٢٣٠ بين الجاحظ وابن الزيات

- ٢٣١ من كلام علي رضي الله عنه في أعجب ما في الإنسان
- ٢٣٢ لعبد الرحمن بن حسان
- ٢٣٢ لمحمد بن حازم الباهلي
- ٢٣٢ للجاحظ في ابن الزيات
- ٢٣٣ الجاحظ ورجل من البرامكة في مرضه
- ٢٣٤ المقامة الجاحظية
- ٢٣٤ مقامة من إنشاء البديع تتعلق بذكر الجاحظ
- ٢٣٥ من كلام الملوك
- ٢٣٥ من كرم أردشير بن بابك
- ٢٣٦ من كلام بزرجمهر
- ٢٣٦ من كلام أنوشروان
- ٢٣٦ من رسائل الميكالي
- ٢٣٦ كتاب منه للثعالي
- ٢٣٧ كتاب منه إلى أبيه
- ٢٣٧ كتاب منه يستفتح به مكاتبة أخ
- ٢٣٨ فقر من كلامه
- ٢٣٩ قطعة من شعره في تجنيس القوافي
- ٢٤٠ لأبي الفتح البستي
- ٢٤١ أدب الحاجب
- ٢٤١ بين ملك وحاجه
- ٢٤١ وصية المهدي للفضل بن الربيع
- ٢٤١ للحسن بن سهل
- ٢٤٢ لبعض البلغاء
- ٢٤٢ بين سعيد بن عبد الملك وعبيد الله بن سليمان
- ٢٤٢ لأبي السمط بن أبي حفصة
- ٢٤٣ لمروان بن أبي حفصة
- ٢٤٣ لإدريس بن أبي حفصة
- ٢٤٣ لعمر بن شأس الأسدي
- ٢٤٤ للقطامي
- ٢٤٤ للقيني
- ٢٤٥ للحطيئة
- ٢٤٥ للقاسم بن حنبل المدني

- ٢٤٥ للوضاح التيمي
- ٢٤٦ حث الاشتياق
- ٢٤٦ مما أشده إسحاق الموصلي
- ٢٤٧ لإسحاق الموصلي
- ٢٤٧ لأبي نواس
- ٢٤٨ جودة الخط
- ٢٤٨ صفة الخط الجيد
- ٢٤٩ ورّاق يصف عيشه
- ٢٤٩ لإسماعيل الحمدوني
- ٢٥٠ حرقة الأدب
- ٢٥٠ لبعض الشعراء
- ٢٥٠ للخرمي
- ٢٥٠ لعلي بن بسام
- ٢٥١ رزق الحمقى والعقلاء
- ٢٥١ لابن الرومي
- ٢٥١ لجعفر بن محمد
- ٢٥١ للنظام
- ٢٥٢ بعض أخبار النظام وكلامه
- ٢٥٢ أفكار الوراقين
- ٢٥٢ وصف الوراق
- ٢٥٣ أطيب اللذات عند الشعراء
- ٢٥٣ لذات امرئ القيس
- ٢٥٣ لذات الأعشى
- ٢٥٣ لذات طرفة
- ٢٥٣ لذات أبي دُلف
- ٢٥٣ لذات حميد الطوسي
- ٢٥٤ لذات يزيد بن عبد الله
- ٢٥٥ من شعر الأضبط بن قريع
- ٢٥٦ الأضبط بن قريع
- ٢٥٦ وصف المعابر والأفلام
- ٢٥٦ لبعض الكتاب يصف محبرة
- ٢٥٧ لأبي الفتح كشاجم

- ألفاظ لأهل العصر في أوصاف آلات الكتاب والدوي والأقلام ٢٥٧
- لأبي الفتح كشاجم ٢٥٨
- عمال المأمون ٢٥٩
- الورد والرجس ٢٦٠
- لابن الرومي ٢٦٠
- لبعض المحدثين ٢٦١
- رجع لابن الرومي ٢٦١
- لأحمد بن يونس الكاتب يرد على ابن الرومي ٢٦٢
- نبد من النظم والثر في صفات النور والزهر ٢٦٣
- لعلي بن الجهم ٢٦٣
- لمحمد بن عبيد الله بن طاهر ٢٦٣
- المتوكل وابن الضحاك ٢٦٤
- ظبي يأكل نيلوفرًا ٢٦٥
- وصف أيام الربيع ٢٦٦
- لابن وكيع ٢٦٦
- لأبي الفتح البستي ٢٦٦
- لأبي الفضل الميكالي ٢٦٧
- للبحري ٢٦٨
- في مجلس المبرد ٢٦٩
- للبحري في المدح ٢٧١
- لابن الرومي في وصف روضة ٢٧١
- لابن المعتز بدم الصبح ٢٧٢
- لأبي الفتح كشاجم ٢٧٣
- جملة من هذا النوع لأهل العصر ٢٧٤
- لابن هانيء يصف زهرة رمان ٢٧٤
- ولهم في هذا المعنى ٢٧٤
- ولهم فيما يتعلق بهذا النحو في وصف أيام الربيع ٢٧٦
- الربيع والرفاق ٢٧٧
- الصوم في الربيع ٢٧٧
- يوم الشك ٢٧٧
- من بديع الزمان لبعض أهل همدان ٢٧٨
- لابن العميد ٢٧٨

- عواقب الطيش ٢٧٨
- طاهر بن الحسين يصف الأمين ٢٧٨
- الأمين والمأمون ٢٧٩
- الأمين يصف طاهر بن الحسين ٢٨٠
- الفضل بن الربيع وابنه وأبوه ٢٨٠
- بيعة المهدي ٢٨١
- وقت كلام الملوكة ٢٨٣
- من كلام الفضل بن الربيع ٢٨٣
- بين المأمون والفضل بن الربيع ٢٨٣
- بين المنصور والربيع ٢٨٤
- لأبي تمام يمدح ابن الزيات ٢٨٤
- سهل بن هارون والرشيد ٢٨٥
- من شعر الفضل بن الربيع ٢٨٥
- بين ابن خاقان وأبي العناء ٢٨٥
- وصف دابة ٢٨٥
- قطعة من رسالة أجب بها أبو الخطاب الصايغ عن أبي العباس بن سابور إلى الحسين بن صبرة
- عن رقعة وردت منه في صفة حمل أهلاه ٢٨٦
- الحمدوني وشاة سعيد بن أحمد ٢٨٨
- الحمدوني وطليسان ابن حرب ٢٨٩
- المأمون والحسن بن رجاء ٢٩٣
- بديهة المبرد ٢٩٣
- المبرد عند المتوكل ٢٩٣
- من أدب المبرد ٢٩٤
- بين ابن المعتز والمبرد ٢٩٤
- في المدح ٢٩٤
- لأعرابي ٢٩٤
- لابن المعتز ٢٩٤
- للأخطل ٢٩٤
- لابن هرمة ٢٩٥
- لأبي تمام ٢٩٥
- لعصابة الجرجاني في الحسن بن رجاء ٢٩٥
- بين جميل وعمر بن أبي ربيعة ٢٩٦

- ٢٩٨ من شعر العرجي
- ٢٩٨ نسب العرجي وبعض أخباره
- ٢٩٩ جملة من الفصول القصار لابن المعترز
- ٣٠١ من ابن العميد إلى بعض إخوانه
- ٣٠٣ من بديع ما قيل في العتاب
- ٣٠٣ لسعيد بن حميد
- ٣٠٤ لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر
- ٣٠٤ للمتنبي
- ٣٠٥ من كلام الأعراب
- ٣٠٥ المقامة البلخية
- ٣٠٧ من البديع إلى الميكالي
- ٣٠٨ بين المأمون وإبراهيم بن المهدي
- ٣٠٩ بين المأمون وإسحاق بن العباس
- ٣١٠ رجل يستعطف بعض الملوك
- ٣١٠ بين معاوية وروح بن زنياع
- ٣١١ عفو الملوك
- ٣١١ بعض ملوك فارس
- ٣١٢ بهرام جور
- ٣١٣ من اعتذارات البديع
- ٣١٦ فقر من كلام سهل بن هارون للمأمون
- ٣١٦ من ترجمة سهل بن هارون وأخباره
- ٣١٨ من عظات الحسن البصري
- ٣١٩ ألفاظ لأهل العصر، في التهنتة بإقبال شهر رمضان مع ما يتصل بها من الأدعية
- ٣١٩ أخلاق المؤمن
- ٣١٩ صفة الأخ الصادق
- ٣٢٠ صفة الرجل الكامل